سلسلة دراسات وأبحاث
(٩)

دراسات في العدوان الاستشراقي والتبشيري على الأمة الإسلامية ـ رؤية معاصرة

محمد غسَّـان الجبَّـان
الجنيدي الحسيني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ -٢٠١٨م

سورية - دمشق

الإهـداء

❖ إلى المسيحين الغربيين المنصفين من العلماء والمفكرين والمؤرخين.. وإلى إخواننا في العروبة المسيحيين الشرقيين..

الذين دافعوا عن الرسالة والرسول (ﷺ)..

❖ وإلى كل باحث عن الحقيقة..

أهـدي هـذا الكـتاب

المؤلف

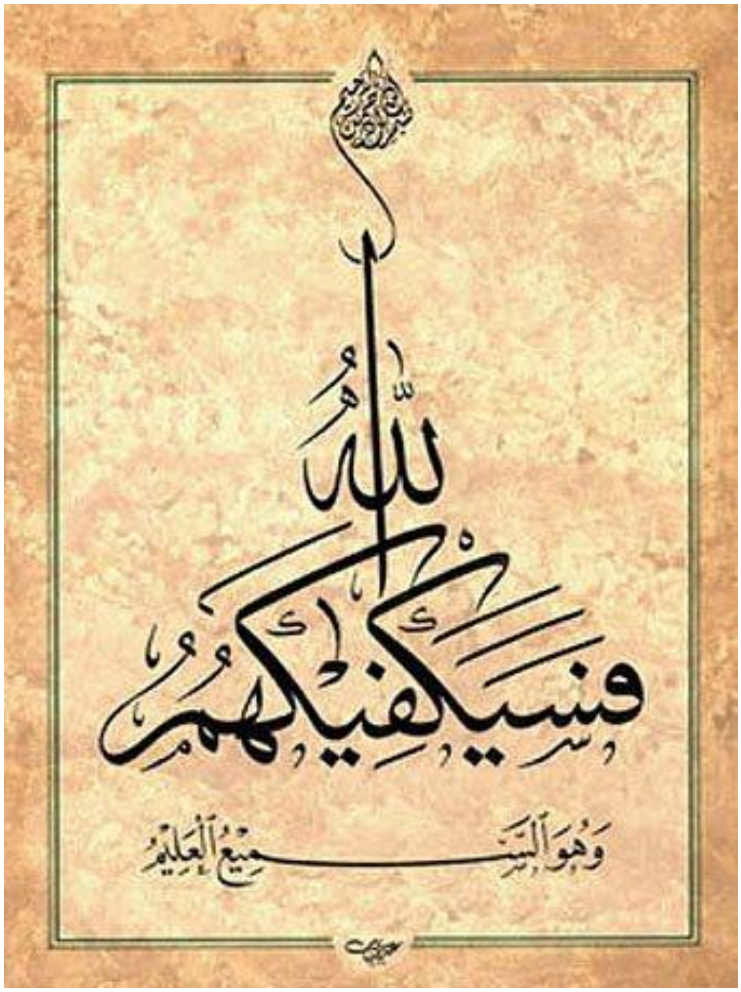
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

المقدمة

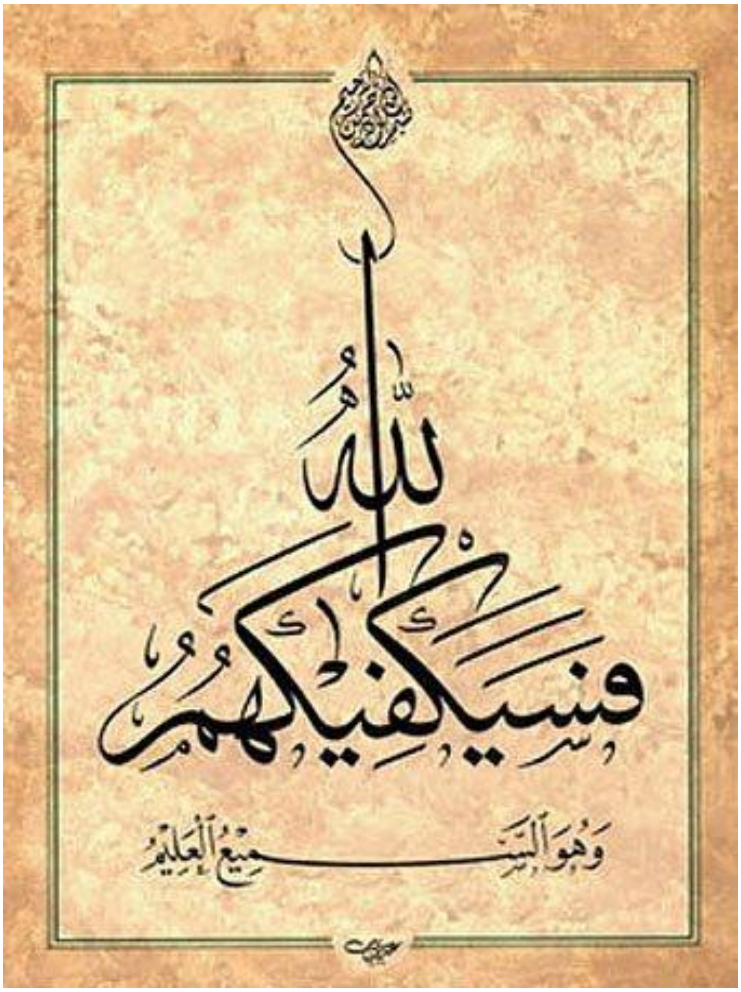
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده..

اللهم بك نستنصر فانصرنا، وعليك نتوكل فلا تكلنا، وإياك نسأل فلا تخيبنا، وفي فضلك نرغب فلا تحرمنا، ولجنابك ننتسب فلا تبعدنا ..

يا من أذاق أحبابه حلاوة أُنْسِه..

ويا من ألبس أولياءه هيبة من هيبته..

أَحِلْنَا من تدبيرنا إلى تدبيرك، ومن جهلنا إلى علمك، ومن ضعفنا إلى قوتك، ومن ذُلنا إلى عزتك ...وأمدَّنا بمدد من عندك..

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تفرج بها كروبنا، وتكشف بها همومنا، وترفع بها ذكرنا، وتنصر بها حجتنا، وتعظم بها أجرنا، وتقبل بها أعمالنا..

وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه وعمل بشريعته إلى يوم الدين..

وبعد:

● بدأ الاستشراق المعادي لاهوتياً معتمداً على جهود القسس والرهبان ليقدم المساعدة لحركات التبشير والتنصير، ثم فتح باباً آخر لخدمة الاستعمار والمستعمرين، ثم فتح باباً آخر لخدمة اليمين المسيحي المتصهين والحكومات الأمبريالية[1] الغربية المعاصرة في الهيمنة والسيطرة على العالم الإسلامي..

إضاءة

لقد استطاع الاستشراق المعادي أن يؤثر على العقل الغربي ويشكله ويحدد مواقفه المعادية للإسلام على نحو عام..

● وقد روَّج الكثير من المستشرقين وأتباعهم، أمثال: فؤاد زكريا المصري، وصادق جلال العظم السوري، وكثيرون غيرهما..، في عالمنا الإسلامي بأن حركة الاستشراق لها وجه واحد مضيء، وهو الوجه العلمي البريء من الأهواء والمواقف العدائية للرسالة والرسول ﷺ والمسلمين عموماً والعرب خصوصاً.. والحقيقة إن في هذا الترويج تضليل وخداع وطمس للحقائق..

* صحيح أن هناك فئة قليلة من المستشرقين ينطبق عليهم الوصف السابق، ولكن الصحيح أيضاً أن الكثير من المستشرقين لهم مواقف حاقدة ومعادية للإسلام وهم يعلنون هذا صراحة بكل وضوح، ولم يتوانوا عن استغلال جميع الإمكانات والأساليب للطعن بالإسلام ورسوله ﷺ وبالمسلمين.

(١) الأمبريالية: هي السيطرة على مقدرات الشعوب، وهي أعلى مراحل الاستعمار. انظر المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب..

* وجميع الباحثين العلميين المدققين يعرفون هذه الحقيقة، كما يعرفون أنه من الصعب تصنيف جميع المستشرقين في تصانيف محددة غير قابلة للخرق.. نعم.. هناك مستشرقون معادون بالمطلق، وهناك مستشرقون مناصرون لقضايانا بالمطلق، وهناك مستشرقون علميون محايدون، ولكن هناك مستشرقون لهم مواقف متذبذبة بين هؤلاء وهؤلاء لا يمكن تصنيفهم مع أي صنف منهم..

- **وبحثنا هذا يختص بالمستشرقين المعادين** فهو يتعرض لأفكارهم وافتراءاتهم الناشئة من إفرازات حقد دفين على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، رغبة منهم في صد الغربيين عن الدخول في الإسلام، والوقوف أيضاً أمام تيار انتشاره الواسع في العالم، إضافة إلى تشويش أفكار المسلمين عن دينهم، وتشويه مكانة النبي ﷺ في عقولهم وقلوبهم، **ومن أهم مهامهم تقديم المعلومات والدراسات والبحوث إلى مراكز القرار في الحكومات الغربية الاستعمارية الأمبريالية المعاصرة...**

* لقد شنوا حملات ظالمة ومضللة، وساعدهم في هذا مؤسسات ضخمة ترعاهم مادياً ومعنوياً، بعضها مرتبط بحكومات ذات توجه استعماري، **وقد عمل هؤلاء مستشارين لصالح المستعمرين قديماً وحديثاً، ومثالهم المفضوح المستشرق المعاصر "برنارد لويس" الإنكليزي الأصل، والأمريكي الجنسية، واليهودي الديانة، وهو من كبار مستشاري البنتاغون الأمريكي، والمنظِّر لسياسات التيار الأصولي الأمريكي المسيحي المتصهين في عالمنا المعاصر.**

*** ويكتشف المتتبع أن وزارتي الدفاع والخارجية وكذلك الاستخبارات الأمريكية تنفق بسخاء على برامج الدراسات العربية والإسلامية والشرق الأوسطية في الجامعات الأمريكية ومراكز البحوث**[1] التي يعمل بها عدد من المستشرقين، والتي تمد مراكز القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بالدراسات والمعلومات والآراء والمقترحات..ومن أهمها: **قسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة "برنستون"** في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي يعد أقدم مراكز البحوث المتخصصة في الشرق الأوسط، وهو خاضع لسيطرة أشخاص يتعاطفون مع الصهيونية، ومشاركين نشطين في المعركة السياسية الدائرة بين الصهيونية والفلسطينيين. [2] ومن أهمها أيضاً: **مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة "هافارد"** التي تتميز بقوة النفوذ الصهيوني فيها. وهو مركز أكاديمي ذو تأثير على السياسات الأمريكية عموماً، **وتمول وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعض مؤتمراته،** ومنها: مؤتمر الإسلام والسياسة في العالم المعاصر[3] وتسعى هذه المراكز للحصول على المعلومات الهامة عن نشاطات العمل الإسلامي

(١) انظر: تحليل نقدي للدراسات الإسلامية في جامعات أمريكا الشمالية، إعداد لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي، طرابلس – ليبيا، تموز-١٩٧٣م، ترجمة:د.مازن مطبقاني.

(٢) انظر: الاستشراق والصهيونية، إدوارد سعيد، مجلة المجلة، العدد: /٤٠٨/، بتاريخ ٨/كانون الأول/ ١٩٨٧م.

(٣) انظر: المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة، مجلة المجتمع الكويتية، العدد /١٤٣/، تاريخ ٢٦/تشرين الثاني/١٩٨٥م.

ومؤسساته وجماعاته **عن طريق تكليف طلبة الدراسات العليا فيها من المسلمين بجعل رسائل الماجستير والدكتوراة التي يتقدمون فيها متخصصة بهذه الموضوعات والتي هي أقرب للمعلومات الاستخباراتية** [1].

* ومن الأدلة على ما يقدمه الاستشراق المعاصر من خدمات لصالح النظام السياسي الغربي على سبيل المثال لا الحصر، ما قدمه المستشرقون والدبلوماسيون الذين نشطوا في العالم الإسلامي من دراسات وبحوث في جلسات استماع الكونجرس الأمريكي في عام /١٩٨٥م/ وقد نُشرت محاضر الجلسات في كتاب، ونشرت مجلة المجتمع الكويتية أجزاءً منها بتعليق الدكتور "أحمد خضر إبراهيم"[2]، وهذا مثال واحد من آلاف الأمثلة التي لاتنقطع.

● ومن مفرزات الحركة الاستشراقية المعادية في عالمنا المعاصر ظهور ما يسمى **"الاستشراق الإعلامي المعادي"** فقد انضوى تحت لواء الحركة الاستشراقية عدد كبير من الإعلاميين والصحفيين المتخصصين في شؤون الإسلام والمسلمين، وقد غُذُّوا بأفكار وطروحات الحركة الاستشراقية المعادية، وهم يعملون دائبين ليلاً ونهاراً على تشويه صورة الإسلام والمسلمين والعرب في وسائل الإعلام الغربية.. [3]، من صحافة وتلفزيون وإذاعة وسينما ولم ينج من ذلك حتى الأطفال الذين استهدفتهم في أفلام الكرتون.

(١) للتوسع انظر: كتاب رؤية إسلامية للاستشراق، أحمد غراب.

(٢) انظر: الإسلام والكونغرس، مجلة المجتمع الكويتية، الأعداد من /٩١٤/ إلى /٩٧٣/.

(٣) انظر: ظاهرة الاستشراق الصحافي، حسن عزوري، صحيفة المسلمون، العدد /٥١٠/بتاريخ ١٩٩٤/١١/١١م..

- يقول المستشرق إدوارد سعيد : ((يصعب الحديث عن صحافة مستقلة حقاً في الولايات المتحدة الأمريكية)) كما ضرب مثالاً في موضوع التغطية الإعلامية للشؤون الخارجية حيث أشار إلى ((المجموعة الصغيرة صاحبة الخبرة المزعومة في الإسلام ، والتي تحتكر الحديث عن الإسلام في وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية على نحو شبه كامل منذ نهاية الحرب الباردة))[1]..

- ولا ننسى أن تلامذة وأتباع "الاستشراق الإعلامي المعادي" في عالمنا الإسلامي يعملون بإخلاص على نهجهم المعادي لقيم الإسلام ومبادئه..، ومثال ذلك محطة (mbc) السعودية وغيرها..

- إن الاستشراق الإعلامي المعادي أخطر بكثير من الاستشراق الأكاديمي، فالأول ينتشر على نطاق واسع جداً، ويصل إلى شرائح المجتمعات كافة، وأما الثاني فهو محدود الانتشار ، ولا يقرؤه إلا المتخصصون. ويعمل الاستشراق الإعلامي المعادي في عصرنا الحاضر على تشويه سُمعة الإسلام والمسلمين ووصمهما بالإرهاب، وجعله صفة حصرية عليهما، علماً بأن الإرهاب لا دين ولا مذهب ولا قومية له، والإرهابيون في العالم ينتسبون إلى أديان عدة وقوميات مختلفة..

(١) انظر: الإعلام الأمريكي وحادثة أوكلاهوما صحيفة الحياة، العدد /١١٧٦٥/، بتاريخ ٨/أيار/١٩٩٥م.

ولنا أن نتساءل:

- هل المسلمون هم الذين أبادوا الهنود الحمر في أمريكا؟!!..
- هل المسلمون هم الذين أبادوا السكان الأصليين في أستراليا؟!!..
- هل المسلمون هم الذين ألقوا قنبلتين نوويتين على مدينتي هيروشيما وناغازاكي، وقتلوا مئات الآلاف من المدنيين والأطفال؟!!..
- هل المسلمون هم الذين أشعلوا حربين عالميتين ذهب ضحيتهما عشرات الملايين من البشر؟!!

والأسئلة تطول وتطول..،**نعم**..

- **هناك إرهابيون ينتسبون إلى الإسلام، ولا يخضعون لرسالته الربانية..**
- **وهناك إرهابيون ينتسبون للمسيحية ، ولا يخضعون لرسالتها الربانية..**
- **وهناك إرهابيون صهاينة ينتسبون لليهودية، ولا يخضعون لرسالتها الربانية.**
- **وهناك إرهابيون هندوس، وهناك إرهابيون بوذيون، وهم الذين قتلوا الآلاف من المسلمين "الروهينغا" في بورما، وأحرقوا المئات، وهجروا مئات الآلاف من السكان..**

إن ما ذكرناه يُسقط مقولة المستشرق الحاقد "برنارد لويس" الذي يدعي أن الاستشراق إنما هو من أجل **"المعرفة" فقط**، أو "العلم من أجل العلم".وبالمقابل، يؤكد مقولة المستشرق المنصف "إدوارد سعيد" في تعريفه للاستشراق، حينما ذكر أنه

من أبرز خصائصه "**المعرفة من أجل الهيمنة والسيطرة**"[1].

إضاءة

إن الهدف العميق للاستشراق المعادي هو معرفة كل شيء عن المسلمين، لإيقاف امتداد الإسلام وانتشاره وخاصة في الغرب، ومحاولة هدمه داخل حصونه، والهيمنة والسيطرة على شعوبه..

- **وقد عمل المستشرقون المعادون على تغريب المجتمعات الإسلامية، لتتقبل فكرة التفوق الغربي ووجوب الاقتداء به والترحيب بكل ما هو غربي والأخذ بنمطه وثقافته وتصوراته والخضوع لها.. وركزوا على ربط التقدم الغربي بثقافته، وربط التخلف في العالم الإسلامي بالإسلام**، وجعلوا من ذلك منهجاً ومبدأً يصل إلى مستوى القواعد والمسلمات.. وهذا هو السبب الذي دفع المبشرين والمستشرقين إلى افتتاح عدد كبير من المدارس في العالم الإسلامي وذلك للأخذ بالنمط الغربي في الحياة، والتبشير بثقافته، ومثال ذلك ما فعله "اللورد كرومر" بإنشاء كلية فكتوريا في مصر بهدف "تربية جيل من المصريين العصريين، (**وتنشئتهم**) **تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين... في طرائق السلوك والتفكير**".. وكان طلاب هذه الكلية من أبناء الوجهاء والحكام والأغنياء، وقد صرح

(١) للتوسع انظر: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مازن مطبقاني، الرياض، [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

اللورد "لويد" المندوب السامي البريطاني في مصر عام ١٩٣٦م في كلمة ألقاها في كلية فكتوريا ((**كل هؤلاء لا يمضي عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العِشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ، فيصيروا قادرين على تفهم أساليبنا ويعطفوا عليها**)) [(١)] ثم ما لبث هؤلاء الطلاب أن تابعوا دراساتهم في أوروبا وأمريكا ، ورجعوا ليكونوا في مراكز القوة والقرار.

- **وفعلاً كان هناك فئة تغريبية من أبناء جلدتنا تبنوا أفكار المستشرقين المعادين وبذلوا جهوداً كبيرة لترجمة كتبهم ونشر أفكارهم، وأرادوا أن يجعلوا لهذه الأفكار المعادية للإسلام صوتاً عالياً ذا صدى في الحياة الفكرية والثقافية في مجتمعاتنا الإسلامية.**
- **ويجب أن ننوه بأن هناك فئة من المفكرين المخلصين انبرت لمواجهة أفكار هؤلاء المستشرقين المعادين وأتباعهم**، وفنَّدت كل أكاذيبهم وافتراءاتهم، وردت عليهم ردوداً علمية موضوعية مفحمة، مؤيدة بالأدلة والبراهين القاطعة.
- **ثم جاء التبشير لاحقاً للاستشراق**، حيث قدم الاستشراق الأسس الفكرية اللازمة لتشويه الإسلام، وزلزلة عقائد المسلمين، وتشكيكهم بحقائق الإسلام، ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحة القرآن الكريم، والطعن في

(١) انظر:الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، الطبعة الخامسة – بيروت[١٤٠٢هـ-١٩٨٢م] (ص/٤٥ وما بعدها).

الحديث النبوي الشريف وإزالة القداسة عنه كمصدر للتشريع، والطعن في التشريع الإسلامي والإيحاء بعدم صلاحيته، إلى آخر الشبهات التي زرعوها في كتبهم وأبحاثهم وإعلامهم، **وهكذا تولى الاستشراق المهمة الفكرية والتنظيرية...**

- **بينما تولى التبشير المهمة الميدانية في العمل على فك ارتباط المسلمين بإسلامهم ونبيهم وقرآنهم وشريعتهم..**
- **والاستشراق المعادي والتبشير حركتان دينيتان سياسيتان استعماريتان،** ينتظم فيهما المستشرقون الحاقدون والمبشرون وأعمالهما ونشاطاتهما ومخططاتهما.
- وقد بدأت حرب التبشير عندما قرر أعداء الإسلام من الصليبيين الإفرنج الانتقال من الحرب الخشنة على الإسلام – والتي تجلت في الحروب الصليبية التي فشلت في تحقيق أهدافها – إلى الحرب الناعمة ذات المردود الأفضل تحت شعار التبشير، **ثم ما لبثت أن توسعت حرب التبشير متوافقة مع بدء الحروب الاستعمارية، فكانت خادمةً للاستعمار وكان الاستعمار خادماً لها، وقد تبنت الدول الاستعمارية حركة التبشير لمآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية، كما أكد الساسة الغربيون الاستعماريون.**
- وللتبشير كما أشار القس "صموئيل زويمر" مزيتان: **مزية تشييد، ومزية هدم**. أي هدم عقائد الإسلام ومبادئه وقيمه وثقافته في قلوب وعقول المسلمين، وتشييد وتركيب عقائد الغرب الصليبي ومبادئه وقيمه وثقافته مكانها!!..
- كل هذا الحقد على الإسلام نابع من أن **الإسلام هو القوة**

الحضارية الوحيدة القادرة على الوقوف في وجه الغرب الإفرنجي الصليبي ومخططاته وأهدافه الاستعمارية الهادفة للهيمنة على العالم الإسلامي والسيطرة على مقدراته الاقتصادية والاستراتيجية.

- لذلك قاد الاستعمار الغربي حرباً شاملة على الإسلام، عن طريق الغزو الفكري والإعلامي، وبث القيم والثقافة الأوروبية، والعمل على تربية أبناء المسلمين على النمط الغربي، واقتلاع الولاء للإسلام من قلوبهم، وجعل ولائهم للحضارة الغربية حضارة المستعمر، وكانت وسيلته إلى تحقيق ذلك جناحي الاستشراق والتبشير.

- **وقد استخدمت حركة التبشير وسائل عدة لتحقيق أهدافها، ومن ذلك:**

المؤسسات التعليمية من الحضانة إلى الجامعة، والرعاية الصحية وبناء المستوصفات والمستشفيات، والرعاية الاجتماعية من خلال الأندية الاجتماعية والرياضية والفنية والثقافية والترفيهية..، والعمل الخيري والإغاثي واستغلال الكوارث والحروب وما ينتج عن ذلك من فقر وجوع ومرض، واستغلال حاجات الناس في مثل هذه الظروف القاسية، واستغلال الصحافة والإعلام والمطبوعات لنشر أفكارهم، وأيضاً بيوت الشباب وبيوت الطلبة والمؤتمرات والمخيمات الكشفية، وغير ذلك ...

- وفي **مطلع** القرن العشرين، قرر المبشرون على مستوى العالم أن يتحولوا صوب العمل المنهجي المؤسسي القائم على الدراسات والخطط والتنظيم والتعاون والتنسيق بين كافة الجهات التبشيرية على مستوى العالم. **وهذا أضفى على حركة التبشير صفة العالمية والشمولية والحركية، وكل**

- **هذا بدعم من الحكومات الغربية الاستعمارية** ومراكز القوة المالية والإعلامية والاستشراقية.

- ومن خلال خطتهم الشمولية هذه، عقدوا أخطر **مؤتمر** لهم في ولاية **كولورادو** في الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ١٩٧٨/٥/١٥م وقرروا فيه الغارة على العالم الإسلامي.. فكيف كانت خطتهم؟!!.. وماذا كانت النتائج؟!!..

في هذا الكتاب ستجد الجواب على هذين السؤالين..

- **وهذا الكتاب** جهد متواضع للدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين عامة والعرب خاصة، في وجه الأضاليل والتشويهات التي روَّج لها المستشرقون المعادون وتلامذتهم في عالمنا العربي والإسلامي..راجياً من الله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد ، وأن يحشرني مع أنصار النبي ﷺ وأحبابه، محتسباً في حبه والدفاع عنه وعن دينه كل جهد ومعاناة.

إنه خير مسؤول..

والحمد لله رب العالمين

محمّد غسّان الجبّان
الجنيدي الحسيني

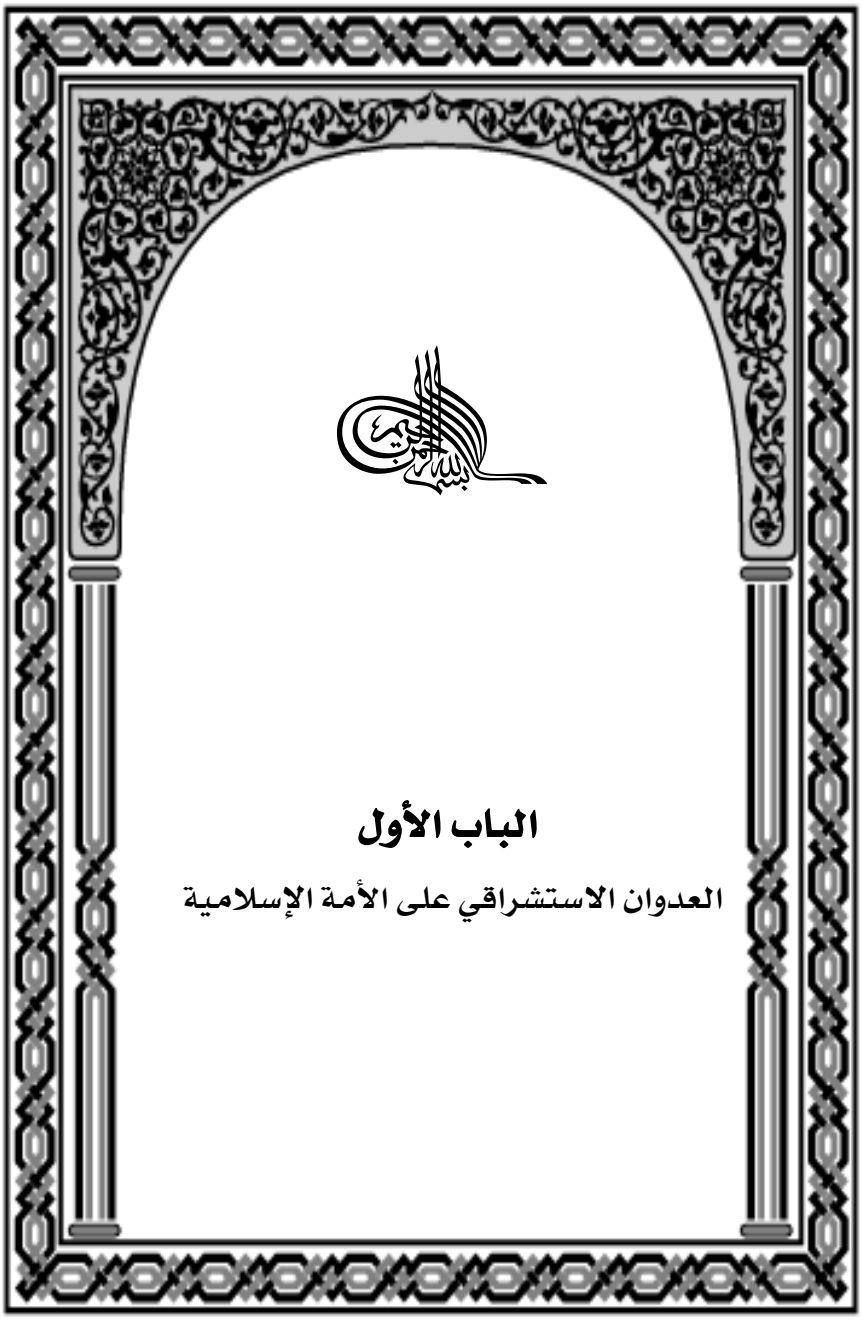

الباب الأول

العدوان الاستشراقي على الأمة الإسلامية

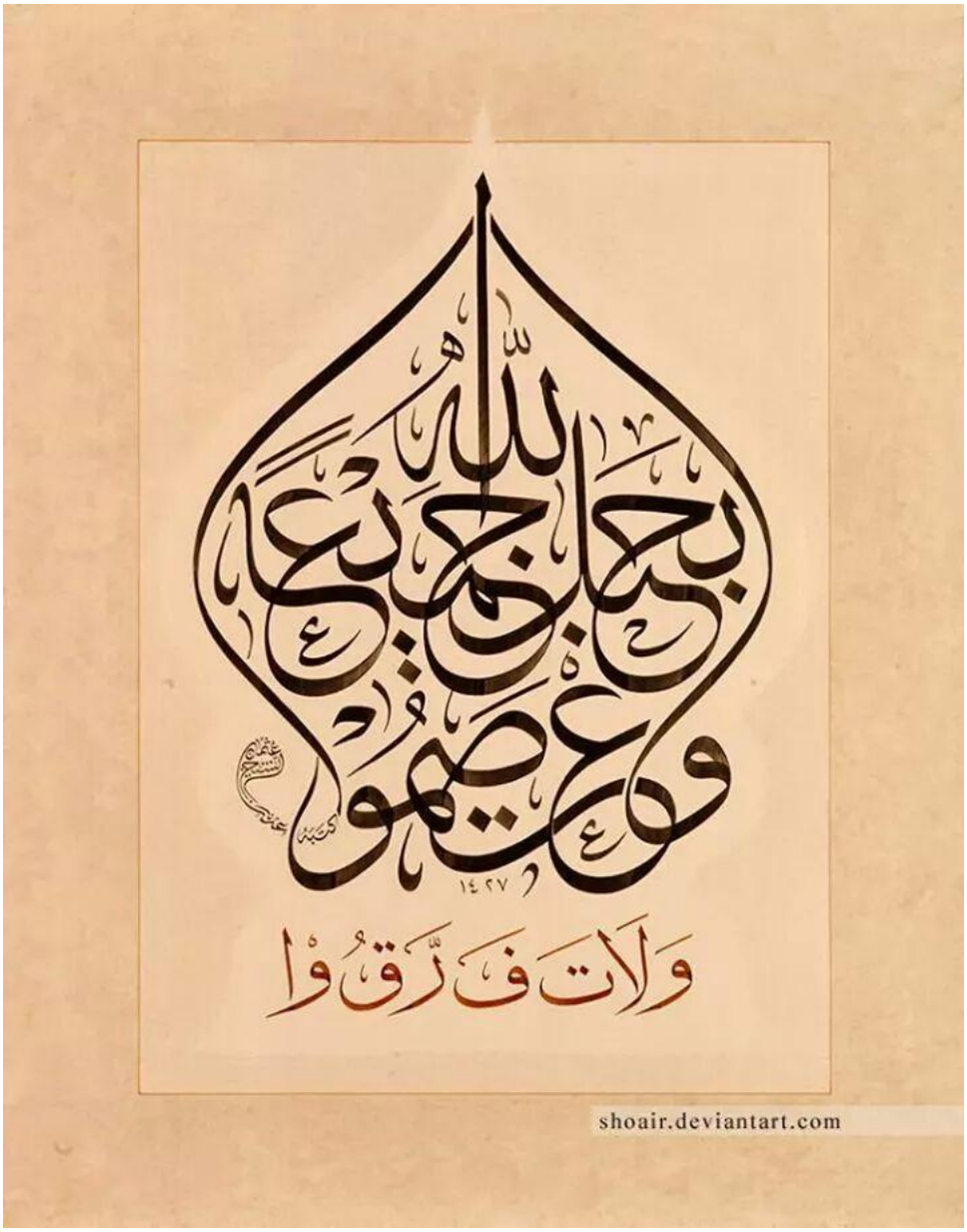
بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا
١٤٢٧
shoair.deviantart.com

تمهيد

العدوان متواصل لا ينقطع

● إن هزيمة اليهود في المدينة المنورة، وهزيمة الإمبراطورية البيزنطية أمام الدولة الإسلامية أدّت إلى استنفار اليهود والإفرنج النصارى الحاقدين للعدوان على محمد رسول الله ﷺ ورسالته.

فيهود المدينة هزموا في حياة النبي ﷺ ، والإمبراطورية البيزنطية بدأ انهيارها على يد المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، عام/١٣هـ-٦٣٤م/ حيث تمَّ فتح أجنادين، وحررت دمشق عام /٦٣٥م/ ثم حمص، ثم أنزل المسلمون فيهم هزيمة ساحقة في اليرموك عام /٦٣٦م/ ثم حرر بيت المقدس،ثم حررت قيصرية آخر معاقلهم في بلاد الشام عام /١٩هـ-٦٤٠م/. واشتدَّ الصراع على حدود ما تبقى من الإمبراطورية البيزنطية، حيث هزم المسلمون البيزنطيين في معركة ذات الصواري عام /٤٨هـ-٦٦٨م/. ثم حاصروا القسطنطينية خمس مرات ما بين عامي /٦٧٣-٦٧٨م/[1].

(١) للتوسع انظر: الحركة الصليبية، د.سعيد عبد الفتاح عاشور،مكتبة الأنجلو مصرية-القاهرة،طبعة أولى[١٩٦٣م].(ص/٤٨ومابعدها/.

- جُعِل النبي ﷺ والإسلامُ العدوَّ الأول للإفرنج,لاعتقادهم أن الإسلام حال دون انتشار المسيحية في جميع أنحاء العالم، وكان المنافس الأقوى للإفرنج على مدى الزمان، وخالفهم في تفسير طبيعة المسيح، ونقض عقيدة الخلاص، فجذب أعداداً كبيرة من المسيحيين الذين وجدوا أن عقيدة الإسلام في المسيح أقرب إلى إيمانهم وأكثر إقناعاً لعقولهم.

يقول المستشرق الألماني المسلم "مراد هوفمان": (لا يستطيع العالم المسيحي أن يعترف ببساطة أن الإسلام انتشر لأنه حرر الشعوب التي كابدت الحكم القيصري والبابوي والكسروي، وأن كثيراً من المسيحيين الذين زندقهم مجمع نيقية رحبوا بالإسلام الذي قال عن عيسى ما كانوا يعتقدون، فهو رسول وليس ابن الله. فهجر الناس الكنائس أفواجاً ودخلوا في الإسلام)[1].

إضاءة

عملت القيادات الإفرنجية واليهودية من الأحبار والرهبان والمستشرقين المعادين على الحد من المد الإسلامي، من خلال محاربته فكرياً، وتشويه سمعة النبي ﷺ، ووصمه بكل نقيصة، انطلاقاً من حقدهم وعداوتهم الشديدة للرسالة والرسول ﷺ...

- ويعترف المستشرق "بودلي" بتشويه الغرب الصليبي لسمعة النبي ﷺ

(١) الإسلام عام ٢٠٠٠، مراد هوفمان، (ص/٤٧).

والإسلام فيقول: (ولم يبدأسوء فهم المسيحيين للإسلام حتى أواخر أيام محمد. وقد بدأ في صورة جدية في الحروب الأولى التي شنَّها الصليبيون، وقد ازداد سوء الفهم منذ ذلك الحين، حتى أن لفظة "محمد" أصبحت بمعنى الكفر بالله. وتطورت لفظة "المحمدية" في أذهان معاصري شكسبير، حتى أصبحت بمعنى أي ديانة مزيفة. وعلى الأخص الديانة التي تعبد الأصنام، وأصبحت لفظة "محمد Mammets" تستعمل بمعنى الأصنام، واشتقت كلمة Mahomerie ثم كلمة Mummery بمعنى مجون من نفس المصدر. كانت بعض الأفكار المقبولة في تلك الأوقات وهمية خيالية، فقد أُظهر محمد مثلاً، في شعر القرن الثاني عشر، كأمير من أمراء الإقطاع، يتلقى الأوامر المسيحية المقدسة، وأنه خلق ليكون كردنالاً، فلما أخفق في أن يُنصِّب نفسه بابا ثأر لنفسه بأن ابتدع ديناً جديداً) [1].

- وأدت تحريضات الكنيسة الإفرنجية إلى انفجار الحروب الصليبية التي دعا إليها البابا أوربان الثاني عام /١٠٩٥م/، حيث كانت هذه الحروب منفعلة وفاعلة.فقد أتت هذه الحروب نتيجة لتراكم التحريضات ضد الإسلام ورسوله ﷺ، بالإضافة إلى أنها كانت فاعلة في تأجيج الحقد والكراهية ضد النبي ﷺ والإسلام لضرورة استمرارها.

يقول المستشرق المسلم محمد أسد "ليوبولد فايس": (لقد أعطت تجربة الحروب الصليبية أوروبا وعيها الثقافي وكذلك وهبتها وحدتها... ولكن هذه

(١) الرسول-حياة محمد، ر-ف-بودلي، (ص/١٣).

التجربة نفسها كان مقضياً عليها أن تهيئ اللون المزيف الذي كان على الإسلام أن يبدو به لأعين الغربيين, لأنه إذا كان لدعوة إلى حرب صليبية أن تحتفظ بصحتها، فقد كان من الواجب الضروري أن يوسم نبي المسلمين بعدو المسيح، وأن يصور دينه بأكلح العبارات) [1].

- وكان لرجال الدين الإفرنج والمستشرقين المعادين دور عظيم في العدوان على النبي ﷺ والعالم الإسلامي في الحقبة الاستعمارية الغربية وما بعدها [2].

إضاءة

مع توسع دائرة حروب الاستعمار، وتوسع حركة التنصير المرافقة له، تعاظم العدوان على الرسالة والرسول ﷺ، وبدأ يتجلى في أشكال تنظيمية تتخطى الحدود الإقليمية، وبدأت مؤسسات الاستشراق والتنصير ومراكز البحوث التابعة لها تنتشر على نطاق واسع في مطلع القرن العشرين..

(١) الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، (ص/١٩).

(٢) للتوسع انظر:

- الاستشراق رسالة الاستعمار،محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي-القاهرة، [١٩٩٣م].
- التبشير والاستشراق، محمد عزت الطهطاوي، مجمع البحوث الإسلامية-القاهرة، [١٣٩٧هـ-١٩٧٧م]..

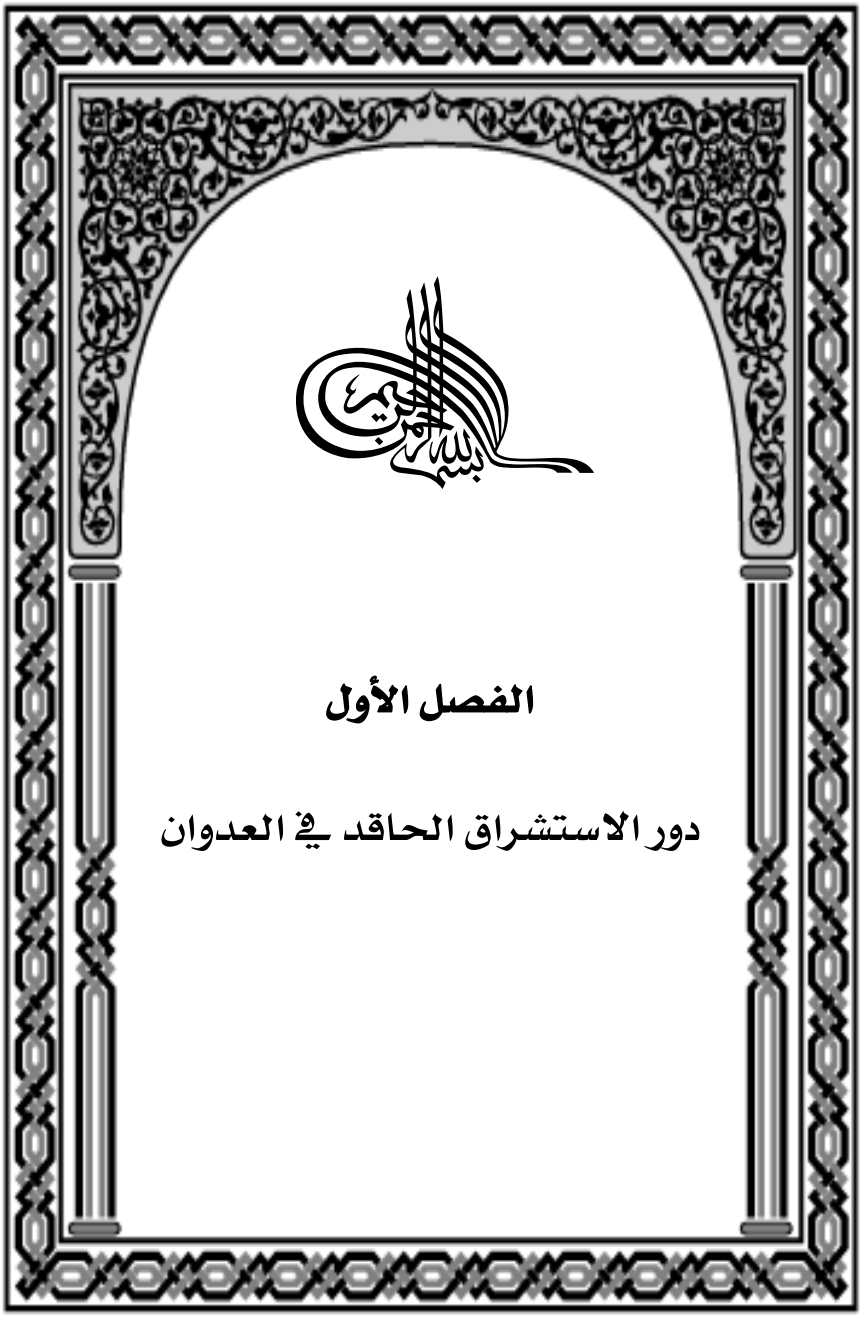

الفصل الأول

دور الاستشراق الحاقد في العدوان

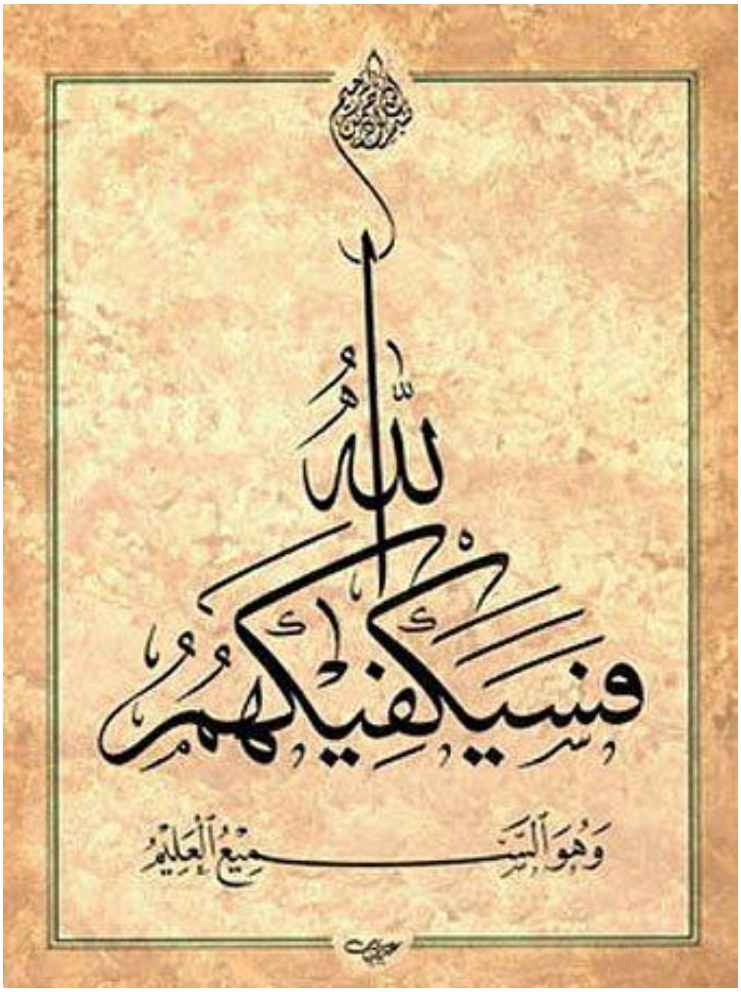
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

المبحث الأول : الدور الأهم.

* كان للاستشراق المعادي الدور الأسوأ على الإطلاق، في الإساءة للرسالة والرسول ﷺ، من النواحي الاعتقادية والفكرية والقيمية، خلال الزمن الممتد من القرن (**الحادي عشر الميلادي**) الخامس الهجري وحتى يومنا هذا، وبدأت الكتابات الاستشراقية محدودة ثم توسعت بالتدريج حتى بلغت مرحلة التخصص في (**القرن السابع عشر الميلادي**).

* واختلف الباحثون في تحديد بدايات حركة الاستشراق:

- فمنهم من يجعلها مع بداية كتابات يوحنا الدمشقي في (**القرن الثامن الميلادي**).

- ومنهم من يجعلها مع بداية انطلاق الاستشراق اللاهوتي في (**القرن الحادي عشر الميلادي**)، حيث سعى الرهبان والقساوسة لتعلم اللغة العربية، والتعمق في الدراسات الإسلامية بغية فهم الإسلام ثم نقضه من أساسه ورد أتباعه إلى المسيحية، فانتشر تعليم اللغة العربية في الجامعات والمدارس المتخصصة الأوروبية، وأنشئت العديد من المطابع العربية.

- ففي عام /٩٩٩م/ أمر البابا "سلفستر الثاني" بإنشاء مدرستين لتعليم

اللغة العربية، الأولى في "روما" والثانية في "ريمس" في فرنسا، ثم أضاف لهما مدرسة ثالثة في "شارتر". وكان قبل استلامه منصب البابوية قد سافر إلى الأندلس وأخذ عن علمائها ودرس في جامعة قرطبة حتى غدا من أوسع علماء عصره بالثقافة العربية ثم تدرج في السلك الكهنوتي حتى أصبح الحبر الأعظم للنصارى.

- وأثناء افتتاح المعاهد والمدارس لتعليم اللغة العربية، ظهر بطرس المبجل الذي نفَّذ أول ترجمة رديئة للقرآن الكريم عام /١١٤٣م/ بهدف حماية المسيحيين من دخول الإسلام، وكذلك للتبشير ورد المسلمين عن دينهم [١].

- وفي عام /١٣١٢م/ أمر البابا "كليمانس الخامس" في مجمع فينا بإنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية ولغات أخرى في باريس وروما وأكسفورد وبولونيا، ثم أنشأ كرسياً للدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون في باريس، وما زال قائماً إلى يومنا هذا [٢].

■ ومن الباحثين من يجعل انطلاقة حركة الاستشراق وتوسعها في **القرن الثاني عشر** وما بعده، **نتيجة للحروب الصليبية وما رافقها من سطو الأوروبيين على الكتب والمخطوطات العربية الثمينة، ونقلها إلى بلدانهم**، والتي أصبحت القاعدة العلمية التي بنى عليها الاستشراق دراساته، وظهر مجموعة من المفكرين الذين دعوا إلى التحول إلى التبشير لعدم جدوى

(١) انظر: نقد الخطاب الاستشراقي، د.ساسي سالم الحاج، (ص/٤٤ وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/٤٥ وما بعدها)، والاستشراق، إدوارد سعيد،(ص/٨٠).

الحروب الصليبية في السيطرة على الشرق الإسلامي، وكان في مقدمتهم "روجر بيكون" [1].

■ **ومن الباحثين من يجعل (القرن السابع عشر الميلادي) بداية ظهور حركة الاستشراق المنظمة، والتي تحالفت وتكاملت من حركة التبشير للتمهيد لمرحلة الاستعمار الأوروبي للشرق الإسلامي، ثم المشاركة الميدانية مع الحكومات الاستعمارية وتقديم الدراسات والاستشارات اللازمة لها**[2].. وفي القرن السابع عشر الميلادي بدأت تظهر كتابات تتحدث عن **مصطلح الاستشراق**، وتصف بعض الأشخاص بوصف **مستشرق**[3][4].

* وتعدُّ الكتابات البيزنطية عن النبي ﷺ والإسلام، خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى أصولاً لما كتبه المستشرقون المعادون عن النبي ﷺ والإسلام في القرون الوسطى، ثم في عصر النهضة، ثم في العصر الحديث.

* ويلاحظ الباحث أن أفكار المستشرقين المعادين للإسلام، تتناقض مع

(١) المصدر السابق، (ص/٤٩ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٥٦ وما بعدها).

(٣) انظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل علي محمد، (ص/١٩).

(٤) للتوسع انظر:

- تاريخ حركة الاستشراق،يوهان فوك، نقله من الألمانية عمر لطفي العالم.
- نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم الحاج.
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، د. محمد فتح الله الزيادي..

الحقائق العلمية، وتفتقر إلى التوثيق الصحيح، فكثيراً ما تكون مقولاتهم واهية وغير صحيحة وانتقائية، يأخذون السقيم ويتركون الصحيح، وكثيراً ما يختلقون أفكاراً مصطنعة ومتكلفة ومتناقضة وساذجة إذا لم يجدوا نصوصاً تساعدهم على تحقيق أهدافهم.

لقد أُصيبوا بأمراض فكرية مزمنة أعمتهم عن الحقائق، بسبب حقدهم الأعمى على الإسلام ورسوله ﷺ.

إضاءة

مضى ألف عام تقريباً وحرب قذرة واسعة النطاق تجري خلالها، جُنِّد لها عشرات الألوف من المستشرقين، والمنصِّرين، ورجال المال، والمؤسسات الإفرنجية واليهودية، والمؤسسات السياسية، والثقافية، ومراكز البحوث، والجامعات، ودوائر المعارف، والموسوعات، حيث سُخرت جميع هذه الطاقات لمحاربة الإسلام ورسوله ﷺ والمسلمين بأشكال وأساليب متعددة ومتجددة..

المبحث الثاني : الدور الخطير.

وكان الدور الخطير في هذه الحرب للمستشرقين النصارى واليهود الحاقدين على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ، فيما يظهرونه علناً أو يبطنونه ويدسُّونه.

ومثالهم من الإفرنج النصارى: الأب "هنري لامانس" الفرنسي من أصل بلجيكي، والذي يعدُّ صنم الاستشراق المسيحي، و "أرنست رينان" الفرنسي الملحد، و"ريجيس بلاشير" الفرنسي، و"منتغمري وات" الإنكليزي، و"هاملتون جب" الإنكليزي، و"لويس ماسينيون" الفرنسي، و"رايموند شارل" الفرنسي، و"أندريه ميكال" الفرنسي، و"نيكلسون" الإنكليزي، وغيرهم...

ومثالهم من اليهود: "إينياس جولد تزيهر" المجري والذي يعدُّ صنم الاستشراق اليهودي، و"جاك بيرك" الفرنسي الشيوعي، و"غوستاف فون غرونباوم" الأمريكي من أصل نمساوي، و"برنارد لويس" الإنكليزي الأصل الأمريكي الجنسية، و"كارل بروكلمان" الألماني، و"ماكسيم رودنسون" الماركسي الفرنسي، ومرجليوث، ودوركايم وغيرهم.

المبحث الثالث : تفاوت درجات الحقد واختلاف الأساليب.

وتتفاوت درجات الحقد بين هؤلاء المستشرقين وأساليبهم:

فبعضهم يعلن حربه، ويُظهر حقده، ولا يستحي من إعلانه وإظهاره، ولا يترك وسيلة من الكذب والإفك واختراع الأحداث والأفكار الخيالية لتحقيق أهدافه، مثل: "لامانس" الفرنسي.

وبعضهم باطني، يُظهر الموضوعية والدقة العلمية، ويدعي التزام الإنصاف، ولكنه يُخادع ولا يفوت فرصة للدس والتزوير والافتراء.

وكمثال على ذلك ما فعله المستشرق "مونتغمري وات" الذي ادَّعى في مقدمة كتابه "السيرة النبوية" التزامه بألا يقول شيئاً يقتضي رد مبدأ من مبادئ الإسلام، وأنه سيلتزم قواعد البحث العلمي، وأنه يجب الإيمان بصحة تطبيق المنهج العلمي على معظم مجالات الحياة، مستثنين مجالات أهمها القِيم، لأن القول بأنه لا منهج إلا المنهج العلمي يؤدي إلى نظرة علمانية للكون لا مجال فيها للقيم الخلقية والدينية.

ولكن ما ذكره وات في مقدمته يغاير تماماً ما طبقه على وقائع السيرة أثناء عرضها.فقد ادَّعى "وات":

١- أن النبي ﷺ تأثر بأفكار "ورقة بن نوفل المسيحي" .

٢- وفي المدينة أخذ ينقل عن اليهودية والمسيحية لصياغة ديانة جديدة هي الإسلام. فالإسلام كما يراه ليس ديناً إلهياً، بل هو مجرد تأليفٍ محمديٍّ ملفقٍ من اليهودية والمسيحية.

٣- ويستبعد "وات" رؤية النبي ﷺ لجبريل عليه السلام ، وينفي أن يكون الوحي الذي تحدث عنه النبي ﷺ من صُنع الله، ويدَّعي أن محمداً كان مخطئاً في هذا.

٤- كما ينفي "وات" عالمية الإسلام، ويدَّعي أنها فكرة خاطئة.

٥- ويزعم أن زيارة محمد لغار حراء يمكن أن تكون فراراً من حرِّ مكة في الصيف [١].

وهذا غيض من فيض...هكذا يدسُّ "وات" أفكاره المسمومة طعناً بالإسلام وبنبي الإسلام محمد ﷺ تحت غطاء الموضوعية والبحث العلمي والإنصاف.

(١) انظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيم، (ص/٣٧وما بعدها).

المبحث الرابع : اتجاهات الاستشراق وأهدافه.

للاستشراق ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: (**معادٍ**) ظاهراً أو باطناً، هدفه الحرب على الإسلام ورسوله ﷺ، وهو الأوسع انتشاراً.

الاتجاه الثاني: (**مدافع أومتعاطف**) هدفه بحثيٌّ علميٌ، ويدافع عن الإسلام أو يتعاطف معه.

الاتجاه الثالث: (**محايد**) هدفه بحثيٌّ علميٌ.

المطلب الأول: أهداف التوجه المعادي:

١- **من أهداف الاستشراق المعادي**: تعميم صورة مشوَّهة للنبي ﷺ والإسلام، حفاظاً على رعايا الكنيسة،(والحيلولة دون دخولهم إلى الإسلام)[١]

وكان الإفرنج يشعرون بمرارة كبيرة تجاه المدِّ الإسلامي الذي وصل إلى بواتييه عام /٧٣٢م/ والقسطنطينية عام /١٤٥٣م/ فكان الردُّ متعاظماً أخذ اتجاهاً عسكرياً تجلى في الحروب الصليبية، واتجاهاً فكرياً من خلال التشكيك في الإسلام والطعن فيه وتشويه صورته وصورة رسول الله ﷺ، **مما يؤكد أن الاستشراق وليد الكراهية الشديدة للإسلام**[٢].

(١) انظر: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، د.عبد العظيم الديب، (ص/٣٨).
(٢) انظر: محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه وسليمان بن إبراهيم، (ص/٦١).

٢- **ومن أهداف الاستشراق المعادي:** دعم إرساليات التبشير لتنصير المسلمين ونشر الديانة المسيحية[١].

فقد نصَّ قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج سنة /١٩٣٦م/ على خدمة غرضين أساسيين:

أحدهما: تجاري لمصلحة الدولة.

والثاني: تنصيري..

يقول القرار: (.. ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية،وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة،والدعوة إلى الديانة المسيحية بين هؤلاء الذين يعيشون في ظلمات)[٢].

٣- **ومن أهداف الاستشراق المعادي:** نشر ثقافة التغريب من خلال إنشاء المؤسسات التعليمية والثقافية في البلدان الإسلامية، والعمل على تشكيل قاعدة من المسلمين الحاملين للفكر والثقافة الغربية، والمبتعدين عن الثقافة الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي، واختيار النخب لإرسالهم إلى الغرب بموجب منح دراسية مجانية للعلوم الإنسانية، ليتخصصوا باختصاصات عدَّة، ويتابعوا دراساتهم العليا في الغرب، ويتتلمذوا على يد المستشرقين، ويُغذَّوا بالفكر الاستشراقي المعادي للإسلام.

---

(١) للتوسع انظر:

- التبشير والاستشراق،محمد عزت الطهطاوي، مرجع سابق.
- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د.إسماعيل علي محمد.

(٢) انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، (ص/٣٠).

حقيقة

لقد أُصيب بعض أبنائنا بأمراض الاستشراق وملوثاته الفكرية، وجمعوا إليه الملوثات من العادات والثقافات السائدة في المجتمعات الغربية، ثم نقلوا معهم كل هذه الملوثات لتنتشر في المجتمعات الإسلامية بعد أن عملوا في المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية وغيرها من المراكز الحساسة فيها..

ولم تكتفِ حركة الاستشراق بذلك، بل بعثت المستشرقين إلى مختلف البلدان الإسلامية ليبثُّوا فكرهم التغريبي والاستشراقي المملوء بالدس على الإسلام وتشويه صورة النبي ﷺ في أهم مراكز التعليم في الجامعات والمؤسسات الثقافية والفكرية(١).

والعجيب أن هذا الأمر قد تمَّ بموافقة بعض الحكومات الإسلامية، بل وبدعوة من بعضها!!.

إضاءة

أثمرت جهود الاستشراق في خلق نموذجٍ ثقافيٍّ تغريبيٍّ في داخل البلدان الإسلامية، بعيدٍ عن الإسلام، أو بالحد الأدنى يفهم الإسلام بصورة مشوّهة، وقد كان ومازال هؤلاء التغريبيون يعملون على إضعاف ارتباط المسلمين بدينهم ورسولهم ﷺ.

٤- **ومن أهداف الاستشراق المعادي:** دعم ومناصرة المدِّ الاستعماري في البلدان الإسلامية، (وتواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات

(١) للتوسع انظر:
- حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين.
- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د.محمد البهي.
- الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، د. عبد المتعال الجبري..

الاستشراق وفي مضمونه، مع مرحلة التوسع الاستعماري الأوروبي)[1].

(ولعل واقع الممارسات الاستشراقية في العالم الإسلامي يوضح إلى حد بعيد ضلوع الاستشراق في خدمة المخططات الاستعمارية، إذ عمل الاستشراق على إحياء النزعات العصبية، وعمل على إثارة الخلافات المذهبية والفقهية وتضخيمها لأجل إثارة الفتن بين المسلمين. كما أن الاستشراق درس التاريخ العام للأمة الإسلامية، وركز على الجوانب القاتمة فيه، وأولى اهتماماً خاصاً لتاريخ الحركات الباطنية، وكل ذلك يخدم المخططات الاستعمارية، وبحيث يؤدي في خاتمة المطاف إلى إضعاف العالم الإسلامي وتكبيله بقيود التبعية للعالم الغربي. ذلك لأن الخطاب الاستشراقي لم يكن أميناً في عرضه للتراث الإسلامي)[2].

وهكذا كان المستشرقون المعادون يتلمسون مواطن القوة والضعف في ثقافة وعقائد وعادات وتقاليد الشعوب الإسلامية، ودراسة حضارتها، واكتشاف طرق تفكيرها وأمزجتها، كون ذلك عملاً استباقياً يمهد الطريق لحملات التبشير والاستعمار العسكري، أو الاستعمار الاقتصادي والفكري والسياسي والثقافي.[3]

(١) المستشرقون، إدوارد سعيد، (ص/٧٢).
(٢) الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيم، (ص/٢٣) .
(٣) نقد الخطاب الاستشراقي، د.ساسي سالم الحاج، (ص/٢٠).

المطلب الثاني: أهداف التوجه المحايد:

ومن الأهداف الحسنة للاستشراق المحايد، الأهداف البحثية والعلمية والموضوعية، فقد ظهرت فئة من المستشرقين قدمت دراسات وأبحاثاً التزمت الحياد، لكنها لا تخلو من بعض الأخطاء الخطيرة، وأحياناً البعد عن الحيادية.

ومثال المستشرقين المحايدين: "هانز كونغ" السويسري، و"جورج سارتون" الأمريكي،و"دانيل دانيت" الأمريكي، و"لويس غارديه" الفرنسي،وغيرهم [1].

المطلب الثالث: أهداف التوجه المدافع والمتعاطف:

وظهرت فئة من المستشرقين قدمت دراسات وأبحاثاً مدافعة ومتعاطفة مع الإسلام، ونقضت الأفكار المعادية والخاطئة والمدسوسة، التي نشرها المستشرقون المعادون، وردَّت عليها ردَّاً علمياً.

إلا أن هذه الدراسات والأبحاث أيضاً لم تخلُ من أخطاء علمية قليلة، كما أن هذه الدراسات تُعَدُّ محدودة بالقياس مع سيل الدراسات والأبحاث التي **تجاوزت بين عامي /١٨١١-١٩٥٠م/ ستين ألف كتاب تعنى بالشرق العربي وحده.**

كما أن الكنيسة منعت تداول الكتب التي أظهرت تعاطفاً مع الإسلام، ووضعتها في قائمة المحرمات، وبطشت بمؤلفيها. [2]

(١) للتوسع انظر:الاستشراق والدراسات الإسلامية، أ.د. عبد الحميد النملة.

(٢) انظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيم، (ص/٢٦) .

ومثال المدافعين:

الرسام العالمي الفرنسي المسلم ناصر الدين "ألفونس إيتيان دينيه"، الذي أسلم عام /١٩٢٩م/، والنمساوي المسلم محمد أسد "ليوبولد فايس" الذي أسلم عام /١٩٢٧م/، ورائد الفلسفة الروحية في أوروبا الفرنسي المسلم عبد الواحد يحيى غينون الذي أسلم /١٩٣٠م/، والبريطاني "اللورد هدلي"، والفيلسوف الفرنسي المسلم "روجيه غارودي" ، والمفكر والسياسي الألماني المسلم "مراد هوفمان" والمفكر الفرنسي المسلم "موريس بوكاي"، والمستشرق النمساوي المسلم "روجيه دو باسكويه" وغيرهم.

ومثال المتعاطفين:

المستشرق السويسري "مارسيل بوازار"، والباحث والمفكر البريطاني "توماس آرنولد"، والباحثة والمفكرة الألمانية "زيغريد هونكه"، والباحثة والمفكرة الإيطالية "لورا فيشيا فاغليري"، والشاعر الألماني "غوته"، والأديب البريطاني "برنارد شو"، والأديب الروسي "تولستوي"، والباحث والمفكر الفرنسي "غوستاف لوبون" وغيرهم.

يقول محمد أسد "ليوبولد فايس" في الرد على افتراءات المستشرقين المعادين: (لاشك أن الأذى الذي جلبته الحروب الصليبية لم يقتصر على اصطدام استعملت فيه الأسلحة، بل كان أولاً وقبل كل شيء أذىً عقلياً نتج عنه تسميم العقل الغربي ضد العالم الإسلامي عن طريق تفسير التعاليم والمثل العليا الإسلامية تفسيراً خاطئاً متعمداً لأنه إذا كان للدعوة إلى حملة صليبية

أن تحتفظ بصحتها، فقد كان الواجب والضروري أن يوسم نبي المسلمين بعدو المسيح، وأن يصور دينه بأكلح العبارات كينبوع للفسق والفجور والانحراف عن الحق، وفي أيام الحروب الصليبية ذاتها تخللت العقل الأوروبي وبقيت فيه تلك الفكرة المضحكة القائلة: إن الإسلام إنما كان يدعو إلى عبادة الشهوة وإلى القوة الوحشية، ديناً يدعو إلى إقامة الشعائر الدينية بدلاً من تطهير القلب)[1].

المبحث الخامس: نماذج من العدوان الفكري على الرسالة والرسول بعد وفاته ﷺ.

١- نموذج من الإساءات في القرن الأول الهجري /٦٢٢-٧١٩م/.

يدَّعي "يوحنا الدمشقي" (٦٥٧-٧٤٩م) أن الإسلام لم يكن أكثر من تأليف يهودي مسيحي لرجل آريوسي[2] اسمه محمد، نجح في خداع قومه بعد ادِّعائه نزول الوحي عليه[3].

وقد ألف يوحنا الدمشقي كتابين الأول بعنوان "إرشادات النصارى في جدل مسلم" والثاني بعنوان "محاورة مع مسلم"[4].

(١) الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، (ص/٢٢وما بعدها) .

(٢) آريوسي نسبة إلى آريوس، وهو قس مصري ظهر عام /٣١٨م/، وأعلن عقيدته التوحيدية التي رفض فيها ألوهية المسيح وعقيدة التثليث، فأصدر مجمع نيقية عام /٣٢٥م/ قراراً بالحكم عليه وعلى أتباعه باللعنة والحرمان.

(٣) انظر: قراءة نقدية في السيرة النبوية، أصلان عبد السلام، (ص/١٠٨) .

(٤) المستشرقون، نجيب العقيقي، (٧٢/١).

٢- نموذج من الإساءات في القرن الثاني الهجري /٧٢٠-٨١٦م/.

يدَّعي "تيوفان"(ت:٨١٧م) أحد علماء بيزنطة في كتاباته عن رسول الله ﷺ : (وفي فلسطين اختلط مع اليهود والنصارى، وبوساطتهم حصل على بعض الكتابات، وأصيب أيضاً بالصرع، ولما علمت زوجته بأنها –وهي امرأة من الطبقة الغنية– ارتبطت برجل ليس فقيراً فقط، ولكنه مصاب بالصرع أيضاً، هدأها بقوله: إني أرى ملاكاً اسمه جبريل، ولما كنت لا أستطيع تحمل رؤيته فإني أُصرع...ولما كانت عشيقة راهب يعيش في الناحية، وكان هارباً لأنه كافر –أي: ليس على مذهب تيوفان البيزنطي– فقد قصت عليه القصة، ولما كان يريد إقناعها، فقد قال لها: بأنها الحقيقة)[١].

٣- نموذجان من الإساءات في القرن الثالث الهجري /٨١٧-٩١٣م/.

- يشكك "نيسيطاس بيزنطيوس" في حقيقة ارتباط الإسلام بإبراهيم عليه السلام.
- ويشوِّه "برتيليميومن إيديس" سمعة النبي ﷺ والإسلام، فيدَّعي أن النبي ﷺ ليس أكثر من شخص يتصف بعدد كبير من الصفات البشعة وهو ليس إلا كاذباً، ويدعي أن الإسلام ليس إلا انتحالاً لمذهب المسيحيين[٢].

٤- نموذج من الإساءات في القرن الرابع الهجري /٩١٤-١٠١٠م/.

لقد عمل القساوسة والرهبان الإسبان والفرنسيون على نقل صورة على

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب، (ص/٤٠).
(٢) المصدر السابق، (ص/٤٠وما بعدها).

غاية من البشاعة عن الإسلام والنبي ﷺ، فحقدهم على الإسلام والمسلمين جعلهم يكتبون ما بدا لهم، مستغلين الجهل (العام بين المسيحيين الذين لا يجيدون العربية أو غير المتصلين بالمسلمين) ... وهذه حال "إيلوج القرطبي" الذي اشتهر بكونه الأكثر علماً من بين قساوسة بلاده، والتي لم تخرج كتاباته عن إطار الكذب المحض على النبوة والسيرة والتشريع الإسلامي[1].

٥- ثلاثة نماذج من الإساءات في القرن الخامس الهجري /١٠١١-١١٠٧م/.

- يدَّعي الشاعر النورماندي "تيرولد" أن المسلمين مشركون حقيقيون يعبدون مجموعة من الآلهة، تتكون من محمد وأبولو وجوبين وترافاجان[2].
- وأن القرآن هو إله من آلهة المسلمين[3].
- وفي أواخر هذا القرن بدأت الحروب الصليبية عام /١٠٩٦م/ التي دعا إليها البابا "أوربان الثاني" (١٠٩٥م)، وكان من أشهر المتحمسين لها والنافخين فيها "بطرس الناسك" (١٠٥٦-١١١٥م)، وقد تأثرت كتابات أعداء النبي ﷺ بهذه الحروب.
- ولم يتوانَ "جيبار النوقي" الفرنسي (١٠٥٣-١١٣٠م) عن (استبدال كلب "إيلوج القرطبي" ...بخنزير ، حيث إن هذا الحيوان هو

(١) المصدر السابق، (ص/٤٤).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٤) .

(٣) أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين، د.شوقي أبو خليل، (ص/٢٠٤).

المسؤول -عنده-عن نهاية النبي ﷺ حيث التهمه قطيع من الخنازير في نوبة من نوبات صرعه. وقد استخدم جيبار هذه الخرافة في تفسير تحريم المسلمين للخنازير. وقد أضاف في موقع آخر من كتاباته أن سر تحريم الخمر عند المسلمين يرجع إلى أن النبي ﷺ كان في حالة سكر عندما أكلته هذه الخنازير الوهمية).

- (أما بالنسبة لأسقف تور "هيدلبير" (ت:١١٣٣م) فإن النبي ﷺ كان نبياً محتالاً استطاع خداع قومه بمعجزة أظهرها لهم، وتتمثل في ثور مخيف استطاع ترويضه على الركوع أمامه كلما أمره بذلك)[1].

٦- نموذج من الإساءات في القرن السادس الهجري /١١٠٨-١٢٠٤م/.

- شهد هذا القرن ظهور أحد أهم أعداء النبي ﷺ والإسلام، ألا وهو "بطرس المبجل" (١٠٩٢-١١٥٦م)، حيث قام بإعداد وتنفيذ أول ترجمة للقرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية عام (١١٤٣م)، والتي اشتهرت بشدة رداءتها، فقد كان الهدف منها عملاً دعائياً كبيراً ضد الإسلام لحماية المسيحيين من الدخول فيه، وكذلك ليكون سلاحاً يساعد في حملات التنصير ورد المسلمين عن دينهم.

- وفي هذا القرن بدأ أعداء النبي ﷺ بالتأسيس والتخطيط تمهيداً لإعداد البعثات التنصيرية لتنصير المسلمين في بلادهم.

(١) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٥٠) .

فقاموا بتأسيس منظمة الثالوث المقدس /١١٩٨م/ التي أقامت أول مستشفى مع كنيسة في تونس.

ثم قاموا بتأسيس أخوية الدومينكان عام /١٢٠٣م/.

وأخوية الفرنسيسكان عام /١٢٠٦م/، وبُدىء بفتح مجموعة مدارس لتعليم اللغة العربية والثقافة والعادات الإسلامية للمبشرين.

٧- ثلاثة نماذج من الإساءات في القرن السابع الهجري /١٢٠٥-١٣٠١م/.

● رأى المستشرق "روجر بيكون" ضرورة تبشير المسلمين بدل حربهم فقال: (إن الحروب الصليبية امتازت بالقسوة ، وكانت عديمة الجدوى، وهي مضيعة للوقت. وإنه من الواجب تبشير المسلمين ودعوتهم لاعتناق المسيحية بدلاً من التفكير في غزوهم) (١).

ويؤكد أصحاب هذا التوجه على أن نبوة محمد ﷺ ما هي إلا هرطقة، وأن القرآن الكريم هو تأليف من مصادر يهودية ومسيحية ومحلية.

● ادعى المستشرق "قيوم الطرابلسي" في كتابه الذي نشره عام /١٢٧٣م/ أن المسلمين حينما احتاجوا لمعالجة أمور اعتقادية بعد النبي ﷺ استعانوا بشخص لكتابة القرآن، (ولما لاحظوا عجزه، كلفوا اليهود والنصارى الذين أسلموا بمساعدته، فاقتطعوا أجزاء من العهدين القديم والجديد

(١) التاريخ الإسلامي، د.جمال الدين الشيال، (ص/٨١).

واستعملوها فيه بطريقة تعسفية، ولهذا فهو يحتوي على جزء كبير من الجمال الذي اقترضه من الكتابات المقدسة ولكن الإسهام الخاص بالمسلمين فيه لم يكن إلا تشويهاً).

- (وأما "دانتي" (ت:١٣٢١م) فقد وضع النبي ﷺ في الطابق التاسع من جهنم)[١].

٨- نموذج من الإساءات في القرن الثامن الهجري /١٣٠٢-١٣٩٨م/.

- ينفي "ديمتريوس سيدون" (أن يكون القرآن كتاب الله، لأن نصه –حسب ما يقول- مضطرب وأخلاقه غير مقبولة. أما مصدر النبوة الإسلامية فهو ليس إلا الشيطان نفسه، الذي أراد أن يهيئ الأرضية لمجيء المسيح الدجال –بموافقة الله- ولما لم يستطع أن يقضي على مرجعية الكتابات اليهودية والمسيحية، فقد قرر أن يخدع العالم باختراعه كتابات تقف حاجزاً بين الناس والعهدين القديم والجديد، وهذا هو القرآن. أما النبي ﷺ فهو الرجل الذي اختاره الشيطان، نظراً لذكائه وطبيعته الشيطانية، لتنفيذ المؤامرة العالمية)[٢].

وقد برز في هذا القرن اهتمام الكنيسة بدراسة اللغة العربية في مجمع فينا عام /١٣١٢م/ تمهيداً للاستشراق اللاهوتي[٣].

(١) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٥٦وما بعدها) .
(٢) المصدر السابق، (ص/٥٧وما بعدها) .
(٣) انظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، (ص/٨٠).

٩- نموذجان من الإساءات في القرن التاسع الهجري /١٣٩٩-١٤٩٥م/.

كتب المستشرق "جون السيغوفي" (١٤٠٠-١٤٥٨م) بحثاً حكم فيه على القرآن بالتناقض والخلط، وأنه لا تصح نسبته إلى الله[١].

- وقد شهد هذا القرن استمرار الحرب الصليبية على الأندلس واضطهاد المسلمين وإبادتهم وطرد من تبقى منهم عام /١٤٩٢م/.

١٠- ثلاثة نماذج من القرن العاشر الهجري /١٤٩٦-١٥٩٢م/.

- ظهرت في هذا القرن البروتستانتية على يد "لوثر" (١٤٨٣-١٥٤٦م) الذي وصف النبي ﷺ بأنه (خادم العاهرات، وصائد المومسات) [٢].
- وفي أواخر هذا القرن ظهرت أول طبعة باللغة العربية للأناجيل الأربعة في المطبعة التي أسسها الأسقف "فرديناند مديتشي" عام /١٥٩٠م/، وذلك بغرض تسهيل نشر المسيحية في العالم العربي.
- وفي هذا القرن تأسست الرهبانيات البندكية عام /١٥٢٩م/، وبعدها الدومانيكية والفرنسيسكانية، حيث كان الرهبان يدرسون فيها الترجمة، وكان تركيزهم الأعظم على السيرة النبوية، وذلك تمهيداً لدعم حركتي التنصير والاستشراق [٣].

(١) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٥٨) .
(٢) انظر: صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية)، ترجمة ثابت عيد، (ص/٢١).
(٣) الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، (ص/١١).

١١- أربعة نماذج من الإساءات في القرن الحادي عشر الهجري /١٥٩٣-١٦٨٩م/.

● ظهرت في هذا القرن الدراسات الاستشراقية[١] المتخصصة وبدأت بدراسة اللغة العربية، ثم انتقلت سريعاً لدراسة الإسلام والطعن فيه وبالرسول الكريم ﷺ.

● وصدر معجم المكتبة الشرقية للمستشرق "بارتلمي ديربيلو" باللغة الفرنسية عام /١٦٩٧م/، وفيه أن محمداً ﷺ أفاك مشهور الذي أسس الهرطقة التي سميت ديناً، والتي ندعوها المحمدية. فيقول : (هذا هو المنتحل المشهور "ماهومت" المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، ونسميها نحن الماهوميتية، وقد نسب مفسرو القرآن وفقهاء الشريعة الإسلامية أو الماهوميتية إلى هذا النبي المزيف كل المدائح التي نسبها البوالسة والهراطقة الآخرون إلى يسوع المسيح، مجردين إياه في الوقت نفسه من ألوهيته)[٢].

● كتب المستشرق "همفري بريدو" كتاباً في السيرة النبوية، نسب فيها المثالب للإسلام، وسعى لإبراز سمو المسيحية[٣].

● كتب "فولتير" عن السيرة النبوية واعتبرها مثالاً (للمكر الديني في خدمة الاستبداد السياسي)[٤].

---

(١) المصدر السابق، (ص/١٧) .

(٢) انظر: الاستشراق، إدوارد سعيد، (ص/٩٤٢). .

(٣) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٦٥).

(٤) وعود الإسلام، رجاء غارودي، (ص/١٩١).

١٢- نموذجان من الإساءات في القرن الثاني عشر الهجري /١٦٩٠- ١٧٨٦م/.

- يطعن المستشرق الفرنسي "سفاري-كلود- إتين" (١٧٥٠-١٧٨٨م) في السيرة النبوية، ويشوه سمعة النبي ﷺ، حيث قام بتأليف كتاب بعنوان "مختصر حياة محمد" جعله في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم باللغة الفرنسية ويُنكر في كتابه نبوة محمد ﷺ ويدعي أن النبي ﷺ هو من ألف القرآن الكريم، وأنه كان للنبي قصوراً عظيمة في جزيرة العرب(١).

- وحشد المستشرق "جورج سيل" في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم عام /١٧٣٤م/، ما تناقله المستشرقون من افتراءات على الإسلام، وذلك مثل قوله: (إن القرآن ليس وحياً، وإنه ليس معجزاً، وإنه مملوء بالتكرار والتناقض).

وينسب "سيل" تأليف القرآن إلى النبي ﷺ، الذي احتال به على قومه بمساعدة الآخرين الذين انصب عملهم على التخطيط.

وقد صرَّح عن هدفه من كتاباته، إذ جعلها تعود إلى ضرورة تسليح البروتستانت في حربهم التنصيرية للمسلمين، وذلك (لأنهم وحدهم القادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وإني أثق بأن العناية الإلهية قد ادخرت لهم مجد إسقاطه) (٢).

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، نقد وتحقيق وتصويب: د.عبد المتعال محمد الجبري، (ص/١٩و٤٣و٨٦).

(٢) رؤية إسلامية للاستشراق، د.عبد الحميد غراب، (ص/٣١).

● وينقل المستشرق "بودلي" في كتابه "الرسول-حياة محمد" منتقداً كلام "سيل" الذي كتبه في صدر ترجمته للقرآن الكريم، حيث يقول: (أخبرنا المؤرخون أن المدن الشهيرة المميزة على جميع المدن الأخرى في التجارة والآداب تنازعت فيما بينها، أيها كان لها شرف أن تكون مسقط رأس هوميروس. وإن مثل هذا النزاع ليستحث الثناء، لأنه يدل على رقي فكر رجال ذلك العصر، ولكن لما فحصت عن شخصية محمد فحصاً دقيقاً ألفيت الصورة فظيعة معيبة، حتى أنه لمن الغريب أن مكان منبته لم تسدل عليه سدول النسيان، إن أي قطر ليخجل من إنجاب مثل هذا المجرم، ومع ذلك فقد كان توقير العرب لهذا المخاتل الكبير عميقاً، حتى أنهم لم يدعوا المكان الذي تنفس فيه أول ما تنفس يكتنفه الريبة والغموض)[1].

١٣- ستة نماذج من الإساءات في القرن الثالث عشر الهجري /١٧٨٧-١٨٨٣م/.

● وفي هذا القرن بدأ ظهور المستشرقين العلمانيين المعادين للدين على نحو عام، وللإسلام على نحو خاص. ولذلك لم يستطع الكثير منهم التخلص من جذور ثقافة الاستشراق الحاقد على الإسلام ورسوله ﷺ[2].

● كما برز في هذا القرن المستشرق الفرنسي الملحد الحاقد "أرنست رينان" (١٨٢٣-١٨٩٢م) وكان شديد العنصرية، ويعتقد بسموِّ الجنس الآري، وتخلُّف الجنس السامي..

(١) الرسول-حياة محمد، ر-ف-بودلي، (ص/١٢) .

(٢) انظر: الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، (ص/١٦).

لقد ادَّعى "أرنست رينان" أن الإسلام سبب تخلُّف المسلمين وانعدام الفكر عندهم، ويقول عن الطفل المسلم: (إن الطفل المسلم يتحول في بداية تعليمه إلى شخص متعصب، ومملوء بنوع من الشمم الغبي، الذي يعود إلى الاعتقاد بأنه يملك الحقيقة المطلقة، وتراه سعيداً بالشيء الذي يجعله (دونياً) وكأنه مزية له) .

وقد أقلقت "رينان" قدرة العقيدة الإسلامية على إلغاء الفوارق بين الأقوام والأجناس والأعراق، وعدَّ ذلك ثمرة اعتزاز المسلم المجنون بعقيدته. كما أكد على أن النظام الإسلامي يقوم على أساس قهري [(١)].

- ويكرر المستشرق الألماني "سيمون فايل" (١٨٠٨-١٨٨٩م) في كتابه "النبي محمد" الصادر عام /١٨٤٣م/ الأكاذيب التي قال بها من سبقوه، ومنها أن محمداً ﷺ كان يصاب بالصرع، وأنه ليس بنبي[(٢)].
- ويدَّعي "وليام موير" المستشرق الإنكليزي (١٨٦٩-١٩٠٥م) أن ما أخبر القرآن الكريم من قدوم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة غير صحيح تاريخياً[(٣)] ومن المعروف أن هذا يبطل -عنده- الأبعاد الإبراهيمية للرسالة الإسلامية، وبالتالي يبطل نبوة محمد ذاتها.

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٩١) .

(٢) المصدر السابق، (ص/٩٣) .

(٣) وقد تبنى هذه الأفكار د. نصر حامد أبو زيد، وزعم بأن القصص القرآنية لا تعبر عن الحقائق التاريخية!!..

انظر: كتاب مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، للمؤلف، (ص/٢٥٤وما بعدها)، وتبنى طه حسين أيضاً هذه الأفكار، انظر المرجع نفسه.

وقد رفض المستشرقون المصدر الإلهي للنبوة الإسلامية، وقالوا بتعلم النبيﷺ للقراءة والكتابة، وقالوا بأن مصدر ما أتى به هو التوراة والإنجيل(١).

وطعن المستشرق الأمريكي "واشنطن أرفنج" -الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري والنصف الأول من القرن الرابع عشر- بمفهوم الجهاد في الإسلام وعدَّه خديعة من محمد ﷺ لأتباعه، وجبراً لهم ليدفع بهم للغزو دفعاً وحشياً، فيقول: (وقد ألهم محمد مذهب الجبرية من وحي الساعة بعد معركة (أُحد) أي عقيدة يمكن أن يصورها صاحبها أدق من هذا التصوير ليدفع بها للغزو طائفة من الجنود الجهلاء الأغرار دفعاً وحشياً إذ يقنعهم عن يقين بالفيء لمن يبقى والجنة لمن يموت)(٢).

- وقد وجد المستشرقون في موضوع تعدد زوجات النبي ﷺ مرتعاً خصباً للطعن في شخص النبي ﷺ، فاخترعوا في هذا الشأن ماشاؤوا وكذبوا وزادوا لتشكيل صورة مشوهة جداً عنه ﷺ، وخاصة فيما يتعلق بزواجه من السيدة زينب بنت جحش -رضي الله عنها-.

١٤- خمسة عشر نموذجاً من القرن الرابع عشر الهجري /١٨٨٤-١٩٨٠م/.

- يدعي المستشرق اليهودي المجري "إينياس جولد تزيهر" (١٨٥٠-١٩٢١م) أن اليهودية تعتمد على الوحي، أما الإسلام فليس فيه

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٩٨) .
(٢) انظر: حياة محمد، محمد حسين هيكل، (ص/٥٤٧وما بعدها) .

وحي، وإنما يعتمد على الإلهام، والإسلام ليس مرجعاً حقيقياً للإيمان ولا للتدين المنقذ، وهو يرجع كل عقائد الإسلام وتشريعاته إلى اليهودية أو المسيحية أو ما كان عليه الجاهليون [1].

وقد أصدر عام /١٨٩٠م/ كتاباً بعنوان "دراسات إسلامية" شكك فيه بصحة الحديث الشريف ، وصار كتابه هذا إنجيلاً مقدساً يستند إليه المستشرقون في أفكارهم[2].

- وظهر في هذا القرن المستشرق الحاقد جداً الأب "هنري لامانس" (١٨٦٢-١٩٣٧م) -بلجيكي الأصل فرنسي الجنسية- الذي لا ينافسه في الحقد إلا داعية الحروب الصليبية "بطرس الناسك"، وداعية التنصير "صموئيل زويمر" فحقده الجارف على رسول الله ﷺ ورسالته يتجلى في كل سطر من مؤلفاته الكثيرة، مثل "فاطمة وبنات محمد"، "عرب الجزيرة العربية قبل الهجرة"، "الإسلام: عقيدة ومؤسسات".

ادعى "لامانس" أن مصدر الإسلام هو الشيطان، وراح يحاربه بأبشع الوسائل، كذباً وتلفيقاً وتشنيعاً وتزويراً وبالحض على تدميره وتنصير أهله.

وشوه "لامانس" صورة الرسول ﷺ واتهمه بأنه ﷺ نَهِمٌ أكولٌ غارقٌ

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٢١٨) .
(٢) انظر: المستشرقون والحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين، (ص/١٩).

باللذات، فيقول: (إنه أكول، قد كثف جسمه بالملذات)[1] كما إنه يسيء إلى النبي ﷺ فيصفه بالجُبن وعدم الشجاعة، وأنه ﷺ كان نؤوماً (كثير النوم)[2].

وطعن بالنبي ﷺ وأهله وجعل من النبي ﷺ وأصهاره يتبادلون النساء من أجل المصالح السياسية، وادعى أن النبي ﷺ أحاط نفسه بمظاهر البذخ وصفات الملك بعد الهجرة، وادعى أن محمداً ﷺ ليس بنبي، وقام بتشويه كتب الحديث ومحاربة الإسلام والنبي ﷺ عموماً[3].

- يدعي المستشرق "جوزيف داهموس" أن غزوات النبي ﷺ كانت بقصد السلب والنهب. يقول في كتابه "سبع معارك فاصلة في التاريخ": (وهذا النوع من الغزوات كان قد بدأه محمد عندما أرسل سنة /٦٣٠م/ حملة لسلب ونهب سكان مؤتة)[4].
- وقد أشاع المستشرقون المعادون فكرة انتشار الإسلام بالقوة، والمقاصد المادية (الغنائم) لحركة الجهاد والفتوحات، حتى أصبحت من الأوهام الثابتة في فكرهم الحاقد.

ومن هؤلاء المستشرق "روبير مانتران" الذي كتب: (وكانت أغلبية المهاجرين تعيش في حالة بؤس، والوسيلة الوحيدة التي وجدوها للخروج من هذه الصعوبات هي الغزو، وقد فسر المحللون العرب هذه الغزوات بأنها حرب

(١) انظر: الرسول في كتابات المستشرقين، نذير حمدان، (ص/٩٨).
(٢) انظر: المصدر السابق، (ص/١٠٠).
(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٢٦).
(٤) انظر: سبع معارك فاصلة في التاريخ، جوزيف داهموس، (ص/٦٤).

مقدسة ضد أعداء الله فقط، وفي الواقع، فإن هذه الغزوات –كما يبدو– لم تكن إلا عمليات سطو مشابهة لما جرى عليه العرب في الجاهلية) [1].

- ويدَّعي "جوزيف كاير" أن النبي ﷺ تعلَّم من (جده وعمه عن دين قومه ركاماً محيراً من المعلومات، علتها على مر القرون قشرة من المعتقدات من أن العرب هم نسل إسماعيل، وأن مكة مدينة مقدسة، لأن آدم اتخذها مسكناً بعد طرده من الجنة، وأن الحرم الشريف يقوم الآن على مركز الكرة الأرضية، وفي البقعة نفسها التي أقام عليها آدم خيمته) [2].
- ويكذب المستشرق "رايمون شارل" فيصف القرآن الكريم بالتخلف وأن محاولات تصحيح نصوصه لم تخلصه من التخلف ولم تستطع أن تخلصه من عقيدة الإيمان بالقدر. فيقول: (ومهما كانت القيمة الخالدة للنصوص المقدسة فإنها تبدو خارج إطار القرن العشرين بطريقة مأساوية. وقد أُضيفت تصحيحات إلى النصوص، بطريقة أو بأخرى، ولكن هذه الإضافات الخارجية والجزئية لم تخلص تلك الثقافات السحرية من تخلف ظل عبداً لأصولية روحية تمتزج امتزاجاً كلياً مع القدر)[3] .
- ويدعو المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" (١٨٦٩-١٩٥٦م) إلى عدم اعتماد القرآن للحكم على الإسلام، ويدَّعي أن الإسلام انبثق عن اليهودية والنصرانية، فيقول: (وليس يجوز أن نطلق الحكم على دين محمد

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/١٣٦).
(٢) انظر: حكمة الأديان الحية، جوزيف كاير، ترجمة: حسين كيلاني، (ص/٢٠٣).
(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/١٤٦وما بعدها) .

على أساس القرآن وحده طبعاً، وليست المسألة مسألة نظام مرتب، إذ لم تكن الدقة والتماسك الفكري أقوى جوانبه. ولم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير، فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهودية والنصرانية، فكيَّفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية)[1].

ويدعي أن النبي ﷺ كان يحذف ويزيد من القرآن الكريم كما يشاء[2].

وكان لكتاباته أهمية في الدوائر الاستعمارية، وخاصة كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية".

وينكر بروكلمان عالمية الرسالة الإسلامية، كما ينكر أن الإسلام من وحي إلهي، بل إن محمداً –كما يدَّعي– أعلن ما ظن أنه قد سمعه، كوحي من عند الله تعالى[3] .

● وينفث المستشرق الأمريكي من أصل نمساوي "غوستاف فون غرونباوم" (١٩٠٩-١٩٧٢م) حقده الكريه على الإسلام وعلى رسول الإسلام ﷺ في جميع كتاباته، فيقول–مفترياً إن النبي ﷺ غيَّر ما أُوحي إليه (إن مركز محمد باعتباره رئيس دولة ودوره كمشرع وحاكم غيَّر بالطبع لدرجة كبيرة موضوعات الوحي، قوته الشعرية كانت تتناقص مع تقدمه في السن، وتحوله من إنسان حالم إلى واعظ، وتحول النبي إلى عالم باللاهوت، وتحول الرسول الساذج بعض الشيء إلى مشرِّع لمجموعة بشرية كادت أن تبلغ أهمية

(١) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، (ص/٦٨وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/٧١).
(٣) المصدر السابق، (ص/٣٦).

عالمية. وتغيرت طرقه بتغير مسؤولياته.ومن أجل حماية الإسلام كان القتل، والإجبار، والخداع، والرشوة، طرقاً مشروعة) [1] .

ويقرر كاذباً أن جزءاً يسيراً من القرآن الكريم قد ضاع أثناء جمعه، وأن النبي لم يتلق وحياً محكوماً بالإرادة الإلهية، بل جاء بمجموعة أحكام وخطب ووصايا، رتبها أصحابه بعد وفاته كما بدا لهم مستخدمين منهجاً بشرياً [2].

- ويطعن المستشرق الفرنسي "ريجسس بلاشير" (١٩٠٠-١٩٧٣م) بوجود مصحف وحيد، ويدعي وجود مصاحف عدَّة، ولكن حزب عثمان حسب ادعائه شكَّل لجنة لتعتمد نسخة أبي بكر. يقول بلاشير: (إن نوايا الخليفة عثمان وأعضاء اللجنة كانت –بدون شك– في البداية طيبة، فعبر تشكيل المصحف كان الهدف هو القضاء على الاختلافات الموجودة بين أعضاء المجتمع بفعل وجود نصوص متعددة لم يكن لأحدها الطابع الرسمي. ولم يكن في اختيار عثمان لنص أبي بكر صدفة،ولكنه (عملية سياسية)، فقد أحس بأن اعتماد النص الذي دوِّن في عهد أبي بكر ولقي موافقة عمر يعطي الضمانات للقضاء على جميع النصوص ذات المصادر المتواضعة) [3].
- ويطعن المستشرق الإنكليزي المعاصر "مونتغمري وات" في عالمية الإسلام، ويدعي أنه دين عربي وليس عالمياً، وأنكر مراسلة النبي ﷺ للملوك

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٢٦٨وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/٢٨٤).
(٣) المصدر السابق، (ص/٢٣٠وما بعدها).

ودعوتهم إلى الإسلام، وادعى أن المسلمين وضعوا هذه الروايات لتكون سنداً لفكرة عالمية الإسلام.

يقول وات: (هذه الرواية مشكوك فيها، ومن المحتمل أن تكون من وضع المسلمين ليثبتوا بأن محمداً كان يفكر بأن دينه عالمي)[١].

ويدعي "وات" بأن القرآن من صُنع محمد، وأنه يردد القصص المعروفة. فيقول: (هناك أوجه شبه متينة بين القرآن والنصوص اليهودية والمسيحية. بل بينه وبين كتب الربانيين والأناجيل الموضوعة. ويتردد في مثل هذه الحالة العالم الغربي قبل أن يستخلص بأن القرآن هو من صنع محمد، وأنه يردد القصص المعروفة)[٢].

- ويطعن المستشرق الألماني "جوزيف شاخت" (١٩٠٢-١٩٦٩م) في الحديث النبوي، ويدعي أنه لا يوجد حديث صحيح واحد، وقد ألَّف كتابين الأول بعنوان "أصول الشريعة المحمدية"، والثاني بعنوان "المدخل إلى الفقه الإسلامي" حيث طعن فيهما بمصادر التشريع الإسلامي، وخاصة الحديث النبوي الشريف [٣].
- وحصر المستشرق الفرنسي الماركسي "ماكسيم رودنسون" -المولود عام ١٩١٥م، والذي كان شيوعياً، ويؤمن بالجدلية التاريخية- فهمه للنبي ﷺ

(١) المصدر السابق، (ص/٥٢٠).

(٢) المصدر السابق، (ص/٥٦٩).

(٣) انظر: المستشرقون والحديث النبوي ، د.محمد بهاء الدين، (ص/٢٠).

وللإسلام انطلاقاً من الظروف المادية السابقة والمصاحبة لوجوده، ورفض الوجود المبدئي للدين والغيب من خلال فلسفته الإلحادية.

لقد عمل داعياً إلى الماركسية على أنقاض الدين متعاوناً مع الشيوعيين العرب في لبنان عام /١٩٤٧م/ والذين عدُّوه أحد أهم مرجعياتهم، واهتموا بنشر كتبه وأفكاره ، واستخدموها ضمن وسائلهم لمحاربة رسول الله ﷺ ورسالته، لأنه كان يبشر في كتبه بالإلحاد والشيوعية كونها بديلاً ضرورياً للإسلام الذي مات.

كما يدعي تغلب الثقافات المحلية للشعوب على الأصول الإسلامية، حتى أصبح الإسلام تجلياً لهذه الثقافات[١].

● وفي هذا القرن ظهرت دائرة المعارف الإسلامية، التي نقلت عن الإسلام أسوأ الأكاذيب والافتراءات التي قالها المستشرقون سابقاً بحق الإسلام، وقد أصبحت دائرة المعارف أهم مصدر للباحثين عن الإسلام على مستوى العالم عامة والغربيين خاصة، وقد دسَّ فيها المستشرق "ليفي دلافيدا" الإيطالي(١٨٨٦-١٩٦٧م) الكثير من الأكاذيب عن النبي ﷺ، وادَّعى أن السيرة النبوية كانت تقليداً جاهلياً كتبها المسلمون لتخليد ذكرى قائدهم (الذي كان جلُّ أتباعه ينظرون إليه نظرة أمير)[٢] . أي: إنهم ينظرون إليه نظرة أمير عربي وليس نظرة نبي مرسل!.

(١)نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (ص/٢٤٧ وما بعدها).
(٢) دائرة المعارف الإسلامية، (١٢/٤٤٠) .

كما يدعي أن المسلمين كتبوا سيرته تقليداً لما جاء عن أنبياء الكتاب المقدس، فيقول: (كتبوا سيرة النبي حتى تتوازى صورته مع أنبياء الكتاب المقدس)[1].

وكتب المستشرق "شبرنجر" في دائرة المعارف يطعن بالنبي ﷺ، فيقول: (إن الحالات العصبية التي كانت تنتاب النبي قد ورثها عن أمه)[2].

وتظهر للمتتبع أكاذيب وافتراءات على النبي ﷺ واضحة جلية في دائرة المعارف البريطانية، ودائرة المعارف العالمية، ومعجم لاروس وموسوعة الثقافة الشيوعية التي عدَّت الإسلام (عقبة من عقبات التقدم وموانع الحضارة الإنسانية) [3].

المبحث السادس :أهل النصرة في مواجهة المستشرقين الحاقدين.

- إن موقف المستشرقين الحاقد على الإسلام ونبيه محمدٍ ﷺ جاء نتيجة لجعل الغرب الإسلامَ العدوَّ الأكبر للحضارة الغربية...

المطلب الأول : أهل النصرة المدافعون:

إن دراسة مقارنة بين عدد ما صدر من بحوث ودراسات للدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، في وجه العدوان الاستشراقي، وبين سيل البحوث والدراسات التي أصدرها المستشرقون.. تبين أن مقابل كل /٣٠٠/ كتاب يصدر

(١) المصدر السابق، (١٢/٤٤٦).

(٢) المصدر السابق، (٢/٦٣٠).

(٣) انظر: الشيوعية والإنسانية، عباس محمود العقاد، (ص/٢٨٦).

عن المستشرقين يقابله أقل من كتاب واحد يصدر عن المدافعين تقريباً.

وتظهر لك هذه الحقائق إذا علمت أن بين عامي /١٨١١-١٩٥٠م/ أصدر المستشرقون ما يقارب **ستين ألف** كتاب تعنى بالمشرق العربي وحده!!.. [١]

ومع ذلك وبسبب فقدان المؤسسات المتخصصة برصد إصدارات الاستشراق الحاقدة والرد عليها، فقد قامت فئات عدة من المفكرين بالدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين أمام افتراءات وتشويهات الحاقدين.

- **الفئة الأولى**: المفكرون الغربيون الذين أشرقت شمس الإسلام في قلوبهم، من أمثال:
  - النمساوي، محمد أسد، "ليوبولد فايس".
  - والفرنسي، ناصر الدين، "ألفونس إيتيان دينيه".
  - والفرنسي ، يحيى، "غينون".
  - والفرنسي، "روجيه غارودي".
  - والفرنسي، "موريس بوكاي".
  - والألماني، "مراد هوفمان". وغيرهم...

ولكل واحد منهم العديد من الكتب التي تدافع عن الإسلام، وتبين حقائقه.

- **الفئة الثانية**: المفكرون الغربيون المنصفون، الذين أُعجبوا بالحضارة

(١) انظر: الاستشراق في السيرة النبوية، عبد الله محمد الأمين النعيم، (ص/٢٦).

الإسلامية وثقافتها وقيمها، من أمثال:

- الفرنسي، "غوستاف لوبون".
- البريطاني، "توماس آرنولد".
- الإيطالية، "لورا فيشيا فاغليري".
- البريطاني، "برنارد شو".
- الروسي، "تولستوي". وغيرهم.

ولكل واحد منهم كتابات تدافع عن الإسلام، ولكن كتاباتهم لا تخلو من أخطاء أو وجهات نظر لاتتوافق مع حقيقة الإسلام.

- **الفئة الثالثة:** المفكرون الإسلاميون من غير الغربيين، وقد أصدروا مئات عدة من الكتب، دحضوا فيها افتراءات المستشرقين الحاقدين، وبينوا تهافت أفكارهم في كل ما طرحوه من أفكار مضللة وخاطئة. ويمكنك الاطلاع على عناوين بعض هذه الكتب وأسماء المفكرين الذين ألفوها في فهرس المراجع والمصادر في هذا الكتاب، كل ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الثاني : المقصرون :

لاشك أن تقصير أكثر العلماء والمفكرين المسلمين وحكوماتهم بالتصدي للفكر الاستشراقي المعادي على الساحة الغربية والساحة الإسلامية، اعتماداً على خطة استراتيجية مرسومة ومتفق عليها، كان له الأثر الأكبر في استشراء هذا الفكر الحاقد في الغرب، مما كان له تأثير بالغ على موقف الغربيين من الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

بل إن هذا التقصير أدى إلى امتداد جهود المستشرقين ليشمل العالم الإسلامي، فكان لها الدور الكبير في نشر رؤيةٍ وفهمٍ مشوَّهٍ للإسلام ونبيه ﷺ بين طبقات المثقفين المتغربين في العالم الإسلامي.

(ولعل ما يوضح مسؤولية علماء المسلمين .في العصر الحاضر في استمرارية الخلل الاستشراقي في مجال الدراسات الإسلامية أنهم تركوا الساحة الفكرية للمستشرقين يُدرِّسون في جامعات العالم الإسلامي، ويجمعون المخطوطات العربية، ويحققونها ثم ينشرونها، بل ويكتبون تاريخ الأدب العربي، ودائرة المعارف الإسلامية والمعاجم. وبمعنى آخر فإن الفكر الاستشراقي بعد أن شكل العقلية الغربية، وحدد موقفها تجاه الإسلام –وهو موقف عدائي– يتجه بآلياته لتشكيل العقل المسلم ذاته، ليحدد موقفه هو الآخر تجاه الإسلام، من خلال توطين الاستشراق في العالم الإسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، **حيث ظهر جيل التنويريين** [1] **الذين تبنوا الطروحات الاستشراقية، وطبقوا منهجيته بحذافيرها في دراسة الإسلام وحضارته)** [2].

(١) يمنحون أنفسهم ألقاباً عدة "تنويريين، مجددين، مطورين، عقلانيين، منفتحين، ليبراليين إسلاميين، يساريين إسلاميين...".

(٢) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب، (ص/٣٠وما بعدها) .

نتيجة

إن السبب الأهم في عدم قدرة المفكرين المسلمين على مواجهة الفكر الاستشراقي على نحو حاسم، عدم وجود مؤسسة إسلامية متخصصة، ذات إمكانات متقدمة، تعمل على مواجهة أفكار المستشرقين والمبشرين، ويضاف إلى ذلك عدم وجود استراتيجية موحدة تنظم وتوظف جهود المفكرين الإسلاميين على امتداد العالم..

- ومع أن جهوداً كبيرة قد بذلت من قِبل بعض العلماء والمفكرين الإسلاميين لمواجهة الملوثات الفكرية والعقدية والقيمية الاستشراقية، إلا أنها كانت دون القدرة على مواجهة استراتيجية استشراقية متفوقة بإمكانياتها، فضلاً عن أن تكون قادرة على تحقيق تحصين فكري إسلامي استباقي في الغرب خاصة والعالم الإسلامي عامة.
- إن الهيمنة على ثقافتنا الإسلامية هي اغتصاب اغتصبه المستشرقون الغربيون، كما اغتصب ساستهم أوطان العرب والمسلمين، وإذا كان العرب والمسلمون قد طردوا المستعمرين من أوطانهم أو كادوا، فمن واجب علماء العرب والمسلمين أن يطهروا ميدانهم الثقافي من الفكر الاستشراقي الاستعماري المعادي[1] .

(١) انظر: الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، عبد المتعال الجبري، (ص/٢١٣)، نقلا عن الدكتور سليمان دنيا.

الفصل الثاني

الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين المعادين

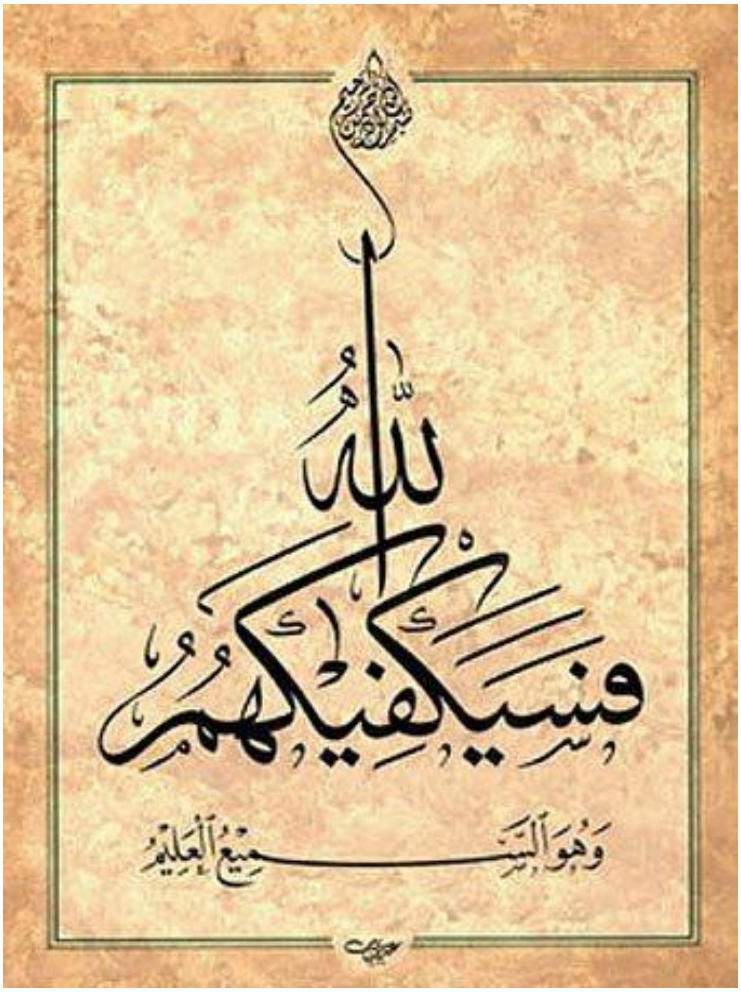
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

تمهيد

إن ما أورده المستشرقون في كتبهم ومنشوراتهم ومحاضراتهم من مطاعنَ في حق رسول الله ﷺ ورسالته الإسلامية محصورة في اتجاهين:

الاتجاه الأول: مطاعن لا تخرج عن دائرة السباب والشتائم والقذف بألفاظ بذيئة تُعبر عن المستوى الأخلاقي والسلوكي والثقافي المنحط لقائليها، فلا تحتاج إلى أي رد، فهي تُرد بذاتها على صاحبها.

الاتجاه الثاني: مطاعن فكرية، بعضها يطعن في الأصول ويهدف إلى اقتلاع الإسلام من جذوره. وبعضها شكلي، يطعن في أوصاف النبي ﷺ بقصد تنقيصه، أو يطعن في دينه الإسلامي بقصد تشويهه.

وسنحصر الردود في الاتجاه الثاني.

المبحث الأول: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصِّرين في مصدر القرآن الكريم.

● بذل المستشرقون جهوداً جبارة للطعن في مصدر القرآن الكريم. فقد بلغت مؤلفاتهم المتعلقة بالقرآن الكريم مبلغاً زاد على جميع مؤلفاتهم في المواضيع الإسلامية الأخرى [1].

وتكمن أهدافهم في الطعن في القرآن الكريم ، لهدم الإسلام من أساسه، إضافة لحرصهم على تزويد حركة التنصير بما تحتاج إليه من مطاعن لإخراج المسلمين من دينهم وإلحاقهم بالنصرانية.

ولا يخلو الأمر من أن بعض المستشرقين –وهم قليلو العدد بالمقارنة مع المعادين– قدموا مؤلفات في الدراسات القرآنية بهدف البحث العلمي المجرد، ولكن حتى هؤلاء لم تخلُ مؤلفاتهم من أخطاء خطيرة بسبب اعتمادهم على مصادر تطعن في القرآن الكريم، أو مصادرَ غير موثوقة تعتمد رواياتٍ واهية غير صحيحة، أو بسبب عدم إلمامهم بعلوم اللغة العربية، أو جهلهم بالعلوم الإسلامية ومقاصدها.

● ولكن الأخطر في جميع مؤلفات المستشرقين المعادين **موسوعة إسلامية** كتبت ونشرت في أوروبا، لتحقيق أهداف الاستشراق والتنصير

(١) انظر: قائمة بعدد كبير من هذه المؤلفات، في كتاب المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسين علي، (ص/١٠٥).

في العالم، حيث كان أغلب كتابها من المستشرقين المعادين للإسلام، **إنها الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في مدينة لايدن في هولندا** [1].

وتكمن خطورة هذه الموسوعة في كونها أهم مصدر معتمد في العالم كله للمعلومات عن الإسلام وجميع الموضوعات المتصلة به، ولذا يعتمدها الباحثون غير المسلمين، كما يعتمدها بعض المسلمين الغافلين أو المتغافلين!.

وقد امتلأت هذه الموسوعة بالافتراءات والأضاليل والمطاعن في الموضوعات المتعلقة بالإسلام عامة والقرآن الكريم وسيدنا محمد ﷺ خاصة

وتتنوع المطاعن في هذه الموسوعة بين مباشر مُعْلن وغير مباشر مغلفٌ بغطاء البحث العلمي الموضوعي، وهي الأخطر.

المطلب الأول: المطاعن التي وردت حول القرآن الكريم في موسوعة "دار بريل" :

١- **الادعاء أن القرآن الكريم إنتاجٌ بشريٌّ من تأليف النبي محمد ﷺ.**

وتعتمد الموسوعة في هذا الموضوع على نتاج المستشرقين المعادين على الإسلام أمثال: نولدكه، وجولد تزيهر، ومونتي، وغيرهم.

وتفتقر الأبحاث المكتوبة فيها للتوثيق العلمي الموضوعي الصحيح، فقد

(١) نشرت الطبعة الأولى منها باللغة الفرنسية عام /١٩١٣م/، ثم نشرت الطبعة الثانية منها عام /١٩٨٦م/، وقد أضيف إليها إضافات كثيرة.

اعتمدت على الروايات الواهية والمعلولة والمجروحة، أو الشائعات الكاذبة، وبالمقابل فإنها تتغافل عن الروايات الصحيحة المتواترة الموثقة أو تشكك فيها كل ذلك بغية الوصول إلى الأهداف المرسومة مسبقاً وهي الطعن في القرآن الكريم والإسلام ورسوله ﷺ.

٢- **الادعاء أن النبي ﷺ اقتبس القرآن الكريم من اليهود والنصارى.**

تقول الموسوعة: (نجد كثيراً من الآيات المدنية تفيد أن محمداً قد تلقى تعاليم من مبلِّغين كثير، خاصة منهم اليهود والنصارى، ثم أدرجت هذه التعاليم ضمن السياق القرآني زمن نزول الوحي)[١].

وقد بحثت في القرآن الكريم بحثاً دقيقاً فلم أجد هذه الآيات المدنية التي يزعمون، ولم أجد أسماء هؤلاء المبلِّغين، ولا أدري لماذا لم تذكر الموسوعة هذه الآيات وأسماء المبلِّغين الكُثر من اليهود والنصارى الذين علموا النبي ﷺ ؟!.

٣- **الادعاء أن القرآن الكريم نسب الكلام إلى بشر.**

يقولون :وفيها يظهر التسليم بأن محمداً كان له مبلِّغ غريب[٢].

هكذا ينفون عن القرآن الكريم أنه وحي إلهي وينسبون مصدر كلامه إلى

(١) انظر: كتاب القرآن الكريم (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في مدينة لايدن بهولندا)، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع دار التقريب-بيروت، الطبعة الأولى [٢٠٠٣م] .

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٥) .

بشر، ونتيجة لذلك فمن المسلم به أنه كان لمحمد ﷺ مبلِّغ غريب!.

والحقيقة إن الغريب والعجيب هذه الخرافات التي يلبسونها ثوب الوقار العلمي في رأسها، وعوراتها من أسفلها بادية للعيان، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً!.

أين الآيات التي أقر القرآن بها أن كلامه مصدره بشر؟!.

وكيف نبني على هذا الهراء مسلمات، بأن مبلِّغاً غريباً مجهول المصدر كان يبلغ هذه الآيات للنبي ﷺ ؟!.

إنه الحقد الأعمى الذي يفضي بصاحبه إلى فقدان العقل والمنطق والاتزان!.

المطلب الثاني: خطتهم.

تتمحور خطتهم في الهجوم على القرآن الكريم بالادعاء بما يلي:

١- القرآن الكريم ليس من عند الله.

٢- القرآن الكريم من تأليف محمد ﷺ.

٣- مصدر معلومات القرآن الكريم.

أ- ما أخذه النبي ﷺ من التوراة المزعومة والإنجيل، عن طريق ورقة بن نوفل وغيره ممن اتصل بهم من اليهود والنصارى.

ب- ما أخذه النبي ﷺ من دين العرب وعاداتهم وثقافتهم.

يقول بروكلمان: "وفي مكة أخذ الله يحتل شيئاً فشيئاً محل "هبل" الإله القمري القديم كرب للكعبة" [(١)].

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، (ص/٢٦).

وهناك ادعاءات فرعية سوف تسقط بداهة عند إثبات أن القرآن الكريم هو من عند الله تعالى.

المطلب الثالث: أهدافهم.

هدفهم الرئيس هدم الإسلام وتقويضه من أسسه..

فإذا لم يكن القرآن الكريم من مصدر إلهي، فهذا يعني أن الإسلام ليس بدين إلهي، وإنما هو دين مزعوم، وهذا يعني بأن محمداً ﷺ ليس نبياً مرسلاً.

وهم يعتقدون بأن نجاح خطتهم هذه ستؤدي إلى القضاء على الإسلام نهائياً. يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة التوبة].

ولن أتوسع في الرد على جميع المطاعن الأخرى التي طعنوا فيها القرآن الكريم، فبعضها تافه لا يستحق الرد، وبعضها شكلي، وبعضها بعيد جداً عن الفهم الصحيح للغة العربية.

ولكنني سأرد هنا على أعظم فرية افتروها ، وهي "أن القرآن الكريم ليس من مصدر إلهي"بل هو مأخوذ مما تعلمه النبي ﷺ من اليهود والنصارى.. وهي فرية قديمة سبقهم إليها المشركون وأهل الكتاب ممن عاصر النبي ﷺ، ورد الله تعالى عليهم فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة النحل].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ

ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

والحقيقة التي لا ريب فيها: إن الله تعالى هو الذي أنزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ. يقول تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ ﴾ [سورة الفرقان]. ويقول تعالى: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ [سورة النساء].

المطلب الرابع: الدليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى:

أولاً: ذكر القرآن الكريم حقائق علمية لم تكن معروفة في عصر النبي ﷺ، في أي ثقافة من الثقافات السائدة، ولم تكن مذكورة في التوراة والإنجيل، ولم تكتشف إلا في العصر الحديث يقيناً.

فمن أي مصدر جاء بها النبي ﷺ إن لم تكن وحياً من عند الله تعالى إلى نبيه محمدٍ ﷺ ؟.

- **بعض الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن الكريم ولم تكن معروفة في عصر النبوة:**

أولاً: أثبت القرآن الكريم أن الكون يتوسع:

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْىٍ۟ دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الذاريات].

وهذه حقيقة علمية بدأ علماء الفلك يتحدثون عنها عام /١٩١٤م/،

ومنهم العالم الأمريكي "سلايفر"، وأكد ذلك "هابل" عام /١٩٢٩م/ وقد تيقن العلماء من ذلك في منتصف القرن العشرين.

والسؤال الذي يفرضه المنطق: كيف عرف رسول الله ﷺ هذه الحقيقة العلمية التي ذكرت في القرآن الكريم قبل اكتشافها بأكثر من /١٣٠٠/سنة؟!.

إن المنطق يقول: إن معرفة هذه الحقائق في عصر النبوة لا يمكن أن تكون إلا من مصدر إلهي.

ومن يكابر وينكر فعليه أن يثبت لنا مصدراً آخر لهذه المعرفة، ولن يستطيع!.

يقول موريس بوكاي: (إن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق (بصحته)، إن القرآن، وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضاً –لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلم– طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة. بل أكثر من ذلك وكما أثبتنا، يكشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها)... (لذا فمن المشروع تماماً أن ينظر إلى القرآن على إنه تعبير الوحي من الله تعالى وأن تعطى له مكانة خاصة جداً حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه)[1] .

(١) دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، (ص/٢٨٥وما بعدها) .

بماذا يستطيع المرجفون من المستشرقين أن يتصرفوا أمام هذه الحقائق العلمية اليقينية ؟!.

ثانيا: أثبت القرآن الكريم أن الأرض كروية، وأنها متحركة غير ثابتة. [1]

وهذا على عكس ما يؤكده الكتاب المقدس، من أن الأرض:

١- مسطحة [2].

٢- مؤسسة على ماء[3].

٣- ثابتة لا تتحرك [4].

٤- يغطي السماء (طاسة مقلوبة) تفصل بين المياه التي فوق السماء والمياه التي تحتها، وتنزل المياه التي فوقها إلى الأرض عبر طاقات (فتحات) [5].

إن مشكلة تناقض بعض نصوص التوراة المزعومة مع الحقائق العلمية من أكبر المشكلات التي يعاني منها المؤمنون بالكتاب المقدس. بل يصفها القس الواعظ فوزدك أنها مشكلة خطيرة بل أكثر!.

يقول:(هذه هي المشكلة التي يواجهها ابن العصر الحاضر عندما يمسك توراته بيده. وهي مشكلة إذا وصفناها بأنها خطيرة لا نصفها بما فيها

(١) انظر" تفصيل ذلك في بحث الإعجاز العلمي اليقيني في القرآن الكريم، في كتاب الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ، للمؤلف.

(٢) انظر: سفر التكوين، الإصحاح الأول، (١١) .

(٣) انظر: المصدر السابق، وانظر: المزمور [٢٤/١-٢] .

(٤) انظر: المزمور [٩٣/١]، والمزمور [١٠٤/١-٥] .

(٥) انظر: سفر التكوين، الإصحاح الأول (٦-٨)، والمزمور [٤٨/٤]، وسفر التكوين الإصحاح السابع (١١) .

حقيقة من الخطورة)[١].

ثم يقول: (ففي الأسفار المقدسة الأرض مسطحة مؤسسة على البحار[٢] وثابتة[٣] والجلد (السماء) فوقها أشبه بطاس مقلوب أو قبة ودائرة هذه القبة تقوم على أعمدة[٤]والشمس والقمر والنجوم تسير في هذه القبة وغايتها أن تنير الأرض وفوق الجلد (السماء) بحر (المياه التي فوق الجلد) والمطر يسقط وسط (طاقات السماوات)[٥].

هذه هي الصورة التي تمثل بها التوراة الكون.)[٦]

حقيقة

إذاً ..محمد ﷺ لم يأخذ معلوماته عن الكون من كتب اليهود والنصارى؛ لأن ما ورد فيها يتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة [٦]، ولكنه أخذ علوم القرآن عبر الوحي الإلهي المنزل عليه .

(١) المصدر السابق (ص/٦٤).
(٢) سفر المزامير،المزمور [٦/١٣٦]،والمزمور [٢٤/١-٢]، وسفر التكوين، الإصحاح السابع (١١).
(٣) سفر المزامير، المزمور[١/٩٣] والمزمور [٥/١٠٤].
(٤) سفر أيوب، الإصحاح السادس والعشرون (١١) وسفر المزامير، المزمور[٣/١٤٠].
(٥) سفر المزامير، المزمور [٢٣/٧٨]،وسفر التكوين، الإصحاح السابع (١١).
(٦) نظرات حديثة في الكتاب المقدس، هري أمرسن فوزدك، (ص/٦٥وما بعدها).
(٧) انظر كتاب: دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، للبروفسور موريس بوكاي، الذي أثبت توافق الحقائق العلمية مع القرآن الكريم، وتناقض التوراة والإنجيل مع هذه الحقائق.

ثالثاً: أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بمواقع النجوم.

يقول الله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة الواقعة]. ويأتي جواب القسم: ﴿ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة الواقعة].

فالله تعالى يُقسم بظاهرة فلكية معجزة، تثبت أن القرآن العظيم وحيٌ منزل من رب العالمين.

يقول الدكتور زغلول النجار: (وهذا القَسَم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى سَبْقِ القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق الكون المبهرة، والتي تقول: إنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية، وليست مطلقة، ليس هذا فقط بل إن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت أن نجوماً قديمةً قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة، والضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن، كما أنه نظراً لانحناء الضوء في صفحة الكون فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، ومن هنا كان هذا القسم القرآني بمواقع النجوم، وليس بالنجوم ذاتها)[1] .

(١) انظر الموقع الإلكتروني: www.alda٣wa.org ، مقالات وكتب، د.زغلول النجار.

والسؤال المنطقي: من الذي علَّم النبي ﷺ أهمية وحقيقة مواقع النجوم التي تم اكتشافها بعد عصره بمئات السنوات؟!.

إنه الله تعالى الذي قال: ﴿ ...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة النساء].

رابعاً: تحدث القرآن الكريم عن أطوار خلق الإنسان.

* يؤكد القرآن الكريم أن الله تعالى خلق الإنسان من نطفة مختلطة سمَّاها "نطفة أمشاج" ، فيقول: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ . ﴾ [سورة الإنسان:٢].

والأمشاج: أي الأخلاط الناتجة عن امتزاج ماء الرجل بماء المرأة.

ولم يتوصل العلم إلى حقيقة أن الإنسان يتكون من نطفة الرجل وبويضة المرأة إلا في عام ١٧٧٥م على يد العالم الإيطالي "سبالانزاني" حيث تخلَّت البشرية عن فكرة الجنين القزم التي سادت في عصر أرسطو وما بعده، والتي كانت تؤكد على أن الإنسان مخلوق على نحو كامل (دفعة واحدة وليس على مراحل) وموجود في ماء الرجل، ولكنه صغير جداً لا يُرى، ثم يكبر وينمو في رحم الأم.

* ويؤكد القرآن الكريم أن الله تعالى يخلق الإنسان في رحم أمه على مراحل وأطوار، بعكس نظرية الجنين القزم التي كانت سائدةً في عصر النبي ﷺ حتى عام /١٧٧٥م/. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم:

أ- طور البيضة الملقحة: أو النطفة التي وصفها في الآية بأنها أمشاج أي من اختلاط ماء الرجل مع ماء المرأة. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة المرسلات].

ب- طور العلقة: حيث تفرز الخلايا الموجودة في السطح الخارجي للبيضة الملقحة أنزيمات خاصة تذيب جدار الرحم، وبذلك تتعلق البيضة الملقحة بالرحم بشدة (التعشيش) حتى لا تسقط خارجه .

ج- طور المضغة: حيث تتكاثر الخلية الأولى "البيضة الملقحة" بالانقسام، فتشكل كتلة من الخلايا تنمو وتكبر، ثم تبدأ الخلايا بالتمايز والتخصص بالتدريج لتشكل براعم الرأس والدماغ والأطراف والعظام، وتسمى هذه المرحلة علمياً بـ "EmbryD" وبالنظر إلى شكلها فإنها تشبه قطعة اللحم أو لبان ممضوغ كما وصفها القرآن الكريم بالمضغة.

د- طور إكساء العظم لحماً: وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة: ﴿ ...فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ... ﴾. [سورة المؤمنون:١٤].

فقد اكتشف العلم الحديث أن العظام تتشكل أولاً في الجنين، ثم تتشكل العضلات التي تكسو العظام.. وقد سبق القرآن الكريم العلمَ الحديث بإثبات هذه الحقيقة بأكثر من /١٤٠٠/ سنة.

(لقد أذهلت الآيات القرآنية التي تتكلم عن خلق الإنسان والأحاديث

النبوية الشريفة العديدَ من جهابذة علماء العصر، ومن بينهم البروفسور "كيت مور" أستاذ علم الجينات في الجامعات الأمريكية وصاحب أشهر كتاب عن الجنين في العالم "أطوار خلق الإنسان". لقد قال مور: "لقد كان نبيكم إنساناً بسيطاً ورجلاً أمياً، وقد عاش ومات في القرن السابع الميلادي، **أي في وقت لم يكن فيه لعلم الأجنة أساس ولا خبر**، كما لم يكن هناك مجاهر على الإطلاق، ولم يكن علم البصريات قد ظهر إلى عالم الوجود بعد، فمن أين له بهذه المعلومات العلمية المذهلة ؟ وكيف شاهد اندماج نطفة الذكر بنطفة الأنثى؟ وكيف عرف أن في ماء الرجل نطف وأن في ماء المرأة نطفة ؟ "[1]، وصدق الله العظيم القائل: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة نوح].

سؤال

ولنا أن نسأل الطاعنين في القرآن الكريم من المستشرقين والمنصِّرين:
من الذي زوّد النبي ﷺ بهذه العلوم الدقيقة عن أطوار خلق الجنين في بطن أمه؟!!
هل هذه العلوم التي بدأ اكتشافها عام ١٧٧٥م موجودة في التوراة والإنجيل؟!!

كيف تزعمون أن النبي ﷺ قد ألَّف القرآن الكريم مما وجد في التوراة والإنجيل من خلال اختلاطه مع اليهود والنصارى؟!!

يقول موريس بوكاي: (إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات

(١) انظر:الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان، د. محمد نبيل النشواتي، أطوار خلق الإنسان. (ص/٢٣) .

نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة. ولقد رأينا دليلاً على هذا من خلال روايتي الخلق والطوفان. وعلى حين نجد في نص القرآن بالنسبة لتاريخ خروج موسى، معلومة ثمينة تضاف إلى رواية التوراة، وتجعل مجموع الروايتين يتفق تماماً مع معطيات علم الآثار بما يسمح بتحديد عصر موسى ، نجد، فيما يتعلق بموضوعات أخرى، فروقاً شديدة الأهمية تدحض كل ما قيل ادعاء —ودون أدنى دليل– عن نقل محمد ﷺ للتوراة حتى يعد نص القرآن)[1].

أيها المستشرقون الضالون المكذبون :

لقد فضح القرآن الكريم كذبكم وافتراءكم على النبي ﷺ على نحو قاطع لا لَبْس فيه.

لأن هذه المعلومات لا وجود لها في أي مصدر بشري أو غير بشري مزعوم، في عصر النبوة.

إن هذه الحقائق عن أطوار الجنين البشري مصدرها الوحي الإلهي بلا ريب.

يقول موريس بوكاي: (كيف أمكن لمحمد عليه السلام أن يتناول قبل أربعة

(١) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، (ص/٢٨٥ وما بعدها).

عشر قرناً حقائق علمية في القرآن لم يكتشفها إلا التقدم العلمي في القرون الحديثة، لو لم يكن القرآن وحياً منزلاً لاشكَّ فيه ولا ارتياب في نصوصه).

(وهكذا يتقرر لدينا من جديد أن حقائق القرآن العلمية كما شرحناها في محلها سابقاً، تدل جميعها على أن نصوص القرآن نصوص لا دخل ليد البشر فيها، وأنها وحي لا شك فيه)[1].

خامساً: أقسم الله تعالى بالأرض ذات الصدع:

يقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ١١ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ١٢﴾ [سورة الطارق].

تحدث القرآن الكريم عن وجود الصدوع في الأرض، قبل أن يكتشفها العلماء بين عامي ١٩٤٥م و ١٩٦٥م، أي قبل أكثر من ١٣٠٠ سنة تقريباً.

وهذا الصدع في الأرض الذي تحدث عنه القرآن الكريم، ضرورة تحتاجه الأرض لاستمرار الحياة عليها، ففي جوف الأرض كمية من العناصر المشعة تتحلل تلقائياً بمعدلات ثابتة، وهذا التحلل يؤدي إلى إنتاج كميات هائلة من الحرارة، ولو لم تجد هذه الحرارة متنفساً لها عبر الصدع (مجموعة صدوع مرتبطة مع بعضها تعمل وكأنها صدع واحد) لانفجرت الأرض بكاملها.

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، (ص/٢٧٧).

ونسأل المستشرقين المرجفين:

- هل تشير التوراة والإنجيل إلى الصدوع في الأرض؟!!

-هل يوجد في أي ثقافة في ذلك العصر ما يشير إلى هذه الصدوع ؟!

والجواب :لا !.

إذن من الذي أنبأ النبي ﷺ بهذه الحقيقة العلمية قبل اكتشافها بأكثر من ١٣٠٠ عام؟!.الحقيقة إنه لا يوجد إلا جواب واحد قطعي لا ريب فيه: نبَّأه الله تعالى العليم الخبير.

النتيجة

الحقائق العلمية المعجزة التي ذكرها القرآن الكريم، تثبت على نحو قاطع أن القرآن إلهيُّ المصدر، وأن هذه الحقائق العلمية تتناقض كلياً مع ما ورد في التوراة والإنجيل عن الكون، وتثبت كذب المستشرقين وادعاءهم أن القرآن الكريم ألفه محمد ﷺ مما أخذه من التوراة والإنجيل، وما استقاه من الثقافة العربية السائدة، عن طريق اتصاله السطحي الناشئ عن رحلاته التجارية.

بعد هذا كله، يقول المستشرق اليهودي الحاقد "جولد تزيهر": (وكذلك عناصر القرآن المسيحية، نعرف أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة، كما ينضم هذا وذاك شيء من الغنوصية الشرقية، وذلك لأن محمداً قد أخذ بجميع ما وجده في اتصاله الناشئ عن رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي

وجده ثم أفاد من هذا دون أي تنظيم) [1].

انظروا إلى سخافة ماقال، وكم هو بعيد عن المنطق العلمي الدقيق!!..

إضاءة

إن الاطلاع على الحقائق العلمية اليقينية التي ذكرها القرآن الكريم، تظهر بدون أي شك، سخافة هذه الأفكار الاستشراقية، وكم هي مركبة على تلفيقات وأكاذيب لا تستطيع إقناع كاتبها فضلاً عن إقناع الآخرين.

إن المستشرقين والمبشرين المنصِّرين الحاقدين يزدرون عقول الناس، ويحتقرون ثقافتهم ويستخفون بأفهامهم، عندما يستخدمون الكذب والإفك فيما يقولون.

المطلب الخامس: كيف يستطيع إنسان يحترم عقله أن يصدق بأن القرآن الكريم من مصادر يهودية ومسيحية؟!.

والقرآن الكريم يحارب أفكار اليهود ويفضح أكاذيبهم ومخازيهم التي لا تعد ولا تحصى، ومنها: قتلهم الأنبياء، وقذفهم مريم عليها السلام بالزنى، وادعاؤهم قتل المسيح عليه السلام.

يقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ

(١) انظر: العقيدة والشريعة، جولد تزيهر، (ص/١٨).

لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ [سورة النساء].

ويجعل القرآن الكريم اليهود من الملعونين المفسدين، فيقول: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة المائدة].

ويتحدث القرآن الكريم عن كفرهم لأنهم يفرقون بين الله ورسله، فيقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾ [سورة النساء].

بل إن القرآن الكريم يقرر أن النبي ﷺ لن يتبع ملة اليهود والنصارى، ولذلك فإنهم لن يرضوا عنه، فيقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة البقرة].

وينهى القرآن الكريم عن اتباع اليهود والنصارى، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة المائدة]

* ثم إن القرآن الكريم تناول العقيدة المسيحية القائمة على التثليث بالنقض، فقال: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ

إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [سورة المائدة].

ونقض القرآن الكريم عقيدتهم التي تجعل من المسيح عليه السلام ابناً لله، فيقول ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة النساء].

ونقض القرآن الكريم عقيدتهم بتأليه المسيح عليه السلام، فيقول: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة المائدة].

ويؤكد القرآن الكريم أن اختلاق ولد لله تعالى عقيدة تشابه عقائد كانت سائدة في الأقوام الكافرة السابقين، فيقول: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [سورة التوبة].

وبعد هذا كله يريد المستشرق اليهودي الحاقد "جولد تزيهر" وأمثاله أن يخدعوا الناس ويضحكوا على عقولهم ليصدقوا أكاذيبهم بأن القرآن ليس من مصدر إلهي، بل مأخوذ من التوراة والإنجيل؟!! (١).

فتأمل!!..

نتيجة

بعد أن تأكد لنا أن النبي ﷺ أخبر عن حقائق علمية غيبية معجزة لم تكن معروفة في زمانه واكتشفها العلم في العصر الحديث.. ،وأنه يستحيل أن تصل إليه إلا من مصدر إلهي عن طريق الوحي.. بعد هذا اليقين فإن جميع شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصِّرين في النبي ﷺ أو الإسلام أو القرآن الكريم، تسقط سقوطاً ذريعاً لأنها مبنية على الكذب والافتراء، وفي أحسن الأحوال مبنية على الأوهام والجهل بحقائق الأمور.

ولذلك فإنه لا ضرورة للرد المفصل على مطاعن سخيفة كالتي سنذكرها لأنها ساقطة ضمناً مع إثبات أن القرآن الكريم ليس من صنع محمد ﷺ، وأنه من عند الله تعالى، وأنه نزل على نبيه محمد ﷺ بوساطة الوحي.

(١) للتوسع انظر:
- المستشرقون والقرآن الكريم، د. محمد أمين بني عامر.
- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، د. محمد أبو ليلة.
- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د.فضل حسن عباس.
- نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم الحاج.
- الاستشراق والدراسات الإسلامية، أ. د. عبد القهار العاني.

المطلب السادس: مطاعن وشبهات سخيفة:

١-شبهة أن: النبي أخذ ما أورده في القرآن الكريم عن "الراهب بحيرا الذي التقاه مرة واحدة في بصرى الشام وعمره لا يتجاوز تسع سنوات أو اثنتي عشرة سنة حسب روايتين.

٢-شبهة أن: النبي أخذ ما أورده في القرآن الكريم عن "ورقة بن نوفل"، وهو شيخ هرم أعمى، حيث التقاه مرة واحدة مع السيدة خديجة –رضي الله عنها– ثم مات ورقة بعد هذا اللقاء بفترة قصيرة جداً.

علماً بأن اللقاء كان بعد نزول الوحي وليس قبله، وأن قريشاً التي كانت ترصد كل تحركات النبي ﷺ لم تتحدث عن دعوى كهذه مطلقاً، مع أن فيها ما يُغريها لتكذيب النبي ﷺ.

٣- شبهة أن: النبي أخذ ما أورده في القرآن الكريم عن "أمية بن أبي الصلت"، أو "جبير ابن مطعم الرومي"، أو "بيسار الرومي"، وهم من عامة الناس.

لا حاجة للرد على كل هذه المطاعن السخيفة وأمثالها؛ لما فيها من ازدراء لعقول الناس، واستخفاف في أفهامهم، إذ كيف يتلقى النبي ﷺ ما حوى القرآن الكريم من إعجاز علمي وغيبي ولغوي وتشريعي من أشخاص عديدين خلال دقائق أو أكثر بقليل، وهم لا يعرفون شيئاً من هذا الإعجاز القرآني؟!.

المطلب السابع: رد المنصفين على المفترين:

تقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري" أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي الإيطالية في كتابها القيم "دفاع عن الإسلام" : (ذلك أن الكتاب(القرآن) إلى جانب كماله من حيث الشكل والطريقة، قد أثبت أنه ممتنع عن التقليد والمحاكاة حتى في مادته، فنحن نقرأ فيه، إلى جانب أشياء أخرى كثيرة، تنبُّؤاً ببعض أحداث المستقبل، ووصفاً لوقائع حدثت منذ قرون ولكنها كانت مجهولة على وجه عام. إن ثمة إشارات كثيرة إلى نواميس الطبيعة، وإلى علوم مختلفة، دينية ودنيوية. إننا نقع ثمة على ذخائر واسعة من المعرفة تُعْجِز أكثر الناس ذكاءً، وأعظم الفلاسفة، وأقدر رجال السياسة. ولهذه الأسباب كلها لا يمكن للقرآن أن يكون من عمل رجل غير مثقف، قضى حياته كلها وسط مجتمع جاف بعيد عن أصحاب العلم والدين، رجل أصر دائماً على أنه ليس إلا رجلاً مثل سائر الرجال فهو بوصفه هذا عاجز عن اجتراح المعجزات ما لم يساعده على ذلك ربه الكُلِّيُّ القدرة. **إن القرآن لا يُعقل أن ينبثق عن غير الذات التي وسع علمها كل شيء في السماء والأرض.**

ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة، وهي أن نصه ظلَّ صافياً غير محرَّف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا، وإن نصَّه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف، بإذن الله، مادام الكون) [1].

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٥٨ وما بعدها).

المبحث الثاني: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصِّرين في العقيدة الإسلامية.

المطلب الأول: شبهة التناقض:

يدَّعي المستشرقون المعادون أن في العقيدة الإسلامية تناقضاً.

يقول المستشرق اليهودي "جولد تزيهر": (ومن العسير أن نستخلص من القرآن الكريم مذهباً عقيدياً متجانساً وخالياً من **المتناقضات**)[1].

والحقيقة أن ثقافة هذا المستشرق اليهودي وأمثاله مملوءة بالمتناقضات فمن يقرأ التوراة المزعومة يراها تعجُّ بالتناقضات العقائدية، لدرجة أنك تجد فيها أرباباً بأسماء عدة (يهوه، ألوهيم، ياهو، إيل..) والرب في توراتهم **متناقض** مع ذاته، و**متناقض** في صفاته، و**متناقض** في تعامله مع الناس.

- **ففي التوراة المزعومة الرب متناقض في صفاته وأفعاله:**

١- الرب التوراتي يندم على فعل ويتأسف ويحزن [2].

٢- الرب التوراتي يصارع نبيه يعقوب، ولكنه ضعيف لا يقدر عليه ، ويعقوب صارع الله فغلبه [3].

٣- الرب التوراتي ينتشي برائحة الشواء [4]. يقول القس الواعظ "هنري

(١) العقيدة والشريعة، جولد تسهير، (ص/٦٨).

(٢) سفر التكوين، الإصحاح السادس، (٥-٧).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون، (٢٦-٢٩)، نسخة الكتاب المقدس، إصدار دار المشرق، الطبعة الرابعة [١٩٩٧م].

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثامن، (٢٠-٢١).

فوزدك": (ففي الشريعة في سفر اللاويين نقرأ أنه إذا قدمنا قرباناً تقدمة فإما أن يكون مخبوزاً في تنور أو على الصاج أو أن يكون من طاجن. **فقد قال أورجينوس: بكل تأكيد لا يمكن أن نتصور الله مهتماً بهذه الأمور التافهة**)[1].

٤- الرب التوراتي يحتاج إلى علامات بصرية ليميز بين بيوت اليهود، وبيوت المصريين التي يريد تدميرها[2].

٥- الرب التوراتي يغار من البشر ويحقد عليهم ولا يريد أن يبقوا شعباً موحداً بلغة واحدة [3].

٦- الرب التوراتي يصيبه القلق والخشية؛ لأن آدم صار مثل الآلهة يعرف الخير والشر، ويخشى الرب التوراتي أن يأكل آدم من شجرة الحياة فيحيا إلى الأبد مثل الرب[4].

٧- الرب التوراتي يندم ويتراجع عن غضبه وشره[5].

٨- الرب التوراتي يأمر بتنفيذ جرائم ضد الإنسانية[6].

(١) نظرات حديثة في الكتاب المقدس (ص/١٠٣).

(٢) سفر الخروج، الإصحاح الثاني عشر، (١٢-١٤).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر، (٤-٨).

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الثالث، (٢٢-٢٣).

(٥) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون، (٩-١٤).

(٦) سفر يوشع، الإصحاح السادس (٢١)، وسفر العدد، الإصحاح الحادي والثلاثون (١-١٠)

٩- الرب التوراتي يأمر بحروب إبادة جماعية[١].

هذه بعض صفات الرب التوراتي.. إنه يندم، ويتأسف، ويحزن، وهو ضعيف يُصارع فيُغلب، ويحب رائحة اللحم المشوي، يغار، ويحقد، ويقلق ، ويخشى، ويغضب، ويتراجع عن غضبه وشره، ويأمر بارتكاب جرائم ضد الإنسانية، وبحروب الإبادة الجماعية.

المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية قائمة على التوحيد وعدم الإشراك بالله تعالى:

العجيب أن المستشرقين المعادين ومنهم اليهودي "جولد تزيهر" عَمِيَ عن هذه التناقضات الجليَّة في العقيدة اليهودية المتعلقة بصفات الرب. وزعم أن العقيدة الإسلامية في القرآن متناقضة؟!.

ونسي أو تناسى أن أهم ما يميز العقيدة الإسلامية عند علماء الأديان أنها عقيدة توحيدية صافية لا تقبل أي شبهة شركية، ويعدُّون هذا من أهم الأمور التي تمنع من وجود انسجام بين عقائد المسلمين وعقائد الأديان الأخرى.

وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم لبُّ الإسلام وأساسه، وإذا دققت في القرآن الكريم والسنة النبوية حرفاً حرفاً لا يمكن أن تجد فيهما ما يتناقض مع التوحيد، بل إن أهم مايميز العقيدة الإسلامية هو التوحيد الثابت والراسخ والذي لا ينتابه أي ريبة أو شبهة أو تناقض.

(١) سفر التثنية، الإصحاح الثالث عشر، (١٥-١٦)، والإصحاح العشرون (١٣-١٦)، وسفر حزيقال، الإصحاح السادس والعشرون (١٥-٢١)، وسفر إشعيا، الإصحاح الثالث عشر (١٥-٢٢).

وأعظم رد على المستشرقين الحاقدين في ثبات العقيدة الإسلامية التوحيدية سورة الإخلاص التي تقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [سورة الإخلاص].

المطلب الثالث: رد المنصفين على المفترين:

وقد أشاد المستشرقون المنصفون بعقيدة التوحيد الواضحة في الإسلام ورأوا فيها سر قوة الإسلام..

- **يقول المؤرخ والمفكر الفرنسي (المسيحي) "غوستاف لوبون"** في كتابه الشهير "حضارة العرب":

(وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيدَ إلى العالم. وتُشتق سهولة الإسلام العظيمة من التوحيد المحض، وفي هذه السهولة سِرُّ قوة الإسلام، والإسلام وإدراكه سهلٌ خالٍ مما نراه في الأديان الأخرى ويأباه الذوق السليم غالباً، من المتناقضات والغوامض، ولا شيء أكثرُ وضوحاً وأقلُّ غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إلهٍ واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله، وببضعة فروض يدخل الجنةَ من يقوم بها[1] ويدخل النار من يعرض عنها، وإنك إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أي طبقةٍ، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولةٍ، وهو

(١) حديث : (أتى النبيَّ ﷺ النعمانُ بن قوقل، فقال:يا رسول الله ! أرأيتَ إذا صليتُ المكتوبةَ وحرَّمتُ الحرامَ، وأحللتُ الحلالَ، أأدخلُ الجنة ؟ **فقال النبي** ﷺ : «نعم »).
أخرجه مسلم في"صحيحه" برقم [١٦] (ص/٣٩).

بذلك على عكس النصرانيّ الذي لا يستطيع حديثاً عن التثليث والاستحالة وما ماثلهما من الغوامض من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل .

وساعد وضوح الإسلام البالغ، وما أمر به من العدل والإحسان كلَّ المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسر بهذه المزايا سبب اعتناق كثيرٍ من الشعوب النصرانية للإسلام، كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينيّة، فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر السبب في عدم تنصُّر أي أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً، سواءٌ كانت هذه الأمة غالبةً أم مغلوبةً... والإسلام إذا ما نظر إليه من هذه الناحية وجد من أشد الأديان تأثيراً في الناس، وهو، مع مماثلته لأكثر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان والصلاة إلخ..، يعلِّم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع، وهو يعرف فضلاً عن ذلك، **أن يصُبَّ في النفوس إيماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات**.

ولا ريب في أن نفوذ الإسلام السياسيِّ والمدنيِّ كان عظيماً إلى الغاية، فقد كانت بلاد العرب قبل محمد مؤلفةً من إمارات مستقلة و قبائل متقاتلة دائماً، **فلما ظهر محمد ومضى على ظهوره قرن واحد كانت دولة العرب ممتدة من الهند إلى إسبانية**، وكانت الحضارة تسطع بنورها الوهاج في جميع المدن التي خفقت راية النبي فوقها.

والإسلام من أكثر الديانات ملاءمةً لاكتشاف العلم، ومن أعظمها تهذيباً للنفوس وحملاً على العدل والإحسان والتسامح... ومع ما أصاب

حضارة العرب من الدثور، كالحضارات التي ظهرت قبلها لم يمسَّ الزمن دين النبي، الذي له من النفوذ ما له في الماضي، والذي لا يزال ذا سلطان كبير على النفوس، مع أن الأديان الأخرى التي هي أقدم منه تخسر كل يوم شيئاً من قوتها)[1].

- **وكان "غوته" الشاعر الألماني الشهير** معجباً بشخصية محمد ﷺ وعقيدته التوحيدية بالله تعالى الواحد الأحد، والتي انتصر بها على كل العالم!.

يقول: (إن شخصية محمد الدينية كانت دائماً وأبداً مصدر جذب وتأثير على غوتة لأنها وجدت صدى قوياً في قرارة نفسه، وتجاوباً متناغماً في أعماق أحاسيسه ومشاعره الدينية. وقد كتب في "ديوانه" ما لا يمكن إلا أن نسميه اعترافاً شخصياً منه:

وهكذا يظهر الحق جلياً وهذا ما استطاع محمد إثباته بمفهوم الواحد الأحد استطاع أن ينتصر على كل العالم)[2].

إذاً. **إن عقيدة التوحيد في الإسلام هي سر قوته..**

وكذلك فإن العقيدة الإسلامية في موضوع الإيمان بالملائكة والكتب المنزلة والرسل واليوم الآخر، لا ينتابها غموض أو شك أو تناقض، ولا يمكن أن تجد نصاً في الكتاب أو السنة فيه تناقض حول هذه العقيدة.

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، (ص/١٢٥وما بعدها).
(٢) التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام، زغريد هونكه، (ص/٢٥٦).

النتيجة

العقيدة الإسلامية ثابتة وراسخة وواضحة وغير معقدة وسهلة الفهم وغير متناقضة، فلا يوجد فيها أسرار لا يمكن أن تفهم إلا في يوم القيامة كما في الديانات الأخرى، ولا يوجد فيها طلاسم ولا رموز، ولا تحتاج العلاقة بين المسلم وربه ﷻ لتدخُّل أحد من البشر مهما كان شأنه.
ويستطيع الإنسان أن يتفهمها ويتذوقها بمنتهى السهولة، ولا تتصادم مع العقل أبداً، كما هو الحال في غيرها.

المطلب الرابع: ارتباك وقلق وحيرة:

إن تصادم العقائد الأخرى مع العقل يسبب الإرباك والقلق والحيرة لرجال الدين إذا أرادوا إلقاء المواعظ من الكتاب المقدس.

يقول القس الواعظ الأمريكي "هري أمرسن فوزدك" في كتابه "نظرات حديثة في الكتاب المقدس"[1]: (إن استعمال الكتاب المقدس في نظر الكثيرين من خدام الدين لغزٌ يصعب عليهم حلُّه. فالبعض يظهرون هذه الصعوبة بتجنب أسفار وإصحاحات بكاملها حتى أنه ليس من قوة على الأرض تقدر أن تجذبهم إلى فصول معينة... والبعض يظهرون الصعوبة بأن يتولاهم **الارتباك والحيرة** عندما يحاولون بحث بعض المشاكل المتعلقة بالكتاب المقدس... ولا يحتمل أن يراه يفقد سلطته على حياة البشر ولكن

(١) هذا الكتاب هو مجموعة محاضرات ألقاها القس "فوزدك" على مجموعة كبيرة من رجال الكنيسة في جامعة بايل في الولايات المتحدة الأمريكية.

في الوقت نفسه لا يشعر بالحرية التامة في استعماله وذلك لأن درس الكتاب درساً انتقادياً **قد ولَّد فيه الحيرة والارتباك اللذين لا يُعرف مداهما)**

وهذا الصدام مع العقل يسبب الحيرة للذين يستمعون المواعظ..

يقول فوزدك: (نرى من الجهة الواحدة أن بين الذين يحضرون العبادة في الكنيسة قوم لا يزالون تجري أفكارهم، فيما يتعلق بالكتاب، في مجارٍ قديمةٍ... ومن الجهة الأخرى نجد عدداً كبيراً بعيدين جداً عن أن يكونوا متمسكين بمعتقدهم تمسكاً متيناً فهؤلاء نراهم تائهين محيَّرين في تفكيرهم الديني. ومع أنهم قد تربوا على الطريق القديمة في معتقدهم الديني **فإنهم قد ثاروا عليه الآن وطرحوه جانباً**. وإذا رجعت إلى حقيقة مشكلتهم تجدها في أنهم ليسوا بعد قادرين على الاعتقاد ببعض الأمور في الكتاب المقدس... **لأنه غير مبني على المعقول)** [1].

ولذلك نجد أن بعض القساوسة الذين تحولوا إلى الإسلام أعلنوا أن من أهم الأسباب التي دعتهم للدخول في الإسلام عقيدته الثابتة غير المتناقضة والتي يسهل على الإنسان فهمها لأنها لا تتصادم مع العقل، وقد أشاروا إلى أنهم بعد مرور عشرات السنوات عليهم وهم رجال دين لم يستطيعوا فهم عقيدة التثليث، والتي تحتوي على أسرار لا تفهم إلا يوم القيامة[2].

(١) المصدر السابق، (ص/١٠ وما بعدها).

(٢) انظر:

=

فبعد مرور آلاف السنين على ولادة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام لم يستطع أتباع الطوائف الرئيسة والفرعية كافة التي تعد بالعشرات[1].

الاتفاق على طبيعته!.

هل هو بشر ؟!.

أم أنه إله ؟!.

أو ابن إله؟!.

أم إله له طبيعتان إلهية و بشرية بآنٍ واحد ؟!.

وهل الطبيعتان مندمجتان أم منفصلتان ؟!.

وإذا كانت الطبيعتان متحدتين اتحاداً كاملاً فهل هو من طبيعة واحدة ؟!.

وهل هذه الطبيعة الواحدة مركبة ومزدوجة، أم أن اتحاد الطبيعتين لا يقتضي امتزاجَهما والتباسَ إحداهما بالأخرى ؟!.

وهل تَجسُدِ الإلهِ فيه يجعله والإله بإرادةٍ واحدةٍ أم بإرادتين منفصلتين ؟!..

وهل هو إله كامل أم جزء من الإله؟!.

- محمد في الكتاب المقدس، البروفسور عبد الأحد داود (كان قبل إسلامه القسيس دافيد بنجامين كلداني)، ترجمة: فهمي شما، دار الضياء – قطر.
- الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية، للمفكر: إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قسيساً ثم أسلم، وانظر قصة إسلامه في هذا الكتاب وكتبه الأخرى، القاهرة [١٩٧٢م].

(١) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية- دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، سعد رستم، الأوائل-دمشق، الطبعة الثانية[٢٠٠٥م].

المطلب الخامس: مراجعة وإعادة نظر:

ويتحدث المستشرق الألماني "مراد هوفمان" المسيحي الذي أسلم، تحت عنوان "مراجعة المسيحية" عن ظهور اتجاهٍ حديثٍ في المسيحية لإعادة النظر في العقيدة المسيحية من ناحية النظرة إلى المسيح -دوره وطبيعته- **فيقول:**

١- يمثل الاتجاه الحديث في المسيحية من ناحية النظرة إلى المسيح – دوره وطبيعته- الأزمة الروحية للغرب.

وكان محمد أسد (ليوبولد فايس) بعيد النظر في هذا المجال أيضاً، فكتب في /١٩٣٤م/: (ربما يكون أهم عامل فكري يمنع إحياء الدين في أوروبا، هو مفهوم نبوة المسيح لله... انزعج المفكرون الأوروبيون غريزياً من المفهوم الوحيد الذي اعتادوه، فقد بدؤوا يرفضون فكرة الله ومعها فكرة الدين).

كم كان أسد صائباً في ذلك كما سنرى!.

ويتابع مراد هوفمان كلامه فيقول :

٢-لنفهم هذا تماماً ولنرى الجهد الفائق للتغيير الآن، يجب أن نرجع للمؤتمر الفاضح في نيقية عام /٣٢٥م/ ونتائجه العقدِّية القاتلة على الألف وستمائة عام التالية.

بدون أي إعداد أو تحضير مسبق، وأي مناقشة جدية، تبنَّى الأساقفة صيغة قدَّمها الإمبراطور الوثني (قسطنطين) تنص على أن: عيسى المسيح هو ابن الله، وهو الله نفسه، ليس مخلوقاً ولكن محدثاً بواسطة الأب الإله، ومن نفس جوهر الإله. وبها تم وضع أساس عقيدة التجسيد المقدس، ومن ثم عقيدة التثليث.

كانت النتائج الفورية درامية بدرجة كافية، لأن غالبية المسيحيين في ذلك الوقت – أتباع الأسقف آيروس من الإسكندرية والمسيحيين من أصل يهودي- **اعتقدوا أن المسيح ليس من جوهر الله، ولكنه بشر اختاره الله وبكلمات أخرى رسول، فأصبح كل أولئك في نظر الكنيسة هراطقة ومن ثم تمَّ اضطهادهم.**

٣- أنفق علماء اللاهوت والفلاسفة الكاثوليك والبروتستانت كثيراً من الجهد والوقت لفهم وشرح التجسيد والتثليث بطريقة عقلانية، وفشلوا دائماً، وهل كان يمكن غير ذلك؟!! ولذلك لجؤوا إلى الحجة التي لا ترد أن التجسيد والتثليث من أسرار الديانة. وبفعلهم هذا غضُّوا البصر عن عدم وجود ما يشير إلى ذلك في الرسالة الصحيحة لعيسى. بل على العكس من ذلك، فعيسى –مثل محمد- أكد (أي في الإنجيل) **أنه بشر مثل باقي البشر.**

٤-لاح في المائتي سنة الماضية في العالم المسيحي تعذر الاستمرار في قول اتخاذ الله ولداً. وفي الواقع، يشرح فقدان المصداقية الواضح في عقيدة الكنيسة في عيسى، انتشار الإلحاد واللاأدرية وهجران الكنائس، وتحول الناس إلى مذاهب أخرى مثل: الأنثروبوسوفي، البوذية، وشامانية الهنود الحمر، ومساواة المرأة بالرجل وغير ذلك.

لذلك كان من الطبيعي أن تبذل المحاولات الجادة خلال الستين عاماً الماضية لإعادة تأويل مفهوم عيسى داخل النظام المسيحي. وكان رواد ذلك المفكرون البروتستانت "كارل بارت" /١٩٦٨م/، و "رودلف بولتمان" /١٩٧٦م/والبروفسور الجيزويتي "كارل رانر".

أما "بولتمان" فبأسلوبه النقدي للتاريخ، نزع الأساطير من العهد الجديد لدرجة أن أكثر علماء اللاهوت أصبحوا متفقين على استحالة تأسيس شخصية عيسى التاريخية على ما جاء في العهد الجديد.

٥- تأخذ هذه العمليات التصحيحية بالأنفاس، فلأول مرة منذ /١٤٠٠/ سنة قمرية تلوح فرصة حقيقية لأن تتطابق التعاليم المسيحية مع المسيحيين اليهود، والصورة القرآنية للمسيح.

إذا تحقق هذا يكون الإسلام أكمل مهمته في هذا الميدان، ويبزغ الأمل في حوار مسيحي يهودي إسلامي، ولأول مرة في مجال العقيدة بعد أن كان محصوراً في مجال الأعمال الاجتماعية. وعلى عكس ما كان يقترحه البروفسور الكاثوليكي "هانز كونج" لن تصبح مسألة عيسى غير قابلة للاقتراب منها أو للتفاهم بشأنها. وكنتيجة لذلك، قد يقبل المسيحيون في النهاية، القرآنَ على أنه كتاب إلهي موحى به، ومحمد كمبلغ للكتاب)[١].

المطلب السادس: رد المنصفين على المفترين:

- **يقول المؤرخ والمفكر اليهودي "ول ديورانت"** في كتابه الشهير "قصة الحضارة": (والإسلام أبسط الأديان كلها وأوضحها وأساسه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويتطلب الجزء الثاني من هذا الأساس الإيمان بالقرآن وبكل ما جاء به)[٢].

(١) انظر: الإسلام عام ٢٠٠٠، مراد هوفمان، (ص/٢١ومابعدها).
(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، (ص/٤٥٤٦).

ويقول أيضاً :

(ولقد آمن بالقرآن كثير من رجال العلم والفكر في كل عصر من العصور الماضية وفي هذا العصر الذي نعيش فيه،كما آمن به من لا يحصون كثرةً من الناس على اختلاف حظوظهم من العقل والفكر، **وما ذلك إلا لأنه جاء بالعقيدة الحقَّة الواضحة التي يتقبلها الجميع، (وهي) أسهلُ العقائدِ، وأقلُّها غموضاً، وأبعدُها عن التقيد بالمراسم والطقوس، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية،** وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وحضَّهم على اتباع القواعد الصحية، وحرَّر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام، ومن الظلم والقسوة، وحسَّن أحوال الأرقاء، وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة، وأوجد بين المسلمين .درجةً من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أي بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض. ولقد علَّم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة، ويتحملوا قيودها، بلا شكوى ولا ملل، وبعثهم في الوقت نفسه إلى التوسع توسعاً كان أعجب ما شهده التاريخ كله. وقد عرَّف (القرآن) الدينَ، **وحدَّده تحديداً لا يجد المسيحيُّ ولا اليهوديُّ الصحيحُ العقيدة ما يمنعُه من قبوله**)[1].

وبعد هذا البيان المفحم هل يحتاج المستشرق الحاقد "جولد تزيهر" إلى بيان؟! [2].

(١) المصدر السابق، (ص/ ٤٤٩٨).

(٢) للتوسع انظر:

=

• **وتقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري"**: (يوجِّه الإسلام إلى الفرد دعوة مزدوجة: أن يؤمن بأن لا إله إلا الله، وبأن محمداً رسول الله. ولقد دعا الرسول العربي، بصوت ملهَم باتصال عميق بربه دعا عبدةَ الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرَّفتين إلى أصفى عقيدة توحيدية. وارتضى أن يخوض صراعاً مكشوفاً مع بعض نزاعات البشر الرجعية التي تقود المرء إلى أن يُشرك بالخالق آلهة أخرى. . ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [سورة الإخلاص].

ولم يلجأ الرسول لكي يقود الناس إلى الإيمان بإله واحد، إلى استهوائهم بروايات عن أحداث تنحرف عن سبيل الطبيعة السَّويِّ... ولم يكرههم على التزام السكينة باصطناع التهديدات السماوية التي لا تؤدي إلا إلى تعطيل قدرة الإنسان على التفكير. بل لقد دعاهم ببساطة، ومن غير أن يكلفهم الابتعاد عن عالم الحقيقة، إلى التفكير في الكون وسننه. وإذ كان واثقاً من أن كل عاقل لابدَّ أن يؤمن آخر الأمر بالإله الواحد الواجب الوجود فقد اكتفى بدعوة الناس إلى أن يقرؤوا كتاب الحياة. وينص كل من محمد عبده وأمير علي على أن محمداً كان يكتفي بمخاطبة ضمير الفرد ذاته، وعقل الإنسان الحدسي. ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا

- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي.
- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض..

يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [سورة البقرة]...

لقد حُررت الروح من الهوى، وأُطلقت إرادة الإنسان من القيود التي طالما أبقته موثقاً إلى إرادة أُناس آخرين، أو إلى إرادة قوى أخرى يدعونها خفيَّة. لقد هوى الكهان وحفظة الألغاز المقدسة الزائفون، وسماسرة الخلاص، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان، والذين اعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين. نقول لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم. إن الإنسان أمسى خادم الله وحده، ولم تعد تشده إلى الآخرين من الناس غير التزامات الإنسان الحر نحو الإنسان الحر. وبينما قاسى الناس فيما مضى مظالم الفروق الاجتماعية أعلن الإسلام المساواة بين البشر)[1].

وتقول "فاغليري" أيضاً: (وبينما نجد جميع الأديان الأخرى تقدم إلى أبنائها حملاً ثقيلاً من العقائد التي لا يستطيعون حملها وفهمها، **نرى الإسلام ذا سهولة معجزة، وبساطة نقية كالبلّور. وكان ذلك سبباً آخر أيضاً في انتشاره السريع** إبَّان الفتوح الأولى بين أناس غرقوا في اضطراب روحي عميق بسبب الغموض الذي يكتنف بعض معتقداتهم الدينية. وهو أيضاً السبب في

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٤٣ وما بعدها).

انتشاره الموصول اليوم بين الشعوب غير المتحضرة في آسية وإفريقية، **لأن الإسلام قادر على النفاذ إلى أعماق نفوسهم، من غير ما لجوء إلى شروح مطوَّلة أو عظات معقدة**)[1].

المبحث الثالث: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصِّرين في السيرة النبوية.

المطلب الأول: أهدافهم وأساليبهم في كتابة السيرة النبوية.

- عمل المستشرقون على تحريف وتشويه السيرة النبوية على نطاق واسع، بقصد صد الناس في العالم الغربي عن الدخول في الإسلام، وتشويه سيرة النبي ﷺ بنظر المسلمين، من أجل إضعاف التزامهم بالإسلام، وصرفهم باتجاه الثقافة الغربية ثم تغريبهم فكراً وسلوكاً واعتقاداً.
- وقد حرَّف المستشرقون السيرة النبوية بأسلوبين:

الأسلوب الأول: العداء السافر الذي لا يخفي أسلوبه ولا مقاصده.

الأسلوب الثاني: وهو الأخطر، والذي يتجلى بأعمال ظاهرها الحيادية، والتزام المنهج العلمي في البحث، مهما كانت نتائجه.. ويتعمدون ذكر بعض الإيجابيات عن النبي ﷺ والإسلام، حتى يكتسبوا ثقة القارئ، كما يتعمدون دس الأفكار السامة بهدوء حتى لا تشكل صدمة لدى القارئ المسلم فينفر عن البحث، وهم بذلك يشوهون الحقائق ويفترون الكذب على النبي ﷺ

(١) المصدر السابق، (ص/٦٠ وما بعدها).

وعلى الإسلام، ويخرج القارئ الغافل غير المتخصص بقناعة بما قالوا، ويتبنى أفكارهم الضالة من حيث لا يشعر، بل يمنحهم الإعجاب بما كتبوا، والثناء على ما أنجزوا!.

- ومن المستشرقين باحثون منصفون وهم الأقل، لا يقصدون الإساءة ، ومع ذلك تجد في أبحاثهم إساءات غير مقصودة، ناتجة عن قصور فهمهم باللغة العربية، أو اعتمادهم على مصادر غير موثقة، أو بسبب ضعف بضاعتهم العلمية .

- لذا علينا أن نحذر من قراءة كتب المستشرقين من أي صنف كانوا، إلا بعد تحقيقها وتوثيقها من قِبل الباحثين المسلمين المتخصصين ليبيِّنوا الصحيح من السقيم[1].

تنبيه

إن ترجمة كتب المستشرقين إلى اللغة العربية ونشرها من دون تحقيق ولا توثيق خطأ فادح يتحمل أضراره ومفاسده الناشرون، ويجعلهم شركاء للمستشرقين بترويج الإساءات والمطاعن بالرسول ﷺ ورسالته، كما يجعلنا ننظر بالشك والريبة لأهدافهم ومقاصدهم.

(١) لقد أعجبني العمل المتميز الذي قام به الناقد والباحث والمحقق المتخصص في علوم السيرة النبوية، الأستاذ الدكتور عبد المتعال محمد الجبري، في نقد وتحقيق كتاب المستشرق الفرنسي "م.سفارى" الذي نشره بعنوان "مختصر حياة محمد" فقد بيَّن فيه الصحيح، ونبَّه إلى السقيم المفترى، وردَّ عليه رداً علمياً موثقاً..
وهذا ما يجب عمله إزاء كل كتاب للمستشرقين يُراد نشره.. فجزاه الله تعالى خيراً عن دينه ونبيه ﷺ.

● ويستخدم المستشرقون المعادون أساليب نفسية للتأثير على القارئ، فترى كتاباتهم تعجُّ بالشواهد من الروايات الواهية التي يبحثون عنها في مصادر غير معتمدة[1]، لتخدم أهدافهم في الدسِّ والافتراء والتشويه ويوهمون القارئ أن أبحاثهم موضوعية خاضعة لقواعد البحث العلمي الدقيق، ليصدق ما قالوا ويقتنع بأفكارهم المسمومة.

وفي الوقت نفسه، يتجاهلون المصادر الموثوقة، ويبتعدون عن الروايات الصحيحة والقوية لأنها لا تخدم أغراضهم، كما يضخمون بعض الأمور، ويفترون أموراً لا أصل لها، ويقدمون تأويلات بعيدة عن الواقع.

● ونتيجة لذلك نجد أن دراساتهم وأبحاثهم متناقضة، فما أقرَّه أحدهم ينقضه الآخر، وما قوَّاه الآخر يوهنه من يأتي بعده. فكانت دراساتهم خليطاً متناقضاً لا يستطيع إثبات شيء.

لذلك فإنه من المفيد عدم الاعتماد على مصدر واحد مما كتبوه، بل يجب الاعتماد على كل ما كتبوه في أي اختصاص، ثم إجراء دراسة مقارنة فيما كتبوه، فينقض بعضهم أفكار بعضهم الآخر، وتنهار أهدافهم، وتشرق حقائق الإسلام واضحة مقنعة.

(١) يعتمدون على كتاب الأغاني للأصفهاني، ومغازي الواقدي، وكتب الأشعار.. كما يبحثون في بعض المصادر عن الروايات الإسرائيلية والموضوعة والواهية ويجعلونها الحق الذي لا ريب فيه.

المطلب الثاني : نماذج من افتراءاتهم وأضاليلهم.

١- نماذج من الافتراءات والأضاليل في كتاب "مختصر حياة محمد" للمستشرق الفرنسي "م.سفاري":[(١)]

- **لا يعترف بنبوة سيدنا محمد ﷺ.**

يقول: (ولد محمد -الذي يلقبه المسلمون بالرسول والنبي تمجيداً وتعظيماً-)[(٢)]. هكذا: ليس ولد محمد الرسول وإنما محمد الذي يلقبه المسلمون بالرسول؟!.

ويصفه في موقع آخر من كتابه بـ (الرئيس الديني الماهر) [(٣)].

- **يطعن في إسماعيل عليه السلام.**

يقول: (وبعد أن طُرِدَ أبو العرب من منزل أبيه (أي إبراهيم) جاء ليستعمر مكة مع أمه هاجر)[(٤)].

فقد أظهر إسماعيلَ منبوذاً ومطروداً من أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام؟!!.. رغم أن هذا المستشرق الحاقد قد ترجم القرآن الكريم إلى اللغة

(١) سنعتمد على كتاب: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، نقد وتصحيح وتصويب د.عبد المتعال محمد الجبري، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة – الإسكندرية، الطبعة الأولى [١٩٩٤م].

(٢) المصدر السابق، (ص/١٩).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٠٢).

(٤) المصدر السابق، (ص/٢٠).

الفرنسية ، ورأى أن القرآن يدحض ما يدَّعيه، فقد أصرَّ على إظهار حقده لأنه ينكر صحة القرآن، ويريد إقناع القارئ بطريقة خفية بعدم صحته.

- **يعتمد الروايات الواهية في إرهاصات ولادة النبي ﷺ.**

فيروجها على أنها مسلمات لا تقبل الشك ولا النقض، ثم لا يلبث أن يغمز من عقلية الذين يؤمنون بها بطريقة غير مباشرة.

ومن هذه الإرهاصات التي ذكرها: (زلزل قصر كسرى زلزالاً شديداً وسقط أربعة من أبراجه، وخمدت النار المقدسة في بلاد فارس.. وجفَّت بحيرة ساوه فجأة) [(١)].

وهذه أخبار واهية لا أصل لها، نقلها عن مصادر ضعيفة التوثيق[(٢)].

- **لا يصف "م.سفاري" النبي ﷺ بالنبوة والرسالة، بل يصفه بمشرِّع الجزيرة العربية.**

ويهدف من ذلك نفي عالمية الإسلام، وهو بهذا يزدري عقول قارئيه لاسيما وأنه جعل بحثه هذا عن حياة النبي ﷺ مقدمة لترجمة "للقرآن الكريم" الذي ينص على نحو واضح أن الإسلام رسالة عالمية.

(١) المصدر السابق، (ص/٢٣).

(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان – الأردن، الطبعة الأولى، (ص/١٤).

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [سورة الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨]

ثم يصف النبي ﷺ بأنه يعمل على (إرساء أسس مجده المستقبل) أي أن النبي ﷺ كان يبحث عن الزعامة، ويذكر أن الجزيرة العربية (زخرت باليهود والنصارى) ويؤكد أن النبي درس (عقائدهم) وجمع معها معرفته بثقافة وتاريخ بلاده[1].

ويريد بهذا الإيحاء بأن الجزيرة العربية كانت تعجُّ باليهود والنصارى، وأن محمداً وقف في وجه النصرانية واليهودية، ومنعهما من الانتشار، بل إنه أدخل اليهود والنصارى في دينه الجديد.

وهذه فكرة التقطها من مصادر الاستشراق القديمة التي كانت تصوِّر النبي ﷺ بأنه العدو الأول للنصرانية، لأنه أحبط آمالها في السيطرة على العالم، وقد اتُّخِذت هذه الفكرة ذريعة من جملة الذرائع المحرضة على الحروب الصليبية.

- **يدَّعي "م.سفاري" أن محمداً ﷺ أنشأ الإسلام من عنده وقام بتأليف القرآن.**

يقول: (هكذا كان حال الشرق حينما فكَّر محمد في إنشاء الإسلام. فأراد

(١)السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، د.عبد المتعال الجبري، (ص/٤٣).

محمد أن يظهر أمام أمته وبيده كتاب إلهي، فعكف على نظم القرآن)[1].

وقد قدمنا رداً واسعاً على هذه الأكاذيب في هذا الكتاب.

- **يدَّعي "م.سفاري" أن النبيَّ ﷺ استمال العرب بجمال أسلوب القرآن بدلاً من إقناعهم بالحجة والبرهان** [2].

مع العلم بأن من أهم ميزات القرآن الكريم اشتماله على أساليب رائعة في الإقناع بالحجة والبرهان.

ومن هذه الأساليب:

- أسلوب الإقناع عن طريق الاستقراء والاستنتاج.
- أسلوب الإقناع عن طريق الحوار.
- أسلوب الإقناع عن طريق ضرب الأمثال.
- أسلوب الإقناع عن طريق القصة[3].
- أسلوب الإقناع عن طريق المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن[4].

وانظر إلى هذه الآيات الكريمة التي تدحض افتراءاته:

(١) المصدر السابق، (ص/٤٣).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٣).

(٣) انظر: أساليب الدعوة والتربية، في كتاب مبادئ في الفكر التربوي ، للمؤلف.

(٤) انظر: طريقة الدعوة بالمناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

يقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النمل].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة سبأ].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة يونس].

- **يؤكد مرة تلو مرة أن محمداً ﷺ مشرِّع الجزيرة، وليس بنبي!.**

فهو الذي اختار وقت إعلان بعثته، أي أنه ليس بمرسل من الله تعالى، وأنه انعزل في غار حراء لأجل هذا وفي صحبته بعض الخدم! [1] وكأن غار

(١) السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، (ص/٦٩).

حراء يتسع للخدم، ولكن من فرط جهله وحقده لم يتحقق أن غار حراء كهف لا يتسع لأكثر من شخص واحد، أرضه تراب وصخر، وسقفه وجدرانه من الصخر..وهو معزول بين الجبال، ليس حوله أسواقٌ ولا آبارٌ ولا ثمارٌ فبمَ يخدم الخدَّام؟!.

- **يدَّعي أن للنبي ﷺ قصراً على جبل الصفا**[1]!. والحقائق التاريخية الموثقة تثبت كذب ذلك.

كما يدَّعي أن حصار النبي وبني هاشم من قِبل قريش كان في قصر أبي طالب[2]!!..فمن فرط جهله لم يفرق بين شِعب الجبال وبين القصر؟!.

ثم يعود فيجعل للنبي ﷺ قصراً في العقبة[3] يقابل فيه النبي ﷺ الذين بايعوه بيعة العقبة الأولى.

- **يكرر أن القرآن من صناعة النبي ﷺ.**

يقول: (أنزل –يقصد النبي ﷺ- من السماء الأمر بقتال الوثنيين، والالتزام بالدفاع عن شخصه حتى الموت)[4].

(١) المصدر السابق، (ص/٨٣).
(٢) المصدر السابق، (ص/٨٦).
(٣) المصدر السابق، (ص/١٠٠).
(٤) المصدر السابق، (ص/١٠٩).

ويقول: (ونشطت قريش في إيذائه...وكانوا يسبونه... وناصبوه العداء في كل مكان، فاشتكى محمد في القرآن من ذلك بهذه الكلمات ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة العلق])

وهكذا يصوِّر ويوحي للناس بأن القرآن من صناعة النبي ﷺ وقد قدمنا رداً موثقاً على هذه الفرية.

٢ – نماذج من الافتراءات والأضاليل في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في مدينة لايدن في هولندا [(١)].

تكمن خطورة هذه الموسوعة في أنها أهم مرجع معتمد للدارسين في العالم عن المواضيع المتعلقة بالإسلام عامة، وبالنبي ﷺ خاصة.

ومن الطعون والتشكيك الواردة في الموسوعة عن السيرة:

- إضفاء الغموض على طفولة النبي ﷺ، والتقليل من شرف نسبه، وإثارة الشكوك حول اسمه، وإنكار الروايات الصحيحة المتواترة الثابتة حول الأحداث التي جرت في طفولته وشبابه، وخاصة ما يتعلق بنسبه الشريف كما ورد في صحيحي البخاري ومسلم [(٢)].

(١) سنعتمد على كتيب "السيرة النبوية ..دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن"، تأليف: الدكتور أحمد أبو زيد، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دار التقريب في بيروت، الطبعة الأولى [٢٠٠٤م].

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٩وما بعدها).

● تنفي الموسوعة ما عُرف عن النبي ﷺ من صفتي الصدق والأمانة، حيث زعم المستشرق الكاتب في الموسوعة أن الأمين هو اسمه الأول وليس صفته، ودليله في ذلك أن لفظ الأمين يلتقي في الاشتقاق الصرفي مع لفظ "آمنة" اسم أُمِّه [1].

فتأمل!. وإن شئت أن تضحك فلك ذلك، أمام هذا الدليل السخيف الذي يدعي بأنه علمي!.

● ويدَّعي الكاتب في الموسوعة أن النبي ﷺ تأثَّر بالوثنية الجاهلية.

ودليله على ذلك أنه زوَّج ابنتيه لابني عمه أبي لهب، وأنه سمَّى أحد أولاده عبد مناف، وهو اسم وثني [2].

فأما تزويج بناته ﷺ فكان قبل بعثته، ولو كان متأثراً بالوثنية لما طُلِّقتا بسبب محاربته لآلهة قريش وأوثانهم، فقد كان يعيب آلهتهم ويزدريها وهذا سبب طلاقهما.

وأما أنه سمَّى أحد أولاده عبد مناف فهذا كذب صراح، لأنك لو فتشت في كتب السيرة والتاريخ وجميع المصادر التي لها علاقة بهذا الموضوع لما وجدت ولداً للنبي ﷺ باسم عبد مناف، فمن أين اختلق الكاتب هذه الكذبة؟!.

● يُنكر المستشرقون الوحي، ويقولون بأن الوحي الذي تحدث عنه محمد

(١) المصدر السابق، (ص/٤٨).

(٢) المصدر السابق، (ص/٥٨وما بعدها).

إنما هو إلهام كان يفيض من نفسه ووجدانه نتيجة التأمل والتفكير الطويل!.

إن ظاهرة الوحي أعيت المستشرقين، فلم يستطيعوا خلال قرنين إعطاءَ تفسير لها، وظلوا يتخبطون في تفاهاتهم، لعدم اعترافهم بنبوة محمد ﷺ[1]. مع العلم بأنهم يؤمنون بالكتاب المقدس الذي يتحدث عن نزول الوحي على أنبيائهم، وتغافلوا عن أدلة قاطعة وردت في صحيحي البخاري ومسلم تؤكد نزول الوحي على النبي ﷺ في غار حراء.

- يدعي الكاتب أن سبب الهجرة إلى الحبشة هو وقوع انقسامات داخل الجماعة المسلمة، وليس اضطهاد قريش للنبي ﷺ وأصحابه، أو أن الهجرة كانت لأغراض تجارية!.

وهذا هراء وتهافت لا دليل له في أي مصدر موثوق[2].

- وإذا كان المستشرق "م.سفاري" جعل الحصار في قصر عبد المطلب كما مرَّ معنا، فإن الكاتب في الموسوعة قد تناقض معه وأنكر الحصار والمقاطعة وقال إنه لا دليل على ذلك![3].

وقد تغافل عن الروايات المتواترة الثابتة في صحيحي البخاري ومسلم التي تحدثت عن وقوع الحصار والمقاطعة، ثم تفاصيل إلغائها.

---

(١)المصدر السابق، (ص/٦٩).

(٢) المصدر السابق، (ص/٩٠وما بعدها).

(٣) المصدر السابق، (ص/٩٣).

- وينكر الكاتب في الموسوعة أن الإيمان هو الدافع الحقيقي لأهل المدينة لقبول دعوة الإسلام، واحتضان النبي ﷺ، وحمايته من أعدائه.. ويقرر أن الدافع كان سياسياً دنيوياً صرفاً، يتجلى في كسب زعيم سياسي قادر على إصلاح أحوالهم.

حقيقة

لا أدري كيف سيواجه هذا الكاتب آلاف الأدلة الموثقة التي تحدثت عن إيمان الأنصار العميق بالرسالة والرسول ﷺ، وجعلوا من أنفسهم وأموالهم وكل ما يملكون فداءً للنبي ﷺ وإيماناً به وبرسالته!!.

وهكذا يعمل المستشرقون على تشويه سيرة النبي ﷺ ورسالته الإسلامية ويناقضون الحقائق، ويكذبون ولا يخجلون، كل ذلك بهدف إضعاف انتشار الرسالة الإسلامية، ومع ذلك فقد مُنُوا بفشلٍ ذريعٍ ، فما زال الإسلام يتقدم وينتشر ويدخل فيه الغربيون أفواجاً[1].

(١) للتوسع انظر:
- الاستشراق في السيرة االنبوية، عبد الله محمد أمين النعيم.
- السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، د. عبد المتعال الجبري.
- المستشرقون والسيرة النبوية، د. عماد الدين خليل.
- الإسلام في تصورات الغرب، د. محمود حمدي زقزوق.

المبحث الرابع: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصِّرين في الحديث النبوي.

- عمل المستشرقون على الافتراء والطعن والتشويه في الحديث النبوي كما كان ديدنهم مع القرآن الكريم، لتشكيك المسلمين في إسلامهم ومصادر تشريعهم.

واستخدموا الأساليب نفسها من ادعاء الموضوعية والبحث العلمي المجرد ليسهل عليهم تضليل الناس عن حقائق الإسلام.

خطورة

إن خطورة هدم مكانة الحديث النبوي في التشريع الإسلامي، تلي خطورة هدم مكانة القرآن الكريم في التشريع؛ لأن جميع العقائد والتشريعات والأنظمة التربوية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية في الإسلام تستند إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشارح للقرآن والمفصِّل لأحكامه.

لقد تأكد التيار الغربي الاستعماري الاستشراقي التنصيري المعادي للإسلام، أنه لا سبيل للسيطرة على المسلمين إلا بهدم أُسس الإسلام، الذي هو سر قوتهم في الوقوف في وجه مخططاتهم..

المطلب الأول: أهم الأعمال في الهجوم على الحديث النبوي:

- بدأها المستشرق اليهودي "**إينياس جولد تزيهر**" اليهودي المجري، الذي أصدر كتاباً بعنوان "دراسات إسلامية" عام /١٨٩٠م/ طعن فيه بالحديث النبوي وشكك بصحته!.وقد أصبح كتابه "إنجيلاً مقدساً" يهتدي به المستشرقون من بعده.

● ثم جاء من بعده المستشرق الألماني "**جوزيف شاخت**" الذي أصدر كتابين أشد خطراً من الكتاب السابق، وكان الأول بعنوان "أصول الشريعة المحمدية" والثاني بعنوان "مدخل إلى الفقه الإسلامي" وزعم كاذباً أنه ليس هناك حديث واحد صحيح، وخاصة الأحاديث الفقهية، وأنها حسب زعمه كلام العلماء المسلمين في القرنين الثاني والثالث الهجريين!(١).

● كما قام "**كيتاني**" بتأليف كتاب بعنوان "حوليات الإسلام" وزعم فيه أنه لا يمكن الاعتماد على أي رواية (لأننا لا نستطيع أن نجد تقريباً أي شيء صحيح حول محمد)(٢).

● وأما الأب "**لامانس**" فكان أشدهم عداوة للإسلام، الذي طعن في صحة الحديث ودلالاته التشريعية، ونشر آراءه المعادية في أهم مراجع دائرة الاستشراق ، ومن أشهرها دائرة المعارف الإسلامية التي أوكل إليه كتابة مادة (حديث) فيها(٣).

المطلب الثاني: رد مختصر على الافتراءات:

● **(لقد عمل الغرب المستعمر منذ وقت مبكر على إلغاء الشريعة الإسلامية أولاً، ثم التشكيك في مصادرها، والطعن في صلاحيتها ثانياً،** حتى لا يفكر المسلمون في العودة إليها يوماً ما؛ لأنه أدرك جيداً أن هذه

(١) المستشرقون والحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين، دار النفائس، عمان – الأردن، دار الفجر، كوالامبور–ماليزية، الطبعة الأولى [١٩٩٠م]، (ص/١٩وما بعدها).

(٢) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٣٢٩).

(٣) المصدر السابق، (ص/٣٣١).

الشريعة والتمسك بها جعلت المسلمين ينقلون رسالة الإسلام إلى مختلف البلدان، وأن التمسك بالقرآن والحديث جعلهم أقوياء أعزاء وأوصلهم إلى أواسط أوروبا بعد اقتحام قلاع أعداء الرسالة الإسلامية الخالدة، **فأصبح من اللازم لدى المستعمرين محاربة الحديث، إذ بإبعاده والتشكيك في مكانته في التشريع يصبح التشكيك في القرآن، وتعطيله أو تعطيل أجزاء كثيرة منه عن العمل أمراً ميسوراً. فعمل الاستعمار من جهة على إيجاد طبقة أنكرت جزءاً من الحديث النبوي مبتدئة بإنكار أحاديث الجهاد بالسيف، ثم انتهت بإنكار الأحاديث النبوية بكاملها**، والمتنبئ الكذاب "مرزا غلام أحمد القادياني"، قائد هذا الاتجاه في الهند، بينما تزعم "توفيق صدقي" هذا الاتجاه في مصر.

ولم يترك عملية الطعن في الحديث النبوي لهؤلاء المفتونين بالحضارة الغربية وعلمائها ولا للمنهزمين فكرياً ونفسياً فحسب، بل جهز الغرب كذلك جحافل من المستشرقين ويسَّر لهم الإمكانات المادية، وسهَّل لهم سبيل البحث، وأقام حولهم هالة من القداسة فأصبحوا رواد الغزو بالهجوم على الحديث وغيره من علوم المسلمين، **وهكذا أصبحت الحرب ضد الحديث النبوي الشريف حرباً مستعرة في الداخل والخارج.**

وطالما بذل المغرضون جهوداً، وكتبوا كتباً ومقالات للتشكيك في الحديث والطعن في صحته متذرعين بحجج واهية وأدلة تافهة، من هذه الأدلة الواهية أن الحديث قد دخله الوضع والتدليس فأصبح مشكوكاً فيه فلا يوثق به لأنه

لا يعرف صحيحه من عليله، يريدون بذلك النتيجة التي تقول: ما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال.

لكننا لم نسلم لهؤلاء بمقدمات دليلهم الوهمي لأن الحديث رغم دخول الوضع عليه والتدليس فيه، واعتراء الإرسال أو الانقطاع لأسانيد بعضه، فإن الكثير منه سالم من هذه العلل وغيرها إذ لم يبق شيء منه خافياً على علماء الحديث ونقاده الذين بحثوا عنه وخبروه، فغربلوه ونخبوه، فشخَّصوا الموضوع، وكشفوا عن المدلس، وأشاروا إلى موضع الإرسال فيه أو الانقطاع، وبذلك خلَّصوا الحديث من كل شائبة تشوبه بما وضعوا من موازين لتقييم رجاله وتمييز وتبيين أحوالهم من عدالة وضبط وحفظ وغير ذلك مما هو معلوم في علوم الحديث وفنونه. فبتلك الجهود ظلَّ الحديث نقياً صافياً كما روي عن صاحبه ﷺ.

فالطريقة التي سلكها العلماء في التثبت من صحة الحديث سنداً ومتناً، وما ابتدعوا لأجل ذلك من علوم كعلم أصول الحديث وعلم الجرح والتعديل، وغيرهما من العلوم طريقة أشاد بها كثير من الغربيين في تحقيق الرواية أمثال: "باسورث سميث" عضو كلية التثليث في أكسفورد، و"كارليل"، و"برناردشو"، ود."سبرنكركان".

فقد أعلن هؤلاء إعجابَهم بالطريقة التي تمَّ بها جمع الأحاديث النبوية، وبالعلم الخاص بذلك عند المسلمين وهو علم الجرح والتعديل.

فهذه الطريقة التي سلكوها في هذا الصدد تدفع كافة الشبهات وتدحض كل الحجج التي يحاول أصحابها عبثاً النيل من الحديث النبوي، والتقليل من دوره في التشريع)[1].

- **ولقد ظهر لدى المسلمين اتجاهان في موضوع تدوين الحديث ثم إصداره في كتب متخصصة:**

الاتجاه الأول: كان عاماً في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وكان يدعو لعدم كتابة وتدوين الحديث، بقصد حماية القرآن الكريم من أن يدخل فيه ماليس منه[2]، وإن كان التحقيق يؤكد تدوين وكتابة بعض الأحاديث في هذا العصر، ولكن ليس على نطاق واسع.[3] ومثال ذلك: الصحيفة الصحيحة التي كتب فيها همام بن منبه عدداً كبيراً من أحاديث رسول الله ﷺ نقلها عن أبي هريرة رضي الله عنه[4].

الاتجاه الثاني: وبعد أن تم جمع القرآن الكريم في مصحف، وتمَّ توزيعه على الأمصار، في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه زال الخوف المانع من تدوين

(١) المستشرقون والحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين، (ص/٢٩ومابعدها).

(٢) انظر: علوم الحديث ومصطلحه، د.صبحي الصالح، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، [١٩٦٦م]. (ص/١٨وما بعدها).

(٣) انظر: دراسات في الحديث النبوي، د.مصطفى الأعظمي، طبعة جامعة الرياض.

(٤) انظر: السنة قبل التدوين، د.محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٨٠م]، (ص/٣٥٥وما بعدها).

الحديث واختلاطه مع القرآن، فظهر اتجاه يدعو إلى التوسع في تدوين الحديث، وإصداره في كتب متخصصة، لاسيما في نهاية القرن الهجري الأول، على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز [1]، وكان أول من دونه وفق منهج متخصص الإمام محمد بن مسلم الزهري[2] الذي يعد أول من وضع حجر الأساس في تدوين الأحاديث النبوية في كتب خاصة، ثم توسع التدوين في القرن الثاني الهجري، وكان الدافع لذلك حرص أهل العلم على الحفاظ على الحديث وحمايته من الدس عليه بالوضع[3].

ثم جاء القرن الثالث الهجري العصر الذهبي لتدوين الحديث، حيث ظهر في هذا القرن كتب الصحاح والمسانيد والسنن المشهورة..

- **ولقد استغل المستشرقون وجود هذين الاتجاهين في تدوين وكتابة الحديث، ليطعنوا في صحته ويشككوا فيه.**

فقد زعم "جولد تزيهر" اليهودي أنه بين علماء المسلمين حزبان اتخذ كلٌّ منهما الأحاديث النبوية (سلاحاً للدفاع عن رأيه ومعتقده ودفع خصمه وهذان الحزبان هما أهل الرأي وأهل الحديث، فقال: إن أهل الرأي كانوا

(١) انظر: الإمام الزهري وأثره في السنة، د.حارث سليمان الضاري، مطابع جامعة الموصل، [١٩٨٥م]، (ص/٢٩٠وما بعدها).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت، [١٩٧٨م](١/٩١وما بعدها).

(٣) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د.مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، [١٩٧٨م]، (ص/١٣٠).

يعتمدون على العقول، وأهملوا دور الحديث بحجة أن الحديث لم يدوَّن دهراً طويلاً فغابت معالمه وتشتت أمره، لذا أيدوا رأيهم بأحاديث اختلقوها تمنع كتابة الحديث. وبالمقابل، فإن أهل الحديث لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام خصومهم واختلاقهم الأحاديث التي تفيد نهي الكتابة، بل أقدموا على وضع واختلاق أحاديث تؤيد موقفهم المتمثل في إباحة الكتابة)[1].

وقال أيضاً: (في الواقع سرعان ما أسند كل رأي وكل حزب وكل ممثل مذهب ما يدعيه إلى حديث للنبي رغم التباين التام في آرائهم، وهذا في ميدان الشعائر والمذاهب والفقه، وحتى في مجال الصراع السياسي)[2].

وهكذا نسب إلى أئمة المسلمين اختلاق الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ بسبب جهله لواقع علماء الأمة وأمانتهم وورعهم فضلاً عن أن يكذبوا على رسول الله ﷺ، بل هم الأئمة الأعلام الذين محَّصوا الأحاديث ونقوها من كل حديث مدسوس، أو موضوع، ووضعوا قواعد الجرح والتعديل، ومصطلح الحديث، وتراجم الرجال، وفن التخريج، وعلم نقد الحديث، التي لا مثيل لها عند كل الأمم الأخرى، وهي علوم تمحِّص الحديث الصحيح من غيره بدقة تفوق التصور، وتبين درجة الحديث وحكم العمل به.

ومن فرط جهل "جولد تزيهر" أنه عمم بأن أهل الرأي لم يجيزوا كتابة الحديث وأن أهل الحديث أجازوا كتابته، والحقيقة أن في أهل الرأي من أجاز

(١) انظر: المستشرقون والحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين، (ص/٧١وما بعدها).
(٢) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٣٢١).

ومن لم يُجِزْ وكذلك في أهل الحديث!. ونتيجة لذلك فقد سقط زعمه فيما زعم وافترى.. وباءت جهوده في التشكيك في صحة الحديث النبوي بالفشل، وذلك لأنه في سبيل تحقيق أهدافه لا يراعي أُصول البحث وقواعده وما تقتضيه الأمانة العلمية.

- وانظر إلى الخرافات التي قالها المستشرق "كولسون" بقصد التشكيك بصحة الحديث النبوي، وأن النبي ﷺ لم يقل هذه الأحاديث، ولكن أهل الحديث نسبوا إلى رسول الله ﷺ كثيراً من القواعد والأحكام ، وذلك نتيجة اعتقادهم الجازم أن النبي ﷺ كان سيقضي بالأحكام التي نسبوها إليه حتماً فيما لو واجهته المشاكل التي وقعت[1].

هل هذا بحثٌ علميٌّ أم بحثٌ تخريفي تخمينيٌّ؟!.

أين الأمانة العلمية؟!.

كيف تنسجم التخيلات مع البحث الموضوعي العلمي؟!.

ما هو الدليل العلمي على صحة هذا التخريف؟!.

كيف تتهم علماء الحديث بالكذب على رسول الله ﷺ بهذه الطريقة التخريفية المضحكة؟!. والتي لو استخدمناها لاستطعنا الطعن والتشكيك في موثوقية أي نص من جميع كتب الأديان وكتب التاريخ وكتب العلوم الأخرى، فلا يبقى شيء يتسم بالموثوقية؟!.

(١) انظر: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (١/٢٢٩وما بعدها).

المطلب الثالث: افتراءات وردود:

- **وزعم المستشرقون أن علماء المسلمين اعتنوا بنقد ودراسة سند الحديث وأهملوا نقد متنه!.**

وقد تبنى هذه الفكرة "جولد تزيهر" ، و"لامانس"، و"دي بور" و"سورديل"، و"مون غرونباوم"، وآخرون.. [1]

واتهم المستشرق "كايتاني" في كتابه الحوليات الإسلامية علماء الحديث، بقوله: (كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد مجدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه) بل اتهمهم بأنهم لا يجرؤون على نقد المتن إذ يرونه عملاً وقحاً كبير الخطر على الكيان الإسلامي)[2].

وإن دلَّ هذا الزعم على شيء، فإنه يدل على جهل المستشرقين أو تجاهلهم لحقائق علوم الحديث النبوي عند المسلمين، ليحققوا غاياتهم بطعن الإسلام والتشكيك بمصادره التشريعية.

ومن المعلوم لدى المبتدئين أن علماء الحديث يقولون بأن علم الحديث علمان: علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية.

فأما موضوع علم الحديث دراية فهو الراوي والمروي من حيث القبول والرد ودراسة الراوي تعني دراسة السند، ودراسة المروي تعني المتن.

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، د.الخضر شايب، (ص/٣٣٣وما بعدها).
(٢) المستشرقون في الحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين، (ص/١٢٩وما بعدها).

فعلم الحديث إذن يعتني بدراسة المتن كما يعتني بدراسة السند على حدٍ سواء وليس كما يزعم المستشرقون.

وهناك قاعدة مشهورة عند علماء الحديث تقول:(إنه لا تلازم بين السند والمتن) إذ قد يصح السند أو يحسن لاستجماع شروطه دون المتن لشذوذ أو علة، وقد لا يصح السند ويصح المتن من طريق آخر.

وقد وضع علماء الحديث قواعد وضوابط لنقد المتن، لتمييز الحديث الصحيح عن غيره، وكشف الأحاديث المكذوبة واستبعادها، وقد بلغت عند بعض علماء الحديث أربعين ضابطاً[1].

- **وانظر إلى خيانة وتخريفات وأكاذيب "جولد تزيهر"** وطعنه في رواة الحديث بقصد التشكيك في الحديث النبوي الذي يعدُّ المصدر الثاني للتشريع الإسلامي..

(فمن ذلك قوله: ...ويقول وكيع عن زياد بن عبد الله البكَّائي: إنه كان مع شرفه في الحديث كذوباً، ...يريد جولد تزيهر أن يقول: إن زياد البكائي كان كذوباً، مع علو منزلته في الحديث، وذلك بشهادة (وكيع) أحد أعمدة الجرح والتعديل، فإذا كان مثل زياد (البكائي) كذوباً فأيُّ ثقة بالحديث والسنة؟!.

فلننظر أصل النص وكيف حرفه جولد تزيهر!.

(١) انظر: الوضع في الحديث،د.عمر فلاته، مكتبة الغزالي – دمشق، [١٩٨١م]. (ص/٧١وما بعدها).

جاء في التاريخ الكبير للإمام البخاري: "وقال عقبة الدوسي عن وكيع: وهو (أي زياد بن عبد الله البكائي" أشرف من أن يكذب" أ.هـ.

هذا هو النص كما ترى ينفي عن زياد الكذب أشد النفي وأبلغه، فهو "أشرف من أن يكذب" أي أنه أبعد من الكذب بسجيته وفطرته، وطبعه وسمو نفسه، فلو كان الكذب حلالاً غير منهي عنه شرعاً ما كذب. كما روي عن بعضهم، "لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك" مبالغة في بُعد الخيانة عن طبعه، ومجافاتها لشيمه.

ومع وضوح هذا النص يحرفه هذا المستشرق إلى: أنه كان مع شرفه في الحديث كذوباً)[1].

سؤال

هل من الأمانة العلمية والبحث الموضوعي أن يكذب الباحث ويحرف الكلام عن موضعه ؟!!..

هل التزم المستشرقون المعادون الإسلام بالأمانة العلمية الواجبة على كل باحث؟!!

أم أن الكذب كان ديدنهم بقصد هدم أُسس التشريع الإسلامي لتدمير تطلعات المسلمين نحو بناء مجتمعاتهم على أُسس إسلامية ربانية؟!!

(١) المستشرقون والتراث، د.عبد العظيم الديب، (ص/٢٨). وللتوسع انظر:
- دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين والكتاب المعاصرين، د. محمد أبو شهبة.
- المستشرقون والحديث النبوي، د.محمد بهاء الدين.
- بحوث في الاستشراق واللغة، أ.د. إسماعيل أحمد عمايرة.
دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض.

المبحث الخامس: الرد على التشكيك في إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الأول: من إعجاز القرآن الكريم:

أ- إخباره عن أمور علمية كونية غيبية غير معروفة في عصر النبوة في أي دين أو ثقافة في جميع أنحاء العالم، ثم تم اكتشاف هذه الحقائق العلمية والتأكد منها، بعد أزمنة طويلة من نزول القرآن الكريم.

ب- إخباره عن أمور غيبية ستقع في المستقبل، وقد وقعت كما أخبر تماماً.

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف عرف النبي ﷺ هذه الحقائق؟!.

والجواب هو أحد هذه الحلول الثلاثة التالية:

١- أن يكون مصدر المعلومات النبي ﷺ من نفسه.

٢- أن يكون مصدر المعلومات جهة بشرية تم النقل عنها.

٣- أن يكون مصدر المعلومات إلهي.

وبالتحقيق نجد:

١- معنى أن يكون مصدر المعلومات النبي ﷺ من نفسه يعني أن النبي ﷺ يملك قوى إلهية خارقة للطبيعة تفوق طاقة البشر، بحيث يتأتى له علم الغيب وما يجري في الأفلاك والأكوان، ويعلم الظاهر والباطن!.وهذا غير ممكن وغير صحيح؛ لأن النبي ﷺ أكد على نحو قاطع أنه لا يعلم الغيب وأنه بشر يُوحى إليه.

٢- ومعنى أن يكون مصدر المعلومات جهة بشرية تمَّ النقل عنها فهذا يعني أن هذه المعلومات كانت متوافرة في مصادر معاصرة للنبي ﷺ.

٣- وإذا كان الحل الأول والثاني مستحيلين، فلم يبقَ إلا الحل الثالث.

حقيقة

من المؤكد على نحو قطعي أنه لا يوجد أي مصدر لهذه المعلومات في أي ثقافة في ذلك الزمان.. وإذا لم يُسلِّم المستشرقون بهذا فعليهم أن يثبتوا العكس ولن يستطيعوا.

وهذا يؤكد الحقائق التالية:

١- إن مصدر القرآن الكريم هو من عند الله تعالى بلا ريب ولا شك، كما أخبر النبي ﷺ.

٢- إن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه بالقرآن الكريم.

٣- إن محمداً ﷺ رسول الله إلى الناس كافة.

٤- إن الإسلام هو الرسالة الإسلامية الإلهية الخاتمة للرسالات كافة.

٥- إن الله تعالى حفظ القرآن فلا تناقض ولا نقص ولا تحريف فيه، وهو المصدر التشريعي الأول في الإسلام.

٦- إن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه بالسنة الشريفة الصحيحة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [سورة النجم]

وهي المصدر التشريعي الثاني في الإسلام.

حقيقة

هذه الحقائق اليقينية أفشلت جميع جهود المستشرقين المعادين للإسلام للتشكيك بالرسالة والرسول ﷺ، ولذلك اتجه المستشرقون المعادون لنقض أساسها، أي محاولة نقض الإعجاز في القرآن الكريم والتشكيك فيه.

المطلب الثاني: التشكيك في الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم:

- شكك المستشرقون في إعجاز القرآن الكريم بإخباره عن أمور غيبية ستقع في المستقبل.. ومنها: الإخبار إن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين.
- فقد جعل "**ديورانت**" قدرات النبي ﷺ الفذَّة، وعبقريته السياسية أساس تنبوئه بانتصار الروم على الفرس!.
- وناقض "**غرونباوم**" ديورانت في تعليله، ونفى أن تكون عبقرية النبي السياسية أساس نبوءته، بل فسَّر أن ذلك جاء تعبيراً عن انحيازه للروم [(١)].
- أما "**جولد تزيهر**" فقال: (وإنما يريد محمد أن يعبر بوجه عام عن أمله في تقلب الحظ، فالروم الآن مغلوبون، ولن يمضي وقت طويل حتى يصيروا غالبين، هذه سُنَّة التاريخ المتقلبة الأطوار) [(٢)].
- أما "**بلاشير**" فقد ناقضهما معاً، وادَّعى أن النص القرآني موجه لبعث الأمل في المسلمين بعد هزيمتهم في مؤته سنة /٦٢٩م/. والوثائق والنصوص المصورة تثبت أن نزول الآية كان عام /٦١٥م/ أي قبل هذا التاريخ الذي حدده بلاشير، وهكذا يسقط ادعاؤه وينهار أمام الحقيقة. [(٣)]

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٥٥٥).
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تزيهر، (ص/٣٠ وما بعدها).
(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٥٥٦).

المطلب الثالث: الرد على الافتراءات والتشكيك:

- الحقيقة أن غلبة الفرس على الروم حصلت في عام /٦١٥م/ بعد معارك عدَّة ابتدأت عام /٦٠٤م/. وإن غلبة الروم على الفرس حصلت عام /٦٣٠م/ بعد معارك عدَّة ابتدأت عام /٦٢٤م/.

وهذا مطابق لما أخبرت به الآيات ، فالله تعالى لم يقل: إن الروم سيحققون انتصارهم (بعد) بضع سنين، بل قال: (في) بضع سنين.

ومعلوم يقيناً أن ذلك حصل بين ثلاث وتسع سنوات[1].أي في بضع سنين..

- **وقد عجز المستشرقون عن تبرير أخبار أخرى من غيب المستقبل ذُكرت في القرآن الكريم، ومنها:**

* إخبار الله تعالى بأن الكافرين سيغلبون، وينتهي سلطانهم على يد المسلمين، وقد تحقق ما أخبر به تماماً.. يقول الله تعالى﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

وقد ذُكر أنها نزلت في حق يهود المدينة[2]، وقد غُلبوا وانتهى سلطانهم في المدينة تماماً.

* دخول المسجد الحرام. يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ

(١) انظر: المصدر السابق، (ص/٥٥٩وما بعدها).

(٢) انظر: تفسير الرازي (٢٠٢/٧)، والقرطبي (٣٧/٥)، وابن كثير(٢٣/٣).

وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الفتح].

فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير عام الحديبية، وأن رؤياه حقٌّ وصدقٌ، وأن محمداً رسوله ﷺ الذي أرسله بالهداية، وأن دينه دين الحق، وأنه سيظهره على الدين كله، والله شهيد على وعده، وقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وتحقق ما وعد، وقد دخلوا المسجد الحرام آمنين في العام التالي لصلح الحديبية، وكان ذلك في عمرة القضاء سنة سبع للهجرة..

إن تَحَقُّق ما وعد الله به رسوله ﷺ أنه سيحصل، هو من دلائل وإعجاز النبوة؛ لأنها إخبار عن غيب في المستقبل قد تحقق.

* إخبار القرآن الكريم بأن المشركين سيهزمون في أول معركة قادمة وقد هزموا:

عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: (قالوا :– أي المشركون – "نحن جميع منتصر" فنزلت: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ " [سورة القمر])[1].

قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : (كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين)[2].

فهذه الآية مكية، والمسلمون في حالة ضعف في مكة، وكانت القوة

(١) لباب النقول، للسيوطي (ص/١٩٤).
(٢) تفسير القرطبي، (١٠٤/٢٠).

والمنعة والكثرة لقريش وحلفائها من المشركين، وكانوا يتبجّحون بأن جمعهم سينتصر على النبي ﷺ ومن معه من المسلمين، فيقضون على دعوته في مهدها، ولكن الله تعالى أخبرهم بما لا يمكن تصديقه في وقت نزول هذه الآية، وهو أنهم سيهزمون ويولون الأدبار وسينتصر النبي ﷺ عليهم، و قد تحقق هذا في أول معركة بينهم وبين النبي ﷺ في بدر وبعد سبع سنوات من هذا الإخبار الغيبي عن المستقبل .

وهذا كله دليل على صدق الرسالة والرسول ﷺ.

وهناك أخبار أخرى ذكرت في القرآن الكريم ستحدث في المستقبل وقد حدثت كما أخبر.

المطلب الرابع: انهزام المستشرقين أمام الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

وانهزم المستشرقون المعادون هزيمة نكراء أمام الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، فتعمَّدوا عدم إظهاره في أبحاثهم، وقصدوا التغافل عنه

- **ليتهربوا من الاعتراف بالحقائق التالية:**

١- التهرب من الاعتراف بحقيقة أن القرآن الكريم من عند الله تعالى.

٢- التهرب من الاعتراف بصدق نبوة الرسول ﷺ.

٣- التهرب من الاعتراف بنزول الوحي على النبي ﷺ.

٤- التهرب من الاعتراف بأن الرسالة الإسلامية عالمية وأنها خاتمة الرسالات.

.

حقيقة

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كان يحرج المستشرقين أيما إحراج، ويُخيفُهم لأنهم يعلمون أنه سيحبط جميع أفكارهم ومخططاتهم، ويجعلها تنهار أمام قدرته على إثبات ما كانوا يتهربون من الاعتراف به، من أن القرآن هو الوحي الصادق الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وهو لاريب فيه ولاشك..

إضاءة

يعلم المستشرقون أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو الأعظم جاذبية والأكثر إقناعاً للغربيين بربانية القرآن وصدق نبوة محمد ﷺ وبعظمة الإسلام كونه ديناً منزلاً من عند الله تعالى، لا يتناقض مع العلم، ويتوافق مع العقل، ويجمع بين المادية والروحانية، وفيه كل ما يحتاجه الإنسان لبناء حضارة إنسانية أخلاقية تحفظ حقوق الإنسان.. وكان الإعجاز العلمي في القرآن الكريم السبب في إسلام العديد من الغربيين، واقتناعهم بعظمته.

- وقد أخضع المفكر الفرنسي "**موريس بوكاي**" التوراة والإنجيل والقرآن لدراسة علمية دقيقة في ضوء المعارف العلمية الحديثة، وقرر رفض قبول صحة أي نص وارد في الكتب المقدسة الثلاثة، إذا تعارض مع ما هو ثابت يقيناً في العلم الحديث.

وقد خَلُصَ في بحثه على مدى سنوات عدة إلى ما يلي:

١- يذكر القرآن الكريم وقائع ذات صفة علمية، وهي وقائع كثيرة جداً، خلافاً لقلتها في التوراة والإنجيل.

٢- لا تتناقض أي واقعة ذات صفة علمية ذكرت في القرآن الكريم مع حقائق العلم الحديث[١].

٣- تتناقض الوقائع العلمية المذكورة في التوراة والإنجيل مع حقائق العلم الحديث.

٤- يتجاهل بعض المفسرين للتوراة والإنجيل التناقضات والتعارضات مع الحقائق العلمية الحديثة الواردة فيهما، ويستترون على ذلك بأساليب بهلوانية جدلية [٢] لا تحل المشكلة بل تزيدها تعقيداً.

٥- إثبات أن القرآن الكريم وحيٌ منزلٌ لاشك فيه، ولا ارتياب في نصوصه.

٦- نصوص القرآن الكريم لا دخل ليد البشر فيها [٣].

٧- الحقائق العلمية المذكورة في القرآن الكريم، يستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها [٤].

٨- إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع الروايات المماثلة في القرآن،

(١) انظر: دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د.موريس بوكاي، (ص/١١وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/١٣وما بعدها).
(٣) المصدر السابق، (ص/٢٧٧).
(٤) المصدر السابق، (ص/٢٨٥).

تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً، وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعارف العلمية الحديثة.

٩- إن الفروق الشديدة بين روايتي الخلق والطوفان في التوراة والقرآن تدحض كل ادعاء عن تأليف القرآن اعتماداً على نصوص التوراة والإنجيل.

١٠- القرآن وحي من الله تعالى، وصحته أمر لا يمكن الشك فيه. [١] [٢]

حقيقة

إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم هزم المستشرقين، وقوّض دعائم عدوانهم، وجعله ينهار على نحو شامل.

(١) المصدر السابق، (ص/٢٨٦).

(٢) للتوسع انظر:

- المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين بني عامر.
- نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب.
- دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د.موريس بوكاي.
- نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم الحاج.

المبحث السادس: الرد على شبهة أن تعدد القراءات في القرآن الكريم دليل على أن القرآن الكريم ليس وحياً من عند الله تعالى

المطلب الأول: ادعاء المستشرقين الحاقدين:

- يتبنى المستشرق اليهودي الحاقد "جولد تزيهر" هذه الفرية، ويريد إثبات أن القراءات ليست وحياً، وإنما نتجت عن توهم علماء المسلمين، واختلاط القراءة عليهم، لأن القرآن لم يكن منقوطاً ولا مشكولاً في بداية تدوينه.

يقول: (وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي،الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة، فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حال تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة وبهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أوتحريكه)[1] .

- ويضرب "جولد تزيهر" الأمثلة:

(١) انظر: مذاهب التفسير الإسلامي، جولد تزيهر، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار اقرأ، الطبعة الثانية، (ص/٨وما بعدها).

- فمن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ [سورة الأعراف:٥٧].

زعم أن لفظ (بُشْرَاً) غير المنقوط والمشكول قرئ توهماً من العلماء: (بُشْرَاَ) أو (نُشْرَاً).

والحقيقة أن علمه بالقراءات كان محدوداً ؛ لأن القراءات الصحيحة المتواترة من هذا اللفظ أربع: (بُشْرَاً) (نُشْرَاً) (نَشْرَاً) (نُشُرَاً).

المطلب الثاني: الرد على فريتهم:

١- لو كانت القراءات تابعة للرسم ولم تكن تابعة للوحي كما يزعم، لأخذ القراء بكل قراءة يحتملها الرسم، وهذا يستدعي أن يُقرأ هذا اللفظ بعدد كبير من القراءات التي لا توجد إلا في عقله الواهم، ومن ذلك:

- (بَشْرَاً) (بِشْرَاً) (بَشِرَاً) (بَشُرَاً) (بَشَرَاً)...
- (نِشْرَاً) (نِشُرَاً) (نَشُرَاً)...
- (نِسْرَاً) (نِسُرَاً) (نَسُرَاً) (نُسْرَاً) (نَسْرَاً) (نُسُرَاً)...
- (بِسْرَاً) (بِسُرَاً) (بَسُرَاً) (بُسْرَاً) (بَسْرَاً) (بُسُرَاً)...
- (بِسْزَاً) (بِسُزَاً) (بَسُزَاً) (بُسْزَاً) (بَسْزَاً) (بُسُزَاً)...
- (نَسْزَاً) (نِسُزَاً) (نَسُزَاً) (نُسْزَاً) (نَسْزَاً) (نُسُزَاً)...
- (بَشْزَاً) (بِشْزَاً) (بَشِزَاً) (بَشُزَاً) (بَشَزَاً) (بُشَزَاً) (بُشْزَاً) (بُشُزَاً). وغير ذلك.
- وهذا وهم ليس له صلة بقراءات القرآن الكريم.
- علماً بأن لفظي (بِشْرَاً) و (بَشْرَاً) بنفس معنى (بُشْرَاً) **ولكنها ليست من القراءات.**

ولو صحَّ زعمه لاستدعى ذلك قراءة لفظ (جنة) بلا تنقيط ولا تشكيل الواردة في الآية الكريمة ﴿ ...كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ... ﴾[سورة البقرة:٢٦٥]. بالاحتمالات التالية:

(جَنَةٍ) (حَبَّةٍ) (حَيَّةٍ) (حِنَّةٍ)(خبَّةٍ)(حِتَّةٍ) (جِيَّةٍ) (جِبَّةٍ).. وغير ذلك.

وكل ما سبق وهم لا صلة له بالقرآن الكريم.. علماً بأن معنى الآية مقبول لغوياً إذا استخدمنا لفظ (حبَّةٍ) ولكنها ليست من القراءات.

٢- إن القراءات المتعددة في القرآن الكريم، ليس مصدرها النص المكتوب مطلقاً، وإنما مصدرها السماع المباشر، فقد سمعها النبي ﷺ من جبريل عليه السلام مشافهةً. وسمعها كتبة الوحي من النبي ﷺ مشافهةً، وسمعها الصحابة من النبيﷺ مشافهةً، وسمعها التابعون من كتبة الوحي وباقي الصحابة مشافهةً..

ثم انتقلت القراءات بالسماع المباشر، وكذلك باقي ألفاظ القرآن من جيل من القراء والحفاظ إلى الذين يلونهم بالسند المتصل إلى يومنا هذا..

فقُرَّاء وحُفَّاظ القرآن الكريم في عصرنا الحاضر وفي كل أنحاء العالم وهم بمئات الآلاف يقرؤون القرآن كما قرأه رسول الله ﷺ على أصحابه، وكما قرأه الوحي جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ.

فمصدر القراءات من عند الله تعالى، وليس كما يفتري "جولد تزيهر".

المطلب الثالث:افتراءات وردود:

- ويخترع "جولد تزيهر" قراءات كاذبة لا وجود لها!!.. ومن ذلك :

يستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف:٤٨]. ثم يقول: قرأ بعضهم (تستكثرون) بدلاً من (تستكبرون)!!!.

هذا كذب، فهذه قراءة مختلقة لا وجود لها في كتب القراءات، ولم يقرأها أحد من المسلمين!!.

ويستشهد بقوله تعالى: ﴿ ..فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ . ﴾ [سورة البقرة:٥٤].

ثم يقول: (أي فليقتل بعضكم بعضاً (أو بالمعنى الحرفي للنص (فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم) وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج، ...الذي هو مصدر الكلمات القرآنية وربما كان مفسرون قدماء معتدٌّ بهم (مثل قتادة البصري) قد وجدوا هذا الأمر بقتل أنفسهم أو بمقتل الآثمين منهم أمراً شديد القسوة وغير متناسب مع الخطيئة، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة (فاقتلوا) بنقطتين من الأسفل بدل التاء المثناة من الأعلى فقرؤوا: (فأقيلوا أنفسكم) بمعنى: حققوا الرجوع فيما فعلتم أي بالندم على الخطيئة المقترفة. وهذا المثال يدل فعلاً على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافاً للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم)[1] .

(١) انظر: المصدر السابق، (ص/١٠وما بعدها).

ونلاحظ في ادعائه الكاذب ما يلي:

١- يدعي أن مصدر الكلمات القرآنية سفر الخروج في العهد القديم.

٢- ينسب إلى قتادة إنه قرأ كذباً (فأقيلوا أنفسكم) بدلاً من (فاقتلوا أنفسكم) لأنه وجد القتل شديد القسوة وغير متناسب مع الخطيئة.

٣- يدَّعي أن الملاحظات الموضوعية كالتي سبقت، كان لها دور في تعدد القراءات وليس الوحي!.

الرد على هذه الافتراءات الكاذبة:

١- أما ادعاؤه أن مصدر هذه الكلمات القرآنية هو سفر الخروج في العهد القديم، فقد قدمنا رداً وافياً على ادعاء أن القرآن الكريم مصدره التوراة والإنجيل، فارجع إليه.

٢- وأما ادعاؤه أن قتادة قرأ (فأقيلوا) بدلاً من (فاقتلوا) فارجع إلى جميع التفاسير فلن تجد هذا الادعاء الكاذب.

٣- وأما ادعاؤه أن الملاحظات الموضوعية "على النص القرآني" كان لها دور في تعدد القراءات، مستنداً إلى الادعاء الكاذب المنسوب إلى قتادة، فقد سقط مع سقوط بنائه القائم على الكذب والافتراء.

٤- **في** الأساس **لا يوجد في قراءات القرآن الكريم، ما ادَّعاه مطلقاً!**، أي لم يقرأ أحد في عصر الصحابة إلى اليوم (فأقيلوا) بدلاً من (فاقتلوا)**!. فتأمل!!..** [١]

(١) للتوسع انظر:

=

الخلاصة

إن هدف المستشرقين من الادعاء بأن القراءات ليست وحياً.. هو أن يطعنوا بصحة القرآن الكريم ونقضه من أساسه..
كل ذلك تحت غطاء المنهج العلمي والبحث الموضوعي الذي يحاولون إيهام الناس به ليصدقوا أكاذيبهم وطعنهم وإفسادهم...

المبحث السابع: الرد على شبهة وجود تناقض في القرآن الكريم.

المطلب الأول: شبهات وردود:

- يقول المستشرق "لوسيان كليموفيتش": (ثم هو (أي القرآن) يناقض نفسه بنفسه سبع مرات، فيقول في مرة: إن الله خلق الإنسان من التراب وفي مرة ثانية من طين، وفي مرة ثالثة من الفخار، ورابعة من الصلصال، وخامسة من صلصال الفخار، وسادسة من حمأ مسنون، ومرة سابعة من الماء) [1]

- **والحقيقة** إنه لا يوجد ثمة تناقض مطلقاً، بل هذا من جهل المستشرقين بعلوم القرآن الكريم.

فالآيات التي أشارت بأن الله تعالى خلق الإنسان من تراب أو من طين أو من حمأ مسنون أو من صلصال كالفخار... لا تناقض فيها، فهي تشير إلى أن

- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، د. عبد الفتاح شبلي.
- الرد على المستشرق اليهودي جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية، د. محمد حسن جبل.
- المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين بني عامر

(١) انظر: الإسلام في قفص الاتهام، د.شوقي أبو خليل، (ص/٤٠ وما بعدها).

الله تعالى خلق **الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام** من تراب، **وأما الطين والحمأ المسنون والصلصال كالفخار فإنها كلها من جنس التراب وأطواره فلا تناقض.**

والله تعالى لم يقل إنه خلق الإنسان من تراب ثم من حديد ثم من فضة ثم من نيكل حتى نقول إن في القرآن تناقضاً.

وأما الآيات التي تشير إلى أن الله تعالى خلق الإنسان من ماء، فهو الماء الدافق (المني) الذي **يُخلق منه الناس بعد آدم عليه السلام.**

فأين التناقض ؟!.

إنه وهم الجهالة في عقول المستشرقين المشككين.

● **وتحدث المستشرقون عن شبهة تناقض القرآن في عدد الأيام التي خلق الله تعالى فيها السماوات والأرض**، ويشيرون في ذلك إلى ما ورد في سورة فصلت في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة فصلت].

فحسب فهمهم، تذكر هذه الآيات إن خلق السماوات والأرض

استغرق ثمانية أيام، بينما ورد في عدد كبير من الآيات الأخرى أن خلقها استغرق ستة أيام.

● والحقيقة إن آيات سورة فصلت لا تخرج عن القاعدة، فالآيات تذكر حسب قواعد اللغة العربية **أن خلق الأرض استغرق يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وقدَّر فيها أقواتها في تتمة الأيام الأربعة، ثم قضى سبع سماوات في يومين، فأصبح المجموع ستة أيام.**

يقول القرطبي: (﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ يعني في تتمة أربعة أيام. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تتمة خمسة عشر يوماً) [(١)].

وذكر الطبري في تفسيره: (خلق الأرض في يومين، ثم قال في أربعة أيام، لأنه يعني أن هذا مع الأول أربعة أيام) [(٢)].

وقال الرازي: (بمعنى تقدير الأرض في يومين، وتقدير الأقوات في يومين آخرين، كما يقول القائل: من الكوفة إلى المدينة عشرون يوماً، وإلى مكة ثلاثون يوماً. يريد أن جميع ذلك هو هذا القدر، ثم استوى إلى السماء في يومين آخرين، ومجموع ذلك ستة أيام)[(٣)].

(١) انظر: تفسير القرطبي، (٣٩٥/١٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري، (٤٣٧/٢١).
(٣) انظر: تفسير الرازي، (١٦٩/٢).

وقال أيضاً: (**السؤال الأول**: أنه تعالى ذكر أنه خلق الأرض في يومين، وذكر أنه أصلح هذه الأنواع الثلاثة في أربعة أيام أُخر، وذكر أنه خلق السموات في يومين، فيكون المجموع ثمانية أيام، لكنه ذكر في سائر الآيات أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام فلزم التناقض، واعلم أن العلماء أجابوا عنه بأن قالوا: المراد من قوله: ﴿ ..وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.. ﴾[سورة فصلت:١٠] مع اليومين الأولين، وهذا كقول القائل سرت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وسرت إلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، يريد كِلتا المسافتين، ويقول الرجل للرجل أعطيتك ألفاً في شهر وألوفاً في شهرين. فيدخل الألف في الألوف والشهر في الشهرين.

السؤال الثاني: أنه لما ذكر أنه خلق الأرض في يومين، فلو ذكر أنه خلق هذه الأنواع الثلاثة الباقية في يومين آخرين كان أبعد عن الشبهة وأبعد عن الغلط، فلِمَ ترك هذا التصريح وذكر ذلك الكلام المُجمل؟ والجواب: إن قوله ﴿ ...فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة فصلت] فيه فائدة على ما إذا قال خلقت هذه الثلاثة في يومين، وذلك لأنه لو قال خلقت هذه الأشياء في يومين لم يفد هذا الكلام كون هذين اليومين مستغرقين بتلك الأعمال لأنه قد يقال عملت هذا العمل في يومين مع أن اليومين ما كانا مستغرقين بذلك العمل، أما لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء، ثم قال بعده:

﴿ ...فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة فصلت] دل ذلك على أن هذه

الأيام الأربعة صارت مستغرقة في تلك الأعمال من غير زيادة ولا نقصان)[1].

المطلب الثاني: ادعاء تناقضات أخرى، والرد عليها:

- التناقض بين الآيتين: ﴿...لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ... ﴾ [سورة يونس:٦٤] أي إن كلام الله تعالى لا يتبدل. وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة النحل] أي إن كلام الله تعالى يتبدل.

وهنا يظهر عمق جهلهم باللغة العربية، إذ جعلوا الكلمات بمعنى الآيات؟!.

والحقيقة إن معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة يونس:٦٤] أي: لا تبديل لسنن الله تعالى وقوانينه في الكون والحياة، ولا تبديل لقضاء الله تعالى في الكائنات.

وأما معنى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ ... ﴾ [سورة النحل]

أي بدلنا حكماً مكان حكم، فرفعنا الأول وأثبتنا الثاني.

وهكذا فإن لكل آية معنى مختلفاً عن الآية الأخرى، ومن ثمَّ فلا تناقض بينهما ألبتة.

(١) انظر: تفسير الطبري، (٤٣٧/٢١).

- وتحدثوا عن التناقض بين الآيتين: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة السجدة] ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [سورة المعارج].

فحسب زعمهم أن زمن العروج في الآية الأولى ألف سنة، وأن زمن العروج في الآية الثانية خمسون ألف سنة.

وهذا تناقض؟!.

ولكنهم من فرط جهلهم بحقائق القرآن الكريم لم ينتبهوا أن العروج الأول هو عروج الأمر، بينما العروج الثاني هو عروج الملائكة، فلا تناقض إلا في أوهامهم، لعدم وجود اتحاد المقام بين العروجين.

- وتحدثوا عن التناقض بين الآيتين: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الحجر] .
- ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الرعد].

والحقيقة إنه لا تعارض بينهما، لا من قريب ولا من بعيد، لعدم وحدة الموضوع بينهما.

فالآية الأولى: إخبار من الله تعالى بأنه سيتولى حفظ القرآن الكريم من التبديل والتحريف.

أما الآية الثانية: إخبار من الله تعالى بأنه المتصرف في كل شيء، فلا مانع يمنع تصرفه، ولا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه.. فالموضوعان مختلفان، فأين التناقض؟!.

تناقض

إن التناقض في عقولهم التي أصابها مرض الحقد على الإسلام، فراحوا يبحثون على نحو محموم عن أي أمر يمكن أن يُلبسوه ثوب الشبهة ليطعنوا بالإسلام..

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[سورة التوبة].

المطلب الثالث: التناقض في ثقافاتهم وكتبهم وليس في القرآن الكريم:

- إن المستشرقين المعادين يفترون الكذب عندما يتهمون القرآن بالتناقض، وذلك ليستروا التناقضات الفاضحة في توراتهم المزيفة وكتابهم المقدس الذي يزخر بكثير من النصوص التي تتناقض مع الحقائق العلمية الحديثة. كما أن هناك نصوصاً كثيرة في الكتاب المقدس تتناقض فيما بينها على نحو فاضح [1].

- **وخذ مثالاً على ذلك:**

فقد صرَّح إنجيل متى بأن نهاية العالم سوف تحدث قبل أن يفنى ذلك الجيل

(١) انظر: كتاب دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي دار المعارف- القاهرة.
وانظر بحث حول هذا الموضوع في كتاب خصائص الرسالة الإسلامية، للمؤلف.

الذي عاصر المسيح، فيقول: (الحق أقول لكم **لا يمضي هذا الجيل** حتى يكون هذا كله. السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماوات والأرض إلا أبي وحده) [1].

والحقيقة أن هذا لم يحدث!.

هل إنجيل متى كلام الله؟!.

هل يخطئ الله في وحيه وكلامه؟!.

أم أن إنجيل متى متناقض مع الحقائق المشاهدة، وتدخلت فيه الأيدي البشرية فحرَّفت كلام الله وغيَّرته؟!.

(يقول "جون فنتون" في تفسيره لإنجيل متى: "لقد اعتقد (متى) أن العالم المعاصر (للمسيح)، والذي يمتلئ بالخطيئة والمرض والموت، سوف يأتي إلى نهايته السريعة. وأن يسوع سوف يأتي بمجد، وأن كل إنسان سيكون إما من المباركين وإما من الملعونين (٢٥:٣١). ولقد اعتقد (متى) أن هذا سوف يحدث سريعاً قبل أن يكون رسل المسيح أكملوا التبشير في كل مدن إسرائيل(١٠:٢٣)، وقبل أن يكون بعض معاصري يسوع قد ماتوا (١٦:٢٨)، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذي عاصر المسيح (٢٤:٣٤). **ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه (متى)**. ورغم أن إنجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذي ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم،

(١) انظر: إنجيل متى، (٢٤ /٣٤-٣٦).

فإننا **في الواقع نجد أن أغلب كُتَّاب العهد الجديد قد عبَّروا عن هذه العقيدة.** وفي اعتقاد كثير من العلماء، أن يسوع نفسه كان يتطلع إلى عودته سريعاً إلى الأرض بعد وفاته، في مجد وبهاء"

ولقد كان لفكرة نهاية العالم سريعاً والمجيء الثاني للمسيح، أثرها في كتابات المسيحيين الأوائل، فبرزت الدعوة إلى التسامح المثالي، والبعد عن متطلبات الحياة، والدعوة إلى إبطال الزواج وتكريس الرهبنة. **ويتفق العلماء على أن "العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص، ولو أنهم اختلفوا في أشياء كثيرة أخرى، فقد اتفقوا في أنهم يعيشون في عالم يتجه سريعاً إلى نهايته.** فهو عالم قد ينجب فيه الرجال والنساء أطفالاً لكنَّ أحداً منهم لم يتطلع إلى جيل تالٍ. إن السبب الرئيس في انعدام التفكير في الغد، هو أن ذلك الغد سوف لا يأتي، وبناء عليه كان الحض على عدم الزواج وإهمال تربية الأولاد، وفقدان روح الجماعة، وعدم الاهتمام بأمور الدنيا. إن كل هذا واضح في العهد الجديد. **ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعون النهاية الوشيكة للعالم، فإن الدراسة المتأنية للمعتقدات اليهودية التي شاعت في الفترة من عهد المكابيين (١٦٨ ق.م) حتى مطلع القرن الأول الميلادي، تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم، لكنه التوقع العام للشعب اليهودي** (وهو كما سطر لوقا: أن ملكوت الله عتيد أن يظهر في الحال ١٩:١١). إن هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام /٦٦م/، وهي

الحرب التي انتهت بانقراض ولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام /٧٠م/."

لقد سيطرت هذه الخرافة على تفكير معاصري القرن الأول الميلادي، حتى أن بولس – الذي سطر وحده أكثر من ربع صفحات العهد الجديد– كان يتوقع أن يبقى حياً إلى أن يعود المسيح، فيلاقيه مع الآخرين في الهواء!!.. فهو يقول: "إننا نقول لكم هذا بكلمة الرب، إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين؛ لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكته وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء (تسالونيكى ٤:١٥-١٧)") [(١)].

والحقيقة أن "بولس" والمؤمنين به لم يلاقوا الرب لا في الهواء ولا في الماء ولا على الأرض، لأن نهاية العالم لم تحدث في الواقع كما زعموا!.

وكانت هذه العقيدة التي تكلمت عنها أسفار العهد الجديد **خرافة** كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية.

(١) انظر: كتاب تعدد نساء الأنبياء، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٣٢ وما بعدها)، نقلاً عن كتاب: Fenton: Suint Matthew, pp.٢١-٢٢، ودائرة المعارف البريطانية (٥٢٣/٢).

المطلب الرابع: إنهم يشعرون بالحرج والحيرة أمام التناقض في كتبهم:

- **يقول البروفسور "موريس بوكاي"** في كتابه "دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة": (كثيرون من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج بل بالحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروي في كثير من الأناجيل. تلك هي الملاحظة التي يقدمها الأب روجى R.P.Roguet في كتابه الذي نشره عام /١٩٨٣م/ . "مقدمة إلى الإنجيل" "Initiation a l`Evangile". إن التجربة الثرية التي اكتسبها هذا الكتاب، **حيث إنه كان لسنوات طويلة مكلفاً بالرد في جريدة أسبوعية كاثوليكية على قراء الإنجيل الذين تحيرهم النصوص**، هذه التجربة قد سمحت له أن يدرك مدى أهمية الاضطراب الذي يشعر به قراء الأناجيل. ويلاحظ أن طلبات الشرح التي يبعث بها محدثوه، الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية شديدة التنوع، تنصبُّ على نصوص يراها القراء **"مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة"**. إذن ليس هناك شك في أن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين.)...(يبدو أن من الحكمة إذن البحث عن توضيحات في دراسة الظروف التي كتبت الأناجيل في ظلها وفي دراسة المناخ الديني الذي كان سائداً في ذلك العصر. إن توضيح التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالاعتماد على التراث الشفهي، **وتوضيح التحريفات التي حدثت للنصوص** إلى أن وصلت إلينا، كل ذلك من شأنه أن يخفف الشعور **بالدهشة أمام عبارات مبهمة**

غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل، بل تذهب في بعض الأحيان إلى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التي أثبتها اليوم التقدم العلمي. مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان في عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذي أصابها بعد ذلك)[1]

ويقول"بوكاي": (**إن التناقضات والأمور غير المعقولة والتعارضات مع معطيات العلم الحديث تتضح تماماً وظيفياً مع كل ما سبق.** ولكن دهشة المسيحيين تعظم حقاً عندما يدركون كل هذا، فقد كان الجهد عميقاً ومستمراً ذلك الذي قام به كثير من المعلقين الرسميين حتى ذلك الوقت لإخفاء ما يتضح للعين المجردة بفضل الدراسات الحديثة، ذلك الذي أخفاه هؤلاء المعلقون تحت بهلوانيات جدلية حاذقة غارقة في الرومانسية المديحية. ولقد أعطانا أمثلة شتى بهذه الحالة العقلية خاصة فيما يتعلق بنسب المسيح في إنجيل متى ولوقا المتناقضين المرفوضين علمياً)...

المطلب الخامس: القرآن صحيح ولاتناقض فيه ولايتناقض مع العلوم الحديثة:

ويشهد "موريس بوكاي" بعد التحقيق العلمي الدقيق (إن القرآن لا يطرح مشاكل تتعلق بالصحة، إن القرآن، وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية وهي السمة البارزة في مختلف

(١) انظر: دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، (ص/٦٥وما بعدها).

صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضاً –لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم– طابعه الخاص وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة. **بل أكثر من ذلك، وكما أثبتنا، يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها)**...(ولا يستطيع الإنسان تصور أن كثيراً من المقولات ذات السمة العلمية كانت من تأليف بشر، وهذا بسبب حالة المعارف في عصر محمد ﷺ. **لذا فمن المشروع تماماً أن يُنظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحي من الله، وأن تعطى له مكانة خاصة جداً حيث إن صحته أمر لا يمكن الشك فيه)**[1] [2].

المبحث الثامن: الرد على شبهة أن القرآن الكريم قد تمّ تحريفه.

المطلب الأول: إقرار الكثير من المستشرقين بأن القرآن لم يحرف:

- أقرَّ عدد كبير من المستشرقين وحتى بعض المعادين منهم على أن القرآن الكريم وصل إلى عصرنا كاملاً كما أملاه النبي ﷺ على كتبة الوحي بدون أي شك، وأنه لا يوجد في القرآن أي تحريف. ومن هؤلاء:
- "**وليم موير**" وهو من أشد المستشرقين عداوة للإسلام، وهو الذي لم

(١) المصدر السابق، (ص/٢٨٥وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر:

- دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي.
- تعدد نساء الأنبياء، أحمد عبد الوهاب.

يستطع بعد البحث والاستقصاء والتدقيق إلا أن يقر بأن كل آية من القرآن الكريم دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد ﷺ، ولا يوجد في القرآن أي تحريف.

يقول: (وصل إلينا مصحف عثمان وقد بلغت العناية بالمحافظة عليه أنَّا لا نكاد نجد –بل لا نجد– أي خلاف بين النسخ التي لا عداد لها..والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل ثلاثة عشر قرناً بنص هذا مبلغ صفائه ودقته)...(وليس في الأنباء القديمة أو الجديدة بالتصديق ما يلقي على عثمان أي شبهة بأنه قصد إلى تحريف القرآن لتأييد أغراضه) وبناءً على هذا أكد أن (النتيجة التي نستطيع الاطمئنان إلى ذكرها هي أن مصحف عثمان وزيد لم يكن دقيقاً فحسب، بل كان –كما تدل الوقائع– كاملاً وأن جامعيه لم يعتمدوا إغفال أي شيء من الوحي. **ونستطيع كذلك أن نؤكد استناداً إلى أقوى الأدلة أن كل آية من القرآن دقيقة في ضبطها كما تلاها محمد)** [1].

- ويؤكد "**هنري لاوست**" على أن القرآن لم يُحرَّف، ويقول: ((والقرآن باتفاق جميع المدارس الفقهية والفرق، وهو النص الذي جمع في عهد عثمان، والقراءات السبع المعتمدة لا يوجد بينهما إلا فروق ضئيلة...ونستطيع أن نقول –إذا علمنا حجم العداوة التي وُوْجِهَ بها الخلفاء الثلاثة من قِبل الشيعة– إن القراءات الفردية كانت ستصل إلينا، لو وجد فيها هؤلاء المنافسون دليلاً على تحريف عثمان للنص القرآني، وهو لم يحدث) [2].

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/١٠١وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/٢٩٣).

● كما أكد "**نولدكه**" و "**جولد تزيهر**" وغيرهم، على سلامة النص القرآني من التحريف.

● ويؤكد المستشرق المنصف "**موريس بوكاي**" على سلامة القرآن من أي تحريف، فيقول: (**صحة القرآن التي لا تقبل الجدل، تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد... ولم يتعرض النص القرآني لأي تحريف من يوم أُنزل على الرسول ﷺ حتى يومنا هذا**) [1].

المطلب الثاني: ادعاء بتحريف القرآن من بعض المستشرقين:

● ومع الإقرار من جهات عدة بعدم تحريف القرآن، فإن فئة من المستشرقين حاولت جاهدة الطعن في القرآن الكريم والادعاء بتحريفه.. ومن ذلك حذف سورة النورين، وآيات تتحدث عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ.

● فهذا "**بلاشير**" يثير هذه المسألة لعله يجد فيها مستنداً لتحريف القرآن، ولكنه تأسف لأنه لم يستطع ذلك. فيقول: (وفي كل الأحوال، فإن النقد الشيعي كان نتيجة لحوافز سياسية.. وأمام هذا النقد فإننا نميل إلى طلب مساعدة علم البالوغرافيا –أي علم دراسة النصوص القديمة– ليقدم لنا جواباً حول مشكلة السلامة التامة للمصحف العثماني، ولكن المصاحف القديمة ، للأسف، لا تقدم أي شهادة تدل على التحريف أو الحذف الذي أشار إليه الشيعة...وعلى العكس من ذلك فإن مقابلة أقدم المصاحف توجهنا إلى الاعتقاد بأن الشكل الذي أخذه مصحف عثمان...هو الذي

(١) انظر: دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، (ص/١٥١).

بين أيدينا) [1].

المطلب الثالث: الرد على هذه الفرية:

- ويرد على هذه الفرية بأن المصحف الذي جمعه عثمان ﷺ هو المصحف الوحيد المتداول في كل أنحاء العالم عند جميع المسلمين سُنَّةٍ وشيعةٍ منذ أكثر من /١٤٠٠/ عام.
- وهذا ما عليه عقيدة الشيعة الإمامية كما وردت في كتاب "الأم" لأبي جعفر، حيث يقول: (**إن اعتقادنا في جملة القرآن، الذي أوحى الله تعالى به إلى نبيه محمد ﷺ هو كل ما تحويه دفتا المصحف المتداول بين الناس لا أكثر**، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو /١١٤/ سورة. أما عندنا (أي الشيعة) فسورة الضحى والشرح تكونان سورة واحدة، وكذلك سورتا الفيل وقريش، وأيضاً سورتا الأنفال والتوبة. **أما من ينسب إلينا أن القرآن أكثر من ذلك فهو كاذب**) [2].
- والدليل الأهم من ذلك، ثناء سيدنا علي ﷺ على عمل عثمان ﷺ، حيث يقول: ("لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، **فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا**"، وكذلك احتكامه ﷺ إلى هذا المصحف في موقعة صفين)[3].

(١) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٢٩١وما بعدها).

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، د.محمد عبد الله الدراز، دار القلم-بيروت، الطبعة الثانية[١٩٧٢م]. (ص/٣٩)

(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٢٩٣).

المطلب الرابع: شبهات أخرى وردود:

- وهذا "**ب. كازانوفا**" يزعم في كتابه "محمد ونهاية العالم"

أن سيدنا أبا بكر ﷺ وضع آيتين في القرآن الكريم، وهما:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [سورة الزمر] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

هكذا بكل سفاهة، وبدون أي دليل يفتري هذا المستشرق هذه الكذبة ليبني على كَذِبِهِ فرية أعظم، وهي أن القرآن قد أُضيف إليه وحُذف منه، فهو محرَّف وليس له مصداقية!.

- **الرد على هذه الفرية:**

١- في مقدمة كتابه المذكور يؤكد "ب. كازانوفا" أن محمداً ﷺ كان مخلصاً محموداً ذا ذكاء عظيم، وأنه ﷺ أطلق لقب الصديق على أبي بكر ﷺ ، فكيف من يملك هذه الصفات يقوم بالتزوير والتضليل؟!.

٢- والأهم من ذلك كيف يستطيع سيدنا أبو بكر ﷺ فعل هذا، والصحابة حوله بالآلاف مطَّلعون على المصحف الذي جمعه، والآلاف منهم يحفظون القرآن حفظاً متقناً وتاماً، ولم يُروَ في جميع المصادر أن أحداً منهم تكلم بهذا؟!. أم أن الصحابة جميعهم قد اشتركوا في عملية التزوير؟!.

ألهذا الحد يستخفُّ المستشرقون الحاقدون بعقول الناس؟!. [1]

نتيجة

كل ما ذكره المستشرقون في فريتهم إن القرآن الكريم تمّ تحريفه، لا يستند إلى دليل ألبتة، وإنما جعلوا افتراءاتهم تقوم على التلفيق والاختراع، وبطريقة تستخف بعقول الناس وتزدري بأفهامهم، وتقصدوا عدم بيان الحقائق المتصلة بهذا الموضوع.

تقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري": (فإلى الكتاب العزيز الذي **لم يحرفْه قط** لا أصدقاؤه ولا أعداؤه، لا المثقفون ولا الأميون، ذلك الكتاب الذي لا يُليه الزمان، **والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمِّي** البسيط، آخر الأنبياء حَمَلة الشرائع. **إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون. حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذٍ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب.** وثمة بيِّنات قوية على أن هذه العملية قد بدأت فعلاً)[2].

(١) المصدر السابق، (ص/٢٩٣).

(٢) للتوسع انظر:

- مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله الدراز.
- دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د. موريس بوكاي.
- نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب.
- القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، د. محمد أبو ليلة.

=

المبحث التاسع: الرد على شبهة أن النبي ﷺ لم يكن يوحى إليه، وإنما كان يُصرع.

المطلب الأول: ردود على شبهة الصرع:

أترك الرد للمستشرق "**ديغويه**" الذي قال: (إن هذا الافتراض ليس صحيحاً، فحاسة الذاكرة عند المصابين بالصرع تكون معطلة، **على حين أن ذاكرة محمد ﷺ كانت في غاية الجودة كلما هبط عليه الوحي**) [1]

ويقول المستشرق "**بودلي**" في كتابه "الرسول: حياة محمد"رداً على هذه الأكاذيب: (لا يُصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد ﷺ حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وإن كان من تنتابه حالات الصرع كان يعتبر مجنوناً. **ولو كان هناك ما يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد**) [2] .

(ويقول المستشرق "**ماكس مايرهوف**" في كتابه العالم الإسلامي: " أراد بعضهم أن يرى محمداً رجلاً مصاباً بمرض عصبي أو بداء الصرع، **ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره ليس فيه شيء يدل على هذا كما أن ما**

– المستشرقون والقرآن الكريم، د. محمد أمين بني عامر..

(١) انظر: المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين بني عامر، (ص/٣١٠).

(٢) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، محمد أبو شهبة، (ص/١٠٤).

قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول") [1] .

ويقول المستشرق "**وات**": (إن محمداً قد ميَّز بين ما يوحى إليه وبين أفكاره الخاصة. وقد أكد أعداء الإسلام غالباً أن محمداً كان مصاباً بالصرع، وأن تجاربه الدينية لهذا لا قيمة لها، ولكن الأعراض الموصوفة لا تشبه أعراض الصرع، لأن هذا النقص يؤدي إلى تخاذل جسدي وعقلي **بينما ظلَّ محمد حتى آخر حياته مالكاً لقواه العقلية**) [2] .

حقيقة

لقد عاش النبي ﷺ أربعين سنة قبل البعثة بين قومه، ولم يذكر واحد منهم أن النبي ﷺ كان يُصاب بالصرع، وهم الذين كانوا يراقبون ويدققون كل شيء في حياته من لباسه إلى شعره إلى صدقه إلى أمانته اللذين اشتهر بهما في قومه.

المطلب الثاني: شبهة إنكار الوحي وردود عليها:

- يدعي "**وات**" أن أفكار النبي ﷺ لم تأت من وحي إلهي، وإنما من "خيال خلَّاق" أو "عقل خلَّاق".[3]
- وهذا المستشرق "**درمنغهام**" يدعي أن النبي ﷺ خارت قواه العقلية والعصبية والنفسية، وسيطرت عليه الخيالات والهواجس والأوهام، فتخيل أنه

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد الأمريكي، (٩٤/١).
(٢) انظر: محمد في مكة، مونتغمري وات، (ص/١٠١)
(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٤٦١).

رسولٌ من عند الله! [1].

- ويستند المستشرق "**بروكلمان**" إلى عبارات، مثل: وأغلب الظن!. ومع الأيام!.، يسأل نفسه!. وهكذا نضجت الفكرة في نفسه!. أي أنه نبي!.

يقول بروكلمان: "وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة" [2].

هل هذا بحث علمي؟!. أم رواية يخترعها الراوي؟!.

- وأما المستشرق "**الأب لامانس**" فالوحي عنده غير موجود، بل رؤى وأحلام وتملكات شيطانية![3].

١- ما الدليل على هذه الافتراءات؟!.

هل من المنطق العلمي والبحث الموضوعي، أن تروج أفكاراً ذات خطر عظيم، مستنداً إلى ادعاء سخيف: أن فلاناً تخيَّل أو توهَّم كذا؟!.

إن كان هذا منطقاً مقبولاً، إذن يستطيع كل أحد أن يتهم من يشاء بما يشاء استناداً إلى أنه تخيَّل أو توهَّم!.

٢- شهادات التاريخ:

(١) انظر: المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين بني عامر، (ص/٣١١).
(٢) انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، (ص/٣٦).
(٣) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب، (ص/٤٥٨وما بعدها).

حقيقة

إن الباحث في المصادر والمراجع التاريخية، والسيرة النبوية، وكتب السنة والشريعة.. لا يمكن أن يجد فيها أي أثر أو إشارة تشير إلى أن النبي ﷺ كانت تسيطر عليه الهواجس والخيالات والأوهام في أي مرحلة من مراحل حياته، بل كانت تشير إلى قوة عقله، وعلو حكمته، وعظمة شخصيته، ودقة تفكيره، وبلاغة أقواله..

ولكن أمراض المستشرقين وهواجسهم وتخيلاتهم المستعصية جعلتهم يفسرون الوقائع حسب أهوائهم وأوهامهم.

٣- من ينكر وحي أي نبي استناداً إلى التخيل والتوهم يمكنه تطبيق ذلك على جميع الأنبياء والمرسلين:

فإذا أنكر المستشرقون نزول الوحي على محمد ﷺ فسيستتبع ذلك بالضرورة إنكار نزول الوحي على الأنبياء الآخرين والله تعالى يرد على منكري الوحي فيقول: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [سورة النساء].

وسيؤدي هذا إلى إنكار ما جاء في توراتهم وإنجيلهم.

ألا ساء ما يحكمون!! [1].

(١) للتوسع انظر:

=

٤ – أثبتنا بالدليل القطعي أن ما ذكره القرآن من آيات تتحدث عن حقائق علمية لم تكن معروفة في عصر النبوة ولم يكتشفها العلماء إلا في العصر الحديث، يستحيل على النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرفها إلا من مصدر آخر، وكونها غير معروفة ولامذكورة في أي مصدر من مصادر الثقافات السائدة في عصره، **فلم يبق إلا مصدر وحيد ألا وهو الوحي الإلهي من الذي خلق وأبدع هذه الأكوان..**

المبحث العاشر: الرد على شبهة تعدد زوجات النبي ﷺ.

المطلب الأول: ادعاءات وأكاذيب:

يدَّعي المستشرقون الحاقدون أن محمداً كان رجلاً شهوانياً، عدَّدَ الزوجات سيراً مع هواه..

والحقيقة إن تعدد زوجات النبي ﷺ لا يمكن أن يكون إلا لأحد أمرين:

الأمر الأول: أن يكون النبي ﷺ شهوانياً (حاشاه)، كما يدَّعي الكاذبون.

الأمر الثاني: أن يكون هناك أسباب أخرى سامية، دعت النبي ﷺ لهذا التعدد.

–الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، د. محمود ماضي.
–المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين بني عامر.
–نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب..

المطلب الثاني:الرد على فرية أن النبي ﷺ كان شهوانياً:

هل كان محمد ﷺ شهوانياً حتى جمع عدداً من الزوجات؟!.

تقول الوقائع الموثقة: إن النبي ﷺ تزوج زواجه الأول من خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها– وكان عمره /٢٥/سنة، وكان عمرها /٤٠/سنة، وماتت في حياته وعمره /٥٠/ سنة، وكان عمرها /٦٥/سنة، وكانت الزوجة الوحيدة عنده حتى وفاتها.

- **وتعالوا نسأل أهل العقل والمعرفة:**

١- إذا كان الرجل شهوانياً، هل يتزوج من امرأة كبيرة في السن، تكبره بخمسة عشر عاماً وهي أرملة قد تزوجت قبله برجلين(١)، وعندها ثلاثة أولاد، يشغلون جزءاً مهماً من وقتها؟!!.. في حين أنه يستطيع أن يتزوج أحسن الفتيات شباباً وجمالاً وحسباً ونسباً، ومن أعظم البيوت زعامة وشهرة؟!.

٢- إذا كان الرجل شهوانياً، هل يكتفي بزوجة واحدة أرملة هذه سنها وهذه صفتها.؟!ثم لا يمارس الفاحشة خارج زواجه الشرعي كما يفعل الذين يتهمونه بالشهوانية.

٣- إذا كان الرجل شهوانياً، هل يعيش مع امرأة وحيدة هذه صفتها خمسة وعشرين عاماً، تمثل ذروة الطاقة الجنسية عند الإنسان كما يثبت ذلك العلماء المتخصصون؟!.

(١) أول أزواجها: أبو هالة بن زرارة، وثاني أزواجها: عتيق بن زائد، وكان رسول الله ﷺ ثالث أزواجها.

٤- إذا كان الرجل شهوانياً، هل ينتظر ليبلغ سن الشيخوخة /٥٠سنة/ كي يفكر بالتعدد؟!.

٥- إذا كان الرجل شهوانياً، وماتت زوجته العجوز، هل يحتفظ لها بودِّه ومحبته وإخلاصه، وتبقى في ذاكرته حاضرة فلا تمر مناسبة إلا يذكرها ويذكر محاسنها، ويكرم صديقاتها، ويعترف بفضلها؟!.

فمن صور وفائه ﷺ لزوجته خديجة -رضي الله عنها- ما روته السيدة عائشة -رضي الله عنها-: قالت: (كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغِرْتُ يوماً، فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها، حمراءُ الشِّدْقِ[١] قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها. قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»)[٢].

وكان رسول الله ﷺ يُصرِّحُ بحب زوجته خديجة -رضي الله عنها- (وكان ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: فأغْضَبْتُه يوماً، فقلت: خديجةَ[٣]؟ فقال: «إني رُزِقْتُ حُبَّها»)[٤].

(١) حمراء الشدق: هي العجوز التي سقطت أسنانها وظهرت حمرة لثتها.
(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٤٨٦٤] (٤١/٣٥٦)، وهو صحيح.
(٣) أي: أمَا زلتَ تكرر ذكرها.
(٤) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٤٣٥] (ص/٩٨٨).

وكان رسول الله ﷺ يكرم صديقات خديجة –رضي الله عنها– فيرسل لهن الهدايا كما ورد في الحديث السابق، وكان يستقبلهن ويهشُّ لهن.

فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: (جاءت عجوزٌ إلى النّبيّ ﷺ وهو عندي، **فقال لها رسول اللّه** ﷺ: «من أنت؟» فقالت: أنا جثامة المزنيّة، **فقال**: «بل أنت حسّانة المزنيّة، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟» قالت: بخيرٍ بأبي أنت وأمّي يا رسول اللّه، فلمّا خَرَجَت، قلتُ: يا رسول اللّه، تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ **فقال**: «إنّها كانت تأتينا زمن خديجة، وإنّ حُسن العهد من الإيمان»[1].

٦- إذا كان الرجل شهوانياً، أتخطبه النساء وتطلبه، أم يخطب النساء ويطلبهن، هل هو من خطب خديجة –رضي الله عنها– أم هي من خطبته وطلبته؟!. وهي التي رفضت الكثيرين ممن تقدموا للزواج بها بعد وفاة زوجها الثاني، وقررت التفرغ لأولادها وتجارتها؟!.

٧- كيف يتبع الناس رجلاً شهوانياً يلاحق النساء والملذات ويستغرق في متع الحياة وشهواتها، بل كيف يؤمن به عشرات الألوف ممن عاشوا معه في بلده، وخبِروه، وعرفوه عن قرب، وكانوا أعرف الناس به؟!.

٨- وحتى أهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون أنفسهم،؟ وحتى المشركون والمنافقون من أعدائه الذين يرمونه بالافتراءات والأكاذيب، ويصفونه بأنه كاهن أو شاعر أو مجنون. **لم يتجرؤوا يوماً أن يصفوه بأنه شهواني يبحث عن ملذات الحياة؛ لأنهم يعلمون بأن الناس سيكذبونهم لما**

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك" برقم (٤٠) [١/٥٧]،وهو صحيح.

يعلمون من صدقه وأمانته واستقامته وزهده وبُعده عن الدنيا وملذاتها.

سؤال

هل من المعقول أن يتبع الناس رجلاً شهوانياً يغرق في بحار المتع والشهوات والملذات، ثم يتحملون من أجله ومن أجل الإيمان به أشد أنواع التنكيل والاضطهاد والتعذيب، ويُصرون على اتباعه، وكلما اشتد التنكيل بهم اشتد تقربهم إليه واتباعهم له؟!!..لو كان النبي ﷺ شهوانياً لما اتبعه أحد، فضلاً عن أن يتحملوا كل هذا العذاب والاضطهاد من أجله، ولانفضَّ الناس من حوله، فالناس لا يتبعون ويضحون إلا مع المتصفين بأرفع الصفات الأخلاقية والسلوكية والقيمية، الذين يقودون الناس بالقدوة الحسنة قبل أن يقودوهم بسلطان الكلمة..

- **تقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري"**: (لقد أصرَّ أعداء الإسلام على تصوير محمد شخصاً شهوانياً ورجلاً مستهتراً، محاولين أن يجدوا في زواجه المتعدد شخصية ضعيفة غير متناغمة مع رسالته. إنهم يرفضون أن يأخذوا بعين الاعتبار هذه الحقيقة، وهي أنه طوال سني الشباب التي تكون فيها الغريزة الجنسية أقوى ما تكون، وعلى الرغم من أنه عاش في مجتمع كمجتمع العرب حيث كان الزواج كمؤسسة اجتماعية مفقوداً أو يكاد، وحيث كان تعدد الزوجات هو القاعدة، وحيث كان الطلاق سهلاً إلى أبعد الحدود، لم يتزوج إلا من امرأة واحدة ليس غير، هي خديجة، التي كانت سنها أعلى من سنه بكثير، وأنه ظل طوال خمس وعشرين سنة زوجَها المخلصَ المحبَّ، ولم يتزوج كرة ثانية وأكثر من مرة إلا بعد أن توفيت خديجة، وإلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره. **لقد كان لكل زواج من زوجاته سبب اجتماعي أو سياسي**، ذلك بأنه قصد من خلال النسوة اللاتي تزوجهنَّ إلى

تكريم النسوة المتصفات بالتقوى، أو إلى إنشاء علاقات زوجية مع بعض العشائر والقبائل الأخرى ابتغاء شقِّ طريق جديد لانتشار الإسلام. وباستثناء عائشة، ليس غير، **تزوج محمد من نسوة لم يكنَّ لا عذارى، ولا شابات، ولا جميلات، فهل كان ذلك شهوانية؟!**)[1].

- **الجواب والنتيجة:**

لا يوجد إنسان عاقل من أهل الخبرة والمعرفة والإنصاف يصدق تلك الكذبة التي تزدري عقول الناس وتستخف فهمهم وخبرتهم ومعرفتهم..

فلو كان النبي ﷺ يجري وراء الشهوات والاستمتاع بالنساء، لعدَّد الزوجات شاباً وليس شيخاً، ولتزوج من الشابات الأبكار الجميلات، وليس بالأرامل المُسنات.

المطلب الثالث: مناقشة أسباب التعدد:

إذا لم تكن الشهوانية هي الدافع لتعدد زوجات النبي ﷺ فما هي أسباب هذا التعدد؟!.

إنها أسباب متعددة، تنطوي جميعها تحت دوافع إنسانية وأخلاقية وقيمية وتشريعية واجتماعية وسياسية.. لقد كان الدافع لتعدد الزوجات في حياة رسول الله ﷺ وقد بلغ سن الشيخوخة، حكم جليلة، وغايات نبيلة، وأهداف سامية.

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٩٩ وما بعدها).

١- تزوج النبي ﷺ بأم المؤمنين خديجة بنت خويلد الملقبة بالطاهرة.

كانت الزوجة الأولى في حياته، وكانت أكبر سناً منه بخمس عشرة سنة، **وكانت أرملة**، تزوجت برجلين قبله، وكان عندها أولاد، واختارها النبي ﷺ زوجة له لرجاحة عقلها، وسعة حكمتها، وقوة شخصيتها، وسداد رأيها.

وكان زواجه بها قبل البعثة بخمسة عشر عاماً.. فكانت السند القوي له في دعوته وتبليغ رسالته، وهي أول من آمن به.

وعندما نزل عليه الوحي، وأخذه الروع من المفاجأة وهيبة الحدث، وقفت إلى جانبه، فشدَّت أزره، وخاطبته قائلة: (كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) (١).

وبقيت طيلة حياتها سنداً قوياً له، وخففت عنه متاعبه، وشاركته همومه، وأنجبت له ستة أولاد، فيهم ولدان من الذكور: القاسم وعبد الله، اللذين توفيا في حياته، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، مات الثلاث الأوليات في حياته، وتوفيت فاطمة بعد وفاته بستة أشهر.

وبقيت السيدة خديجة زوجته الوحيدة إلى أن توفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات من العام العاشر للبعثة.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٩٥٣](ص/٣٨٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٦٠](ص/٨٨)، واللفظ للبخاري.

وبعد أن يتبين لنا على وجه اليقين أن النبي ﷺ لم يتزوج من السيدة خديجة –رضي الله عنها– لأنه كان شهوانياً يبحث عن المتع والملذات مع النساء، يجدر بنا أن نرد على الذين كذبوا وافتروا على رسول الله ﷺ، وادَّعوا أنه تزوج بها طمعاً في مالها.

- **ولنا أن نسأل:**

– لماذا عاش النبي ﷺ أكثر حياته في كفاف وزهد، ولم تكن الدنيا تغريه، وأين ذهبت الأموال التي طمع بها؟!.

– ولماذا عندما عُرضت عليه الأموال والنساء مقابل أن يترك دعوته رفض المال والنساء وأصرَّ على تبليغ الرسالة.

– هل الرجل الشهواني الذي تَعرض له قريش ما شاء من أجمل النساء، يرفضهن جميعاً ويُعرض عنهن ويصر على التمسك بدعوته؟!.

– هل الرجل الذي يطمع بالمال، يعرض عليه ما شاء من الأموال، فيرفضها ويعرض عنها، ويتمسك برسالته؟!.

– هل الرجل الذي يطمح بالجاه والزعامة، يُعرض عليه الملك والزعامة والرياسة، مقابل أن يترك دعوته، فيرفض ويُعرض ويصر على تبليغ ونشر دعوته، ويتحمل من الأذى والعذاب والاضطهاد مع أصحابه ما لا تطيقه الجبال؟!.

– كيف يعيش من يطمع بمال خديجة بعد أن تزوجها، أياماً طويلة في غار حراء، –أحياناً عشرة أيام وأحياناً ما يقارب الشهر– وليس عنده إلا

القليل من الخبز والماء والتمر، يتأمل في ملكوت الله ويتعبد ربه ويتحنث مشغولاً بعبادته وخلوته بعيداً عن الناس وما يشغلهم من شأن الدنيا، وهو يتمتع بخلوته مع الله تعالى فتترقى روحه ويشرق قلبه بأنوار الله تعالى..

سؤال

أهذا رجل يبحث عن الشهوات والملذات ويطمع بالأموال وقد رفضها جميعاً عندما عرضت عليه؟!.

أين عقول المستشرقين المعادين؟!.

أم عميت بصيرتهم فهم لا يعقلون؟!.

٢- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين سودة بنت زمعة –رضي الله عنها–:

وكان ذلك بعد وفاة السيدة خديجة –رضي الله عنها– ، وكانت سودة أكبر سناً من النبي ﷺ، **وكانت أرملة**، توفي عنها زوجها السكران بن عمرو الأنصاري، بعد رجوعه من هجرة الحبشة الثانية، فغدت وحيدة لا مُعيل لها، وكانت لا تستطيع الرجوع إلى أهلها بعد وفاة زوجها، لأنها لو عادت إليهم لعذبوها عذاباً شديداً، بسبب خروجها عن دينهم، ولأكرهوها على الشرك، وفتنوها عن دينها وعقيدتها.

لقد تزوج النبي ﷺ بها زواجاً إنسانياً لا زواجاً شهوانياً وذلك لحمايتها من المشركين، ولو كان النبي ﷺ شهوانياً لما تزوج بها **وهي امرأة ثيب أرملة جسيمة (سمينة) ضعيفة وعمرها /٥٥/سنة، أي أنها تجاوزت سن**

اليأس، وكان عندها ولد اسمه عبد الرحمن.

كان زواجه بها ﷺ في السنة العاشرة من البعثة، قبل ثلاث سنوات من الهجرة، وعاشت معه ثلاثة عشر عاماً حتى توفاها الله تعالى.

هل هذه صفات امرأة يبحث عنها رجل شهواني؟!.

٣- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنها-:

وهي الوحيدة بين زوجات النبي ﷺ التي لم تكن أرملة، وكانت صغيرة السن.

واختلفت الروايات في سنها عند دخول النبي ﷺ بها، فبعضها ذكر أن سنها كان تسع سنوات[١]، وبعض الباحثين يرى بحسب عام وفاتها أن عمرها حين زواجها كان بين خمس عشرة إلى سبع عشرة سنة [٢].

وإذا كانت الروايات تؤكد أن الرسول ﷺ عقد عليها قبل الهجرة بثلاث سنين، وأنه دخل بها في السنة الثانية للهجرة، فهذا يعني أنه بين عقد زواجها والدخول بها خمس سنوات، ومن المؤكد أنها كانت ذات جسم ناضج ومؤهلة للزواج، ودليل ذلك أن جبير بن المطعم بن عدي تقدم لخطبة عائشة قبل النبي ﷺ.

(١) انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (٤/٦٤٤).

(٢) الصادق المهدي، من السودان.

وقد أثبت الأطباء أن بعض الفتيات ينضجن في سن مبكرة ، وخاصة في المناطق الحارة.

وكان من أهداف زواج النبي ﷺ بعائشة –رضي الله عنها– توثيق الصلة مع أبي بكر الصديق ﷺ لأهمية ذلك في تشابك روابط الحلقة القيادية الأولى حول رسول الله ﷺ، ومكافأة منه ﷺ لصاحبه الوفي الذي كان أسبق الرجال إلى الإسلام، وتحمل الأذى الشديد في الدفاع عن النبي ﷺ في وجه أعدائه وبذل كل ما يملك فداءً لرسول الله ﷺ ونصرته.. **يقول النبي** ﷺ:« إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ» (١).

٤– ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب – رضي الله عنها.

كانت أرملة استشهد زوجها "خنيس بن حذافة الأنصاري" في معركة بدر فعرضها أبوها على عثمان ﷺ بعد وفاة زوجته رقية ابنة رسول الله ﷺ، وعرضها على أبي بكر ﷺ.

فعن سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٦٥٤](ص/٦٩٨)، مسلم في "صحيحه" برقم [٢٣٨٢](ص/٩٧١)، واللفظ للبخاري.

يُحَدِّثُ أَنَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ. قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئاً، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا[1].

لقد تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية للهجرة، ولم تكن ذات جمال..

إضاءة

تزوج النبي ﷺ بحفصة للهدف نفسه الذي تزوج به عائشة –رضي الله عنها – وهو توثيق صلته ﷺ بعمر بن الخطاب ﷺ لأهمية ذلك في تشابك روابط الحلقة القيادية الأولى حول رسول الله ﷺ

ويؤكد هذا أن زواج النبي ﷺ بعائشة وحفصة كان متتالياً وقريباً..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٠٠٥](ص/٧٦٠).

وللهدف ذاته قام النبي ﷺ بتزويج عثمان ﷺ ابنتيه رقية ثم أم كلثوم بعد وفاة أختها رقية، وكذلك تزويج علي ﷺ ابنته فاطمة.

وكان من أهداف النبي ﷺ من زواجه بحفصة، مكافأة عمر بن الخطاب على وفائه للنبي ﷺ وصدق إيمانه وقوة دفاعه عنه ﷺ ضد أعدائه، وتفانيه في سبيل الإسلام.

٥- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت خزيمة (أم المساكين) -رضي الله عنها-.

وكانت أرملة عن زوجين، استشهد زوجها الثاني عبيدة بن الحارث ﷺ في المبارزة الأولى في معركة بدر الكبرى، وكانت حين استشهاده تسعف الجرحى، ولم يمنعها استشهاد زوجها عن أداء واجبها.

وقد بلغت من العمر /٦٠/سنة، ولم يبق لها من يعولها، فتزوجها النبي ﷺ تكريماً لسنها، ولجهادها، وصدق إيمانها، وقوة دفاعها عن دين الله تعالى، وكان ذلك بعد سنتين ونصف تقريباً من الهجرة.

إضاءة

ولو كان النبي شهوانياً لما تزوج بها وهي امرأة ثيب مترملة عن زوجين سابقين قد بلغت سن الشيخوخة وهي أكبر سناً من رسول الله ﷺ.

وقد توفيت بعد زواجها بثمانية أشهر تقريباً.

٦- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان -رضي الله عنها-.

وكانت أرملة، تنصَّر زوجها عبيد الله بن جحش في أرض الحبشة، ورفضت أن ترتد عن الإسلام، فبقيت وحيدة مع طفلتها، ولا تستطيع الرجوع إلى كنف أبيها أبي سفيان الذي كان من سادات قريش الذين يحاربون الله ورسوله ﷺ، خشية إجبارها على الكفر تحت وطأة التعذيب والتنكيل، فتزوج بها رسول الله ﷺ .

وقد كان لهذا الزواج أثر كبير على أبي سفيان وجذبه نحو الإيمان بعد أن أصبح بينه وبين رسول الله ﷺ مصاهرة وقربى. وقد بقيت رملة في الحبشة منذ إعلان زواجها من النبي ﷺ في العام الخامس للبعثة حتى عودتها إلى المدينة المنورة في السنة السابعة للهجرة، أي لمدة خمسة عشر عاماً، ولم ترَ زوجَها النبي ﷺ.

إضاءة

لقد كان زواجاً عجيباً، الزوج في بلد والزوجة في بلد ولم يلتقيا إلا بعد/١٥/عاماً !!..

فهل هذا زواج شهواني أم زواج سياسي، من أجل بناء أواصر القربى مع والدها أبي سفيان زعيم المشركين؟!!..

٧- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي سلمة المخزومية -رضي الله عنها-.

وكانت أرملة، استشهد زوجها عبد الله بن عبد الأسد في غزوة أُحد، وترك وراءه أربعة أيتام بلا كفيل ولا مُعيل.. فأراد رسول الله ﷺ أن يتزوج بها ويكفل أيتامها، فاعتذرت لكبَر سنها، وشدة غيرتها، وكونها أم الأيتام..

فتكفَّل رسول الله ﷺ بأيتامها، ودعا الله تعالى أن يُذهب الغيرة من قلبها، فوافقت، وكان زواجه بها في السنة الرابعة للهجرة، وكان عمر النبي ﷺ سبعاً وخمسين سنة تقريباً.

وكانت من خيرة أزواجه حصافةً، ورأياً، وحكمةً، وقد ظهرت فطنتها وحسن رأيها في صلح الحديبية، فرفع الله تعالى بها فتنة كادت تقع بين المسلمين.

سؤال

هل الرجل الشهواني يهتم بالزواج من امرأة كبيرة السن وأرملة وعندها أربعة أولاد ، في حين إنه يستطيع الزواج من أجمل النساء؟!

٨- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها-.

وكانت أرملة، تزوجها النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة وكان عمره /٥٨/سنة تقريباً، وكان زواجه بها بأمر من الله تعالى؛ ليبطل تشريع الجاهلية ببدعة التبني التي كانت جزءاً من حياة العرب وعقائدهم.

فقد كان الرجل فيهم يتبنى طفلاً، ويمنحه نسبه، ويعامله كبقية أولاده في الميراث والزواج والطلاق، ويصبح ابناً تام البنوة مثلهم.

وكان النبي ﷺ قد تبنى قبل البعثة زيد بن حارثة رضي الله عنه وكان الناس يدعونه بزيد بن محمد.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ ﴿ **ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ...** ﴾ [سورة الأحزاب:٥]

وقد تزوج زيد زينب بنت جحش ثم طلقها، فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالزواج منها إبطالاً لبدعة التبني، وخشي النبي ﷺ من المشركين والمنافقين أن يتخذوا من هذا الزواج ذريعة لمحاربته ومحاربة الإسلام، فيقولوا: تزوج محمد زوجة ابنه زيد، فأنزل الله تعالى الآيات فيها عتاب للنبي ﷺ، تقول: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

أي تخفي في نفسك هذه الخشية، وليس حبها كما يدَّعي الأفاكون..

﴿ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ وماذا أبدى الله تعالى؟!!.. أبدى ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ وأبدى أيضاً:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ... ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠].

وهكذا فإن أمر الله تعالى للنبي ﷺ بزواج زينب قد أسقط التشريع الجاهلي في التبني، وأعاد الأمور إلى نصابها الصحيح.

ولذلك كانت السيدة زينب بنت جحش تفخر على أزواج النبي ﷺ، فتقول: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ) [1].

وقد تكلم المستشرقون الأفَّاكون كثيراً حول زواج النبي ﷺ بزينب —رضي الله عنها ونسجوا القصص الكاذبة، واعتمدوا على روايات واهية لتحقيق مآربهم.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٤٢٠](ص/١٤١٤).

ولكن أليس كلام زينب في هذا الموضوع هو أصدق من قولهم، لقد زوَّجه الله إياها من فوق سبع سماوات، فكان زواجاً ليشرع الله تعالى به أمراً يتعلق بإلغاء التبني.

سؤال

إذا كانت الروايات الباطلة تزعم أن النبي ﷺ رآها فوقع في حبها!!.. أفلا يكون الرد المفحم بأنها ابنة عمته وهو يعرفها تمام المعرفة منذ طفولتها حتى صباها، وقد رآها آلاف المرات، فلماذا تظهر المسألة فجأة على أنها حب وقع في قلبه من نظرة واحدة عابرة؟.

ولماذا لم يكن هذا الحب في آلاف النظرات السابقة ولم يكن حينئذٍ حجاب؟!.

وكيف يأمر النبي ﷺ زيداً بالزواج منها، ويأمرها بالزواج من زيد وهي بكر، وهو يحبها؟!.

ثم بعد أن أصبحت ثيباً، بدأ يفكر بالزواج منها؟!.

إنها تخريفات وأضاليل المستشرقين وأكاذيبهم التي لا تنتهي لتشويه صورة وسمعة النبي ﷺ.

٩- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث -رضي الله عنها-

وكانت أرملة، قُتل زوجها مسافع بن صفوان يوم المريسيع، فوقعت أسيرة بيد المسلمين مع قومها، وكان زوجها من ألد أعداء النبي ﷺ، وكان والدها الحارث سيد بني المصطلق.

فتزوج بها النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة، وعمره /٥٨/سنة، فقال

المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا (أي أسرى لدينا) فأعتقوهم جميعاً، وكان ذلك سبباً في إسلامهم[1].

ثم دخلت قبيلة بني المصطلق بأكملها مع سيدها الحارث في الإسلام.

إضاءة

حقق النبي ﷺ بهذا الزواج المبارك ما لا تستطيع تحقيقه الجيوش، وأخرج بني المصطلق من العداوة إلى المحبة، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن جيش محارب للرسول ﷺ إلى جيش يحارب مع الرسول ﷺ.

١٠- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها.

وكانت أرملة عن زوجين، قُتل زوجها الثاني كنانة بن أبي الحقيق في غزوة خيبر، فوقعت أسيرة بيد المسلمين، وكانت سيدة بني النضير من اليهود، فقال لها رسول الله ﷺ: («اختاري فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك» فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام،

(١) انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم، رقم [٦٨٦٠](٤/١١٠).

فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي)[1].

فتزوج بها رسول الله ﷺ وكان زوجها الثالث، وكان زواجها في السنة السابعة للهجرة، وكان عمره ﷺ /٦٠/سنة تقريباً.

سؤال

هل الرجل الشهواني يتزوج بأرملة تزوجت قبله رجلين، وقد بلغ سن الشيخوخة، ولم تعد له حاجة بالنساء؟!.

١١- ثم تزوج ﷺ بأم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها.

وكانت أرملة عن زوجين، توفي عنها زوجها الأول مسعود بن عمرو بن عمر الثقفي، ثم تزوجت زواجها الثاني من أبي رهم بن عبد العُزى وتوفي عنها أيضاً.

ثم تزوج بها رسول الله ﷺ رحمة بها، وإكراماً لعشيرتها الذين آزروه ونصروه، فكان النبي ﷺ زوجها الثالث. وكان يقصد ﷺ أن يُصاهر قبيلة كنانة بزواجه منها، لاسيما أنها هي التي طلبت من أختها الكبرى لبابة بنت الحارث زوجة العباس عم النبي ﷺ نقل رغبتها بالزواج منه ﷺ عن طريق العباس رضي الله عنه.

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١١٩/١٠).

ولنا أن نسأل:

سؤال

هل الرجل الشهواني يتزوج بأرملة تزوجت قبله رجلين، وقد بلغ سن الشيخوخة، ولم تعد له حاجة بالنساء؟!!.

المطلب الرابع: أهداف زواج النبي صلى الله عليه وسلم:

- إن المتأمل لواقع زيجات النبي ﷺ يلاحظ أنها زيجات لأهداف متعددة:

١- زواج لأهداف تشريعية:

إن زواجه ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش، وكانت أرملة كان زواجاً تشريعياً الغاية منه إبطال تشريع التبني الذي تمسَّك به العرب في الجاهلية، وأعاد الأمور إلى نصابها، فالبنوة لا تكون إلا للأولاد الذين ولدوا من أم وأب.

٢- زواج لأهداف سياسية:

إن زواجه ﷺ من أم المؤمنين جويرية ابنة زعيم بني المصطلق، وصفية ابنة زعيم بني النضير، وأم حبيبة ابنة زعيم قريش، وكلهن أرامل، كان زواجاً ذا أهداف سياسية، لإقامة أواصر المصاهرة التي تقرب أقوامهم إلى رسول الله ﷺ، وتدفعهم إلى اعتناق الإسلام، أو تخفف عداوة أعدائه منهم، إن مصاهرة النبي ﷺ لبطون العشائر والقبائل ربطت بينها برباط وثيق، وجعلت القلوب تلتف حول الرسول ﷺ وحول دعوته.

٣- زواج لأهداف قيادية:

إن زواجه ﷺ من أم المؤمنين عائشة -وكانت بكراً-، وأم المؤمنين حفصة -وكانت أرملة-، **كان زواجا تتجلى فيه عبقرية القائد لتوثيق الصلة مع قيادات الحلقة الأولى التي تلتف حوله،** واعترافاً منهم بجميلهم ونصرتهم وتضحياتهم في سبيل الإسلام. وينطبق هذا الهدف على تزويجه ﷺ لعثمان وعلي رضي الله عنهما ببناته، **إنه زواج ذو أبعاد حركية قيادية.**

٤- زواج لأهداف إنسانية:

كان ﷺ بعد الغزوات يتزوج بنساء الشهداء ويضمهم إلى نسائه ويتكفل بهم وبأولادهم وهذا ما فعله مع:

- السيدة حفصة التي استشهد زوجها في معركة بدر.
- السيدة زينب بنت خزيمة التي استشهد زوجها في معركة بدر.
- السيدة أم سلمة التي استشهد زوجها في معركة أحد.

فهو زواج يفيض بالمشاعر الإنسانية والعطف على الأرامل والأولاد الأيتام لرعايتهم والتكفل بهم.

٥- زواج بهدف الحماية من التعذيب أو القتل:

اهتم رسول الله ﷺ بالمهاجرات إلى الحبشة، فتزوج بمن مات عنها زوجها، وتكفل بها وبأولادها، وحماها من التنكيل والتعذيب وإجبارها على العودة إلى الشرك، وقد حصل هذا الزواج مع السيدة سودة بنت زمعة التي مات عنها زوجها، والسيدة أم حبيبة التي تنصَّر زوجها في الحبشة ورفضت أن ترتد عن الإسلام.

فهو زواج كفالة وحماية.

المطلب الخامس: خلاصة إجمالية:

ويجد المتفحص لهذه الزيجات مايلي:

١- **جميع زوجات النبي ﷺ كن أرامل** باستثناء السيدة عائشة –رضي الله عنها- **وكان أكثرهن كبيرات في السن،** كالسيدة خديجة التي تكبره بخمس عشرة سنة، والسيدة سودة التي كانت تكبره بست سنوات، والسيدة زينب بنت خزيمة التي كانت تكبره بأكثر من عشر سنوات، والسيدة أم سلمة التي اعتذرت في البداية عن الزواج بالنبي ﷺ لكبَر سنها، وكذلك السيدة أم حبيبة –رضي الله عنها-.

٢- وكان من زوجاته ﷺ **أرامل ذوات أولاد،** فالسيدة خديجة كان عندها ثلاثة أولاد، والسيدة سودة كان عندها ولد واحد، والسيدة أم سلمة كان عندها أربعة أولاد.

٣- وكان من زوجاته ﷺ من **ترمَّلت عن زوجين،** وكان رسول الله ﷺ الزوج الثالث. كالسيدة خديجة، وصفية، وميمونة –رضي الله عنهنَّ-.

٤- وكان أكثر زيجاته ﷺ تنطلق من أهداف إنسانية ودعوية الغرض منها كفالة من مات عنها زوجها ولم يبق معيل لها، ثم استثمار هذا الزواج دعوياً.

٥- وكان أغرب زواج له ﷺ، زواجه من السيدة أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان، فقد تزوجها وهي مهاجرة في أرض الحبشة في السنة الخامسة للبعثة، ولم تلتحق بالنبي ﷺ إلا بعد خمسة عشر عاماً في السنة السابعة للهجرة، أي قبل وفاته ﷺ بثلاث سنوات، وقد بلغ الستين من عمره.

- **ولنا أن نسأل:**

١- أيعقل أن رجلاً شهوانياً يعزف عن الزواج من أجمل الشابات الأبكار، وقد عرضت عليه قريش ذلك؟!. ثم يتزوج بمن لا تُشتَهى، يتزوج بالأرامل وأُمهات الأولاد، وممن هنَّ أكبر منه سناً، وممن تزوجت بأكثر من رجل، وممن لا يجتمع بها إلا بعد مرور خمسة عشر عاماً، كما بينا في هذه الإحصائية الإجمالية؟!.

٢- أي حياة ترف وبذخ وملذات كان النبي ﷺ غارقاً فيها كما يدَّعي المستشرقون المعادون؟!.

أيرفض الرياسة والملك والأموال التي عرضتها قريش عليه، ثم يطلب الأموال ليستمتع بملذات الحياة المختلفة!.. وأين هذه المتع والملذات وحياة الملوك التي عاشها النبي ﷺ كما يدَّعون؟!.

حقيقة

إن المتأمل المتفحص لحياة النبي ﷺ يدرك أنه أمام إنسان زاهد في الدنيا ونعيمها وملذاتها، ولو شاء لعاش حياة الملوك، ولبنى القصور الفارهة الممتلئة بأجنحة الحريم.

المطلب السادس: حال النبي ﷺ مع ربه جل وعز:

● كان رسول الله ﷺ يمضي ليله بالعبادة والبكاء بين يدي خالقه ومولاه... فعن عطاء قال : "دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة- رضي الله عنها – ... قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال: فسكتت، ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي **قال**: « يا عائشةُ ذريني أتعبّدُ الليلةَ لربي » قلت: والله إني لأحبّ قربك، وأحب ما سَرَّك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حِجْرَه. قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض، فجاء بلال يُؤذِنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدّم وما تأخّر؟ **قال**:« أفلا أكونُ عبداً شكوراً لقد نزلت عليّ الليلةَ آيةٌ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّرْ فيها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [سورة آل عمران]»[1]

حقيقة

لقد سيطر مقام العبودية عليه، فكان يجد من السعادة في وصال مولاه، وحضور قلبه معه، واستمطار تجلياته ونفحاته. ما لا يجده في قرب أزواجه أو أي شيء آخر.

هل الرجل الغارق في متع الحياة يترك زوجته الشابة التي تهواه، ويتعبد طيلة الليل حتى تتورم قدماه، ويبكي حتى يتبلل موضع سجوده؟!.

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه " برقم [٦٢٠] (٣٨٦/٢)، وهو صحيح.

المطلب السابع: حال النبي ﷺ في حياته ومعاشه:

- **وكان النبي ﷺ متقشفاً في حياته، ولو شاء لعاش حياة الملوك.**

تقول السيدة عائشة –رضي الله عنها–: (ما شبع آل محمد ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض) (١).

وقالت: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ) (٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ : «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلَالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»(٣).

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتِي: (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ قَالَتْ الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ

(١) أخرجه البخاري برقم [٥٣٧٤](ص/١٠٦٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم [٣٠٩٧](ص/٥٩٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٩٧٣](ص/١١٩٢)، وهو متفق عليه.

(٣) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٤٧٢] (ص/٤٠٣)، وهو صحيح.

وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا)[1].

عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: (مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ[2] قَطُّ وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ[3] قَطُّ قِيلَ لِقَتَادَةَ فَعَلَامَ كَانُوا يَأْكُلُونَ قَالَ عَلَى السُّفَرِ)[4].

وعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: (كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أُدْمٍ[5] وَحَشْوُهُ مِنْ لِيف)[6].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً. **فَقَالَ**: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ» [7].

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ) [8].

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٥٦٧](ص/٤٨٦).
(٢) سُكْرُجَةٍ :إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم
(٣) خِوان: أي المائدة.
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٣٨٦](ص/١٠٦٦).
(٥) الأُدْم: أي من الجلد المدبوغ.
(٦) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٤٥٦](ص/١٢٤٠).
(٧) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [٢٣٧٧] (ص/٣٨٩)، وهو صحيح.
(٨) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٩١٦](ص/٥٦٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٦٠٣](ص/٦٥٤)، واللفظ للبخاري.

عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: (أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنْ الدَّقَلِ[1] مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ)[2].

عَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: (أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، فَقَالَتْ: قُبِضَ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَيْنِ)[3].

عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ **قَالَ**: «اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ»[4].

هكذا كان همه ﷺ الدار الآخرة، وليس لقلبه ونفسه تعلق بالدنيا ومتعها ومظاهرها..

وكانت زوجاته يشتكين من شظف العيش..

حيث كان لكل زوجة غرفة واحدة تستقل بها، فاجتمعن على مطالبته بتحسين مستوى المعيشة عوضاً عن حياة التقشف والزهد الغالبة على حياتهن.. فهجر رسول الله ﷺ زوجاته جميعاً شهراً كاملاً، ثم خيَّرهن بين رفاهية الحياة الدنيا وزينتها أو بين رسول الله ﷺ والدار الآخرة والاجتهاد في خدمة دين الله تعالى. فإن اخترن الحياة الدنيا وزينتها طلقهن جميعاً.. ونزلت الآيات تنبههن

(١) الدقل: التمر الرديء.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٩٧٧](ص/١١٩٤).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٨١٨](ص/١١٣٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٠٨٠](ص/٨٦٣).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٤١٣](ص/١٢٣٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٨٠٥](ص/٧٥١)، واللفظ للبخاري.

وتحذرهن وتخيرهن..

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الأحزاب].

فاخترن الله تعالى ورسوله ﷺ والدار الآخرة والصبر على شظف العيش وتحمُّل صعوباته.

حقيقة

لقد عاش النبي ﷺ مجاهداً من أجل نشر رسالته، وتحمل المشاق، وصبر على صعوبات الحياة، ورضي بالقليل من المتاح من شأن الدنيا، وكان زاهداً فيها، ورغب في حياة التواضع، يعيش مع أصحابه، يجاهد معهم، ويجوع معهم، ويأكل معهم..

- **وكان رسول الله ﷺ متواضعاً لايبحث عن رياسة أو زعامة..**

وكان رسول الله ﷺ يخاطب الناس **فيقول**: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد، فإنما أنا عبد»[1].

ولما خُيِّر ﷺ بين أن يكون ملكاً نبياً، أو عبداً رسولاً، اختار ﷺ مقام العبودية على الملك. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: (جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٣١٩/١)، وقال المناوي: إسناده صحيح.

فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: "إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ" فَلَمَّا نَزَلَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: "أَفَمَلِكاً نَبِيّاً يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْداً رَسُولاً" قَالَ جِبْرِيلُ: "تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ" **قَالَ**:« بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»)[1].

ورسول الله ﷺ نهانا أن نرفعه فوق المنزلة التي أنزله الله تعالى، **فقال** :«أنا محمدُ بن عبد الله، أنا عبدُ الله ورسولُه، وما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلَنيها الله».[2] ورسول الله ﷺ نهانا عن إطرائه، أي: المغالاةِ في مديحه ومجاوزةِ الحد فيه، **فقال** ﷺ: «لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدُهُ، فقولوا:عبدُ اللهِ ورسولُهُ»[3].

حقيقة

لقد كان رسول الله ﷺ متواضعاً لايعيش عيشة الملوك، ولايحيط نفسه بأبهتهم ومظاهرهم ورجالهم وأسلحتهم، بل كان يخدم نفسه ويصلح ثوبه ويساعد أهله في أعمال البيت.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (سُئِلْتُ: مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٧١٦٠] (٧٦/١٢)، وهو صحيح.
(٢) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم[١٠٠٠٦] (١٠٣/٩)، و أحمد في "مسنده" برقم [١٢٥٥١] (٢٣/٢٠).و اللفظ لهما، وهو صحيح.
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه"برقم [٣٤٤٥] (ص/٦٦٤).

قَالَتْ: كَانَ بَشَراً مِنْ الْبَشَرِ، يُفلي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ؟)[1].

وفي رواية للبخاري، قالت: (كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ)[2].

المطلب الثامن: شهادات المنصفين ترد على المفترين..

- **يقول توماس كارليل:** (وما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلماً وعدواناً، وأشد ما نجور ونخطئ إذا حسبناه رجلاً شهوانياً لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا، فما أبعد ما بينه وبين الملاذ أياً كانت، ولقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار... وإنهم ليذكرون —ونعم ما يذكرون– بأنه كان يصلح ويرفأ (ويرفو) ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة ومعجزة؟!!.. فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في (طاعة) الله، قائم النهار ساهر الليل، دائباً (دائبٌ) في نشر دين الله)[3].

هل هذا الرجل يبحث عن الشهوات، وغارق في متع الحياة وملذاتها، كما يدَّعي المستشرقون المعادون؟!.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٦١٩٤](٢٦٣/٤٣)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٧٦](ص/١٤٣).

(٣) انظر: المستشرقون والقرآن الكريم، د.محمد أمين حسن محمد بني عامر، (ص/٥٣٩) نقلاً عن كتاب الأبطال، لتوماس كارليل.

- **إنهم كأسلافهم اليهود، يشككون في كل شيء، ولا يعجبهم شيء!.**

فمثلاً كان يحيى "يوحنا المعمدان" (معتزلاً الناس، عازفاً عن الدنيا، شديداً على نفسه، فلم يعجب ذلك بني إسرائيل. ولما كان المسيح يخالط الناس، ويتناول من صنوف الطعام والشراب ما يشبع شهواته، فلم يعجب ذلك بني إسرائيل أيضاً. فقد قال لتلاميذه: "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم..ثم تناول كاساً من (الخمر) وشكر، وقال: خذوا هذه واقتسموها بينكم (لوقا:٢٢/١٤-١٦)" وفي هذا يقول الإنجيل على لسان المسيح:"جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فيقولون به شيطان. جاء ابن الإنسان (المسيح) يأكل ويشرب، فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر (متى ١١/١٨-١٩) " ويقول **جون فنتون** في تعليقه على هذه الفقرة: "لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح إلى التوبة، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما. فاليهود يشبهون أولاداً سيئي المزاج مثيرين للخصام، **لا يعجبهم شيء**. لقد عاش يوحنا بينهم ناسكاً متقشفاً فقالوا به شيطان، ولما لم يكن المسيح متقشفاً فقد قالوا: إنه ماجن مُلحد") [1].

وقد قالوا ما يشبه ذلك في القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، أحمد عبد الوهاب ، (ص/١٠٩)، نقلاً عن كتاب:
Fenton: Suint Matthew, pp. ١٨٠

نَـذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الفرقان].

- وفي الشاهد الذي أوردناه من إنجيل متى، ردٌّ على المستشرقين الذين يدَّعون أن المسيح كان ناسكاً عازفاً عن الدنيا وأكلها وشربها، بينما كان محمد ﷺ أكولاً نهماً.

حقيقة

إن عيسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين كانوا بشراً، يمشون في الأسواق ويأكلون الطعام، وكانوا بشراً أسوياء قدوة، امتازوا برسالاتهم وبرُقيّهم الروحي والفكري والأخلاقي..

- **وإن من إفك المستشرقين إنهم يدَّعون بأن الله تعالى اتَّخذ ولداً؟!.**

- يقول الله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة الصافات].

فإذا استسهلوا الإفك على الله، أفلا يستسهلون الإفك على رسول الله ﷺ بما يقولون؟!.

المطلب التاسع: زوجات الأنبياء حسب زعمهم:

- والعجيب أن المستشرقين المعادين يتغافلون ولايتحدثون عن زوجات أنبيائهم، كما ورد في توراتهم المزيفة وكتابهم المقدس.

- فقد تزوج إبراهيم بست زوجات، ومات عن خمس، منهن ثلاث سراري[١].
- وتزوج يعقوب بأربع زوجات، منهن جاريتان[٢].
- وتزوج موسى بزوجتين[٣].
- وتزوج جدعون، وهو مرسل بعد موسى ويوشع، بعدد كبير من النساء، وكان عنده سبعون ولداً[٤].
- وتزوج داود بعدد كبير من الزوجات، وعشرات السراري، فقد تزوج بسبع زوجات عندما ملك "حبرون" [٥].

وعندما ملك كل إسرائيل وانتقل إلى أورشليم رأى امرأة القائد العسكري "أوريا" التي تستحم، وكانت امرأة جميلة المنظر جداً حسب ما ذكر الكتاب المقدس، فأتى بها وزنى بها وحملت منه، فأمر زوجها أن يذهب إلى زوجته ويستريح حتى يظن أن حمل زوجته منه، فلم يذهب ، فأرسله إلى معركة وأمر جنده أن يخونوه وينسحبوا ويتركوه للموت، فقُتل، ثم تزوج بها، هذا مايزعمونه في توراتهم [٦].

ثم اتخذ سراري ونساءً من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولِدَ له بنون

(١) انظر: سفر التكوين (٢٠ /١٢)، و(٢٥ /١)،و(٢٥ /٦).
(٢) انظر: سفر التكوين، (٣٥ /٢٣-٢٦).
(٣) انظر: سفر الخروج، (٢ /٢١-٢٢)، وسفر العدد، (١٢ /١).
(٤) انظر: سفر القضاء، (٨ /٣٠-٣١)
(٥) انظر: سفر صموئيل الثاني، (٣/٢-٥)، و(٦/٢٣).
(٦) انظر: سفر صموئيل الثاني، (١١/٢-٣٧).

وبنات[1]. وبهذا يكون لداود عدد كبير من الزوجات وعشرات السراري!.

وثار أبشالوم بن داود على أبيه، وأسر عشراً من سراري أبيه، وزنى بهنَّ[2].

- وتزوج سليمان /١٠٠٠/ زوجة، /٧٠٠/حرة، و/٣٠٠/من السراري، ونساؤه أملْنَ قلبه وراء آلهة أخرى[3].
- وكان لرحبعام بن سليمان /١٨/زوجة، و/٦٠/سرية، وعنده /٢٨/ابناً و /٦٠/بنتاً[4].

المطلب العاشر: افتراءاتهم على الأنبياء:

- وإن تعجب من المستشرقين المعادين، فعجب اتهامهم وافتراؤهم على النبي ﷺ هذه الافتراءات والأكاذيب، في حين أنهم لم يتحدثوا عما ألصقوا بأنبيائهم من مخازي أخلاقية في كتابهم المقدس، وما أثبتوه في نصوصهم التي يزعمون أنها وحي لا ينتابها الشك ولا الخطأ. **وهم كاذبون يفترون على أنبياء الله مالا يليق بأخبث الناس أخلاقاً، وأعظمهم سفالة، وأكثرهم انحطاطاً.**

فقد جاء في توراتهم وكتابهم المقدس:

١- نبي الله لوط، يعاقر الخمر فيسكر، ويزني بابنتيه، وينجب من كل

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني، (١٣/٥).
(٢) انظر: سفر صموئيل الثاني، (٢٠/١٦-٢٣).
(٣) انظر: سفر الملوك الأول، (١/١١-٤).
(٤) انظر: أخبار الأيام الثاني، (٢١/١١).

واحدة منهن ابن زنى![1].

٢- نوح يشرب الخمر، فيسكر، ويتعرَّى![2].

٣- داود يتآمر، ويخون ويزني بزوجة أحد قواد جنده (أوريا الحثي)، فتلدُ له ابناً من الزنى![3].

٤- يهوذا يزني بكنته، فتلد له توأمين، زارح وفارص، ثم يلد من نسل فارص ابن الزنى ثلاثة أنبياء، داود وسليمان وعيسى![4].

٥- الرب يأمر نبيه هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنى وأولاد زنى![5].

٦- ويشيخ داود الملك، فيُدثر بالثياب فلا يدفأ، فيأتون له بفتاة عذراء جميلة جداً، فتضجع في حضنه فيدفأ سيدنا الملك![6].

وبعد كل هذه الفضائح والمخازي. نعجب أن يخترع المستشرقون الأكاذيب على النبي محمد ﷺ، في حين إنهم يتغافلون ويتعامون عما ورد في كتابهم المقدس من مخازي أُلصقت بأنبيائهم، وهم يعتقدون بأنها وحي إلهي صحيح.

براءة

إننا نبرأ إلى الله تعالى مما نسبوه إلى نبينا وإلى الأنبياء جميعاً عليهم صلوات الله وسلامه، فهم خيرة البشر من خلقه، وهم الذين جعلهم الله قدوة مثالية للناس.

(١) انظر: سفر التكوين، (١٩/٢٠-٢٦).
(٢) انظر: سفر التكوين، (٩/٢٠-٢٢).
(٣) انظر: سفر صموئيل الثاني، (١١/٢-٣٧).
(٤) انظر: سفر التكوين، (٣٨/١٤-٢٧).
(٥) انظر: سفر هوشع، (١/٢).
(٦) انظر: سفر الملوك الأول، (١/١-٤).

وهل من المعقول أن يكون الأنبياء كما يصفهم الكاذبون المفترون ثم يأمر الله تعالى عباده بالاقتداء بهم!.

أليس في المستشرقين رجل رشيد؟!

أفلا يعقلون!. (١)

المبحث الحادي عشر: الرد على شبهة أن الإسلام انتشر بالسيف.

بمعنى أن الإسلام يفرض عقيدته على الناس بالقوة، ويحرمهم من حرية الاعتقاد.

المطلب الأول: نقض هذه الشبهة والفرية:

أ-في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦].

ويقول الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ:

﴿ ...أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة يونس].

---

(١) للتوسع انظر:

- تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب.
- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول، محمد علي الصابوني.
- دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري..

ويحدد الله تعالى طرق الدعوة إلى الإسلام بثلاثة طرق، فيقول: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة النحل].

ب–وفي السنة الشريفة:

العهد الذي أعطاه النبي ﷺ لأهل نجران بالحفاظ على حريتهم في أموالهم ودينهم وكنائسهم.. فقد ورد في عهده لهم («ولنجران وحاشيتهم جِوَارُ الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم **وملتهم** وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم **وبِيَعهم**–أي معابدهم– **لا يُغيّر أُسقفٌ عن سقّيفاه، ولا راهبٌ عن رهبانيته، ولا واقفٌ عن وقفانيّتِهِ.** »)[1].

ومثل ذلك ما فعل المسلمون من بعده، فقد أعطى عمر بن الخطاب ﷺ عهدة لأهل بيت المقدس، وأعطى خالد بن الوليد ﷺ عهدة لأهل الحيرة في العراق، وهذا غيض من فيض[2]

وكذلك لما وضع النبي ﷺ وثيقة المدينة (دستور الدولة) لم يكره اليهود على تغيير دينهم،بل أعطاهم حرية الاعتقاد كما أعطى غيرهم..

وعندما بسط النبي ﷺ سلطان الإسلام على مكة سلماً، وصار أعداؤه

(١) أخرجه ابن سعد، في طبقاته، (١/٣٠٨).

(٢) انظر: موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الثاني، كمال رحمته ﷺ، للمؤلف(ص/٣٤٨وما بعدها).

بين يديه، لم يُكرههم على دخول الإسلام، ولم يقتلهم، بل عفا عنهم، **وقال لهم**: «ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟» وهم واقفون أمامه ينتظرون حكمه فيهم «ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخٌ كريم، وابن أخٍ كريم، **قال**:«أقول لكم كما قال أخي يوسف لإخوته **لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(١).

ج–وفي تاريخ المسلمين:

الذي يحفل بالتسامح وعدم إكراه أحد على تغيير دينه وإجباره على الدخول في الإسلام..

المطلب الثاني: شهادات منصفة تدحض الافتراءات الكاذبة:

ويشهد على تسامح الإسلام وعدم انتشاره بالسيف، عدد كبير من المستشرقين المنصفين..

- **يتحدث المؤرخ والباحث "توماس آرنولد"**، عن حماية النبي ﷺ للمسيحيين، وكيف أخذ على عاتقه منحهم حرية العبادة والاعتقاد فيقول: (ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية، **وأخذ على عاتقه**

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣/٤١٢).

حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية)[1].

ويقرر "**آرنولد**" أن وجود المسيحيين وكنائسهم في البلاد الإسلامية حتى الآن دليل على **حقيقة التسامح عند المسلمين**، فيقول: (نستطيع أن نستخلص بحق، أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وإن العرب المسيحيين الذي يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح) [2].

ويقول أيضاً: (ولكننا لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فرديناند ferdinad وإيزابيلا Isabella دين الإسلام من إسبانية أو التي جعل بها لويس الرابع عشر louis xiv المذهب البروتستنتي مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف في جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين. **ولهذا فإن**

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد (ص/٦٥) .

(٢) انظر المصدر السابق (ص/٧٠).

مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية، بوجه عام من تسامح نحوهم) [1]

ويؤكد "آرنولد" أن تسامح المسلمين هو الذي جذب غير المسلمين إلى الإسلام فيقول: (**وإذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي،ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق)**[2].

- **ويتحدث المؤرخ والباحث "وِل ديورانت"** عن **تسامح المسلمين** الذي أدى إلى إقبال غير المسلمين على الإسلام حيث وجدوا خلاصهم من اضطهاد البيزنطيين لهم، يقول: (وكان المسيحيون في بلاد الشرق يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطة وكنيستها. **وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة، اعتنق الدينَ الجديدَ معظمُ المسيحيين، وجميع الزرادشتيين، والوثنيين إلا عدداً قليلاً جداً منهم، وكثيرون من اليهود في آسية، ومصر وشمالي أفريقيا. ...وآمن السكان بالدين الجديد وأخلصوا**

(١) انظر المصدر السابق (ص/٩٩).

(٢) انظر المصدر السابق، (ص/٨٨).

له، واستمسكوا بأصوله إخلاصاً واستمساكاً أنساهم بعد وقت قصير آلهتهم القدامى، واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلاد الممتدة من الصين، وأندونيسيا، والهند، إلى فارس، والشام، وجزيرة العرب، ومصر وإلى مراكش، والأندلس؛ وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث فيهم آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها، وأوحى إليهم العزة والأنفة)[1].

- **وتتحدث أستاذة تاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي الإيطالية "لورا فيشيا فاغليري" عن سماحة الإسلام والمسلمين، فتقول:** (إن تاريخ السنوات الأولى من الإسلام يقدم إلينا عدداً من الأمثلة على **التسامح الديني** الذي أظهره الخلفاء الأولون نحو أتباع الديانات الموحِّدة. فكما أعطى الرسول (ﷺ) نفسه ضمانات إلى نصارى نجران بأن مؤسساتهم المسيحية سوف تُصان، وأصدر أمره إلى قائد إحدى الحملات العسكرية إلى اليمن بألا يؤذي أيما يهودي في يهوديته، فكذلك وجَّه الخلفاء إلى قادتهم العسكريين تعليمات مماثلة حول مسلك جيوشهم في الحرب. ولقد حذا هؤلاء القادة المظفرون حذو محمد (ﷺ) في عقد الاتفاقات مع الشعوب المغلوبة، وبفضل تلك الاتفاقات **مُنحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة** وتقاليدها القديمة، شرط أن يدفع الذين لا يرتضون الإسلام ديناً ضريبة عادلة إلى الحكومة تُعرف بالجزية. لقد كانت هذه الضريبة أخفَّ

(١) انظر قصة الحضارة، أحوال البلاد الإسلامية، (ص/٤٥٦٤).

من الضرائب التي كان المسلمون مُلزمين بدفعها إلى حكومتهم نفسها. ومقابل ذلك مُنح أولئك الرعايا، المعروفون بأهل الذمة، حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها. ولما كانت أعمال الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين قد أصبحت فيما بعد قانوناً يتبعه المسلمون **فليس من الغلو أن نُصِرَّ على أن الإسلام لم يكتفِ بالدعوة إلى التسامح الديني، بل تجاوز ذلك ليجعل التسامح جزءاً من شريعته الدينية)**[1]

- **وتشهد المستشرقة "زيغريد هونكه"** على حفظ الإسلام لحق الإنسان في اختياره لدينه وعقيدته عملياً وليس نظرياً فقط، فتقول: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ... ﴾ [سورة البقرة:٢٥٦] هذا ما أمر به القرآن الكريم وبناءً على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام. فالمسيحيون والزرداشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها، **سمح لهم (الإسلام) جميعاً دون أي عائق يمنعهم، بممارسة شعائر دينهم.** وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى

ثم تقول:

أوَليس هذا منتهى التسامح؟!.

أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟!.

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٣٤ وما بعدها).

ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود؟!.

إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية. فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب "أنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا ألبتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف")[1].

وتتحدث "زيغريد هونكه" عن سماحة المسلمين وشهامتهم التي أخجلت المسيحيين الصليبيين، فتقول: (انتزع المبعوث البابوي الكاردينال "بلاغيوس فون ألبانو" قيادة طلائع تلك الحملة الصليبية التي أعدت نفسها لتهاجم السلطان الكامل، ابن أخي صلاح الدين، على أرض مصر. وبقيادته استطاعوا أن يدخلوا قلعة دمياط في وادي النيل بعد صراع طويل ولكن هذا القائد الكاردينال بلاغيوس ترك العنان لرجاله وهم في قمة نشوتهم الصليبية ليعيثوا فساداً وقتلاً وذبحاً بين السكان العرب في هذه القلعة. **وبغض النظر عن تلك المذبحة وبعدها بفترة قصيرة أنقذ السلطان الكامل حياة ذلك الجيش المسيحي الذي ضرب خيامه على مقربة من القاهرة وعانى مجاعة كبيرة لأيام عديدة كادت تهلكه عن بكرة أبيه لولا**

(١) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، (ص/٣٦٤).

أن أمر السلطان بإرسال ثلاثين ألف رغيف من الخبز يومياً ولمدة أربعة أيام متتالية إلى جانب مواد تموينية أخرى، وبذلك حفظ حياة ألد أعدائه بعد أن أصبحوا في بلاده وتحت قبضة يده، بدلاً من أن يعاملهم بالمثل ويقابل سوءهم بالسوء.

ولا عجب أن وجدت تلك السماحة والكرم صدىً جديراً بالذكر والاحترام والتقدير، أتى من كولونيا على لسان "أوليفيروس" الواعظ والمعلم الكنسي والمكلف بالدعاية للحملات الصليبية، في رسالة وجهها إلى السلطان عام / ١٢٢١م/:"منذ أقدم العصور لم نسمع بمثيل ذلك، جموع من الأعداء تتحلى بمثل تلك الأخلاق الكريمة تجاه أسراهم. حين أوقعنا الله بين يديك لم نرَ فيك ذلك الطاغية وذلك الحاكم المستبد كما توقعنا، وإنما رأينا فيك أباً بصنائعك الجميلة وأياديك البيضاء، وكنت لنا عوناً ومنقذاً من كل الأخطار."

شهامة لا تصدق صدرت عن واعظ كنسي في كولونيا. واستمر في كتابه قائلاً: "لا أحد يجرؤ على الشك في تلك الأخلاق النبيلة واللطف والرحمة والشفقة هي هبة الله لك. أولئك الرجال الذين قتلنا آباءهم وأمهاتهم وأبناءهم وبناتهم وإخوتهم وأخواتهم شرَّ قتلة، وجلبنا لهم اللوعة والحرقة، كانوا هم الذين أقروا عيوننا وأنعشونا وأحيونا بطعامهم وشرابهم بعد أن شارفنا على الموت جوعاً، وغمرونا بعد ذلك كله بجميل صنائعهم وقد كنا تحت سيطرتهم وفي قبضتهم."

هذه الشهامة وروح الفروسية تلك لم تكن استثناءً وحيداً، إذ ما أخجلت السماحة العربية أولئك المسيحيين الذين يسعون بلا شفقة ولا رأفة لتهديم السلام وتقويض بنيانه، ونسوق مثلاً على ذلك ما كتبه شاهد عيان كيف أن أولئك الصليبيين الأوائل حين سيطروا على أنطاكية "غطّى كل ساحات المدينة بجثث القتلى حتى أن المرء ما كان يستطيع أن يقف هناك بسبب الروائح النتنة، وأن المرء لم يكن ليستطيع أن يعبر أي شارع دون أن يخطوَ فوق رؤوس الموتى."

أمر آخر محزن ومخزٍ في آن معاً، لا بل هو قمة في القسوة وعدم الرحمة.. **إذ حين دخل أولئك الصليبيون الأوائل بيت المقدس بعد ذلك، "جعلوا منه حماماً من الدم حتى أن رجالنا كانوا يخوضون في الدم الذي يغطي أقدامهم."** حسب تعبير شاهد العيان نفسه. أو كما كتب ميشيل السوري وهو يصف أولئك الفرسان "الذين يقطرون دماً من رؤوسهم حتى أقدامهم" ليطبع في ذاكرة الأجيال القادمة صورة بطريرك القدس آنذاك الذي ذبح كل هؤلاء المسلمين الأبرياء وجرى في الشوارع ليدخل كنيسة القيامة بذراعين ملطختين بالدم وليغسل يديه مترنماً بتلك الكلمات من المزمور /٥٨/:"يفرح الصديق إذا رأى النقمة، يغسل خطواته بدم الشرير، ويقول الإنسان إن للصديق ثمراً، إنه يوجد إله قاضٍ في الأرض."

حينما حرر صلاح الدين القدس بعد ثمانية وثمانين عاماً من سيطرة الفرنجة عليها في عام /١١٨٧م/ أعطى فرسانه أوامره الصريحة التي

تتناقض بشكل بيِّن واضح مع ما ذكرنا من سوء تصرُّف الفرنجة، بالحفاظ على سلامة سكان المدينة المسيحيين، كما أمَّن لمن أراد منهم الخروج مع الجيش انسحاباً حراً وحماية مسلحة) [1]

المطلب الثالث: واقع انتشار الإسلام في العالم يكذب دعاوى وافتراءات المستشرقين..

- هل انتشر الإسلام في غرب إفريقيا ووسطها وشرقها بالسيف؟!! من الصومال إلى السودان إلى تشاد إلى النيجر إلى السنغال؟!!..

- وهل انتشر الإسلام في أندونيسيا وماليزيا والفلبين بالسيف؟!!..

- وفي العصر الحديث هل انتشر الإسلام في أوروبا وأمريكا وأستراليا واليابان بالسيف؟!.

إضاءة

إن الذين تصدمهم سرعة انتشار الإسلام في كل أنحاء العالم، لا يريدون الاعتراف بأن الإسلام رسالة إلهية تكفل الله تعالى بنشرها ولو قصر أهلها بالتبشير بها والدعوة إليها،بل يعملون على تشويه الحقيقة والادعاء أن الإسلام انتشر بحد السيف !!.

- **تقول أستاذة تاريخ الحضارة الإسلامية "لورا فيشيا فاغليري":**

(وأزعج هذا التحول السياسي والديني العميق طائفة من الناس فراحوا

(١) انظر: التوجه الأوروبي إلى العرب والمسلمين حقيقة قادمة، زيغريد هونكه، (ص/٩٧وما بعدها).

يتساءلون ما الذي أدَّى إلى حدوثه؟! ولكن كثيراً منهم كانوا عمياً، أو كانوا يغمضون أعينهم عمداً هائمين طويلاً وعلى نحو يائس في متاهة التخمينات الخاطئة. **إنهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن القوة الإلهية وحدها كان في ميسورها أن تقدم الحافز الأول لمثل هذه الحركة الواسعة.** إنهم لم يريدوا أن يعتقدوا أن حكمة الله وحدها كانت مسؤولة عن رسالة محمد (ﷺ) آخر الأنبياء الكبار حملة الشرائع، والنبي (ﷺ) الذي ختم سلسلتهم إلى الأبد. **إن مثل هذا الرسالة كان يتعين عليها أن تكون رسالة عالمية لجميع أفراد الجنس البشري من غير تمييز وعلى اختلاف الجنسيات والأوطان والأعراق.** لقد كان أولئك الناس يشيعون أن جوهر الإسلام كان العدوان العنيف. **لقد زعموا أنه كان ديناً فُرض بالسيف؛** ولقد اتهموه باللا تسامح. بل اتهموا محمداً نفسه بالكذب، وبالقسوة، وبالشبق. لقد حاولوا أن يحطموا عمله الرائع في الإصلاح الاجتماعي والديني. وحاولوا إظهار إخلاص صحابته وتابعيه وتفانيهم بمظهر المصلحة الشخصية، وصوَّروهم كأنهم أُناس لا تعمر نفوسهم غير الرغبة في الثروة والنجاح الدنيوي)[1].

المطلب الرابع: تسامح المسلمين يقابله التاريخ الإفرنجي الصليبي الحافل بالإكراه:

والعجيب، أن يرمي المستشرقون الإسلام بهذه الفرية، وتاريخ الغرب

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٢٨ وما بعدها).

المسيحي الحافل بإكراه الآخرين على الدخول في المسيحية شاهدٌ على جرائمهم التي يندى لها جبين الإنسانية!.

وهذه شهادات نقلها مفكرون ومؤرخون ومستشرقون غربيون تُثبت صحة ما ذكرناه..

- (**ويشير "آرنولد**" كيف أن اليهود في أسبانية وكان عددهم كبيراً، رحبوا بحكم المسلمين وتعاونوا معهم ليتخلصوا من الاضطهاد والظلم الشديدين اللذين لحقا بهم على يد أتباع المذهب الكاثوليكي بعد انتصاره على المذهب الآري في إسبانية. فيقول: ((واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا إليها سبيلاً لاضطهاد اليهود، الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في إسبانية، وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية، **وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رحب اليهود بالعرب الغزاة، وعدُّوهم مخَلِّصين لهم مما حل بهم من المظالم**، فساعدوهم على فتح أبواب المدن، كما استعان بهم الفاتحون في حماية المدن التي وقعت في أيديهم) [1].

- **ويشير "د. غوستاف لوبون"** إلى الوحشية اللامتناهية وثقافة الغدر والتنكيل التي نفذها جيش فرديناند في الأندلس ضد العرب المسلمين بدعم من كردينال طليطلة، فيقول: (وعاهد فرديناند العرب على منحهم حرية

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد، (ص/١٥٤ وما بعدها) .

الدين واللغة، ولكن سنة /١٤٩٩م/ لم تكد تَحِلُّ حتى حلَّ بالعرب **دور الاضطهاد والتعذيب الذي دام قروناً**، والذي لم ينته إلا بطرد العرب من إسبانية، وكان **تعميدُ العرب كرْهاً (تنصيرهم)** فاتحة ذلك الدور، ثم صارت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المعمدين على أنهم من النصارى، **ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا بالتدريج لتَعذُّرِ إحراق الملايين من العرب دفعةً واحدة**، ونصح كردينال طليلطة التقي، الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش، **بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً**، ولم يرَ الراهب الدومينيكيُّ "بليدَا" الكفاية في ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقي على دينه منهم، وحجته في ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، **فمن المستحب، إذن قتل جميع العرب بحد السيف**؛ لكي يحكم الرب بينهم في الحياة الأخرى ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الإسبانية أن تعمل بما أشار به الدومينيكي، الذي أيّده الإكليروس في رأيه، لما قد يبديه الضحايا من مقاومة، **وإنما أمرت في سنة ١٦١٠م، بإجلاء العرب عن إسبانية، فقتل أكثر مهاجري العرب في الطريق**، وأبدى ذلك الراهب البارع "بليدَا" ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين في أثناء هجرتهم،وهو الذي **قتل مئة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من /١٤٠٠٠٠/ مهاجر مسلم حينما كانت متجهة إلى إفريقية، وخسرت إسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها في بضعة أشهر**، ويُقدِّر

كثير من العلماء، ومنهم سيديّو، عدد المسلمين الذي خسرتهم إسبانية، منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الأخير **بثلاثة ملايين**، ولا تُعدُّ ملحمة سان بارتملي إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له، ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين) [1].

- **ويشير "ديورانت"** إلى الاضطهاد الذي لحق باليهود في أوربة خلال العصور الوسطى فيقول: (وفي عام /١٢٤٣/ حرق جميع اليهود من سكان بلتز Beltz القريبة من برلين وهم أحياء بحجة أن بعضهم قد دنسوا خبزاً للتقدمة مقدساً.ونظم رندفلشخ Rindfleisch وهو بارون متمسك بدينه جماعة من المسيحيين الذين أقسموا أن يقتلوا جميع اليهود وأمدهم بالسلاح، وأبادوا جميع الجالية اليهودية في ورزبرج، وذبحوا ٦٩٨ يهودياً في نورمبرج Nuremerg، ثم انتشرت موجة الاضطهاد فلم يمض إلا نصف عام حتى محي /١٤٠/ كنيساً يهودياً. وملأ اليأس بعد هذه الاعتداءات المتكررة قلوب يهود ألمانيا، وكانوا قد أعادوا تنظيم جماعاتهم مراراً وتكراراً، فغادرت أسر يهودية كثيرة مينز، وورمز، وأسبير، وغيرها من المدن الألمانية **وهاجرت إلى فلسطين لتعيش في بلاد المسلمين.**) !.

(١) انظر: حضارة العرب، للدكتور غوستاف لوبون، (ص/٢٧٠ وما بعدها).

تعجب

والعجيب أن اليهود المعاصرين الذين استقبل الفلسطينييون أجدادهم وآووهم وحموهم من الاضطهاد الإفرنجي الأوروبي، كافؤوا الفلسطينيين باغتصاب أراضيهم وقتلهم وتشريدهم وطردهم، ومارسوا معهم كل مايخطر ومالا يخطر ببالك من جرائم حرب وإبادة وترويع، برعاية من الغرب الصليبي..

- ولقد تمادى رجال الكنيسة والملوك النصارى في التمييز الديني حتى بلغوا مبلغ العنف الشديد بإجبار الآخر على الدخول في دينهم أو استئصاله نهائياً. **ويتحدث المفكر الأمريكي "نعوم تشومسكي"** عن التمييز الديني في إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر، فيقول: (ففي عام /١٤٩٢م/ تم تهجير اليهود الإسبان أو إرغامهم على التحول للمسيحية. وعانى ملايين المور [١] (المسلمين) المصير ذاته)[٢].

- **ويقول المبشر "ستيفن نيل" عن إجبار سكان بروسية الدخول في المسيحية بالقهر والإجبار وحد السيف:** (كان يعيش في جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين واللتوانيين، وعدد من شعوب أخرى، لم تتحد جميعها إلا على شيء واحد هو تصميمها على ألا تكون مسيحية.. ومهما كان تفكيرنا في الطريقة التي اتبعت أخيراً، فإن التاريخ لا يستطيع

(١) المور Moors التسمية الأوروبية لمسلمي الأندلس من البربر والعرب.
(٢) انظر: سنة ٥٠١ الغزو مستمر، نعوم تشومسكي، (ص/١٣).

إنكار أن إضافة هذه المناطق إلى العالم المسيحي كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين.. لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويضٌ أن تضم إلى مملكاتها أي أراضي تستولي عليها من الوثنيين، شريطة أن تعطي الشعب المغلوب، والتعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد أراضيه!.. وقد حدث هذا أخيراً عندما عيَّن مطارنة لتلك المناطق، أن عدل البابا المنحة، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة.. لقد انقضت خمسون عاماً في أعمال الغزو، وفي نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة وانضمت بروسية إلى العالم المسيحي)[1].

- ولم يكتفِ الغرب المسيحي على إكراه غير المسيحيين الدخول في المسيحية"، **بل إن تاريخهم يحفل بإكراه المسيحيين من المذاهب الأخرى على اعتناق مذهب المنتصر بالسيف، وارتكب في سبيل ذلك مذابح كبرى، لم ينجُ منها إلا من خضع كارهاً، والتحق بالمذهب المفروض عليه!**.

- (وينقل "**آرنولد**" عن الراهب "أودو الدويلي"، الذي كان يشغل وظيفة قسيس خاص للملك لويس السابع أثناء الحرب الصليبية الثانية، حديثه عن الوحشية والقسوة التي كان يعاني منها الحجاج المسيحيون إلى القدس على يد إخوانهم المسيحيين من الإغريق البيزنطيين.. يقول: (**فكان**

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/٣٧١)، نقلاً عن كتاب : S.Neil : A History Of Christian Missions

البون شاسعاً بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من الكفار (أي المسلمين) وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم، وابتزوا منهم ما تُرك لهم من متاع قليل، حتى أن كثيراً منهم دخلوا في دين منقذيهم بمحض إرادتهم. وكما يقول المؤرخ القديم: (لقد جفوا إخوانهم في الدين الذين كانوا قساة عليهم، ووجدوا الأمان بين الكفار (أي المسلمين) الذين كانوا رحماء عليهم) [1].

- **ويشير "آرنولد" إلى أن اضطهاد البيزنطيين لأبناء دينهم اليعاقبة القبط في مصر دفع المسيحيين أبناء مصر للترحيب بالحكم الإسلامي الذي خلصهم من ظلم البيزنطيين**، فيقول: (ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة العرب، قبل كل شيء، إلى ما لقوه من ترحيب الأهالي المسيحيين الذين كرهوا الحكم البيزنطي، لما عُرف به من الإدارة الظالمة، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت. فإن اليعاقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط، الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم، كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في اليم، وتبع كثير منهم بطريقهم إلى المنفى لينجوا من أيدي مضطهديهم، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية، وتظاهروا بقبول قرارات مجمع

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام، (ص/١٠٩).

خلقدونية... **وقيل: إن جستنيان أمر بقتل مائتي ألف من القبط في مدينة الإسكندرية،** وإن اضطهادات خلفائه قد حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء) [1].

- يستند هذا التمييز عندهم إلى "قوانين الإيمان" التي اعتمدتها الكنيسة، ونفذها وأضفى عليها القداسة رجال الكنيسة.. فالقديس "**أوغسطين**" الذي عاش خلال الأعوام /٣٥٤-٤٣٠م/ **هو الذي قنن مبدأ اضطهاد واستئصال المخالفين في الدين، ودعا إلى نفيهم وجلدهم وقتلهم ذبحاً أو حرقاً**... بل دعت الكنائس إلى اضطهاد واستئصال مخالفيها في العقيدة وتفسير طبيعة السيد المسيح، ووصمتهم بالهرطقة!!

بل أصبح من قواعد الكنيسة الكاثوليكية أن الحاكم يحتفظ بعرشه فقط إذا قام باستئصال المخالفين..

وقد شهدت أوروبا موجة عارمة من اضطهاد المخالفين في الدين أو المذهب راح ضحيَّتها مئات الألوف، بدأت في عهد البابا "إنوسنت الرابع" عام /١٢٥٢م/ الذي وضع النظام الأساسي للاضطهاد والاستئصال وقام الملوك والأمراء بتنفيذه.

فقامت محاكم التفتيش سيئة الصيت بأبشع جرائم التمييز الديني والجرائم ضد الإنسانية.

(١) المصدر السابق، (ص/ ١٢٣).

وقامت أيضاً الحروب الدينية في أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت فأهلكت عشرة ملايين حسب إحصاء فولتير /١٦٩٤-١٧٧٨م/ [١].

* وامتد التمييز الديني والاضطهاد لينال الأرثوذوكس على نطاق واسع وخاصة خلال الحملات الصليبية التي اجتاحت جيوشها الأرثوذوكس في القسطنطينية وما حولها، **فقد ارتكب الكاثوليك اللاتين في الجيوش الصليبية أثناء توجههم إلى القدس أبشع المجازر والفظائع بحق أبناء دينهم الأرثوذوكس اليونان** [٢].

● وفرض الملك "**شارلمان**" المسيحية على السكسونيين **بحد السيف** وقد فعل الملك "**كونت**" في الدنمارك مثل ذلك، حيث فرض المسيحية **بالقوة والإرهاب** واستأصل المخالفين [٣]. **وقام الملك "أولاف ترايجيفيسون" في النروج بذبح كل من يأبى الدخول في المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو بنفيهم وتشريدهم** [٤]. وكان اعتناق أي دين يخالف ديانة الكنيسة الأرثوذوكسية في روسيا أمراً محرماً في القانون الروسي.

● **وقد ذكر الجنرال ديغول في مذكراته أن الشعب الفرنسي قدَّم في عهده وحده نحو /١٥٠/ طناً من الذهب للإسهام في**

(١) انظر:الإسلام والآخر، د.محمد عمارة، (ص/ ١٩٢)،وموسوعة حقوق الإنسان،د.عدنان الوزان (٢٣٤/٣).
(٢) انظر: قصة الحضارة، الحملة الصليبية الرابعة، (ص/٥٣٢٢).
(٣) انظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد، (ص/٣٠وما بعدها).
(٤) المصدر السابق، (ص/٣٢).

تنصير الجزائر [1].

- و(بعد احتلال عكا الذي اعتبره ريتشارد قلب الأسد نصراً شخصياً له. كانت أعداد الأسرى المسلمين كبيرة جداً فعرض عليه إطلاق سراح من يتنصَّر منهم، ولكن تعميدهم أوقف حين تبيَّن أن الكثير منهم تنصَّر من أجل الحصول على حريته فقط، ولم يكن ذلك بدافع القناعة) [2].
- وقد تعامل الغرب المسيحي بوحشية كاملة مع المخالفين بالرأي والاجتهاد وتفسير الكتاب المقدس، وفرض رؤيته بالقهر والإكراه وتحت نار التعذيب بوحشية لا مثيل لها في تاريخ البشرية.

وقد عبَّر عن هذا "**توركويمادا**" (١٤٢٠-١٤٩٨م) رئيس محاكم التفتيش في إسبانية بقوله للمخالفين بالرأي والمذهب: (نحن نحرقك في الدنيا رحمةً بك، حتى ننقذك من النار الأبدية في الآخرة)[3].

وهذه أمثلة من سحق الكنيسة لمخالفيها في الرأي والمذهب:

(١- في عام /١٤٩٨م/ أحرقت الكنيسة الراهب الإيطالي "سافونا رولا" الذي كان أول من بدأ حركة الإصلاح الديني في إيطاليا، وذلك بعد قرار حرمان أصدره البابا إسكندر السادس عام /١٤٩٧م/. **وبعد محاكمة استمرت أربعين عاماً، استخدمت فيها كل أنواع التعذيب، أعدم**

(١) انظر: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الشيخ محمد الغزالي، (ص/٤٨).
(٢) انظر: التوجه الأوروبي إلى العرب والمسلمين حقيقة قادمة، زيغريد هونكه، (ص/١٠١).
(٣) انظر: ثورة الفكر، د.لويس عوض، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (ص/٨٩).

وأحرقت جثته مع راهبين آخرين من أتباعه المخلصين في فلورنسة.

٢-وكانت أول ترجمة إنكليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبري والإغريقي، إنما كانت من عمل "وليام تندال" لقد واجه معارضة مريرة، واتهم بتعمد إفساد معنى الكتاب المقدس، وأمر بإحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة، وأخيراً سُلِّم ليد أعدائه، **حيث تم إعدامه على رؤوس الأشهاد حرقاً وبالشد على الخازوق**، في أكتوبر /١٥٣٦م/.

٣-وفي عام /١٥٥٣م/ **أحرقت الكنيسة في جنيف**، " ميخائيل سارفيتوس الإسباني"، ومعه كتابه "إعادة بناء المسيحية".

٤-وفي عام /١٦٠٠م/، **أحرقت الكنيسة** "جوردانو برونو" في ميدان الأزهار (كامبو دي فيوري) بروما.

وكان من بين التهم الموجه إليه: الزندقة والردة، والدعوة لنظرية "كوبرنيك" في الفلك القائلة: بأن الأرض ليست مركز الكون، وأن الكواكب تدور حول محورها وحول الشمس، **وهو ما يتنافى مع الجغرافيا والفلك كما استخلصتهما الكنيسة من الكتاب المقدس** ومن أعمال أرسطو وبطليموس الجغرافي. وكان من التهم أيضاً الاشتغال بالسحر، ويدخل في هذا الباب الدعوة إلى العلم للسيطرة على الطبيعة.

٥-وفي عام /١٦٤٢م/ **مات الفلكي "جاليليو" في عزلته كمداً، بعد**

أن أُصيب بالعمى. فقد حاكمته الكنيسة وحكمت عليه بتحديد إقامته بعد أن أعلن تبرُّؤَه من مفاهيمه العلمية حول الأرض وحركتها والشمس والكون، فقال في اعترافه أمام المجمع المقدس عام /١٦٣٣م/: "أستنكر هذه الأخطاء والزندقات المذكورة، وبوجه عام كل الأخطاء والزندقات والمعتقدات المتعارضة مع الكنيسة المقدسة")[1].

المطلب الخامس: أهداف الجهاد الإسلامي.

- إن المعارك التي خاضها النبي ﷺ هدفت إلى:

١- حماية المسلمين من حرب الإبادة، واجتثاث الإسلام من جذوره. يقول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الحج].

٢- تثبيت أركان دولة الإسلام أمام أعدائها في المحيط العربي ثم خارجه.

تقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري": (لقد كانت الحرب دائماً **وسيلة لحماية الدين الجديد وتعظيمه، لا غاية في ذات نفسها. كانت دفاعاً ضرورياً لا عدواناً جائراً**. ولقد عبَّر القرآن عن هذه الفكرة بأجلى بيان ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/٣٧٣ وما بعدها).

ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [سورة البقرة])[1].

٣- فتح الأبواب المغلقة أمام تبليغ الرسالة الإسلامية للعالمين، فإذا كانت مفتوحة كما هي اليوم، فلا حاجة للقتال من أجل هذا الهدف.

فجهاد النبي ﷺ في الأصل هو للتحرير لا للتدمير.

والجهاد شرِّع لتحرير الشعوب من الاستبداد والإكراه في الدين، ولإعطاء الشعوب حريتها في اختيار العقيدة التي تشاء، بعد اطلاعهم على حقائق الإسلام وأهدافه لنشر الرحمة بين الناس، وبناء المجتمعات الإنسانية على قِيم حضارية وأخلاقية، أركانها الحرية والعدل والمساواة والإخاء والتسامح والرحمة وهذا ماطبقه الإسلام عملياً بشهادة أصدقائه وأعدائه كما مر معنا.

- **فالمعارك في عصر النبوة لم تخرج عن هذه الأهداف.**

* فقد كان بعضها دفاعياً، أُرغم المسلمون على خوضها، كمعركتي أُحد والخندق.

* وكان بعضها استباقياً، لمنع أعداء الإسلام من التجمع وحيازة القوة القادرة على هزيمة المسلمين، مثل: سرية مؤتة، وغزوة بني المصطلق.

* وكان بعضها لتوهين قوة الخصم، وقطع خطوط إمداده، مثل: معركة بدر الكبرى.

* وكانت بعض الغزوات بدون معارك ومواجهات.

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/٣١).

* كان بعضها لتأسيس الدولة الإسلامية، مثل: فتح مكة.

* وكان بعضها لإظهار قوة المسلمين، فلا يجرؤ أعداؤهم على التفكير بالعدوان عليهم، مثل: غزوة تبوك.

* وكان بعضها لقطع دابر الغارات على المدينة المنورة، التي كانت تقوم بها بعض القبائل بقصد النهب والسلب والقتل، مثل غزوة بدر الأولى.

* وكان بعضها بقصد إقامة تحالفات مع جماعات وقبائل لتطويق الخصم وإضعافه، وتقوية الجبهة الإسلامية، مثل: غزوة ودان، وغزوة العشيرة.

* **أما الذين يزعمون أن الإسلام اعتمد على الحروب لفرض عقيدته فترد عليهم أستاذة تاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي الإيطالية "لورا فيشيا فاغليري"، فتقول:** (أما إذا زعموا أن الحرب التدميرية كانت هي السبيل الضرورية لفرض العقيدة وأن الحاجة إلى الفتوح كانت جزءاً أساسياً من طبيعة الدين الإسلامي نفسها فعندئذ يتعين علينا أن نرفض الاتهام لأن في استطاعتنا أن نقيم الدليل، استناداً إلى القرآن وسنن النبي ﷺ نفسه، على أن ذلك بهتان كامل.

كان من دأب الرسول ﷺ، بوصفه نبياً موحى إليه، أن يخاطب المكيين ويحدثهم عن رؤاه السماوية التي طلبت إليه أن يصبر على الأذى والتي أثارت سخط قريش. حتى إذا اتخذ القرار العسير بالهجرة إلى المدينة وبذلك أصبح محور صراع سياسي كان عليه أن يختار بين الموت على نحو مذل، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله، وبين القتال لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك. كان الصراع يدور بين الفوضوية ومادية الوثنيين المتبربرين، ومخاصمات

وأكاذيب اليهود غير المتسامحين على الرغم من تحضرهم البعيد، من ناحية، وبين مثل أعلى رفيع في التجدد الديني والاجتماعي، من ناحية ثانية.

ذلك كان المثل الأعلى الذي أراد محمد ﷺ أن يحققه بأي ثمن، فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان، **أو قُلْ قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب ولكنه مُكره على منازلة أولئك الذين أصروا على تدميره بالقوة.** وإنما نهض بهذه المهمة وأنصاره قِلَّة قليلة، ولكنه نهض بها واثقاً من أنه كان يمهد السبيل لإيصال الحقيقة إلى كثير من النفوس، ومن أنه كان مكلفاً بأن يهدي الناس سواء السبيل في غمرة الظلام. وكان لدى وصوله إلى المدينة قد مدَّ يد الصداقة، أول ما مدَّها، إلى اليهود الذين مثلوا في هذه المدينة جماعة غنية مزدهرة. لقد دعاهم إلى التعاون الصادق في وحدة سياسية اجتماعية . ولكنه حين أدرك أنهم معادون له عداءً مطلقاً وأنهم مصرُّون على اتِّباع سُبل خاطئة غادرة تُعين عليه أن يقاتلهم ويعاقبهم)[1].

حقيقة

إن الشعوب التي حررها الإسلام من طواغيتها، امتلكت حريتها، واكتسبت من الإسلام قوتها، حتى حكمت العالم الإسلامي بما فيها دول الفاتحين، واكتسبت من العلوم حتى أصبحت في مركز الأستاذية حتى بالنسبة للفاتحين.

إن الفظائع التي ارتكبها الغربيون في المستعمرات التي احتلوها بقوة

(١) انظر: المصدر السابق، (ص/٢٩ وما بعدها).

السلاح، تمثل أكبر عار ارتكب بحق الشعوب المقهورة في تاريخ البشرية. [1]

إضاءة

لم يكن الجهاد الإسلامي يقصد إلى استعمار الشعوب وقهرها ونهب خيراتها وتجهيلها وهدم بيوت العبادة فيها..، وإجبارها وإكراهها على تغيير دينها، وسومها ألوان العذاب والحرمان والتجويع، وإفشاء القتل فيها، كما فعل الغرب المسيحي في مستعمراته.

على المستشرقين الغربيين أن يخجلوا من تاريخهم الأسود في إكراه الناس على دينهم ومذاهبهم، كما مرَّ معنا، وألا يستروا عورتهم التي لا يمكن سترها، بادِّعاء أن الإسلام انتشر بالسيف، أي بالإكراه. [2]

سؤال

هل تصدق بعد كل ما ذكرناه أن ملياراً وسبع مئة مليون نسمة آمنوا بمحمد ﷺ بالقهر والإكراه؟!!..

وبما أن محمداً ﷺ قد توفي، ولم يبقَ للإسلام سيف ودولة في العالم.. فلماذا لا يترك هؤلاء المكرَهون الإسلام؟!!.. ولماذا هم متمسكون بالإسلام أكثر من تمسكهم بأرواحهم ؟!!..

(١) انظر: كتاب نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان، للمؤلف.

(٢) للتوسع انظر:

- الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد.
- قصة الحضارة، وِل ديورانت.
- دفاع عن الإسلام لورا فيشيا فاغليري.
- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه.
- التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة، زيغريد هونكه.
- حضارة العرب، غوستاف لوبون.
- دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين، د. جميل المصري.
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، محمد فتح الله الزيادي..

تقول الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري": (وإذا نظرنا إلى ما أُوحي إلى محمد أو إلى الفتوح الإسلامية الأولى **سَهُل علينا أن نرى مدى الخطأ الذي ينطوي عليه الاتهام القائل بأن الإسلام فُرض بالسيف وأن انتشاره السريع الواسع لا يمكن تفسيره إلا بهذه الوسيلة**

يقول القرآن الكريم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ [سورة البقرة]. ويقول: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ... ﴾ [سورة الكهف:٢٩]

وكان محمدٌ المتمسك دائماً بهذه المبادئ الإلهية، شديد التسامح وخاصة نحو أتباع الأديان الموحِّدة) [(١)].

وتتحدث "فاغليري" كيف أن المسلمين لم يُكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، بل منحوا المؤمنين باليهودية والنصرانية المناصب الحكومية، فتقول: (وكان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب **حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول في الدين الجديد.** والجيوش الإسلامية ما كانت تُتبع بحشد من المبشرين

(١) انظر:دفاع عن الإسلام، (ص/٣٢ وما بعدها).

الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين في مراكز محاطة بضروب الامتياز لكي ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها. ليس هذا فحسب ، بل لقد فرض المسلمون، في فترة من الفترات، على كل راغب في الدخول في الإسلام أن يسلك مسلكاً لا يساعد من غير ريب على تيسير انتشار الإسلام. ذلك أنهم طلبوا إلى أولئك الراغبين في اعتناق الدين الجديد أن يمثلوا أمام القاضي ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأي ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى أي كسب دنيوي . **والواقع أن اليهود والنصارى لم يُمنحوا حرية المعتقد الديني فحسب، بل عُهد إليهم في تولِّي المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين)**[1]

المبحث الثاني عشر: الرد على شبهة أن الإسلام عامل أهل الكتاب المعاهدين بقسوة.

يكفي ما ذكرناه من شهادات للمستشرقين المنصفين على تسامح الإسلام ليثبت كذب المستشرقين المعادين .. ويمكنك الرجوع إلى بحث جوانب رحمته ﷺ بالمعاهدين[2]، لتتبين عظمة الرحمة والتسامح التي تعامل بها الإسلام مع المعاهدين.

(١) انظر: المصدر السابق، (ص/٣٥ وما بعدها).

(٢) انظر: كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الثاني، للمؤلف.

المبحث الثالث عشر: الرد على الشُبهات المتعلقة بتشريع إقامة الحدود في الإسلام.

المطلب الأول: جرائم الغرب الإفرنجي الصليبي الفظيعة:

سؤال

هل المذابح المروِّعة، والإبادة الجماعية، والجرائم ضد الإنسانية، التي ارتكبها الغرب الإفرنجي على مدى قرون طويلة ومازال يرتكبها أو يعين عليها حتى الآن، كانت عملاً يتوافق مع المشاعر الإنسانية النبيلة؟!!.

- وهل إبادة أكثر من ثلاث مئة ألف مدني أكثرهم نساء وأطفال ورجال كبار السن في هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين بالسلاح النووي يتوافق مع مبادىء حقوق الإنسان ووثيقة جنيف حول الصراعات في العالم..!!!!..
- وهل التعذيب المذهل الذي قامت به أمريكا في سجون أبو غريب في العراق في مطلع القرن الواحد والعشرين وكذلك في سجون غوانتنامو، والتعذيب الفظيع الذي مارسه الغرب الاستعماري بحق الشعوب المستضعفة ، مما تشيب له العوارض، كان إنسانياً؟!.[1]

إذا كان الإسلام خلال أربعمائة سنة بعد بعثة النبي ﷺ لم يُقم حدَّ السرقة إلا ست مرات فقط!.[2]

فماذا نقول في مئات الألوف من البشر الذين عذبوا وقتِّلوا وقطِّعوا وحرقوا على يد الغرب الصليبي في أسبانيا وغيرها؟!.

(١) انظر: كتاب نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان، للمؤلف.
(٢) انظر: شبهات حول الإسلام، محمد قطب، (ص/١٥٥).

ألا يخجلون؟!.

المطلب الثاني: الرد على هذه الشبهة.

لم يعالج الإسلام الجريمة في المجتمعات الإسلامية بإقامة الحدود مباشرة، بل قدم لهذا بمراحل متعددة تسبق إقامة الحدود، ليكون آخر الدواء الكي.

المرحلة الأولى: صناعة الإنسان الفاضل.

حقيقة

قام الإسلام بتربية المجتمع على ثقافة الفضيلة، والقيم الأخلاقية الرفيعة، النابعة من مبادئ الإيمان بالله تعالى، وخشيته ومراقبته وذكره على كل حال..
لقد هذّب الإسلام النفوس، وعالج أمراضها الظاهرة والباطنة، كما عالج الأمراض الاجتماعية، وصنع الإنسان الفاضل.

وهذا من أهم مميزات الإسلام، فهو لا يتكلم عن قوانين ونُظم، يقوم بتطبيقها آلياً. بل يتوجه بكل طاقاته إلى الإنسان أولاً تربية وتهذيباً وترقية، ثم يمهد لأهدافه بخطوات متدرجة.

المرحلة الثانية: إزالة الأسباب المؤدية للجريمة.

- **تأمين الاحتياجات الأساسية للناس.**

دعا الإسلام إلى العمل والتنمية الاقتصادية على أوسع نطاق، وكفاية الإنسان مما يحتاجه من مسكن وطعام ولباس وزواج ومركوب. وعدَّ من لا يملك هذه الاحتياجات مسكيناً، يجب على الدولة تأمين احتياجاته من مال الزكاة وبيت المال.

- **إقامة التكافل الاجتماعي.**

المجتمع الإسلامي مسؤول عن أفراده، وعلى جميع أفراد المجتمع الأغنياء التكفل بحاجات الفقراء، عن طريق نظام القروض، والصدقة، والوصية، والوقف، والإعارة وغيرها. (١)

- **بناء السلم والأمن الاجتماعي.**

* عمل على الحد من التباين الفاحش بين الأغنياء والفقراء، وحدد قواعد لتجزيء الثروات وتوزيعها على نحو عادل.

* حارب البطالة والتسول والكسل.

* منع اكتناز المال وعدم استثماره لتحقيق النمو الاقتصادي.

* حرم الربا وما ينتج عنه من مظالم.

* حذر من أكل حقوق العمال وأمر بالإحسان إليهم.

* أقام التوازن بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع.

* حث على التعاون بين كل أفراد المجتمع في كل ما يجلب له المصالح، ويدرأ عنه المفاسد.

* حارب كل أنواع العصبيات التي تفرِّق المجتمع وتُضعف أمنه الاجتماعي، سواء أكانت عرقية أم مذهبية أم مصلحية..

* جعل الرقابة الإيمانية على أعمال الناس أشدَّ فاعلية من الرقابة القانونية.

(١) انظر: نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، في كتاب مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي، للمؤلف.

* عمل على ضمان حقوق الإنسان التي ترسخ السلم الاجتماعي ومنها حق الحياة والحرية والعدالة والمساواة، وحق الاعتقاد، وحق الكرامة الإنسانية، وحق العمل والتملك وحفظ المال، وحق حفظ الأعراض والأنساب، وما يتفرع عنها من حقوق، كحقوق الطفولة والأمومة والشيخوخة.

* منع الإسلام الأفراد من التعسف في استعمال الحق، منعاً من الإضرار بالآخرين.

* حارب الإسلام الفساد، وأكل أموال الأمة بالباطل، والرشوة واغتصاب الحقوق الفردية والمجتمعية..

* شكَّل الإسلام رأياً عاماً يحمي القيم الاجتماعية، ويضغط على من تسوِّل له نفسه بالانحراف.

* حارب الإسلام الانعزالية، وحث على التفاعل الإيجابي بين أفراد المجتمع.

* حث الإسلام على الإصلاح بين الناس، وحل الخلافات بين أفراد المجتمع، ومنع انتشار العداوة والبغضاء والكراهية بين الناس، وعمل على نشر ثقافة المحبة والمودة والتآلف.

* حفظ الإسلام للإنسان حقه في التفكير والتعبير عن الرأي، وممارسة العمل السياسي، وتبوُّء المناصب في المجتمع [1].

- **ووفقاً لما ذكرناه:**

* أزال الإسلام أسباب جريمة السرقة، من خلال توفير الأمن الاقتصادي لأفراد المجتمع.

(١) انظر: الجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، في كتاب خصائص الرسالة الإسلامية، للمؤلف.

* أزال الإسلام أسباب جريمة الزنى، من خلال توفير أسباب الزواج والتعفف عن الحرام، ومنع كل ذريعة تؤدي إلى الزنى، كالتحريض الجنسي وإشاعة الفواحش في المجتمع.

* أزال الإسلام أسباب جريمة القتل، من خلال توفير السلم والأمن الاجتماعي، وإشاعة العدل، ومنع الظلم والتعدي والإضرار بالآخرين.

* وبالطريقة ذاتها أزال الإسلام أسباب الجرائم الأخرى.

المرحلة الثالثة: درء الحدود بالشبهات.

يقول النبي ﷺ: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»[1].

ويقول النبي ﷺ: «ادْفَعُوا الْحُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهُ مَدْفَعاً»[2].

- يدعو الإسلام إلى النظر في أسباب الجريمة قبل تنفيذ العقوبة،فإن وُجدت شبهة ساعدت على ارتكاب الجريمة، فإن هذه الشبهة تدرأ الحدَّ وتمنع تنفيذه.

(١) أخرجه السمعاني في "المقاصد الحسنة"، برقم [٤٦](ص/٧٤)، ونقل السخاوي عن ابن حجر أنه قال : " في سنده من لا يُعرف " وأخرج الترمذي في "سننه" رقم [١٤٢٤] (ص/٢٥٠) بلفظ: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة» ، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٢٥٤٥](ص/٢٧٧)، وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٢/٧٠): ((هذا إسناد ضعيف ....، وله شاهد من حديث عائشة)).
ومع ضعف أسانيد هذين الحديثين، فقد صرَّح الفقهاء بأن العمل بهما جارٍ.

- فعمر بن الخطاب ﷺ لم يُقِم حدَّ السرقة في عام الرمادة، لأنه (جَعَل مِنَ الْمَجَاعَةِ الْعَامَّةِ قَرِينَةً عَلَى الاِضْطِرَارِ، وَالاِضْطِرَارُ شُبْهَةٌ فِي السَّرِقَةِ تَمْنَعُ الْحَدَّ عَنِ السَّارِقِ بَل تُبِيحُ لَهُ السَّرِقَةَ فِي حُدُودِ الضَّرُورَةِ) [1].
- وورد أن غلماناً لحاطب بن أبي بلتعة ﷺ سرقوا ناقة لِرَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ فَنَحَرُوهَا، فَأَمَرَ بِهِمْ عُمَرُ ﷺ أَنْ تُقْطَعَ أَيْدِيهِمْ. ثُمَّ قَال عُمَرُ: وَاَللَّهِ إِنِّي لأَرَاكَ تُجِيعُهُمْ، وَلَكِنْ لأغَرِّمَنَّكَ غُرْماً يَشُقُّ عَلَيْكَ. ثُمَّ قَال لِلْمُزَنِيِّ: كَمْ ثَمَنُ نَاقَتِكَ ؟ قَال: أَرْبَعُمِائَةِ دِرْهَمٍ. قَال: أَعْطِهِ ثَمَانَمِائَةِ دِرْهَمٍ [2].
- ومن ذلك ما حكم به عمر بن الخطاب ﷺ في قضية المغيرة بن شُعبة (وَالِي الْبَصْرَةِ الَّذِي اتُّهِمَ بِالزِّنَا مَعَ امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهَا، فَاسْتَدْعَى الْخَلِيفَةُ الْوَالِيَ وَشُهُودَ التُّهْمَةِ فَشَهِدَ ثَلاَثَةٌ بِرُؤْيَةِ تَنْفِيذِ الْجَرِيمَةِ، وَلَكِنَّ الشَّاهِدَ الرَّابِعَ الَّذِي يَكْتَمِل بِهِ النِّصَابُ قَال: لَمْ أَرَ مَا قَال هَؤُلاَءِ بَل رَأَيْتُ رِيبَةً وَسَمِعْتُ نَفَسًا عَالِياً، وَلاَ أَعْرِفُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَأَسْقَطَ عُمَرُ التُّهْمَةَ عَنِ الْمُغِيرَةِ وَحَفِظَ لَهُ بَرَاءَتَهُ وَطَهَارَتَهُ، وَعَاقَبَ الشُّهُودَ الثَّلاَثَةَ عُقُوبَةَ الْقَذْفِ) [3].

وهكذا فقد أقر الإسلام إقامة الحدود على المجرمين من حيث المبدأ، لكنه رغَّب بدرئها، وقرر أن خطأ الحاكم في العفو، خير من خطئه في العقوبة.

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (٢٠٥/٢٦).
(٢) المصدر السابق، (٧٩/٢٣).
(٣) المصدر السابق، (٢٠٥/٢٦).

- وانظروا كيف عمل رسول الله ﷺ على درء شبهة الزنى عن ماعز وعن المرأة الغامدية، وحاول مرات عدة أن يجعل لهما مخرجاً لعلهما يدفعا بشبهة تدرأ عنهما العقوبة، ولكنهما أصرَّا على أنهما ارتكبا جريمة الزنا!.

فقد أتت المرأة الغامدية التي وقعت بجريمة اجتماعية وهي الزنى إلى النبي ﷺ تعترف بما فعلت، وتطالبه بتطبيق القوانين التي تفرضها المنظومة القيمية الإيمانية في المجتمع الإسلامي... لقد شعرت بإساءتها إلى هذه المنظومة القيمية للمجتمع، وما يمكن أن يترتب عليها من أضرار إذا انتشرت في المجتمع، فجاءت مختارة مدفوعة برقابتها الداخلية ليتم تنفيذ العقوبة بها،من غير قوة سلطان ولا سطوة صولجان عليها!.

وقد سبقها إلى ذلك ماعز بن مالك حيث أتى إلى رسول الله ﷺ وطلب منه الطلب ذاته!.

تعجب

هل رأيتم في قوانين العالم كله قديمه وحديثه !! أن القاضي يريد صرف الجريمة عن صاحبها، وصاحبها يريد تأكيد ارتكابه للجريمة، ويريد إقامة الحد لينجو بين يدي الله تعالى يوم القيامة .. وشعاره العار ولا النار!!.

فقد جاء في الحديث الصحيح: عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أَنَّ مَاعِزَ ابْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيِّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَرَدَّهُ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ. فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ. فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ.

فَقَالَ:« أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْساً تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئاً؟ » فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نرى. فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضاً، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ، حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ. قَالَ: فَجَاءَتْ الْغَامِدِيَّةُ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزاً، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى. **قَالَ**: «إِمَّا لَا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي» فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. **قَالَ**: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ » فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ. فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا **فَقَالَ**:« مَهْلاً يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ[1] لَغُفِرَ لَهُ» ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ[2].

إضاءة

لقد جعلوا من حربهم على المرأة المسلمة أمّ الحروب، حتى يتمكنوا من تفكيك الأسرة المسلمة، ومن ثمّ المجتمع المسلم، وكذلك القيم والمبادئ الإسلامية، ثم تفكيك محبة الإسلام وعشقه في قلوب المسلمين..

(١) المكس: الضريبة والعشور التي تُؤخذ على خلاف الشرع.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٦٩٥] (ص/٧٠٤).

وذلك كله كان بعد أن أوقد الإسلام شعلة الإيمان في القلوب..

فهذا هو حال عُصاتهم!.

فما بالك بأهل الاستقامة والورع منهم؟!.

المرحلة الرابعة: تنفيذ العقوبة.

بعد استنفاذ المراحل السابقة كافة، لا يبقى لمجرم عذر في ارتكاب جريمته..

والطبيب الحاذق عند استشراء الفساد في عضو من أعضاء الجسد كيد أو رجل فإنه يضطر لبتر هذا العضو الفاسد إنقاذاً لحياة المريض وسلامة باقي الأعضاء السليمة..

وعند تنفيذ العقوبة في هذه الحالة، يحقق الإسلام مقاصد عدة، ومنها:

١- استصلاح المجرم وتأديبه وتهذيبه، وليس الانتقام منه.

٢- إصلاح المجتمع وحماية أمنه وسلامته.

٣- حماية حقوق الناس ومصالحهم، ودفع الضرر عنهم.

٤- ردع المجرمين ووقايتهم من الوقوع في الجريمة.

٥- تفريغ انفعالي لنفسية المجني عليه من الألم الذي أصابه، ومن الرغبة في الانتقام.

- بعد هذا كله، إنهم من إفكهم ليقولون إن العقوبات في الإسلام غير إنسانية!.

ولنا أن نسأل:

سؤال

هل تعذيب عشرات الآلاف من الناس في سجون أبو غريب وغوانتنامو وعشرات السجون المعلنة والسرية والسجون الطائرة، عملٌ إنساني حضاري؟!..

هل ثقب الأجسام المعذبة بمثاقيب الكهرباء عملٌ حضاري؟!..

هل تفجير الأعضاء البشرية وحرقها بالكهرباء عمل حضاري؟!..

هل جلد المعذبين بكابلات الكهرباء حتى تنتفح لحومهم وجلودهم عملٌ حضاريٌ؟!

هل تعرية المعذبين بالكامل وتعريضهم للاعتداءات الجنسية عملٌ حضاريٌ؟!

المبحث الرابع عشر: الرد على شبهة أن الإسلام لم يحرر المرأة.

المطلب الأول: هدفهم هدم الإسلام من الداخل بيد أبنائه:

يرى المستشرقون والمنصِّرون أن المرأة أهم ما يجب أن يركزوا عليه في حملتهم ضد الإسلام لهدمه وتقويضه من أُسسه بيد أبنائه، نظراً لدورها المهم في المجتمع، وقد ذكروا هذا في مخططاتهم صراحةً.

حقيقة

وأما ما يحتاجه جسد المرأة من حظوظ فإن الإسلام لم يحرمها من ذلك، بل أباحه لها، ورشّده بأعلى امتيازات السعادة وفق قانون الحلال والبعد عن الحرام...

المطلب الثاني: قضية تحرير المرأة:

وقد ركز المستشرقون في خططهم على قضية تحرير المرأة، وجعلوها قدس الأقداس، ليتمكنوا من تحقيق مخططاتهم.

ولو توقفنا قليلاً عند **قضية تحرير المرأة** التي نسمعها كل يوم، وتساءلنا؟! ويحق لنا أن نتساءل؟! ما هو المقصود بـ (تحرير المرأة)؟

إذا كان المقصود تمكين المرأة من حقوقها الإنسانية، ورفع الظلم الواقع عليها في موضوع حق العمل وحق التملك وحق التصرف بما تملك، وحق التعليم... إلى آخره، **فإننا ندعو لهذه الحقوق**؛ لأن الإسلام هو الذي سبق وقرر هذه الحقوق للمرأة ، أما إذا كان المقصود هو رفع الشعار، والتستر من ورائه لإخراج المرأة من قيمها العليا ومبادئها الدينية، ومحاربة الدين تحت هذه الذرائع، أو التستر من وراء هذه الشعارات لجعل المرأة رخيصة يسهل الاستحواذ عليها وعلى جسدها، وإعلاء لغة الجسد وإلغاء لغة العقل والفكر والعلم والأخلاق. فلاشكَّ أننا سنقف في مواجهة هذا الخداع وهذه الأضاليل الكاذبة وهذا الظلم الفاضح للمرأة.

لقد أثبتت المرأة المسلمة الملتزمة بإسلامها بقوة في عالمنا المعاصر أنها تمتلك من الحرية ما لا تمتلكه الكثير من نساء العالم، فقد وصلت إلى أعلى المراتب في التحصيل العلمي في كثير من التخصصات العالية؛ فأصبحت طبيبة متخصصة بأعلى التخصصات، ومهندسة، ومدرِّسة، وقاضية، وإعلامية متميزة، ووزيرة، وعضواً في البرلمان، وأستاذة

جامعية، وكاتبة وباحثة، وتقلدت مسؤوليات إداريةً وقياديةً، ودخلت عالم الصناعة والتجارة وغير ذلك، ونافست الرجال وأثبتت جدارتها وتميُّزها، مع أنها لم تتخلَّ عن التزامها الإسلامي، بل هي متمسكة به أشد التمسك، ولم تسقط أمام لغة الجسد، بل أعلت لغة العقل والفكر والعلم والأخلاق والإبداع.

إضاءة

لقد أخرج رسول الله ﷺ المرأة من عالم الدُّونية والمهانة والاحتقار؛ إلى عالم العزة والرفعة والمساواة، وأنهى التمييز العنصري ضدها، وحماها من الأنظمة والتقاليد الظالمة الفاسدة، ووقف إلى جانبها يدفع عنها البغي والاعتداء على حقوقها الإنسانية.[1]

والذين يحاربون الإسلام بذريعة بعض العادات الاجتماعية البالية، والتي تحمل في طياتها الظلم للمرأة فإنهم مخادعون ويتسترون وراء ذلك لأنهم يهدفون إلى محاربة الإسلام أساساً، ويبطنون ما لا يظهرون، وهم يعلمون أن **الإسلام هو الذي يقف بقوة في وجه كافة العادات البالية الجاهلية التي تلحق الظلم بالمرأة**، ومن هذه العادات الجاهلية:

١- التعسف في حرمانها من حقوقها الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
٢- عدم السماح للمرأة بالتعلم.
٣- عدم السماح للمرأة بالعمل عند الحاجة.
٤- التعسف في طلاقها.
٥- التعسف في الزواج عليها.
٦- عدم السماح للخاطب برؤية خطيبته.
٧- عدم أخذ رأيها فيمن يتقدم للزواج منها.

٨- عدم السماح لها بالتملك أو فرض وصاية الرجال على تصرفها بما تملك.الخ.

حقيقة

ونحن إذ لا نحترم أفكار الذين يتستَّرون وراء قضية تحرير المرأة بقصد الإساءة للإسلام، أو بقصد جعل المرأة رخيصة يسهل الاستحواذ عليها وعلى جسدها، **فإننا بكل تأكيد نحترم الذين يتبنّون قضية تحرير المرأة، ويقصدون ـ كما يقصد الإسلام ـ الوقوف بوجه من يحرمها حقوقها الإنسانية والدينية، ونقف في جبهة واحدة معهم لإعلاء مكانة المرأة في العقل والفكر والعلم والأخلاق والإبداع...**، ومحاربة الفكر الذي يدعو لاستغلال المرأة من خلال إعلاء لغة الجسد الحيواني، ودفع المرأة إلى أسواق النخاسة المعاصرة بأشكالها المختلفة، وتفريغها من مضمونها الراقي وقيمتها العليا كصانعة للإنسان والمجتمع...

لقد جاء رسول الله ﷺ فأخرج المرأة من ظلمات الجاهلية وممارساتها المذِلَّة لها إلى نور الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية[1].

وتتبوَّأُ المرأة في الإسلام مكانة مميزة، تتميز عن مكانة الرجل، من حيث شدة الرعاية لحمايتها وحماية حقوقها وتكريمها سواء أكانت أماً أم بنتاً أم أختاً أم زوجة.

فلم يكلفها الإسلام واجباً لا تطيقه، ولم يحرمها من حقوقها، ولم يعزلها

(١) انظر: رحمته ﷺ بالنساء،في كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة،الجزء الثاني، للمؤلف، (١٠٥ وما بعدها).

عن تحمُّل مسؤولياتها على مستوى الأسرة والمجتمع بما يتناسب مع فطرتها[1].

المبحث الخامس عشر: الرد على شبهة عدم مساواة المرأة بالرجل.

المطلب الأول: مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة على نحو عام:

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق على نحو عام، وأعطاها حقوقاً واسعة زيادة على الرجل، وأعطى الرجل حقوقاً محدودة زيادة عليها، وبالمحصلة فإن للمرأة حقوقاً أكثر من الرجل. **يقول النبي** ﷺ :« إِنَّمَا النِّسَاءُ شقائقُ الرِّجَالِ»[2].

أولاً: المساواة بين المرأة والرجل على نحو عام:

١- المساواة الكاملة مع الرجال إنسانياً.

٢- المساواة الكاملة مع الرجال إيمانياً.

٣- المساواة الكاملة مع الرجال في التعلم والتعليم والثقافة.

٤- المساواة الكاملة مع الرجال في حق التملك والتصرف بما تملك من غير وصاية من الرجال.

---

(١) للتوسع انظر:
- حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام، أنور الجندي.
- المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم، د. عمر سليمان الأشقر.
- مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية، سالم البهنساوي.

(٢) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٦١٩٥](٤٣/٢٦٤)، وهو صحيح.

٥- المساواة الكاملة مع الرجال سياسياً لجهة الانتخاب أو الترشُّح لمناصب الدولة باستثناء منصب الإمامة الكبرى "خلافة المسلمين" وهو غير متاح حالياً للرجال فضلاً عن النساء لأسباب عدة.

٦- المساواة الكاملة مع الرجال في العمل في مجال الإصلاح الاجتماعي.

يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة التوبة].

هذه نماذج من أنواع المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، ولا يتسع المجال لإحصائها، وعند الفقهاء تفاصيل يرجع إليها في مصادرها.

ثانياً: حقوق واسعة للمرأة في الإسلام زيادة على الرجل.

١- المرأة غير مكلفة بالإنفاق على نفسها في مراحل عمرها كافة، وغير مكلفة بالإنفاق على أحد ولو كانت غنية، والرجل هو المكلف بالإنفاق عليها وتوفير احتياجاتها كافة.

٢- عند الزواج الرجل مكلف بالمهر، وهي غير مكلفة.

٣- الرجل هو المكلف بتوفير السكن للمرأة، وهي غير مكلفة.

٤- الرجل هو المكلف بتوفير أثاث البيت، وهي غير مكلفة.

٥- الرجل هو المكلف بالإنفاق على أولادهما، وتوفير احتياجاتهم كافة، وهي غير مكلفة.

٦- الرجل هو المكلف بالعمل والكدح لتوفير المال، وهي غير مكلفة، ولكنها إذا رغبت بالعمل فلها ذلك.

٧- المرأة غير مكلفة بإرضاع أولادها، ولها أن تطلب من الزوج أجرة على ذلك.

٨- الرجل مكلف بتوفير خادمة لها تساعدها في أعبائها.. [١]

بعد هذا.. أليس الرجل أحق بطلب المساواة من المرأة؟!!..

ثالثاً: حقوق محدودة للرجل زيادة على المرأة.

الحق الأول: في الميراث.

١- يرث الرجل في أربع حالات ضعف ميراثها؛ لأنه مكلف بالنفقات الكبيرة التي ذكرناها، **وهي غير مكلفة بأي نفقة.** فهو ينفق حصته من الميراث عليها وعلى بيتها وأولادها..، **وهي توفر حصتها لرفاهيتها كما تشاء.**

وهناك حالات أخرى استثنائية في تشريع الميراث في الإسلام..

٢- حالات ترث فيها المرأة مثل الرجل، وهي أضعاف حالات الفقرة الأولى.

٣- حالات ترث فيها المرأة أكثر من الرجل، وهي عشر حالات أو أكثر.

٤- حالات ترث فيها المرأة، ولا يرث الرجل.

أي في مقابل أربع حالات يرث فيها الرجل ضعف الأنثى

(١) وعند الفقهاء تفاصيل يُرجع إليها.

هناك أكثر من ثلاثين حالة ترث فيها المرأة مثل أو أكثر من الرجل أو ترث هي وهو لا يرث[1].

ولو قمنا بعملية حسابية بسيطة في الحالات الأربع السابقة، لوجدنا في المحصلة حسب نظام الإنفاق ونظام الإرث، أن المرأة تكسب من المال أكثر من الرجل.. **فأحكام الإسلام لا يمكن عزلها عن بعضها البعض، فنأخذ جانباً منها ونترك الجوانب الأخرى**.. إن افتراء المستشرقين أن المرأة ظُلمت بنظام الإرث في الإسلام، هو محض افتراء وعار عن الصحة، ودليل حقد على الإسلام، أو جهلهم به في أحسن الأحوال.

يقول المفكر الفرنسي "غوستاف لوبون": (والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً بدلاً من خفضها خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، **والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثيَّة أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوروبية كما أثبتُّ ذلك حينما بحثت في حقوق الإرث عند العرب)** [2].

الحق الثاني: القوامة.

للرجل حق القوامة أي حق إدارة الأسرة وقيادتها بالتعاون معها، وهذا أمر

(١) انظر: ميراث المرأة وقضية المساواة، د.صلاح سلطان، دار النهضة مصر- القاهرة، [١٩٩٩م].
(٢) انظر: حضارة العرب، غوستاف لوبون، (ص/٤٠١).

طبيعي، فالطائرة لها قائد ومعاون، والشركة لها قائد ومعاون،والمدرسة لها مدير ومعاون ،وهكذا.

- لقد أوجب الله تعالى على الرجل والمرأة التشاور والتراضي فيما بينهما في موضوع فطام طفلهما عن الرضاع.. يقول الله تعالى:﴿ ...**فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ... ﴾ [سورة البقرة:٢٣٣]

يقول ابن كثير: (أي: فإن اتفقا والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك، وأجمعا عليه، فلا جناح عليهما في ذلك، فيؤْخَذُ منه: أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، **ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر**) [(١)].

سؤال

إذا كان التشاور والتراضي بين الزوج والزوجة لازم في موضوع فطام الطفل عن الرضاعة قبل الحولين، ولا يصحُ لأحدهما أن ينفرد بالقرار ويستبد بذلك من غير مشاورة الآخر. فكيف يجب أن يكون حال التشاور والتراضي بين الرجل والمرأة في القضايا المهمة المتعلقة بشؤون الأسرة؟!. وكل ما يؤدي الاختلاف فيه إلى إمكانية وقوع الضرر في الأسرة؟!.

وهل يُقبل أن يكون الرجل مستبداً في قراراته في أسرته تحت ذريعة حق القوامة؟!

إن المعاشرة بالمعروف ﴿ .**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** . ﴾ [سورة النساء:١٩]

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (١/٦٣٥).

تقتضي المشاركة والتشاور والتفاهم وتبادل الرأي في أمور حياتهما المشتركة، واستبداد الرجل في شؤون بيته وأسرته يتناقض مع المعاشرة بالمعروف التي أمر الله تعالى بها الرجال والنساء..

- وحقُّ قيادة الأسرة والقوامة عليها، يجب ألا يُلغي مكانة المرأة وشخصيتها وكرامتها في بيتها وفي المجتمع، بل لها مهام لا يستطيع الرجل القيام بها، ولها الشرف والفخر بأنها مكلفة بصناعة الأجيال وتربيتهم على نحو مميز، بما وهبها الله تعالى من رقة وعاطفة وحنان لا يستطيع أن يجاريها الرجل بذلك.

الحق الثالث: للرجل حق منصب الإمامة الكبرى..

- وهذا يتناسب مع الطبيعة الفيزيولوجية للرجل والمرأة، فالرجل أشد قوة، وأكثر خشونة، وقدرته على تحمل المشاق أكبر، وأقل رقة وعاطفة.

- وهي صفات يتطلبها هذا المنصب، علماً بأن منصب الإمامة الكبرى عملياً غير متوفر لأحد في عالمنا المعاصر لأسباب عدة، وهناك تفاصيل أخرى يرجع إليها في مصادرها.

المطلب الثاني:المرأة في تراثهم وكتبهم، مقارنات:

- والعجيب إن المستشرقين يطعنون في الإسلام ويتهمونه بأنه لم يُساوِ بين الرجل والمرأة، مع عظم المكانة التي رفعها إليها الإسلام كما بينا سابقاً، في حين أن رجال كنائسهم كانوا يبحثون ويتناقشون ويتساءلون في مجامعهم ومؤتمراتهم:

- **هل المرأة إنسان؟!.**
- **هل للمرأة روح مثل الرجل؟!.**

● **تقول الباحثة "كارن أرمسترونغ" في كتابها "إنجيل المرأة"**: (لقد شاركت البروتستانتية تماماً في كره النساء الذي ورَّثه الآباء إلى الكنيسة الكاثوليكية. فعندما ناقش اللوثريون في وتنبرج **مسألة ما إذا كانت النساء حقيقة من بني الإنسان،** لم يكونوا يناقشون شيئاً جديداً. **فقد كان اللاهوتيون متحيرين دائماً حول مكانة النساء في خطة الله (لخلاص البشر)**. ولقد كان "توما الأكويني" متحيراً تماماً، مثله مثلما كان أوغسطين من قبل، **فيما إذا كان هناك داع، على الإطلاق، أن يخلقها الله)**...(نحن معشرَ النساء لا نزال تحذر الواحدة منا الأخرى، ومن المؤكد أن هذا يشكل واحدة من أتعس ما ورثناه من ماضينا المسيحي. ولا يدهشنا على أي حال، أن بعض النساء لا يزال يتشكك في البعض الآخر، لأن ثقافتنا قد علمتنا أشياء كثيرة مفزعة فيما يتعلق بجنسنا. ففي مجمع ماسون في القرن السادس، كان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة: **ما إذا كان للنساء أرواح أم لا؟!.** ولقد فاز اقتراح الموافقة بأغلبية صوت واحد) [1].

● والعجيب أيضاً أن المستشرقين المعادين بعد كل هذا الذي قدمه الإسلام للمرأة، يتغافلون عن تعاليم الكتاب المقدس عندهم الذي يجعل من المرأة إنساناً

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/٢٣٦). نقلاً عن كتاب: إنجيل المرأة، كارن أرمسترونغ، (ص/٦٢ وما بعدها).

من الدرجة الثانية.

- **فحسب الكتاب المقدس، على المرأة أن تخضع للرجل خضوعاً مطلقاً بلا تردد أو اعتراض، مثل الخضوع للرب!.**

▪ يقول العهد الجديد في الكتاب المقدس: (أيها النساء اخضعن لرجالكم خضوعكنَّ للرب، لأن الرجل رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة التي هي جسده وهو مخلِّصها. وكما تخضع الكنيسة للمسيح فلتخضع النساء لأزواجهنَّ في كل شيء) [1].

▪ **وجاء في كتاب الأحكام العبرية** –المادة ٤١٤–: (متى خرجت الزوجة من بيت أهلها، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكلي في جميع ما يأمرها به. فعليها ألا تخالفه في شيء مما يطلبه منها **بل تمتثل له كما تمتثل الجارية لسيدها)** [2] .

▪ **ويقول لوثر**: (إن السلطة تبقى في يد الرجل، وتجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله. فالرجل هو الذي يحكم البيت والدولة، ويشن الحرب، ويدافع عن ممتلكاته، ويفلح الأرض، ويبني ويزرع إلخ.. أما المرأة فعلى العكس من ذلك، **فهي مثل مسمار دق في حائط**. هي تجلس في المنزل.. **يجب أن تبقى المرأة في المنزل**، وترعى الحاجات المنزلية، مثل إنسان حرم القدرة على إدارة تلك الشؤون التي تختص بالدولة.. **بهذه الطريقة تُعاقب حواء)** [3].

---

(١) أفسس، (٥/٢٣-٢٤).

(٢) انظر: تعدد نساء الأنبياء، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٩٤). نقلاً عن الأحكام العبرية، دي بعلي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد حافظ صبري، تحت اسم المقابلات والمناظرات.

(٣) انظر:المصدر السابق، (ص/٢٣٧ وما بعدها).

- **أما في الإسلام**، فقد قرر لها أن تُشاور في أمور البيت كما في أمور المجتمع.. فلا يحق للرجل أن يقرر وحده ما يتعلق بفطام طفلهما عند الرضاع، بل عليه التشاور والتوافق مع زوجته، وهكذا في الأمور المهمة المتعلقة بشؤون الأسرة، كما مرَّ معنا سابقاً.

ولها الحق في أن تُشاوَر في الأمور الاجتماعية والسياسية، كما شاور النبي ﷺ زوجته أم سلمة –رضي الله عنها– في حل مشاكل المجتمع الإسلامي الناجمة عن صلح الحديبية.

فالمرأة في الإسلام لها مكانة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وعلمية وتربوية مهمة في المجتمع الإسلامي..

والمرأة في الإسلام لا تخضع لزوجها كخضوعها للرب، بل على زوجها أن يلاعبها، وأن يساعدها في شؤون بيتها، وأن يتواضع لها، وأن يلاطفها. (١)

- **وحسب الكتاب المقدس، المرأة إنسان من الدرجة الثانية.**
  - يقول العهد الجديد في الكتاب المقدس: (الرجل لم يُخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل) (٢).
  - **وأما في الإسلام**، فهن شقائق الرجال، كما قال النبي ﷺ.. وهن مخلوقات من نفس واحدة كالرجال كما ذكر القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ..﴾ [سورة النساء:١].

(١) انظر: رحمته ﷺ وتكريمه للنساء، في كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة، الجزء الثاني، للمؤلف.
(٢) كوزنثوس الأول، (٩/١).

وعمل المرأة الصالح لا ينقص شيئاً عن عمل الرجل الصالح، يقول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ .. ﴾[سورة آل عمران:١٩٥].بل إن المرأة في الإسلام مخلوق مقدس، جعل الله تعالى الجنة تحت قدميها.

فعن معاوية بن جاهِمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرَدْتُ أن أغْزُوَ، وقد جِئْتُ أسْتَشيرك، **فقال**: «هل لك من أمٍّ؟» قال: نعم! **قال**: «فالْزَمْها، فإن الجنَّةَ عند رِجْلِها»[1].

إضاءة

المرأة في الإسلام ليست إنساناً من الدرجة الثانية، بل تساوي الرجل من الناحية الإنسانية والإيمانية والاقتصادية والأخلاقية والثقافية والعلمية

- **وحسب الكتاب المقدس، النساء محرومات من التعبير عن رأيهن في الكنيسة، وعليهن الصمت .**

▪ يقول العهد الجديد في الكتاب المقدس: (لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً. ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهنَّ في البيت لأنه

(١) أخرجه النسائي في "سننه الكبرى" برقم [٤٢٩٧] (٤/٢٧٢)، وهو حسن صحيح.

قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة) [1].

■ **وأما في الإسلام، فالمرأة تجادل النبي ﷺ في حقوقها المشروعة**، وقد أيدها الإسلام في ذلك، وانتصر لها الله ورسوله، وتمَّ إزالة ما لحق بها من ظلم.

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة].

ما رأيك؟! بعد كل هذه القوة والمكانة الرفيعة التي حازتها المرأة في الإسلام حتى باتت تمتلك القدرة على مناقشة ومجادلة الأنبياء في حقوقها!. ويُنزل الله بقصتها آيات في القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة ويعبد المسلمون ربهم عز وجل بتلاوتها في صلاتهم، نعم؛ بعد كل هذا الذي أعطاه الله ورسوله للمرأة من مكانة ورفعة، نستمع إلى أصوات نشاز، ذات مرض وغرض، تتحدث عن ظلم المرأة في الإسلام! وللقارئ أن يحكم على هذه الافتراءات.

وفي الإسلام المرأة تجادل قائد الدولة وخليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد أمام جمهور المصلين، وتعارضه وتعترض على أفكاره وتقيم الحجة عليه، ويخضع قائد الدولة لرأيها المصيب، ويعلن أمام الناس

(١) كورنثوس الأول، (١٤/٣٤-٣٥).

وعلى منبر المسجد: (امرأةٌ أصابت، ورجلٌ أخطأ) [1].

- **وحسب الكتاب المقدس، المرأة هي المسؤولة عن الخطيئة البشرية الأولى، وليس الرجل..**

▪ يؤكد العهد الجديد في الكتاب المقدس، أن المرأة أكلت من الشجرة التي نهى الله عنها وأطعمت رجلها، (... هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. **فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت. فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت**... وقال للمرأة تكثيراً أكثِّر أتعاب حبَلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك) [2] ولذلك سيعاقب الله المرأة بتعذيبها في حملها وولادتها وتسويد الرجل عليها..

▪ ويؤكد العهد الجديد في الكتاب المقدس، أن المرأة هي التي أُغويت ثم أغوت الرجل..(لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء، **وآدم لم يغو لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدي)** [3] **ثم عممت الكنيسة مسؤولية هذه الخطيئة على كل البشر، فكل الناس يولدون وهم متورطون في الخطيئة!!..** (...**بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم**، وبالخطية

(١) انظر: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار ابن خلدون الإسكندرية، (ص/١٤٢).

(٢) سفر التكوين، (٣/١١-١٦).

(٣) تيموثاوس الأول، (٢/١٣-١٤).

الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، **إذ أخطأ الجميع)** [1] (لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد –أي: آدم– جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد –أي المسيح– سيجعل الكثيرون أبراراً) [2].

- **ومفهوم تعميم الخطيئة على كل البشر حتى يحتاجوا للفداء، هو اختراع اخترعه بولس**، وليس له أصل في العهد القديم ولا الإنجيل، والمسيح منه براء..

تقول الراهبة "كارن أرمسترونغ": (لهذا، فإن معتقد الخطيئة الأصلية إنما هو من اختراع المسيحية، **ولقد كان له أعمق الأثر في الفكر الغربي. فهو يعلمنا أن طبيعتنا شر وميئوس منها**، وقد جعل الدين بالنسبة لكثير من الناس عملاً لا أمل فيه: فهو معركة الشعور بالإثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص، ورعب من جهنم، وأخيراً –فإنه بسبب الطريقة التي صنع بها هذا المعتقد– **فهو خوف من الجنس وكراهية النساء)** [3].

فالعجيب أن المرأة حسب رأي الكنيسة جلبت الخطيئة لكل العالم، فالناس يولدون ومعهم الخطيئة، وأن الله قرر تخليص العالم من خطيئة المرأة بالتضحية بابنه، وذلك بقتله على الصليب!!..

---

(١) روميه، (١٢/٥).

(٢) روميه، (١٩/٥).

(٣) انظر: تعدد نساء الأنبياء، (ص/٢٠٤)، نقلاً عن كتاب:
K.Armstrong : The Gospel According To Woman.

يقول المفكر القانوني الفرنسي "مارسيل بوازار": (لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه، بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي: «النساء شقائق الرجال» [1] المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شي زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية، كما يقول سفر التكوين. **وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان)**. بل إن القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح (عليه السلام) [2].

■ **أما في الإسلام**، فلم تكن المرأة هي المسؤولة عن الخطيئة الأولى وحدها، بل كانت مسؤولية مشتركة بينها وبين الرجل، يقول الله تعالى ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٦١٩٥] (٤٣/٢٦٤)، بلفظ: « إنما النساء شقائق الرجال »، وهو صحيح.
(٢) انظر: إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، (ص/١٣٣)

﴿ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [سورة الأعراف].

بل إن الله تعالى خصَّ آدم بالخطاب في هذه المعصية، ولم يخص حواء.. يقول الله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾ [سورة طه]. وقال تعالى:﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ١١٥﴾ [سورة طه].

إضاءة

في الإسلام، أخطأ آدم وحواء، فاعترفا بذنبهما وتابا، يقول الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[سورة الأعراف] فتاب الله تعالى عليهما، وانتهى الأمر، ولم تنتقل الخطيئة لكل البشر، حيث يولدون ومعهم الخطيئة، لأن هذا ظلم، ولأنهم ليسوا مسؤولين عن خطيئة أجدادهم..

والإسلام يقرر: أن كل إنسان مسؤول وحده عن أخطائه، ولا يُؤخذ أحد بجريرة أحد.. يقول الله تعالى: :﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ... ﴾ [سورة فاطر:١٨]

- **وحسب الكتاب المقدس، المرأة تباع وتشترى من قِبل الرجال..**

▪ يقول الكتاب المقدس(وإذا باع الرجل ابنته أمةً لا تخرج كما يخرج العبيد، إن قُبِحت في عين سيدها الذي خطبها لنفسه يدعها تُفك، وليس له سلطان أن يبيعها لقوم أجانب لغدره بها) [1].

(١) سفر الخروج، (٢١/٧-٨).

■ واشترى "بوعز راعوت" الموآبية امرأة محلون، لتكون له امرأة، وولدت له ابناً أسمياه عوبيد، وهو جد داود [1].

■ **وأما المرأة في الإسلام**، فهي كالرجل لا تُباع ولا تُشترى، لقد أخرج الإسلام المرأة من عالم الدُّونية والمهانة والاحتقار؛ إلى عالم العزة والرفعة والمساواة، وأنهى التمييز الجنسي ضدها، وحماها من الأنظمة والتقاليد الظالمة الفاسدة، ووقف إلى جانبها يدفع عنها البغي والاعتداء على حقوقها الإنسانية.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟!) [2].

■ **وهي في الإسلام** مثل الرجال في الصلاح. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب].

● **وحسب الكتاب المقدس، المرأة تصبح في أيام طمثها (العادة الشهرية) نجسة..**

■ يقول العهد القديم (وإذا كانت امرأة لها سيل وكان سيلها دماً في

(١) سفر راعوت، (٤/٩-١٧).

(٢) انظر: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، للمبرد، (٢/٤٧٣).

لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون **نجساً** إلى المساء، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون **نجساً**، وكل ماتجلس عليه يكون **نجساً**، وكل من مسّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون **نجساً** إلى المساء، وكل من مسّ متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون **نجساً** إلى المساء، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسّه يكون **نجساً** إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون **نجساً** سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون **نجساً**) [1]

- وكل رجل يكون له سيل فسيله نجس، وهو نجس مثل المرأة كما ذكر أعلاه.
- **وأما في الإسلام**، فالإنسان لاينجس، والمرأة مكرمة في كل أحوالها ولا تنجس أبداً وهي مثل الرجال.

- **وحسب كتب الأحكام العبرية، جميع مال الزوجة ملك لزوجها..**
- فقد جاء في المادة /٤١٩/ : (**جميع مال الزوجة ملك لزوجها**، وليس لها سوى ما فرض لها من المهر في عقد الزواج تطالب به بعد موته، أو عند الطلاق إذا وقعت الفرقة. **فكل ما دخلت به من المال على ذمة الزوجية، وكل ما تلتقطه، وكل ما تكسبه من سعي وعمل، وكل ما يُهدى إليها في عرسها، ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف شاء، بدون**

(١) سفر اللاويين، (١٥/١٩-٢٤).

معارض ولا منازع) [1].

- فأين المستشرقون المعادون على الإسلام من هذا السيل المنهمر من إهانة المرأة وتحقيرها وهضم حقوقها في عقائدهم؟!!..

لقد جاءت ردة الفعل في العالم الغربي على هذا الظلم الذي لحق بالمرأة حسب تعاليم الكتاب المقدس، بثورة عارمة على الكنيسة وتعاليمها، وبدأت المجتمعات الغربية تقيم أنظمتها بعيداً عن الكنيسة، وتمنح المرأة حقوقها المهضومة، وإن كانت في بعض الجوانب المحدودة ألحقت بالمرأة ظلماً من نوعٍ آخر..

تعجب

ويأتي إلينا المستشرقون المعادون وأتباعهم من أبناء جلدتنا ليطالبونا بالخروج على تعاليم الإسلام كما خرجوا على تعاليم التوراة والكنيسة، وهل تعاليم الإسلام بحق المرأة مثل تعاليم التوراة والكتاب المقدس بحقها؟!!..

وظهرت في العالم الغربي ثورة أخرى، وهي ثورة جنسية عارمة، نفذتها النساء بمساعدة الرجال ضد تعاليم الكنيسة التي ظلمتها وعدَّتها المسؤولة عن الخطيئة الأولى، كما عدَّتها جالبة الخطيئة لكل الناس، فالناس يولدون ومعهم الخطيئة.

وظلمت الكنيسة المرأة والرجل أيضاً عندما قررت أن الجنس والجسد شرٌّ، وأن البتولية (أي ترك الزواج) فقط هي التي تدخل المرأة

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٩٤)، نقلاً عن كتاب الأحكام العبرية، دى بعلي.

والرجل ملكوت السماوات.

- وحسب رأي القديس "جيروم"، فإن الامتناع عن الاتصال الجنسي تكريم للزوجات، **وأن ممارسة الجنس معهنَّ إهانة لهنَّ**[1].
- ويربط القديس **أوغسطين** الخطيئة والجنس والمرأة بثالوث غير مقدس..(لقد سلَّم أوغسطين إلى الغرب تراث الخوف من الخطيئة، كقوة لا يمكن السيطرة عليها. فهناك في لب كل تشكيل للعقيدة، توجد المرأة حواء، سبب كل هذه التعاسة، وكل هذا الثقل من الذنب والشر، وكل هذا الانغماس البشري في الخطيئة. **لقد ارتبطت المرأة والجنس والخطيئة معاً في ثالوث غير مقدس.** فبالنسبة لذكر متبتل مثل أوغسطين لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة. وفي الغرب بقيت المرأة هي حواء إلى الأبد، هي إغراء الرجل إلى قدره المشؤوم، **بل إن إنجاب الأولاد الذي تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسي وينبوع القدرات التي تمتلكها، نجده في المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التي تنتقل بها الخطيئة)** [2].
- وتتوسع الباحثة "**كارن أرمسترونغ**" في هذا البحث، وهي التي انتظمت في سلك الرهبنة سنوات عدَّة، ثم التحقت بالدراسات العليا في جامعة أكسفورد، فتقول في كتابها "إنجيل المرأة" في الفصل الأول بعنوان "**الجنس هو المشكلة**" (لقد شكلت المسيحية المجتمع الغربي، **وكانت هي**

(١) انظر:تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام،أحمد عبد الوهاب،(ص/٢٩٩) نقلاً عن كتاب K.Armstrong The Gospel According To Woman(ص/٣٠).

(٢) المصدر السابق، (٢٢٨ وما بعدها).

الوحيدة بين الديانات الكبرى التي كرهت الجنس وخافت منه. وبناء على ذلك كانت الكراهية للنساء في الغرب فقط باعتبارهن **مخلوقات جنسية** بدلاً من مجرد السيادة عليهن لأنهن مملوكات أدنى. **إن القرآن يعلم المسلم أنه قبل مباشرة الجنس، فعليه أن يشكر الله من أجل هذه النعمة الكبيرة.** وهو يسمح للرجال بأن يكون للواحد منهم أربع زوجات، لكن عليه أن يحترم كل امرأة ويدللها. ولقد كان ما عمله محمد (ﷺ) واضحاً في أنه إذا عجز الرجل عن العدل بين النساء جنسياً وعاطفياً، فيجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة. **ومن المؤكد أن محمداً (ﷺ) لم يعتقد أن النساء كن مثيرات للاشمئزاز جنسياً. فعندما كانت تنزل بزوجته دورتها الشهرية، كان يتكئ في حجرها، ويأخذ حصيرة صلاته من يدها، قائلاً: إن طمثك ليس في يدك، وكان يشرب من نفس الكوب، قائلاً: إن طمثك ليس في شفتيك... وفي حقيقة الأمر، نجد أن النساء في فجر الإسلام كن يتمتعن بقدر كبير من الحرية)**... (ولقد كانت الإنكراتية، التي ظهرت في القرن الثاني، هي أول الهرطقات المسيحية ضد الجنس، وقد أنتجت عدداً من الكتب مثل: "أعمال توما" و"أعمال بولس" **وكان كلاهما يعلم أن الجنس مخزٍ ومحط، وأن البتولية (التبتل وترك الزواج والجنس) فقط هي التي تدخلنا ملكوت السماوات)**.. (فلقد خلقت المسيحية مناخاً يستحيل فيه اعتبار الجنس مجرد نشاط، إن عليك كمسيحي إما أن تحبه بعنف أو تكرهه بعنف، فهو إما نشاط إنساني مترع بالخطيئة وشهوة جنسية مدمرة، وإما أنه ممارسة جنسية يجب أن توضع فيها المتعة الجنسية في مرتبة تالية لإنجاب الذرية.إن حظر منع الحمل الذي لا تزال تدافع عنه الكنيسة الكاثوليكية، إنما ينبع من ذلك الرعب من المتعة الجنسية، والتي ترجع فكرته

في قدمها إلى أوغسطين (في القرن الثالث الميلادي، قال الفيلسوف اللاهوتي القديس "توما الأكويني": الذي ساد الفكر الكاثوليكي حتى عهد قريب إن الجنس كان دائماً شر.. وعلى أي حال، فإن هذا الموقف السلبي لم يكن محصوراً في الكاثوليك، فلقد كان لوثر وكالفين متأثرين إلى أقصى حد بآراء أوغسطين، وحملا مواقفه السلبية اتجاه الجنس والزواج إلى قلب حركة الإصلاح الديني مباشرة)..(**لقد كان آباء الكنيسة الغربيين، الذين كانوا الأكثر تأثيراً بسبب ألمعيتهم الذهنية وشخصيتهم القوية، كانوا جميعاً من النمط الديني الذي نزع بهم إلى النظريات اللاهوتية المتزمتة التي تعادي الجنس. لم تأت تسميتهم آباء من فراغ فمنهم تولدت المسيحية الغربية**).(فبالنسبة لآباء الكنيسة الغربيين مثل أوغسطين أصبح الجنس والخطيئة متداخلين معاً بطريقة لا انفصام لها).(إن المسيحية قد خلقت أتعس جو جنسي في أوروبا وأمريكا، بدرجة قد تصيب بالدهشة كلاً من يسوع والقديس بولس. ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء. فبالنسبة لأوغسطين الذي كان يناضل من أجل البتولية، كانت النساء تعني مجرد إغراء يريد أن يوقعه في شرك).(لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين **بجعل النساء يخجلن من أمورهن الجنسية**، وقد عرفت النساء جيداً، كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء لمعالجة شرور الجنس).(لقد كان ينظر إلى جسد المرأة باشمئزاز على نحو خاص، كما كان .

- مصدر إرباك لآباء الكنيسة أن يسوع ولد من امرأة. فكم ضغطوا بشدة في موعظة تلو موعظة وفي رسالة تلو رسالة، على أن مريم بقيت عذراء، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضاً.. لقد كتب "أودو الكلني" في القرن الثاني عشر: "أن معانقة امرأة تعني معانقة كيس من الزبالة).

(وقال الراهب البنديكيتي "برنار دي موريكس" دون مواربة في أشعاره أنه لا توجد أي امرأة طيبة على وجه الأرض). **(المرأة، إذاً، هي ألد أعداء الرجل فهي المومس التي تغوي الرجل إلى هلاكه الأبدي، لأنها حواء صاحبة الغواية أبداً. وكما أن الخطيئة الأصلية ترتبط بالجنس، فهكذا المرأة تماماً)** ويرى لوثر في الزواج عقاباً للمرأة، فقد كتب يقول: (إن هذا العقاب ينبع من الخطيئة الأصلية، وتتحمله المرأة مكرهة تماماً كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التي وضعت على جسدها. إن السلطة تبقى في يد الرجل، وتجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله) [1].

- بعد كل هذه الحقائق، ألا تعجب من طعن المستشرقين الحاقدين على الإسلام، بادعائهم عدم مساواته المرأة بالرجل، علماً بأنه أنتج نظاماً أسرياً يؤدي إلى نجاح الأسرة وسعادة أفرادها، وجعلها مكوِّناً متماسكاً يقوم عليه بناء المجتمع الإسلامي السعيد؟!.
- وفي الحقيقة أن للمرأة في الإسلام مكانة لا توازيها مكانة في أي نظام ديني أو وضعي عرفته البشرية.

ومن خلال حضوري في لقاءات عدة مع وفود أوربية ضمت أستاذات جامعيات وبرلمانيات وعاملات في حقل الصحافة والإعلام وناشطات اجتماعيات. كن جميعاً عندما يستمعن لما أقوله عن حقيقة مكانة المرأة في

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/٢٢٢وما بعدها)، نقلاً عن كتاب: K.Armstrong : The Gospel According To Woman.

الإسلام **يُدهشْنَ !. كما أقر بعضهن بأن المرأة في الإسلام أكثر سعادة من المرأة في أوروبا.**

بشرط تطبيق نظام الإسلام على نحو كامل ودقيق.

المطلب الثالث: شهادات منصفة ترد على المستشرقين المشككين:

- **يقول المستشرق "غوستاف لوبون"**: (إن الإسلام حسَّن حال المرأة كثيراً، **إنه أول دين رفع شأنها، وإن المرأة في الشرق أكثر احتراماً وثقافة وسعادة منها في أوروبا على العموم تقريباً)**[1].

ويقول لوبون: (وهنا نستطيع أن نكرر إذن قولنا: إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيراً بعيداً عن خفضها ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي فقد سبقنا إلى مثله "كوسان دوبرسفال" وثم "ميسو بارتِلمي سنت هيلر". **ولم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك.)** [2]

- **ولا يجد المستشرق الفرنسي الحاقد على الإسلام "أميل درمنغم"** مناصاً من الاعتراف بأن الإسلام رفع من شأن المرأة ، وأن المرأة في الإسلام لا ترى حال المرأة الغربية أسعد من حالها، يقول: (مما لا ريب فيه أن الإسلام رفع شأن المرأة في بلاد العرب وحسَّن حالها، قال عمر بن

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، (ص/٤١٥).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٠٤وما بعدها).

الخطابﷺ: "مافتئنا نعد النساء من المتاع حتى أوحى في أمرهن مبيناً لهن"، **وقال النبي** ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[1] أجل إن النبي ﷺ أوصى الزوجات بإطاعة أزواجهن، ولكنه أمر بالرفق بهن، ونهى عن تزويج الفتيات كرهاً، وعن أكل أموالهن بالوعيد أو عند الطلاق. ولم يكن للنساء نصيب في المواريث أيام الجاهلية . فأنزلت الآية التي تورِّث النساء. وفي القرآن تحريم لوأد البنات، وأمر بمعاملة النساء والأيتام بالعدل، ونهى محمد ﷺ عن زواج المتعة، وحَمْلَ الإماء على البغاء، وأباح تعدد الزوجات. ولم يوصِ الناس به، ولم يأذن فيه إلا بشرط العدل بين الزوجات فيهب لإحداهن إبرة دون الأخرى.

وأباح الطلاق أيضاً مع **قوله** ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق»[2]). (من المزاعم الباطلة أن يقال إن المرأة في الإسلام قد جردت من نفوذها زوجة وأما، كما تذم النصرانية لعدها المرأة مصدر الذنوب والآثام ولعنها إياها، **فعلى الإنسان أن يطوف في الشرق ليرى أن الأدب المنزلي فيه قوي متين** وأن المرأة فيه لا تَحْسُدُ بحكم الضرورة نساءَنا ذوات الثياب القصيرة والأذرع العارية ولا تحسد عاملاتنا في المصانع وعجائزنا، ولم يكن العالم الإسلامي ليجهل الحب المنزلي والحب الروحي)[3].

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [١١٦٢](ص/٢٠٦)، وهو حسن صحيح.
(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٢١٧٨](ص/٢٤٨)، وهو ضعيف.
(٣) انظر: حياة محمد، أميل درمنغم، (ص/٣٢٩ وما بعدها).

• **ويقول المفكر القانوني الفرنسي المنصف "مارسيل بوازار" المتخصص في العلاقات الدولية وحقوق الإنسان، في كتابه:"إنسانية الإسلام"** (إن الإسلام يخاطب الرجال والنساء على السواء ويعاملهم بطريقة (شبه متساوية) وتهدف الشريعة الإسلامية بشكل عام إلى غاية متميزة هي الحماية، ويقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق ويبدي اهتماماً شديداً بضمانها. فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلا مفهوماً أشد خلقية عن الزواج، وسعَيا أخيراً إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عدداً من الطموحات القانونية. أمام القانون والملكية الخاصة الشخصية، والإرث) [1].

ويجادل المستشرقون المعادون بالباطل ليدحضوا به الحق، ويخادعون ويكذبون وهم يعلمون؟!.[2].

ومع كل ماذكرنا يجب أن نميز بين تشريعات الإسلام، وبين بعض العادات والتقاليد البالية السائدة في بعض المجتمعات الإسلامية، والمخالفة أساساً لمقاصد الإسلام وتشريعاته.

(١) انظر: إنسانية الإسلام، مارسيل بوازار، (ص/١٠٩وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر:

- تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب.
- ميراث المرأة وقضية المساواة، د. صلاح سلطان.
- نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين-فقهاً وقضاءً، د. مصطفى صادق الرافعي.

المبحث السادس عشر: الرد على الشُبهات المتعلقة بتشريع تعدد الزوجات.

جعل المستشرقون الحاقدون من تعدد الزوجات أمَّ القضايا لمحاربة الإسلام، وإظهاره أنه متخلف، وتشريعاته لا تتوافق مع مصلحة المرأة.

وسنرد على هذه الشبهة من خلال النقاط التالية:

المطلب الأول: تعدد الزوجات في الإسلام يساعد على حل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن خلل يؤدي إلى وجود زيادة كبيرة في عدد النساء على عدد الرجال.

١-إن الله تعالى لم يشرع أحكام الدين الإسلامي لتتوافق مع الحالات المثالية التي تعيشها المجتمعات البشرية، ولكنه شرَّع أحكام الدين لتتوافق مع كل الحالات الطارئة وغير الطارئة التي يمكن أن تتعرض لها هذه المجتمعات.

والله تعالى لم يشرع أحكام الدين الإسلامي لتتوافق مع زمان دون زمان أو مكان دون مكان، ولكنه شرَّع أحكام الدين لتتوافق مع كل زمان ومكان..

إضاءة

أحياناً ما نراه لاحاجة ماسة للإنسان إليه في بعض الأوضاع الاجتماعية أو في بعض الأزمنة أو الأمكنة، هو ليس كذلك عندما تأتي ظروف تجعل هذا الحكم التشريعي ضرورة ماسة لحل المشكلات الطارئة.

وهذا من الإعجاز التشريعي في الإسلام، الذي يجعله صالحاً لكل زمان

ومكان.. فمهما تغيرت الظروف والأحوال فإنك لن تعدم حلاً رائعاً يقدمه لك الإسلام بتشريعاته لحل أي مشكلة طارئة.

٢-ومما رأيناه من المشكلات الطارئة التي تعرضت لها المجتمعات البشرية[١]، الكوارث الناتجة عن الحروب. ولم تعرف البشرية في تاريخها أحقاباً خلت من حروب مدمرة، تقضي على عشرات الآلاف من الرجال بل مئات الآلاف أحياناً، بل عشرات الملايين كما حصل في الحرب العالمية الأولى والثانية خلال النصف الأول من القرن العشرين فقط!.

إن هذه الحالات التي تطرأ على المجتمعات البشرية، ينتج عنها أخطار داهمة تعرض الأمن والسلم والاستقرار الاجتماعي للانهيار.

فماذا تفعل المجتمعات البشرية التي يفوق فيها أعداد النساء على الرجال بنسبة كبيرة، بسبب الحروب أو لأي سبب آخر؟!.

ليس أمام هذه المجتمعات سوى أحد حلين لا ثالث لهما:

الحل الأول: وجود تشريع يسمح بتعدد الزوجات شرعاً وقانوناً، بما يحفظ للمرأة كرامتها ويصون حقوقها:

* بأن تكون أماً ذات أولاد، ترعاهم وتحنو عليهم.

(١) هذا مما واجهته البشرية من حالات طارئة، ولكن ماذا يخبئ لنا الزمان من حالات أخرى لا نعلمها؟!!..

إنه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وسيجد أجيال تلك العصور في تشريعات الإسلام حلاً لكل طارئ.

* وأن تكون ذات زوج تبادله المودة والمحبة، وتشبع احتياجاتها الجسدية والنفسية.

* وأن يكون لها بيت وسكن يرعاه الزوج، ويقدم لها ولأولادها كل ما تحتاجه من نفقات ووسائل العيش الكريم.

* وأن يكون الشرع والقانون إلى جانبها يحفظ حقوقها وحقوق أولادها المالية والقانونية والاجتماعية.

الحل الثاني: أن تترك هذه الأعداد الكبيرة من النساء بلا حل لمشكلاتهن.

* فيلجأ بعضهن للعفة، وهن في المجتمعات غير الإسلامية قليلات إن لم نقل نادرات.

* وتلجأ أكثرهن للعلاقات المحرمة التي تدمرهن وتدمر مجتمعاتهن، وتنتقص من كرامتهن،وعندما يكبرن يعشن حالة من الإذلال والمهانة والعذابات لايعلم آلامها إلا من تذوقها وعاشها، والوقائع خير شاهد.

❖إن النتائج الكارثية لهذا الحل على صعيد المرأة، وعلى صعيد الأولاد غير الشرعيين، وعلى صعيد المجتمع مدمرة جداً.

- **النتائج الكارثية على مستوى المرأة:**

ما رأيكم بحال المرأة التي لا تجد سبيلاً لإشباع احتياجاتها إلا عن طريق العلاقات المحرمة؟!.

* إنها سلعة رخيصة متنقلة بين الراغبين اليوم والمعرضين غداً، الذين

يقضون وطرهم منها، ثم لا يلتزمون اتجاهها بأي شيء قانوناً، فإذا حملت وولدت أُلقيت أعباء الأولاد على عاتقها، وأما الرجل فيذهب ليبحث عن متعة أخرى.

* إنها مرغوبة شابة، وغير مفضلة إذا كبرت قليلاً، ومرغوب عنها إذا تقدم بها العمر.

* إذا لم تحمل –وهذا هدف يحرصن عليه في العلاقات المحرمة– فقدت جزءاً عظيماً من فطرتها، وفقدت أمومتها. وإذا حملت، أُلقي على عاتقها من الأعباء ما لا تطيق.

* وإذا كبرت لفظها المجتمع، فلا ولد يرعاها، ولا زوج يحنو عليها، ولا أسرة تحميها.

- **النتائج الكارثية على مستوى الأولاد غير الشرعيين:**
- على الأغلب، تتخلى الحامل بسبب العلاقات المحرمة عن أولادها المظلومين.

ولنا أن نسأل:

سؤال

ما ذنب هؤلاء الأطفال؟!!..

أين التزام المجتمع الدولي بحقوق الأطفال؟!!..

لماذا ندعو لمساعدة الأطفال بعد أن يحل بهم البلاء، ولماذا لانمنع الأسباب المؤدية إلى هذا البلاء؟!!..

لماذا تحترمون إرادة رجل وامرأة شاذين في اختياراتهما، ولاتحترمون إرادة أطفال أبرياء تتسببون بتدمير حياتهم ومشاعرهم، وقهرهم في حياة لم يختاروها؟

ما حال الأطفال الذين لا أم لهم، ولا أب لهم، ولا أسرة.؟!.

* لا أم لهم تحنو عليهم وتتعهدهم بالرعاية والتربية وتلبي لهم حاجات الطفولة!.

* لا أب لهم يرعاهم وينفق عليهم وينتسبون إليه!.

* لا ميراث لهم من أب أو أم أو أرحام!.

* يحملون لوثة الزنى واللاشرعية مدى الحياة؟، ولا يستطيعون الفكاك منها!.

* يعيشون حياة لا معنى لها، بلا كينونة ذاتية ولا عاطفية..

حقيقة

إنهم المضطهدون من لحظة الولادة، من قِبَل الذين يُفترض بهم أن يكونوا أرحم الناس بهم، من آباء وأمهات، مات وجدانهم وضميرهم، فقذفوا بطفل بريء إلى عذابات مدى الحياة، من أجل نزوة منحطة دنيئة لم تعمِّر أكثر من ثوانٍ معدودات..

* يستقبلهم من حولهم بلا ترحيب، بل بجو مشحون بالرفض والنظرة الدونية، يستقبلهم العالم في صندوق أمام حاوية القمامة، أو على قارعة الطريق، أو على الرصيف أمام باب مؤسسة اجتماعية.. هذا إذا نجا من عصابات الموت التي تتاجر بالأعضاء البشرية!!

* إنهم خارج النظام الاجتماعي، وعالة عليه، وبؤرة تتولد فيها الأمراض الاجتماعية الفتاكة.

● **إن ظاهرة الأطفال غير الشرعيين، من أخطر الظواهر التي تقلق المجتمعات البشرية.**

* ففي **فرنسا** وحدها أكثر من **أربعة ملايين طفل غير شرعي** حسب

إحصائية وزارة الصحة الفرنسية عام /٢٠٠٧م/. [١]

* وارتفع عدد الأولاد غير الشرعيين في **الاتحاد الأوروبي** خلال العقدين الماضيين بمقدار الضعف، وتقدر نسبتهم بـ **٣٥,١ %** في عام /٢٠١٠م/.

* وأعلى معدلات الأطفال غير الشرعيين سجلت في **أستونيا** حيث بلغت **٥٩%** [٢].

* وفي **روسيا** أظهر تقرير أعدته هيئة الإحصاء الحكومية أن نسبة الأطفال غير الشرعيين ارتفعت من ١٣,٥% عام /١٩٨٩م/ إلى ٢٧% عام /١٩٩٨م/. وأظهرت الدراسة أن نسبة الأطفال غير الشرعيين المولودين من أمهات لم يبلغن سن الثامنة عشرة بلغت **٥٨,٤%** [٣]

* وفي **ألمانيا**، أعلن مكتب الإحصاء الاتحادي في مقره في مدينة "فيسبادن" أن نسبة الأطفال غير الشرعيين بلغت ٣٢% في عام /٢٠٠٨م/في حين كانت النسبة ١٥% عام /١٩٩٣م/[٤].

---

(١) انظر:
http://wfsp.org/articleslist/child-issues/٦٧٧-illegitimate-children-in-europe

(٢) انظر-http://wfsp.org/articleslist/child-issues/٦٧٧-illegitimate-children-in-europe

(٣) انظر:/http://daharchives.alhayat.co

(٤) انظر: /http://forum.illaftrain.co.uk/t١١٤٦٩

* وتؤكد إحصائية صدرت عن **المجلس العربي للطفولة والتنمية** أن **أطفال الشوارع في العالم العربي يتراوح عددهم ما بين /٧-١٠/ملايين طفل.**

* وتشير إحصائيات منظمة الصحة العالمية إلى أن عدد أطفال الشوارع في **مصر** وحدها يتجاوز **مليون طفل.**(١)

* وأجرت **صحيفة المساء المغربية** بتاريخ ٢٠١٠/٩/٢٣م حواراً مع رئيسة جمعية التضامن النسوي، حذرت فيه من تزايد نسبة الولادات غير الشرعية في المغرب، وأشارت إلى دراسة أُجريت عام /٢٠١٠م/ كشفت أن **نصف مليون** طفل غير شرعي ولدوا في المغرب ما بين عامي /٢٠٠٣-٢٠٠٩م/.

- **لقد أصبحت هذه الظاهرة خطراً يهدد الأمن والاستقرار الاجتماعي لأسباب عدة:**

السبب الأول: عزوف الشباب عن الزواج.

السبب الثاني: شيوع الإباحية على نطاق واسع بلا قيود ولا عوائق، مع سهولة الانغماس فيها، بل انتشار الدعارة التي أصبحت تجارة رائجة تدر أرباحاً طائلة على شبكاتها التي تستقطب الفتيات للمتاجرة بأجسادهن مقابل مبالغ مغرية.

السبب الثالث: انتشار التحريض الجنسي على نطاق واسع، وبأساليب

(١) انظر: http://www.startimes.com/

مذهلة ووسائط متعددة وتسهيلات كبيرة من خلال..

* وسائل الإعلام المختلفة..
* الشبكات الالكترونية (إنترنت، ووسائل اتصال عالية التقنيات..).
* نظام التعليم المختلط في المراحل الإعدادية والثانوية، حيث تتفجر الطاقات الجنسية لدى المراهقين في هذا السن، وتكون خبراتهم في الحياة ضعيفة.

السبب الرابع: ضعف التربية الدينية في الأسرة والمدرسة والمجتمع، وعدم توظيفها في الوقاية من الزنى والانزلاق في حمأة الرذائل.

السبب الخامس: عدم الأخذ بنظام تعدد الزوجات لحل مشكلة وجود عدد كبير من النساء العوانس غير المتزوجات.

- **النتائج الكارثية على مستوى المجتمع:**

إن التعدد وإن كان فيه أثر نفسي سلبي على الزوجة فإن فيه مصلحة للمجتمع، ومصلحة عامة لمجموع النساء. ودائما يقدَّم العام على الخاص، لدرء المفاسد وجلب المصالح العامة.

حقيقة

إن سدّ باب التعدد الشرعي والقانوني الذي يحفظ حقوق المرأة وكرامتها، سيفتح باب التعدد غير الشرعي على مصراعيه، وسيؤدي هذا إلى ارتفاع نسبة الزنى وشيوع الفاحشة في المجتمع، وولادات لإطفال غير شرعيين.

إن التعدد غير المشروع:

* يُضِرُّ بالرجل الزاني.
* ويُضِرُّ بزوجته ، والتي ستزني بدورها باحثة عن خليل.
* ويُضِرُّ بأولادهما.
* ويُضِرُّ بالمرأة المزني بها.
* ويُضِرُّ بأولادهما.

ويتشعَّب الضرر ويتفرع بلا حدود في المجتمع، مثل الشبكة العنكبوتية.

كما يؤدي هذا إلى ارتفاع نسبة الأولاد غير الشرعيين في المجتمع.

المطلب الثاني: تعدد الزوجات في الإسلام يساعد على حل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن حالات طارئة خاصة.

ومن هذه الحالات:

١- إذا كان الرجل يرغب بإنجاب الأولاد، وكانت زوجته عقيماً، فماذا يفعل؟!!..

٢- إذا كانت الزوجة مريضة مرضاً يمنعها من معاشرة الزوج، فماذا يفعل؟!.

٣- إذا كان الرجل شبقاً جنسياً، ولا تكفيه زوجة واحدة، فماذا يفعل؟!.

٤- إذا كان الرجل يسافر بكثرة، ويقيم خارج بلده أشهراً بعيداً عن زوجته بحكم عمله الذي لا يستطيع تركه، فماذا يفعل؟!.

ليس أمامه سوى أحد هذا الحلول الأربعة:

الحل الأول: أن يتخلى عن طلب الولد، أو أن يتخلى عن احتياجاته الجنسية، وهذا غير ممكن لأنه يناقض فطرته ويلغي احتياجاته.

الحل الثاني: أن يُطلق زوجته التي لا تلد، ويتزوج بأخرى..

أليس من الأفضل للمرأة أن تحتفظ بزوجها وبيتها وأسرتها مع كامل حقوقها، من أن تُطلَّق وتفقد كل هذه الميزات، مع خسارة بعض الميزات النفسية بوجود زوجة ثانية؟!.

الحل الثالث: أن يلجأ إلى العلاقات المحرمة والتي تحدثنا عن نتائجها الكارثية على المرأة والأولاد غير الشرعيين وعلى الأسرة والمجتمع.

الحل الرابع: أن يلجأ إلى نظام التعدد في الإسلام بضوابطه وشروطه، وأهمها حفظ حقوق المرأة الأولى والثانية وحقوق أولادهما وحفظ كرامتهما وحمايتهما.

فأي الحلول الأربعة أفضل؟!.

المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للتعدد.

١-يستحب الزواج بامرأة واحدة، ولا يزيد الرجل إلا لحاجة ظاهرة، فالتعدد رخصة وليس واجباً ولا مستحباً، فهو كالدواء لمعالجة الأمراض الطارئة على الأسرة والمجتمع.

٢-أباح الإسلام التعدد، لكنه لم يأمر به، وقد وردت آية التعدد في سياق النهي عن ظلم اليتيمات.

عن عروة بن الزبير أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ... ﴾ [سورة النساء:٣] قَالَتْ: (هِيَ الْيَتِيمَةُ فِي حِجْرِ وَلِيِّهَا، فَيَرْغَبُ فِي جَمَالِهَا وَمَالِهَا، وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَدْنَى مِنْ سُنَّةِ نِسَائِهَا، فَنُهُوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ وَأُمِرُوا بِنِكَاحِ مَنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ) (١).

٣-أمر الإسلام الرجل بالعدل بين نسائه إذا عدَّدَ في كل شيء حتى الإيناس والقبلة إلا الميل القلبي، فهذا مما لا يملكه الإنسان.. كما نهى عن التعدد إذا لم يضمن العدل..

قال تعالى: ﴿ ...فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ... ﴾ [سورة ا لنساء:٣]

إن الذي جعل النساء يكرهن التعدد هو عدم التزام الرجال بالتشريع الإلهي الذي يقول: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ [سورة النساء].

إضاءة

إن الذي أباح لك التعدد عند الحاجة، أمر بالعدل.. فإذا لم تطبق الحكم الذي شرّعه الله تعالى بكامله، وأخذت جزءاً منه وتركت جزءاً، فقد وقعت بالخلل وتسببت بالضرر..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٦٣](ص/٥٣٣).

ولذلك فالذين يعددون ولا يعدلون ويهضمون حقوق الزوجة الأخرى ويظلمونها هم السبب في كراهية النساء للتعدد، ولو وجدت المرأة أن التعدد لم يهضمها حقوقها، ولم يؤدِّ إلى ظلمها، بل رأت أن زوجها بعد التعدد زاد في إكرامها ومودتها والعناية بها، لَهان عليها الأمر. والعدل يجب أن يشمل الزوجة وأولادها وسكنها ونفقتها وكل شيء يتعلق بها.

وإذا وجد أن الرجال يتعسفون في استخدام هذا الحق في تعدد الزوجات ولا يعدلون، ولا ينفقون، ولا ينضبطون بضوابط الشرع، **فلوليِّ الأمر أن يكلف قاضياً ورعاً عارفاً يتحقق من قدرة الزوج على الوفاء بالشروط الشرعية، فيأذن لمن يستوفي الشروط الشرعية، ولا يأذن لم لا يستوفيها..**

إن الذين يعددون بقصد التذوق لا يحبهم الله تعالى.. **يقول النبي** ﷺ: «إِنَّ اللَّه لَا يُحِبّ الذَّوَّاقِينَ وَلَا الذَّوَّاقَات»[1].

حقيقة

إن التعدد التعسفي المفسد الذي يمارسه بعض الجهلة من الرجال في العالم الإسلامي، ممن لا يلتزمون بأحكام الشرع الإسلامي بل ينساقون وراء أهوائهم. هو اعتداء على حقوق المرأة والطفل والأسرة والمجتمع، كما أنه تشويه للإسلام ونُظُمه..

(١) أخرجه الطبراني في "معجمه" برقم [٧٨٤٨](ص/٢٤)، وهو ضعيف.

٤-يشترط في التعدد **القدرة** على الإنفاق على الزوجات والأولاد وتوفير احتياجاتهم، فإذا فُقد هذا الشرط مُنع التعدد.

٥-إذا اشترطت المرأة في عقد زواجها عدم الزواج بغيرها، فلا يحق للرجل أن يتزوج عليها وفاءً بالعقد والشرط[١].

يقول النبي ﷺ : «أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ»[٢]

لأن هذا الشرط من مقتضيات العقد ومقاصده، ولم يتضمن تغييراً لحكم الله ورسوله، مثل اشتراط ترك الإنفاق، أو ترك الوطء، أو اشتراط أن تنفق عليه، أو اشتراط أن يطلق زوجته الأولى.

يقول النبي ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه، ولا يسوم على سوم أخيه، ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لِتَكْتَفِئَ صَحْفَتَها[٣] ولْتُنْكَحَ؛ فإنما لها ما كتب الله لها» [٤].

يقول ابن قيم الجوزية: (إن الرجل إذا شرط لزوجته أن لا يتزوج عليها،

---

(١) وعند الفقهاء تفاصيل يرجع إليها في مصادرها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٧٢١](ص/٥٢٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٤١٨](ص/٥٥٨)، واللفظ للبخاري.

(٣) لتكتفئ صحفتها: المراد ليصير لها من نفقته ومعروفه ومعاشرته ونحوها ما كان للمطلقة فعبَّر عن ذلك بإكفاء ما في الصحفة (الإناء) مجازاً. قال الكسائي: كفأت الإناء كببته وأكفأته أملته.
انظر: الديباج على مسلم، للسيوطي، (١٩/٤).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢١٤٠](ص/٤٠٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٤٠٨](ص/٥٥٤)، واللفظ لمسلم.

لَزمه الوفاءُ بالشرط، ومتى تزوَّج عليها، فلها الفسخ)[1].

المطلب الرابع: شهادات المنصفين ترد على أكاذيب المستشرقين المعادين.

حقيقة

إن المستشرقين المعادين يطعنون بتشريع الإسلام في التعدد الشرعي المقيد بحفظ حقوق المرأة والطفل والأسرة والمجتمع، ويتعامون عن التعدد الفاحش في مجتمعاتهم والذي يكاد يقضي على ماتبقَّى من حرمة المرأة والأسرة..

- **يقول المفكر الفرنسي "غوستاف لوبون"**: (ولا نذكر نظاماً أنحى عليه الأوروبيون باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات، كما أننا لا نذكر نظاماً أخطأ الأوروبيون في إدراكه كذلك المبدأ، وذلك أن أكثر مؤرخي أوروبا اتزاناً يرون أن مبدأ تعدد الزوجات حجر الزاوية في الإسلام، وأنه سبب انتشار القرآن. وأنه علة انحطاط الشرقيين، ونشأت عن هذه المزاعم الغربية ،على العموم، أصوات سخط رحمة بأولئك البائسات المكدَّسات في دوائر الحريم واللائي يَرقُبُهنَّ خِصْيانٌ غِلاظٌ، ويُقتلْن حينما يكرَهُهن سادتهن. ذلك الوصف مخالف للحق. وأرجو أن يثبُت عند القارئ الذي يقرأ هذا الفصل، بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوروبية جانباً، **أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيِّب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطاً، ويمنح المرأة احتراماً وسعادة لا تراهما في أوروبا**. وأقول قبل

(١) زاد المعاد، لابن قيم الجوزية، (١١٧/٥).

إثبات ذلك، إن مبدأ تعدد الزوجات ليس خاصاً بالإسلام، فقد عرفه اليهود والفُرس والعرب وغيرهم من الأمم قبل ظهور محمدﷺ)[1].

- **ومن المؤكد أن جميع الشعوب والمجتمعات قديماً وحديثاً تُعدد الزوجات.**

* **إما تعددٌ شرعيٌّ محدد بعدد كما في الإسلام،** يحفظ حقوق المرأة الشرعية والقانونية، وحقوق أولادها، ويوفر احتياجاتها كاملة النفسية والجسدية، والسكن والنفقة والمكانة المحترمة في الأسرة المسلمة..

* **وإما تعدد غير شرعي، وغير مقيد بعدد،** على غرار ما هو منتشر على نطاق واسع في المجتمعات غير الإسلامية، وحصاده الكارثي يقوِّض أركان تلك المجتمعات ويهددها بالانهيار...

يقول المفكر الفرنسي "غوستاف لوبون": (ولا أرى سبباً لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوروبيين، وأُبصر العكس، فأرى ما يجعله أسنى منه، وبهذا ندرك مغزى تعجُّب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم ونظرهم إلى هذا الاحتجاج شزرا)[2].

- **وينقل الدكتور "مصطفى الرافعي" إعجاب أستاذه "نيبوييه" الفرنسي بتشريع التعدد في الإسلام،** فيقول: (ومنهم "**نيبوييه**" أستاذ

(١) حضارة العرب، غوستاف لوبون، (ص/٣٩٧).

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٩٨).

القانون الدولي الخاص في جامعة باريس سابقاً فقد ذكر لي -شخصياً- يوم كنت أُحضِّر لنيل شهادة الدكتوراة في الحقوق من الجامعة المذكورة، أنه معجب بنظام تعدد الزوجات في الإسلام بشروطه المقننة بنص القرآن، ونتائجه الحميدة، لاسيما لجهة كونه يعتبر الأولاد جميعهم شرعيين، لأن فريقاً كبيراً من الأوروبيين يعملون جاهدين كي يُلحقوا بهم أولادهم غير الشرعيين دون جدوى). (١)

- **إن مصادمة الفطرة الإنسانية في موضوع الزواج والتعدد عند الحاجة، يؤدي إلى نتائج سلبية موجعة.**

يقول "رولاند بينتون" : (يمكن للمرء أن يدرك إلى أي حد كان لوثر يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التي وصمها بأنها تهرُّب من المسؤولية الاجتماعية. ولقد كان دفاعه عن الزواج في مستهل هجومه على تبتل رجال الإكليروس والرهبان شديداً. وكان السبب في ذلك أن الممارسات التي قاومها كانت فظيعة. **فلقد كانت ممارسة رجال الإكليروس للتسري (ممارسة الجنس بطريقة غير شرعية) مشاهدة في كل مكان، باعتباره شرعاً مقبولاً، كما كان يتغاضى عن الشذوذ الجنسي، دون أدنى مبالاة.** لقد اجتاحت هذه الرذيلة الكنيسة في القرون الوسطى. وفي صراع لوثر ضد الفساد، فإنه أكد على سماح بولس بالزواج كعلاج، فقد كان يقول إن نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة إلا القليل. قد يتجافى بعض الناس

(١) نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين -فقهاً وقضاءً- ، د.مصطفى الرافعي، الشركة العالمية للكتب-بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٠م]، (ص/٦٦).

عن الشهوة الجنسية، أما أن يكونوا أعضاء فإن هذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس، ولا يقدر على ذلك إلا الذين مُنحوا القوة. **من أجل ذلك فقد يكون الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب**، كما أن فرض العصمة على الذين لم يُمنحوا نعمة العفة، إنما هو بمثابة الحكم عليهم بجهنم، أو بتذوق عذاب المطهر. **فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكراً أو أنثى من التزاوج إلا إذا كان يحق له منع الطعام والشراب. بل إن الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضاً، كعلاج لاقتراف الإثم، أي كبديل عن الاتصال الجنسي غير المشروع)**[1].

- **ودعا "هوارد رووت"** في محاضرة له في كلية اللاهوت في جامعة كامبردج إلى إعادة النظر في موقف المسيحية من تشريع تعدد الزوجات، في مواجهة التعدد غير الشرعي عن طريق الزنى وهدر حقوق النساء والأولاد.

فيقول: (إنها لحقيقة محزنة وغير قابلة للإنكار، أن الكنيسة غالباً ما فشلت في إدراك ذلك، وقد خدعت بصيرتها الأخلاقية بغية التمتع باحترام مظهري، وأحياناً ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان حسمها يتم بالقواعد المكتوبة). (إن الإنسان في العالم الذي نعرفه، حيث البلاد المسيحية بخلفيتها الإغريقية واليهودية، لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة.. لكنني لا أرى سبباً يدعو المسيحيين، أو غيرهم، إلى التطرف في التأكيد على أن هذا النظام

(١) تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب(ص/١٥٨)، نقلاً عن كتاب:
R.Bainton:Sex,Love And Marriage,pp.٨٣_٨٥

المثالي هو نوع من المطلق الأبدي، مثل طبيعة الله، ونجد في واقع الأمر، شواهد في العهد الجديد تحذرنا من هذا الافتراض).(لقد كان هناك الكثير من البحوث المخلصة، في السنوات الأخيرة، عن المطالب الاجتماعية التي يجب أن تفرضها الديانة المسيحية، مثلاً على مجتمع يمارس تعدد الزوجات. **هل هو مستحيل على رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحياً؟** وهل الدين المسيحي يستلزم أن يُطلق الرجال زوجاتهم المعولات، ومن ثم يحكمون عليهم عملياً بالفقر والعوز؟ وهل نظام تعدد الزوجات يعتبر في كل الأحوال استخداماً سيئاً للجنس؟!.ليس من السهل الإجابة عن هذه الأسئلة، إلا أن إلحاحها علينا وأهميتها الواقعية تجعل من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقى مفتوحي الفكر، وأن نتذكر أن الزواج، قد جعل للإنسان، ولم يجعل الإنسان للسبت. ومن ناحية أخرى نجد أنه من الأهمية بمكان أن نلاحظ التغيرات التي حدثت في الجماعة الدينية العظيمة، حيث تعدد الزوجات أمر عادي: أقصد بذلك الإسلام. أعتقد أنه من الحق أن نقول إن ممارسة التزويج بامرأة واحدة أخذ في الازدياد، وأن بعض المفكرين المسلمين يشجعون على ذلك بالإشارة إلى ما جاء في تعاليم محمد فبينما يسمح القرآن بتعدد الزوجات، مثلما يفعل العهد القديم، فإن النبي قال إن على الرجل ألا يتزوج بأكثر ممن يستطيع أن يسوي بينهن في المعاملة والإعزاز)[1].

يقول المستشرق "اميل درمنغم": (وأيهما أفضل. تعدد الزوجات الشرعي أم تعدد الزوجات السري؟!.إن تعدد الزوجات من شأنه إلغاء

(١) المصدر السابق، (ص/١٦٢ وما بعدها).

البغاء، والقضاء على عزوبة النساء ذات المخاطر) [1].

يقول المستشرق الفرنسي المسلم "إيتين دينيه" ناصر الدين: (لا يتمرد الإسلام على الطبيعة التي لا تغلب، وإنما هو يساير قوانينها ويزامل أزمانها، **بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة مثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة ، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء**... الإسلام لا يكتفي أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها وإنما هو يدخل في قوانينها **ما يجعله أكثر قبولا وأسهل تطبيقا**.)(هل حقيقي أن الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة وتشديدها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه؟ **وإلا فهؤلاء مثلاً ملوك فرنسا – دع عنك الأفراد– الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم وإكرام .** وإن تعدد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم، لذلك فإن ما فعلته المسيحية لم يأت بالغرض الذي أرادته فانعكست الآية معها وصرنا نشهد الإغراء بجميع أنواعه.. **إن نظرية التوحيد في الزوجة التي تأخذ بها المسيحية ظاهرا تنطوي تحتها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين) .**

(١) انظر: حياة محمد، اميل درمنغم، (ص/٣٣١).

إضاءة

إن الدافع للتعدد الشرعي المحدود العدد هو الحاجة، التي ستُحَمِّل صاحبها أعباءً كبيرةً مادية ومعنوية، ولا يصح ذلك أيضاً إلا بشروط، أما الدافع للتعدد غير الشرعي، وغير محدود العدد، هو الشهوة الجنسية المنفلتة التي يرفض أصحابها الانضباط، ويرفضون تحمُّل تبعات حقوق المرأة التي هدروا عفتها، وحقوق الأولاد التي حملت بهم، وحقوق المجتمع البشري الذي يعيشون فيه.

المطلب الخامس: النتيجة:

في الحالات الطارئة لا يوجد إلا أحد حلين:

الحالة الأولى: تعدد شرعي وقانوني.

يحمي المرأة، ويحفظ حقوقها، وحقوق أولادها ويحمي المجتمع من وجود أعداد كبيرة من الأولاد غير الشرعيين، وما يترتب على ذلك من كوارث اجتماعية.

الحالة الثانية: تعدد غير شرعي وغير قانوني.

ينتهك حقوق المرأة ويذلها ويضيعها ويهدر كرامتها، ويضيع حقوق الأولاد غير الشرعيين، ويدمر بنيان المجتمعات البشرية.

- **فأي الحالتين أفضل للمرأة وأكثر ضماناً لحقوقها وكرامتها؟!.**

إنه التعدد الذي شرعه الله تعالى وهو أعلم بأحوال الناس الذين خلقهم

(١) انظر: أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين إيتين دينيه، (ص/٣١وما بعدها).

وكـرَّمهم... وللأسـف هنـاك أنـاس يريـدون أن يعلِّمـوا خـالقهم، ويـدَّعون لأنفسهم مقاماً من الحكمة والمعرفة والتبصر في شؤون الخلائق، فوق حكمة ومعرفة وتبصر خالق الأكوان ﷻ. وكأنهم اكتشفوا شيئاً غاب عن معرفة الله تعالى وحكمته؟!.

ولنا أن نسألهم:

* من الذي يحمي المرأة من الرجل الذي لا يهتم إلا بشهوته ثم يمضي بلا مسؤوليات؟!.

* من الذي يحمي الأولاد غير الشرعيين الذين يتسبب بولادتهم رجل أنـاني شـهواني وامـرأة أنانيـة شـهوانية لا يحترمـان حقـوق الأطفـال وحقـوق المجتمع؟!.

* من الذي يحمي المجتمع من الكوارث المدمرة المترتبة على الانتشار الواسع للعلاقات المحرمة؟!.[1]

حقيقة

لا حماية إلا بالتشريع الإسلامي الحكيم المتوافق مع فطرة الإنسان واحتياجاته والضابط لها وفق قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

(١) للتوسع انظر:
- أطفال بلا أُسر، أنسي محمد أحمد قاسم، مركز الإسكندرية للكتاب-مصر، [١٩٩٨م].
- أطفال بلا أُسر، عبد الله بن ناصر، دار الفكر العربي-بيروت، [١٩٩٩م].
- السلوك الانحرافي في إطار التقدم والتخلف، جميل خليل، المكتب الجامعي الحديث-الإسكندرية، [١٩٩٨م].
- أطفال الشوارع، محمد سيد فهمي، المكتب الجامعي الحديث-مصر، الطبعة الأولى [٢٠٠٠م].

المبحث السابع عشر: الرد على الشُبهات المتعلقة بتشريع الطلاق.

عمل المستشرقون المعادون على وصم تشريعات الإسلام بأنها ظالمة للمرأة، ومن ذلك تشريعات الطلاق.

المطلب الأول: لماذا شرع الإسلام الطلاق:

- **المستشرقون المعادون يحاربون الفطرة البشرية، وواقع حياة المرأة.**

* فكم من امرأة مظلومة في زواجها تجد في الطلاق الذي شرَّعه الله تعالى حبل نجاتها وخلاصها؟!.

* وكم من امرأة بغى عليها زوجها، فحرمها من حاجاتها الجنسية الفطرية بقصد النكاية بها، أو كان متوحشاً يقضي وطره وحاجته ولا يأبه بحاجاتها، أو كان عاجزاً عن معاشرتها لسبب مرضي؟!.

* وكم من امرأة منعها زوجها من حقوقها الإنسانية التي شرَّعها الإسلام لها، من زيارة أهلها، أو حاجتها إلى النفقة، أو كان بخيلاً لا يوفر لها ولأولادها ما هم بحاجة إليه من طعام أو كساء أو دواء؟!.

* وكم من امرأة حبسها زوجها عن الخروج من بيتها ولو لضرورة؟!.

* وكم من امرأة يعتدي عليها زوجها بالضرب المبرح لأتفه الأسباب؟!

* وكم من امرأة لا يوفر لها زوجها ولا لأولادها مسكناً شرعياً يتوافر فيه الحد الأدنى من الضروريات؟!.

* وكم من امرأة اختفى زوجها، وتركها لسنوات طويلة؟!.

* وكم من امرأة اكتشفت أن زوجها قد أدمن المخدرات والمسكرات،

وعندما يفقد عقله يهدد حياتها وحياة أولادها ؟!.

* وكم من امرأة يجبرها زوجها على الدعارة، من أجل أن تحصل على المال، وتنفق على إدمانه؟!.

* وكم من امرأة يجبرها زوجها المتوحش على أن يجامعها في الدبر الذي حرمه الشرع الإسلامي؟.

* وكم من امرأة أصاب زوجَها الجنونُ أو مرض نفسي عضال تصبح معه الحياة الزوجية مستحيلة؟!.

* وكم ... وكم...

بعد هذا . أليس في تشريع الطلاق رحمة كبرى لهذه المرأة للخلاص من هذا الجحيم؟!.

- **والمستشرقون أيضاً، يحاربون فطرة الرجل وواقع حياته..**

* فكم من رجل تمنعه زوجته من حقه في معاشرتها، بسبب مرض نفسي أو مرض عضوي؟!.

* وكم من رجل يتعرض للضرب من زوجته،بسبب مرض نفسي؟!.

* وكم من رجل أصاب زوجتَه الجنونُ أو مرضٌ نفسي عضال، فأصبحت الحياة الزوجية معها مستحيلة؟!.

* وكم من رجل يكتشف بعد زواجه أن لزوجته عشيقاً تمارس معه الفاحشة قبل الزواج أو أثناءه؟!.

* وكم من رجل يكتشف بعد زواجه أن زوجته مدمنة على المخدرات والمسكرات، ولا تستطيع إدارة بيتها وتربية أولادها؟!.

* وكم من رجل تتمرد عليه زوجته، وتسومه إهانة وتحقيراً، وتهضمه حقوقه؟!.

* وكم من رجل تهمله زوجته، كما تهمل نفسها وبيتها وتربية أبنائها وتصحب صاحبات السوء؟!.

* وكم..وكم؟!.

بعد هذا أليس في تشريع الطلاق رحمة كبرى لهذا الرجل للخلاص من هذا الجحيم؟!..

وإذا أغلقنا باب الطلاق في وجه ذاك الرجل أو في وجه تلك المرأة، فماذا يفعلان؟!.

من أجل الخلاص من هذا الجحيم شرَّع الإسلام الطلاق، للضرورة، لاستحالة استمرارية الزواج.

المطلب الثاني: مبادىء تشريع الطلاق:

- **ويشمل تشريع الطلاق في الإسلام على مبادئ:**

١- الوقاية.

٢- الإصلاح.

٣- الضوابط.

أولاً: الوقاية.

إضاءة

وضع الإسلام تشريعات متعددة، تجعل من الزواج سعيداً متيناً حيوياً متجدداً، وتغلق أبوابه لمنع دخول أي خلل إليه، وتقدم له الحماية والوقاية من الأسقام الاجتماعية والأخلاقية والتربوية والمعيشية...

وتشريعات الوقاية وأخلاقياتها لها حضور واسع جداً في مصادر التشريع، وعلم التربية، وعلم الاجتماع الإسلامي.

ومنها الوقاية من المشكلات المتعلقة بالاختيار، وضعف التربية الدينية والتناسب الفكري والمالي والعائلي، وطريقة التعارف بين الزوجين، والجهل بأحكام الزواج، وسوء الخُلق عند الزوجين، وسوء استخدام حق القوامة وضعف شخصية أحد الزوجين، وعدم توفير المسكن الشرعي المناسب، وبخل الزوج، وعقم أحد الزوجين، وجهل الزوجين بأصول المعاشرة الزوجية، وغيرة الزوجة أو الزوج، وظلم أحد الزوجين للآخر، وتمرد الزوجة على زوجها وهضم أحد الزوجين لحقوق الآخر، وعدم عناية الزوجة بزوجها وأولادها وبيتها، وخروج الزوجة من بيتها بغير علم زوجها، وإسراف الزوجة وتبذيرها، وصحبة أحد الزوجين لأصدقاء السوء، والاختلاط الخاطئ عند الزوج أوالزوجة مع الآخرين، وأمور أخرى ذات صلة بالوقاية من الطلاق.

وهناك مئات الكتب التي تبحث في هذه الموضوعات[1].

(١) ومنها على سبيل المثال:

- الدورة التأهيلية للحياة الزوجية، د.محمد خير الشعال، دار الفكر- دمشق.
- الزواج المبارك، د.محمد خير فاطمة، دار الخير — دمشق.
- الحياة الزوجية من منظار الشريعة الإسلامية، د.محمد شريف الصواف، بيت الحكمة — دمشق.
- ورود لا تذبل، د.محمد شريف الصواف، بيت الحكمة — دمشق.
- حقوق الزوج والزوجة وأصول المعاشرة الزوجية، صلاح سيف الدين، دار الجيل — بيروت.
- التدابير الشرعية للحد من الطلاق في الفقه الإسلامي، حاتم خضير البتاوي، رسالة مكملة للحصول على درجة الماجستير، جامعة النجاح، نابلس- فلسطين [٢٠٠١م.]

ثانياً: الإصلاح.

بعد الأخذ بكل الاحتياطات السابقة، إذا وقع الخلاف بين الزوج والزوجة، فإن الإسلام يوجه الزوجين لحل مشاكلهما عن طريق الإصلاح فيما بينهما. يقول الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨ ﴾ [سورة النساء].

فإن تعذَّر ذلك، يستعينان بحكم من أهله وحكم من أهلها..

يقول الله تعالى:

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾ [سورة النساء].

فإن فشل التحكيم، وتعذَّر الصلح، واستحال استمرار الزواج لا يبقى من مخرج سوى الطلاق الذي يبغضه الله تعالى، ويكون بطلب أحد الزوجين، أو بطلبهما معاً..

ثالثاً: الضوابط.

* منع الإسلام الزوج من التعسف في استعمال تشريع الطلاق، وقيَّده بضوابط شديدة، فلا يُلجأ إليه إلا في حال الضرورة المُلْجئة التي يتيقن فيها عدم إمكانية استمرار الزواج.

* الطلاق في الإسلام أمر بغيض، وأباحه الإسلام مع الكراهة، **يقول النبي** ﷺ: « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »[1].

* جعل الإسلام من عقد الزواج "ميثاقاً غليظاً"، فهو عقد مقدس ذو حرمة عظيمة عند الله تعالى.

* نهى الإسلام بشدة عن استخدام الطلاق للأهواء، وذلك للتنقل بين النساء بقصد إرواء الشهوات.. **يقول النبي** ﷺ: «ما بال أقوام يلعبون بحدود الله. يقول أحدهم: قد طلقتك. قد راجعتك. قد طلقتك»[2].

* إن للمرأة حقوقاً أوجب الإسلام على الرجل احترامها، وعدم هضمها أو تجاوزها، لذلك ضيَّق الإسلام بشدة على أبواب الطلاق، فلا يمكن ولوجها إلا للضرورة القاهرة.

* جعل الإسلام الطلاق على ثلاث مراحل: فالطلاق الأول والثاني هو طلاق رجعي، يحقُّ للرجل الرجوع عنه. أما الطلاق الثالث فهو طلاق بائن لا يحقُّ للرجل الرجوع عنه..

* ومن حكمة الإسلام أنه ألزم المطلقة بعدم الخروج من بيتها، وأمر بأن تُمضي فترة عدة الطلاق الرجعي في بيتها وهي تعيش مع زوجها، ولك أن تتأمل كيف يمكن أن تُفتح أبواب الوفاق من جديد، وتميل النفس وتشتهي، ويكفي الرجوع العملي لتعود الحياة الزوجية كما كانت، ولعلها تصبح أفضل..

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٢٠١٨] (ص/٢١٩)، وهو ضعيف.
(٢) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٢٠١٧] (ص/٢١٩)، وهو ضعيف.

* ومنح الإسلام المرأة الحق بطلب التفريق أو الخُلع، إذا رأت أن الحياة الزوجية أصبحت مستحيلة.

إضاءة

لقد جاء الإسلام بتشريع الطلاق والخُلع والتفريق، وجعل منه منهجاً وسطاً، بين منع الطلاق وبين التعسُّف فيه. ولم يدع الإسلام وسيلة للوقاية من الطلاق إلا اتخذها وشرّعها، ولا وسيلة لحماية الزواج إلا دعا إليها، ولا وسيلة لضبط الطلاق فلا يخرج عن مقاصده إلا أمر بها..

* وأحكام الطلاق وضوابطه الشديدة واسعة جداً ومبسوطة في المصادر الفقهية، يمكن الرجوع إليها لمن أراد التوسع.

المطلب الثالث: تشريع الطلاق في الشرائع الأخرى:

- **والعجيب أن المستشرقين يوجهون سهام حقدهم على تشريع الطلاق في الإسلام، مع أن الديانات الأخرى شرَّعته لمعالجة بعض الحالات.**

* فقد أباحت **اليهودية** الطلاق حال وجود عيب في الأخلاق وعلى الأخص الزنى، أو عيب في الخلقة مثل العقم، فقد جاء في سفر التثنية: (إذا أخذ الرجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء وكتب لها طلاق ودَفَعه إلى يدها وأطْلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها طلاق ودفَعَه إلى يدها وأطْلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد

أن تنجَّست لأن ذلك رجس لدى الرب)[1].

وجاء في إنجيل مرقس: (فتقدم الفريسيون وسألوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ليجرِّبوه. فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى. فقالوا موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق فتُطلَّق)[2].

* وأباحت الكنيسة **الأرثوذوكسية** فسخ الزواج في الحالات التالية:

١- إذا اعتنق أحد الزوجين ديناً آخر.

٢- إذا أصاب الجنون أحدهما، وكان غير قابل للشفاء.

٣- إذا حُكم على أحدهما بسبب جُرم شائن بعقوبة السجن مدة لا تقل عن ثلاث سنوات.

٤- إذا أهمل أحد الزوجين أمر الآخر مدة ثلاث سنوات متتالية.

٥- إذا اختار أحد الزوجين العيشة الرهبانية بالفعل زهداً وتقشفاً.

٦- إذا ثبت عجز الرجل عن الجماع مدة ثلاث سنوات مستمرة.

٧- إذا وقع الزواج بالإكراه أوالتغرير [3].

* وأباحت الكنيسة **الإنجيلية** فسخ الزواج في الحالات (١-٢-٤) السابقة، بالإضافة إلى:

* إذا فُقد أحد الزوجين، وانقطعت أخباره.

---

(١) انظر: سفر التثنية، (٢٤/١-٥).

(٢) انظر: سفر مرقس، (١٠/٢-٤).

(٣) انظر: نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين فقهاً وقضاءً،د.مصطفى الرافعي، الشركة العالمية للكتاب – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٠م]، (ص/١٢٤).

* التثبت من محاولة أحد الزوجين قتل الآخر[1].

ولكن الكنيسة الأرثوذوكسية والبروتستانتية تُحرِّمان على الرجل والمرأة الزواج بعد ذلك.

* **وهناك نظام الهجر عند النصارى، ويمكن أن يكون مؤقتاً أو مؤبداً**.. فالزوج -سواء أكان رجلاً أم امرأة- يحق له أن يهجر زوجه الزاني هجراً مؤبداً، **مع بقاء الوثاق الزواجي سالما**.. والشذوذ الجنسي وإتيان البهائم تأخذ حكم الزنى..

ويضاف عند الأرثوذوكس والإنجيليين لأسباب الهجر استحالة الحياة الزوجية بين الزوجين.

ولا يسمح للزوج والزوجة أثناء الهجر المؤبد بالزواج من آخرين!.

* ويمكن فسخ الزواج عند **الكاثوليك** في ثلاث حالات:

١- إذا لم يتم الاتحاد الجسدي بين الزوجين.

٢- إذا رفض أحد الزوجين العماد بالماء.

٣- إذا تم الزواج بين كاثوليكي وغير كاثوليكي.

أما الطلاق عندهم فغير جائز، مهما كان السبب، فإن حدثت خيانة

(١) المصدر السابق، (ص/١٢٦).

زوجية فيجوز فيها الهجر المؤبد، ولا يجوز الطلاق. [1]

ويستند الكاثوليك إلى ما جاء في إنجيل مرقس، (ولكن من بدأ الخليقة. ويكون الاثنان جسداً واحداً إذا ليسا بعد اثنين، بل جسد واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان) [2]

*** وعند المسيحيين من يطلق زوجته ويتزوج بأخرى فإنه يزني..**

فقد جاء في إنجيل مرقس: (من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني) [3].

الخلاصة

تحرِّم الكنيسة على الرجل أو المرأة الزواج بعد توقف الزواج الأول بالفسخ أو الهجر المؤبد أو الهجر المؤقت ولو استغرق العمر كله..

ولنا أن نسأل:

ماذا يفعل ذاك الرجل وتلك المرأة عندما يُفسخ زواجهما، أو يتقرر حكم الكنيسة بالهجر المؤبد بينهما، ثم يُمنعان من الزواج بآخرين؟!!.

ليس أمامهما إلا أحد حلول ثلاثة:

الحل الأول: الترهب والرهبانية.

(١) المصدر السابق، (ص/١٢٤وما بعدها).
(٢) انظر: إنجيل مرقص، (١٠/٦-٩).
(٣) انظر: سفر مرقص، (١٠/١١-١٢).

الحل الثاني: الانغماس في الفاحشة، وتعدد زواج لا شرعي بلا حدود عددية ولا ضوابط أخلاقية.

الحل الثالث: التحرر من سلطان الكنيسة، والزواج حسب القوانين المدنيَّة، رغم رفض الكنيسة لها.

أما الحل الأول: فلا يُلجأ إليه عموماً.

وأما الحل الثاني: فهو ملاذ الأكثرية الساحقة.

وأما الحل الثالث: فيلجأ إليه عدد أقل منهم.

إن الطلاق تشريع الله تعالى الذي خلق الناس، وهو أعلم بحاجاتهم وأحوالهم...

سؤال

أي التشريعات أفضل وأكثر توافقاً مع الفطرة البشرية، وأكثر قدرة على تلبية حاجات الناس؟!!..

التشريع الذي وضعه رجال الكنيسة، ويمنعون فيه الطلاق، ويسمحون بفسخ الزواج أو الهجر، شريطة عدم السماح للزوجين بالزواج من آخرين بتاتاً!..

أم التشريع الإلهي في الإسلام الذي يراعي الظروف الصعبة التي يستحيل معها استمرار الحياة الزوجية، ويسمح بالطلاق، ويسمح بعقد زواج آخر يلبي حاجة الرجل أو المرأة؟.

- **ولذلك تمرد الناس في العالم الغربي على رفض الكنيسة للطلاق، والزواج بعده.**

فقد شنَّ المفكرون الغربيون حملة واسعة على منع الكنيسة للطلاق، ، فهذا "**برتراند راسل**" ينتقد منع الطلاق في المسيحية، فيقول: (وقد فعلت الكنيسة ما في استطاعتها لضمان أن الشكل الوحيد للعلاقة الجنسية التي سمحت بها تتضمن قدراً قليلاً من المتعة وجزءاً كبيراً من الألم، **وذلك بجعل الزواج رباطاً غير قابل للحل**) ثم يضرب مثالاً: كيف إذا أُصيب رجل بمرض مُعدٍ كالزهري، فالكنيسة لا تسمح بالطلاق، بل تصرُّ على بقائه، ولو انتقل المرض إلى الزوجة والأولاد.. ثم يقول: (ويوجد الآن في عالمنا المعاصر آلاف مؤلفة من الأطفال الذين يعانون من الزهري منذ ولادتهم، والذين كان في الإمكان ألا يولدوا، لولا رغبة المسيحيين في أن يروا الخاطئين يعاقبون. **إني لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لتعاليم تؤدي إلى هذه القسوة الشيطانية، أن تعتبر ذات تأثير طيب على الأخلاقيات**) [1]

- **وقد أقرت الدول الغربية قوانين الطلاق رغماً عن الكنيسة..**

* ففي **فرنسا**، تمَّ تشريع أول قانون للطلاق بعد الثورة الفرنسية عام /١٧٩٢م/ ثم أُلغي هذا القانون، ثم عاد عام /١٨٨٦م/، فأعاد إباحة الطلاق.

* وأباح القانون الطلاق في **سويسرا وألمانيا وبريطانيا**.. [2]

---

(١) انظر: تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٨٢)، نقلاً عن كتاب: Rertdand Eussll : Way I Am Not A Christian, pp٠٢٠-٢٢

(٢) انظر: الطلاق في الإسلام، مولانا محمد علي، ترجمة: حبيبة يكن، منشورات المكتبة العصرية – بيروت، (ص/١٩وما بعدها).

وقد بيَّن المؤلف في كتابه الشروط التفصيلية لقوانين الطلاق في الدول الغربية.

* وقد قامت حملات واسعة لدفع الحكومة الإيطالية، لسن قوانين مدنية تُبيح الطلاق ثم الزواج، **وبعد كفاح طويل فاز تشريع الطلاق في إيطاليا،** وابتهج الناس في شوارع روما كعبة الكنيسة الكاثوليكية في العالم، كما ابتهج الناس في بلدان أوروبية أخرى.. يقول الأديب الإيطالي "**البرتو مورافيا**" معقباً على نتيجة استفتاء الشعب الإيطالي لصالح إقرار الطلاق بالقانون الرسمي ضد رغبة الكنيسة.. **(إنه نصر لكل شيء حر وسعيد وصحي وعقلي ضد كل شيء جبان ومريض ومجنون وغامض)** [1]

فما رأي المستشرقين الحاقدين على الإسلام، هل يستطيعون الرد على الأديب العالمي "البرتو مورافيا"؟!.

إضاءة

إن الحكومات الغربية التي أصدرت قوانين مدنية تبيح الطلاق أغلقت باباً للإفساد ولكنها تركت أبواباً كثيرة مشرعة للخراب، وهذا شأن التشريعات الوضعية التي لاتأخذ بالتشريعات الإلهية المحكمة التي تحيط بالمشكلة من جميع الوجوه..

المطلب الرابع: التشريعات المدنية وحدها لاتمتلك الحل الأمثل:

- ففي مجتمعات تسمح بإقامة علاقات إباحية بين الرجال والنساء بلاحدود ولاضوابط، استمر عقد الأسرة بالانفراط فبعد أن كان الطلاق العملي لايخضع للقانون، أصبح معلناً وفق القانون، وبدأ طوفان الحقائق

(١) مجلة دعوة الحق الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية، العدد /١٧٩/.

يظهر على السطح، وتشير الإحصائيات في الغرب المسيحي إلى ارتفاع كبير في نسب الطلاق المدني وانفصال الأسرة لأسباب كثيرة.

* ففي (بحث بعنوان "تقييم السياسة الأسرية في ضوء التطورات الديموغرافية (السكانية) في غرب أوروبا، كتب **"بيير جيليانر"**، من جامعة لوزان في سويسرا في بحث علمي أكاديمي[1] أن هناك ارتفاعاً في معدلات الطلاق منذ عام /١٩٧٥م/ في غرب أوروبا، حيث بلغت النسبة ٥٠ ٪أي النصف في السويد، أما في إنكلترا وويلز والدنمارك فقد اقتربت نسبة الطلاق من ٧٥ ٪ وفي نفس الوقت بلغت نسبة المواليد بدون زواج ما بين ٤٣٪، و ٤٥ ٪ في الدنمارك والسويد وأيسلندا، وهي أقل من ذلك في سويسرا والدول الجنوبية.

* وفي بحث بعنوان العائلات المقتصرة على أب وأم كتبت **"شيلا ب" كامرمان و"ألفرد جي كان"**، وهما أستاذان ومساعدا مديري الدراسات الوطنية الشاملة بكلية العمل الاجتماعي بكولومبيا بالولايات المتحدة، في بحث نُشر بالإنكليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية في العدد الأول من المجلة الدولية للضمان الاجتماعي لعام ١٩٨٩م، كتبا يقولان: "إن من بين كل

(١) ترجمة هذا البحث عن الإنجليزية، وعن العدد الرابع لعام ١٩٨٩م من المجلة الدولية للتأمينات الاجتماعية صدرت في الرياض في عام ١٩٩٠م ضمن نسخة عربية للمجلة (ص/١٥٩وما بعدها)، وعنوان المقال بالإنجليزية:

Evolation Of Family Policy In The Light Of In West European Countries Demographic Development

مائة امرأة، في عامي ١٩٨٤م ١٩٨٥م طلقت ٤٣ امرأة في النمسا ، و٦٧ في فلندا، و٤٦ في ألمانيا الاتحادية (وقتذاك) و ٣٩ في فرنسا، و ٤٢ في بريطانيا و ٧في إيطاليا و٣١ في السويد و٤٢ في الولايات المتحدة) [١].

وتنبه هذه الإحصائيات إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: تعاظم رفض الناس لتشريع الكنيسة بمنع الطلاق..

الأمر الثاني: تعاظم لجوء الناس إلى الفاحشة لسهولة الحصول عليها بلا حدود، وعزوفهم عن الزواج المدني وكذلك الكنسي..

إن هذا العزوف عن الزواج سواء أكان مدنياً أم كنسياً يتعاظم في الغرب المسيحي باستمرار، فقد (أشارت البيانات الرسمية إلى أن عدد الزيجات في الاتحاد الأوروبي وصل في/ ٢٠٠٨م/ إلى **أدنى مستوياته** منذ بداية الإحصاء في /١٩٦٤م/.

وأعلن مكتب الإحصاءات الأوروبي (يوروستات) ...في لوكسمبورج أن مكاتب السجل المدني سجلت العام قبل الماضي /٤,٩/ زواج من بين كل ألف نسمة في الاتحاد الأوروبي. وأشار المكتب إلى أن معدل الزيجات في الاتحاد كان يبلغ /٦,٣/ زواج بين كل ألف نسمة عام /١٩٩٠/ .

وفي ألمانيا انخفض معدل الزيجات عن متوسط الاتحاد الأوروبي، حيث بلغ المعدل /٤,٦/ زواج لكل ألف نسمة، في حين سجلت قبرص وليتوانيا أعلى

(١) المصدر السابق، (ص/٣ – ٦٣)، والترجمة للدكتور محمد شتا أبو سعد في النسخة العربية للمجلة بالاشتراك مع الأستاذ موسى عبد الحميد وهو مستشار محكمة استئناف ومستشار التأمينات الاجتماعية في الرياض.

معدلات زواج، بينما كانت أقل المعدلات في سلوفينيا وبلغاريا)[1].

وارتفعت نسبة المعرضين عن الزواج في مقاطعات سان فرانسيسكو الأمريكية حتى بلغت **٨٣٪** من عدد الشباب دون /٢٥سنة/ رغم قدرتهم على الزواج[2].

(**يقول الكاتب والمؤرخ "ول ديورانت"** في كتابه "مباهج الفلسفة": "**فحياة المدينة تفضي إلى كل مثبط عن الزواج، في الوقت الذي تقدِّم فيه إلى الناس كل باعث على الصلة الجنسية، وتيسِّر كل سبيل ييسر أداءها.** ولكن النمو الجنسي يتم مبكراً عما كان من قبل كما يتأخر النمو الاقتصادي. فإذا كان قمع الرغبة شيئاً عملياً ومعقولاً في ظل النظام الاقتصادي الزراعي، فإنه الآن يبدو أمراً عسيراً، وغير طبيعي في حضارة صناعية أجَّلت الزواج حتى بالنسبة للرجال، فقد يصل إلى سن الثلاثين، ولا مفرَّ من أن يأخذ الجسم في الثورة، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عمَّا كان في الزمن القديم، **وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية،** ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالاً. ثم يفاخر الرجال بتعدد خطاياهم، وتطالب النساء بحقها في مغامرات غير محدودة، على قدم المساواة مع الرجال، **ويصبح الاتصال قبل الزواج أمراً مألوفاً،** وتختفي البغايا من الشوارع بمنافسة الهاويات لا برقابة الشرطة، لقد تمزقت أوصال القانون

(١) انظر: http://www.aleqt.com/٢٠١٠/٠٩/١٠/article_٤٤٠٣٥٠.html

(٢) انظر: http://wfsp.org/articleslist/child-issues/٦٧٧-illegitimate-children-in-europe

الأخلاقي الزراعي ولم يعد العالم المدني يحكم به. ولسنا ندري مقدار الشر الاجتماعي الذي يمكن أن نجعل تأخير الزواج مسؤولاً عنه.. ولكم معظم هذا الشر يرجع في أكبر الظن في عصرنا الحاضر إلى التأجيل غير الطبيعي للحياة الزوجية، **وما يحدث من إباحة بعد الزواج فهو في الغالب ثمرة التعود قبله.** ولا يقل الجانب الآخر من الصورة كآبةً، لأن كل رجل حين يؤخر الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر، **ويجد الرجل (والمرأة بداهة)لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات ومنظماً بأسمى ضروب الإدارة العلمية، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات وإشباعها."**

ويتابع الكاتب بحثه فيقول: "حتى إذا سئمت فتاة المدينة الانتظار، اندفعت بما لم يسبق له مثيل في تيار المغامرات الواهية فهي واقعة تحت تأثير إغراء مخيف من الغزل والتسلية، وهدايا من الجوارب وحفلات الشمبانيا في نظير الاستمتاع بالمباهج الجنسية")[1].

إضاءة

إن خطر الطاقة الجنسية المنفلتة والمتفجرة في المجتمعات البشرية، أشد خطراً من القنابل المتفجرة.. فالقنابل المتفجرة تدمر مكاناً محدداً في زمان محدد، أما القنابل الجنسية المتفجرة فإنها تشمل كل مكان في الكرة الأرضية وكل زمان..

(١) انظر: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الشيخ محمد الغزالي، (ص/٤٢وما بعدها).

يقول الشيخ "محمد الغزالي" : (يقول **"جورج بالوشي هورفت"** في كتابه "الثورة الجنسية": "الآن بعد أن كادت مخاوفنا تهدأ من الخطر الذري، وتستريح للتصالح بين القوى العظمى، ألا توجد حوافز بشرية تُحسُّ القلق البالغ الأهمية التي يكتسبها الجنس في حياتنا اليومية.؟!!..

ألا نشعر بالخشية إذ نرى أمواج الشهوات الجنسية وغارات العري والإغراء لا تهدأ حتى تثور؟!.

إنه يجب أن ينشغل الناس انشغالاً جادّاً بالقوة الهائلة التي يمكن أن تبلغها الحاجة الجنسية إذا لم يكفكفها الخوف من الجحيم أو الأمراض المعروفة أو الحمل.!

إن القلقين على مستقبل العالم وفضائله يشعرون بأن أطناناً من القنابل الجنسية تنفجر كل يوم وينشأ عن انفجارها دمار واسع.

والواقع أن مستقبل الأجيال الناشئة محفوف بالمكاره ربما يتحوَّل أطفال اليوم إلى وحوش عندما تحيط بهم وسائل الإغراء المتجددة بالليل والنهار! إنَّ تشويهاً كبيراً سيلحق البشر حيث كانوا."

وكتب "جيمس رستون" في "النيويورك تايمز" إن خطر الطاقة الجنسية قد يكون في نهاية المطاف أكبر من خطر الطاقة الذرية!. ".

ويلفت المؤرخ **"آرنولد توينبي"** النظر إلى أن سيطرة الغرائز الجنسية على السلوك والتقاليد يمكن أن تؤدي إلى تدهور الحضارات."

إن العلاقات الحرام لم تعُد نزوات عابرة، إنها نمت كالسرطان

الخبيث، وتطاير شررها، وطوَّرها الشيطان تطويراً واسع الأرجاء.. فلم يعد الجنس تلك العلاقة الحسية القائمة بين زوجين اثنين أو حتى بين شخصين لا يربطهما عقد شرعي أو قانوني، بل أضحى عالماً واسعاً بكل ما فيه من فنون ووسائل ومثيرات.

وفي الواقع يستحيل اليوم السير في أي مدينة كبيرة دون التعرض للقصف الجنسي الحقيقي. إعلانات من كل حجم، مجلات وأغلفة مصورة،أفلام سينمائية،صور معروضة في مداخل عُلب الليل، وآلاف من الفتيات والنساء يرتدين ثياباً كان يمكن أن توصف بقلة الحشمة منذ عهد قريب.

إن اللواط والسحاق والممارسات الجماعية للجنس والزواج التجريبي، ونوادي الشذوذ ونوادي العراة، والمجلات الماجنة، والأفلام الجنسية الفاضحة، والصور الخليعة إلخ... كل هذا وغيرها أصبحت السمة المميزة للمجتمعات البشرية في شتى أنحاء الأرض) [1].

ويتنبأ "باتريك. ج.بوكانن" المفكر والسياسي الأمريكي في كتابه الشهير "موت الغرب" **بأن نهاية الحضارة الغربية ستتحقق في القرن الثاني والعشرين**، وذلك بسبب عزوف الرجال والنساء في المجتمعات الغربية عن الزواج، ولعدم رغبتهم في أن يكون لهم أطفال، ونتيجة لذلك بدأ عدد السكان في الغرب يتناقص على نحو سريع، ولن يأتي عام ٢٠٥٠ حتى يكون

(١) المصدر السابق، (ص/٤٥وما بعدها).

الجنس الآري في الغرب أقلية، وسيشكل المسلمون الأغلبية في الغرب. [1].

يقول "بوكانن": (ولكنَّ الأوروبيين، بقراراتهم ألا يكون لديهم أطفال، قد قبلوا من قبلُ أن يكون القرن الثاني والعشرون قرن نهاية لحضارتهم) [2]

حقيقة

هكذا تظهر عظمة التشريع الإسلامي في الحث على الزواج، وبناء المجتمع الطاهر من لوثات الجنس الحرام، وفي إباحة الطلاق للضرورة..

وهذه النتائج تظهر جهل المستشرقين بالحقائق الإسلامية، التي أعماهم عنها حقدهم وكراهيتهم للإسلام!.

تقول المستشرقة الإيطالية المنصفة الدكتورة "لورا فيشيا فاغليري": (والقرآن يبيح الطلاق. ومادام المجتمع الغربي قد ارتضى الطلاق أيضاً، واعترف به في الواقع كضرورة من ضرورات الحياة، وخلع عليه في كل مكان تقريباً صفة شرعية كاملة ففي ميسورنا أن نغفل الدفاع عن اعتراف الإسلام به. ومع ذلك فإننا بدراستنا له، وبمقارنتنا بين عادات العرب بالجاهلية وبين الشريعة الإسلامية، نفوز بفرصة نظهر فيها أن القانون الإسلامي قد دشن في هذا المجال أيضاً إصلاحاً اجتماعياً. قبل عهد محمد كان العرف بين العرب

(١) للتوسع انظر خاتمة هذا الكتاب.

(٢) انظر: موت الغرب، باتريك. ج. بوكانن، (ص/٢١٣).

قد جعل الطلاق عملا بالغ السهولة (على الرجال والنساء). أما القانون الإلهي فقد سنَّ بعض القواعد التي لا تجيز إبطال الطلاق فحسب بل التي توصى به في بعض الأحوال. وليس للمرأة حق المطالبة بالطلاق، ولكنها قد تلتمس فسخ زواجها باللجوء إلى القاضي، وفي إمكانها أن تفوز بذلك إذا كان لديها سبب وجيه يبرره. **والغرض من هذا التقييد لحق المرأة في المبادرة هو وضع حد لممارسة الطلاق، لأن الرجال يعتبرون أقل استهدافاً لاتخاذ القرارات تحت تأثير اللحظة الراهنة من النساء. وكذلك جعل تدخل القاضي ضماناً لحصول المرأة على جميع حقوقها المالية الناشئة عن إنجاز فسخ الزواج.** وهذه القاعدة، والقاعدة الأخرى التي تنص على أنه في حال نشوب خلاف داخل الأسرة يتعين اللجوء إلى بعض الموفقين ابتغاء الوصول إلى تفاهم، نقول إن هاتين القاعدتين تنهضان دليلاً كافياً على أن الإسلام يعتبر الطلاق عملاً جديراً باللوم والتعنيف (غير مرحب به)[1].

ويقول الباحث الإنكليزي "لايتنر": (إن الزواج عند المسلمين يَجلُّ عما رماهم به كتاب النصارى. والقول بأنه لا يوجد حد للزواج والطلاق عند المسلمين فغير صحيح، والطلاق عندهم ليس هو بالأمر الهيِّن، فعدا عن وجود المحكمين فعلى الرجل أن يدفع صَدَاقها المسمى عند إجراء العقد وهذا غالباً يكون فوق ما يقدر زوجها على إيفائه بسهولة، **فمركز المرأة بالإسلام**

(١) انظر: دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغليري، (ص/١٠١وما بعدها).

قوي مؤمن من الطلاق. إن النصارى والبوذيين يرون الزواج أمرا روحيا ومع ذلك **نرى عقدة النكاح محترمة عند المسلمين أكثر مما هي محترمة في البلاد المسيحية** ... ويسوءني أن اذكر ما ليس لي مناص من ذكره وهو **أنني سكنت بين المسلمين أربعة وخمسين عاما ابتداؤها سنة /١٨٤٨م/ فمع وجود التساهل في أمر الطلاق عندهم وعسره عند النصارى، فقد وقعت حوداث طلاق عند النصارى أكثر مما وقع عند المسلمين بكثير.** وإني أقول الحق بأن الشفقة والإحسان عند المسلمين نحو عيالهم والغرباء والمسنين والعلماء لمثال مجيد يجب على النصارى أن يقتدوا به)[1].

◆ المبحث الثامن عشر: الرد على الشُبهات المتعلقة بعمل المرأة.

المطلب الأول: أهدافهم من هذه الشبهة:

استخدم المستشرقون قضية عمل المرأة على نطاق واسع لتحقيق هدفين اثنين:

الأول: لمحاربة الإسلام ووصمه بالتخلف؛ لأنه حسب زعمهم لا يسمح للمرأة بالعمل.

الثاني: لجعل المرأة رأس حربة في محاربة القيم والمبادئ الإسلامية، واستغلال دورها المهم جداً في تربية الأولاد لتنشئتهم تنشئة غير إسلامية.

(١) انظر: دين الإسلام، لايتنر، (ص/١٠وما بعدها).

المطلب الثاني: الإسلام مكن المرأة من ممارسة حقها في العمل:

- إلا أن أوهام المستشرقين لم تستند على قاعدة صحيحة لابتعادها عن حقائق الشريعة الإسلامية التي مكنت المرأة من ممارسة حقها في العمل.

يقول الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

ويقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة غافر].

ويقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل].

والعمل الصالح بمفهوم الإسلام يتسع ليشمل كل ماينفع الفرد والمجتمع في شأن الدنيا والآخرة..، وآيات سورة آل عمران المذكورة تتحدث عن هجرة، وإخراج من الديار، وإيذاء في سبيل الله، وجهاد وقتال.

إضاءة

إذا احتاجت المرأة إلى العمل فإن الإسلام لا يمنعها من ذلك كمبدأ عام وخاصة عند وجود ضرورة ومصلحة للأسرة بالعمل..

- والإسلام لايمنع المرأة من العمل وخاصة عند وجود الحاجة..

* فقد أذن رسول الله ﷺ لامرأة مطلَّقة في أثناء عدتها أن تعمل وتسعى على رزقها، وفتح لها السبيل أمام حياة متجددة بعد وفاة زوجها.

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (طُلِّقَت خالتي، فأرادتْ أن تَجُدَّ نخلَها، فزجرها رجلٌ أن تخرجَ، فأتت النبيَّ ﷺ **فقال**: «بلى، فجُدِّي نَخْلَكِ[1]، فَإِنَّكِ عسى أَن تَصَدَّقي أو تفعلي معروفاً»)[2].

وهكذا فقد أَذِن رسول الله ﷺ لهذه المرأة بالعمل في الزراعة، وأذن لرُفيدة أن تعمل ممرِّضة، ومعلوم أن السيدة خديجة كانت تعمل بالتجارة، وكانت زينب زوج النبي ﷺ تعمل بالخرز والدباغة.

* ووضع الإسلام ضوابط لعمل الرجل والمرأة..

إضاءة

فلم يشترط العلماء على المرأة والرجل في العمل إلا الأمانة والحفاظ على العفة والأخلاق، وأن لايكون في العمل خلوة بين رجل وامرأة، وأن لا يكون فيه فسادٌ كالاختلاط غير الجاد والمنضبط الذي يؤدي إلى الحرام، وأن يكون العمل مباحاً شرعاً.

وخصُّوا المرأة بإضافات منها:

أن يكون العمل مناسباً لطبيعة جسمها، وأن لا يضر بمسؤولياتها الكبيرة في تربية الأولاد ورعاية أسرتها وبيتها، وأن يتمَّ ذلك بالاتفاق والتشاور مع

(١) فجدي نخلك: أي اقطعي واجني ثمارها.
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٤٨٣] (ص/٦٠٠).

الزوج أو الأب إن كانت عَزَباً[1].

• **ومن اللافت للنظر أن رسول الله ﷺ كان يأذن للنساء بالخروج للجهاد في معاركه الحربية..**

فقد أذِن لرفيدة بأن تعمل ممرضة، -كما ذكرنا- وعندما أصيب سعد بن معاذ ﷺ أمر أن يُنقل إلى خيمتها لإسعافه، **فقال:** «اجعلوه في خيمة رُفيدة حتى أعوده من قريب»[2].

*** وكان رسول الله ﷺ يُقرع بين أزواجه إذا أراد الخروج للجهاد.**

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((كان رسول الله ﷺ إذا أَراد أَنْ يَخْرُج سفراً أَقْرَعَ بيْنَ أَزْواجِهِ، فأيَّتُهُنَّ خرجَ سَهْمُهَا خرجَ بها معَهُ، فأقْرَعَ بيْنَنَا في غَزاةٍ غَزَاها، فخرجَ سهْمي، فخرجتُ معه -بعدَما أُنزِلَ الحِجابُ-).. [3]

* وبشَّر رسول الله ﷺ أمَّ حرام ابنة ملحان بأنها **ستغزو وتجاهد في أول المعارك الحربية البحرية،** يقول أنس بن مالك ﷺ: (دخل رسول الله ﷺ على ابنة مِلحان فاتَّكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لِمَ تضحك يا رسول الله؟ **قال:** «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مَثَلُهم مثلُ الملوك على الأسِرَّةِ»، فقالت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يجعلَني منهم، **قال:**

(١) عَزَبٌ:تطلق على الرجل أو المرأة إذا كانا غير متزوجين، ويُقال أيضاً امرأة عَزْبَاءُ.

(٢) سيرة ابن هشام (٣/٢٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٦٦١] (ص/٥٠٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٧٧٠] (ص/١١١٢)، واللفظ للبخاري.

«اللهم اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك، فقالت له مثلَ أو ممَّ ذلك؟ فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، **قال**: «أنتِ من الأولين، ولستِ من الآخِرين»، قال أنس ﷺ: فتزوَّجَت عبادةَ بنَ الصامت، فركبَت البحرَ مع بنت قَرظة، فلما قفَلَت ركبت دابتها، فوَقَصَتْ[1] بها، فسقطت فماتت)[2].

*** وربما تعرضت المرأة للأَسْر أثناء وجودها في الجهاد..**

وهذا ما حصل مع زوجة أبي ذر -رضي الله عنهما-.

يقول عمران بن حُصَيْنٍ: (...وأُسِرَت امْرأةٌ من الأنصار، وأُصيبت العضباءُ[3]، فكانت المرأَة في الوثَاقِ، وكان القومُ يُريحونَ نَعَمَهم بين يدَيْ بُيوتِهم، فانفلتت ذَات ليلةٍ من الوَثاقِ، فأتتِ الإبلَ، فجعَلتْ إذا دَنت من البعير رَغا، فَتَتركُهُ حتى تنتهيَ إلى العَضباءِ، فلم تَرْغُ، قال: وهي ناَقةٌ مُنوَّقَةٌ[4]

فقعدتُ في عَجُزها، ثم زَجَرْتُها فانطلقتْ ونَذِرُوا بها[5]، فَطلبوها، فأعجَزتهم، قال: ونَذرتْ لله إنْ نجَّاها الله عليها لتنْحرنَّها، فلما قَدِمَت المدينةَ رآها الناسُ، فقالوا: العَضْباءُ، ناقةُ رسولِ الله ﷺ، فقالت: إنها نذَرَت إن نجاها الله عليها أن تنحرها، فأتوْا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له، **فقال**: «سبحان الله!! بِئْسَما جَزَتْهَا، نذَرَت لله إن نَجَّاها الله عليها لتَنْحرنَّها؟ لا وَفاءَ

(١) فوقصت بها: أي كسرت عنقها.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٨٧٧] (ص/٥٥٣).

(٣) العضباء: ناقة النبي ﷺ.

(٤) ناقة منوقة: أي مذللة مدربة.

(٥) ونذروا بها: أي علموا بها.

لِنَذْرٍ في معصيةٍ، ولا فيما لا يملك العبدُ»)[1].

إضاءة

لقد دعا الإسلام بتشريعاته للعمل والإنتاج واكتساب الرزق وكفاية النفس، وجعل العمل مباحاً في ذاته ما لم يرد تحريمه في الشرع أو كراهيته لعدم مناسبته لفطرة المرأة.
والدعوة للعمل في الإسلام تشمل الرجال والنساء والكبار والشباب، كلٌّ حسب طبيعته وفطرته وحاجته.

* وكانت المرأة تساهم في الخدمات التي تلزم المقاتلين..

فعن أنس ﷺ قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا[2] تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ. وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا، ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآَنِهَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ)[3].

وعن الرُّبيِّع بنت مُعَوِّذٍ -رضي الله عنها- قالت: (كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم ونخدُمهم ونردُّ الجرحى والقتلى إلى المدينة)[4].

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٦٤١] (ص/٦٧٣).
(٢) خدم سوقهما: أي خلاخل سوقهما.
(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٨٨٠](ص/٥٥٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٨١١](ص/٧٥٦)، واللفظ للبخاري.
(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٨٨٣] (ص/٥٥٤).

سؤال

فأين بعض نساء عصرنا المتحللات من القيم العظمى للمرأة المسلمة المجاهدة، والتي تمتلك الشجاعة أن تحرر نفسها من قبضة جلاديها وآسريها؟!.
أين هنَّ من مجاهدات البحرية....طالبات الشهادة عاشقات الموت في سبيل الله؟!.

- **وللمرأة أن تعمل بمهنة لها أجر..**

يقول الله تعالى: ﴿..وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾ [سورة الطلاق:٦].

فالآية صريحة في أنه يحق للوالد أن يستأجر امرأة ترضع له ولده، وهذا يعني أن للمرأة أن تعمل بأجر.

- **وللمرأة في الإسلام أن تعمل في الزراعة كما ورد في حديث جابر ﷺ، وأن تعمل بالصناعة.**

* فعن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ عن رَائِطَةَ[1] امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَأُمِّ وَلَدِهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً صَنَاعَ الْيَدِ، قَالَ: **وَكَانَتْ تُنْفِقُ عَلَيْهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ صَنْعَتِهَا**. قَالَتْ: فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: لَقَدْ شَغَلْتَنِي أَنْتَ وَوَلَدُكَ عَنْ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ مَعَكُمْ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهَا عَبْدُ اللَّهِ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ أَجْرٌ أَنْ تَفْعَلِي. فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي امْرَأَةٌ ذَاتُ صَنْعَةٍ أَبِيعُ مِنْهَا، وَلَيْسَ لِي وَلَا لِوَلَدِي

(١) وفي رواية: ريطة، واسمها زينب.

وَلَا لِزَوْجِي نَفَقَةٌ غَيْرَهَا، وَقَدْ شَغَلُونِي عَنْ الصَّدَقَةِ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ، فَهَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِيمَا أَنْفَقْتُ؟ قَالَ: **فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ: «أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَإِنَّ لَكِ فِي ذَلِكَ أَجْرَ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» (١).

وهذا يعني أنها كانت تعمل بالصناعة، وتنفق على زوجها وأولادها من ثمرة صنعتها، أي كانت تبيع ما تصنع وتكسب المال. وهذا يقتضي النزول إلى السوق وبيع ما تصنع فيه.. والملاحظ أن النبي ﷺ لم يسألها عن مكان صنعتها، ولا عن مكان بيع ما تصنعه.

* وبداهةً. فإن عمل الصحابيات سواء أكان في الزراعة أم الصناعة أم التجارة، فإنه كان منضبطاً بالجدية والحشمة وعدم التبرج والميوعة، وبعيداً عن الخلوة بالرجال، وليس فيه من الحرام شيء، ولم يكن فيه انتهاك لحقوق الزوج والأولاد والأسرة.

المطلب الثالث: العمل حق مشروع للرجل والمرأة بشروطه ومنها التلاؤم مع طبيعتهما..

إضاءة

ليس في الشريعة الإسلامية ما يمنع المرأة من العمل في أي مهنة لا تتعارض مع فطرتها، كالطب والتدريس والمحاماة والأعمال الإدارية أو أي عمل شريف لا حرمة فيه، بشرط العفاف والاحتشام، وستر ما أمرها الله بستره، وأداء حق الأسرة الذي هو الأصل.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٦٠٨٦](٢٥/٤٩٤)، وإسناده صحيح.

وفي جميع الأحوال لا يليق بالمرأة أن تعمل في مجالات لا تلائم طبيعتها، وأن تدخل في أي ضرب من ضروب العمل المضني..

* وقد ثبت أن الأعمال المضنية تؤثر على الصحة الإنجابية عند المرأة فلا يصح أن تعمل بها تحت ذريعة المساواة بين الرجل والمرأة في العمل..

(فقد قامت الدكتورة "روز فريش" أستاذة الصحة العامة بجامعة هارفارد بدراسة أجرتها على /٥٣٩٨/ امرأة تتراوح أعمارهن ما بين ٢١-٨٠عاماً، وتقدمت بنتائج هذا البحث إلى الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية لتقدُّم العلوم، وخلصت من دراستها إلى النتائج التالية:

١- تصاب اللاعبات الرياضيات النشيطات باضطراب في الدورة الطمثية، ويصبحن غير مُخصِبات، طالما يقمن بالممارسة الرياضية، ويمكن أن تعود الخصوبة إلى وضعها الطبيعي بالتوقف عن الممارسة الرياضية (الشديدة). وأضافت الباحثة نصيحتها إلى النساء قائلة: لا يمكن للمرأة أن تعمل كل شيء.. بمقدور كل واحدة منكن أن تصبح نجمة رياضية أو لاعبة أولمبياد شهيرة.. **ولكنها إذا رغبت في إنجاب طفل فإن عليها أن تتوقف عن اللعب**، ذلك لأن المستوى الأدنى من التمارين يمكن أن يكون له عواقب ضارة على الجهاز التناسلي في المرأة.

٢- بينت جامعة "هارفاد" إضافة إلى دراسة أخرى أجرتها جامعة "ألبرتا" أن الأعمال النشيطة التي تمارسها المرأة **تؤثر جداً في إنتاج الاستريجينات التي تتحكم في الإنجاب لدى المرأة.**

٣- أشارت هذه الدراسة مع أخرى مماثلة أجرتها جامعة كندية أن النساء اللواتي يمارسن الأعمال المجهدة **يُصبن باضطراب الإخصاب** حتى لو استمر الطمث لديهن على وضعه النظامي) [(١)].

المطلب الرابع: لابد من التشاور ولاسلطة للرجل على مال المرأة:

- ولاشك إذا كان الله تعالى جعل التشاور والتراضي بين الرجل والمرأة معلماً من معالم الأسرة في الإسلام، كما ورد في موضوع فطام الطفل عن الرضاعة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا . ﴾ [سورة البقرة:٢٣٣]

فإن على الزوجة أيضاً أن يكون بينها وبين زوجها تشاور وتراض في موضوع عملها خارج البيت، دون أن يكون له أي سلطة على أموالها الخاصة، ودون أن يكون له الاستبداد بمنعها من العمل بلا مبرر منطقي يقوم على مصلحة الأسرة. كما لا يحق للرجل أن يجبر زوجته على العمل خارج البيت من أجل أن يعفي نفسه من بعض النفقات الواجبة عليه وكل المال الذي يجبرها على إنفاقه على الأسرة، هو أكل للمال بالباطل.

(١) انظر: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، الشيخ محمد الغزالي، (ص/٣٨وما بعدها)، دار الشروق القاهرة.د.ت. نقلاً عن جريدة الهيرالدتريبيون، العدد [٣٢٦٥٠] بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٦م.

المطلب الخامس: تشريعات الإسلام ضمنت حق المرأة بالعمل قبل التشريعات الغربية:

- ويجب أن نلاحظ أن التشريعات في العالم الغربي المسيحي التي اعترفت للمرأة بحقها في العمل والمساواة في الأجر وفرص العمل، لم تتحقق إلا بعد ثورات وصراع مرير..

أما التشريعات الإسلامية التي ضمنت للمرأة حقوقها فقد أعلنها الإسلام ووثقها وقننها قبل العالم الغربي بأكثر من ألف ومئتي عام تقريباً، من غير أن تفرضها ثورات اجتماعية أو ضغوط سياسية.

- وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز التشريعي في الإسلام، الذي أسس لحياة إنسانية متزنة لا إفراط فيها ولا تفريط، ومتوافقة مع فطرة الإنسان وتطوره الحضاري.

- وتجدر الإشارة إلى أن عمل المرأة في الإسلام يتميز عن عمل المرأة في الغرب بأمور عدة أهمها: أن المرأة في الغرب تعمل على نحو شبه إجباري خضوعاً للمنظومة الثقافية والاجتماعية الغربية.. بينما المرأة في الإسلام لها أن تعمل باختيارها دون إجبار من أحد، وليست مكلفة بالإنفاق على أحد، ولها ألا تعمل وأبوها أو زوجها مكلف شرعاً بالإنفاق عليها[1].

(١) للتوسع انظر:
- المرأة في التصور الإسلامي، عبد المتعال الجبري.
- المرأة في القرآن والسنة، محمد عزة دروزة.
- مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام، سعدية أبو رزيزة.

● ومن المؤسف أن المستشرقين يخلطون بين عادات وتقاليد بالية سادت في بعض المجتمعات الإسلامية وبين أحكام التشريع الإسلامي، وهم يفعلون هذا عن جهل في أحسن الأحوال أو عن سوء نية في أغلب الأحوال وذلك لتشويه صورة الإسلام.

◆المبحث التاسع عشر: الرد على شُبهة أن الإسلام ليس ديناً عالمياً، بل هو خاص بالعرب.

المطلب الأول: ادعاء المستشرقين المعادين:

● ومن أغرب مطاعن المستشرقين المعادين ادعاؤهم أن الإسلام ليس ديناً عالمياً، وأن محمداً ﷺ كان مشرِّعاً للجزيرة العربية كما ادَّعى المستشرق الفرنسي "م.سفاري" في كتابه "مختصر حياة محمد"(١).

وممن أنكر عالمية الإسلام المستشرقون "وليم موير" و"سوندرز"و"ليوني كيتاني" والأب "لامانس"و"بروكلمان" وغيرهم..

● والغريب أن هؤلاء المستشرقين حين يذكرون هذه الادعاءات، فإنهم يقيمون حججهم على التخمينات أو الاحتمالات، أو قراءة ما في النفوس..فما رأيكم بهذا المنهج العلمي والبحث الموضوعي؟!!..

إنهم لا يرون مشكلة بإهانة عقول الناس وازدراء فهمهم والاستخفاف بعلمهم!.

(١) انظر: السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون، نقد وتحقيق وتصويب: عبد المتعال محمد الجبري، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، (ص/٤٣).

* فهذا "**مونتيغمري وات**" ينكر وجود رسائل النبي ﷺ للملوك، **ولا يتصور** استجابة هرقل الروم ولا نجاشي الحبشة لدعوة النبي ﷺ. مع العلم بأن الوثائق التاريخية قد أثبتت استجابة نجاشي الحبشة ودخوله في الإسلام.

وهكذا فإنه ينكر وجود هذه الرسائل لأنه لا يتصور ولا يتخيل قبول الملوك لمثل هذه الدعوة!.

يقول وات: (لأنه لا يمكن تصور إمبراطور الروم ونجاشي الحبشة يستجيبان لمثل هذه الدعوة)[1].

هكذا بكل بساطة ينكر وجود هذه الرسائل **لأنه لا يتصور ذلك!**.

* ثم يدَّعي **احتمال** وضع المسلمين لها!. يقول: (من **المحتمل** أن تكون من وضع المسلمين، ليثبتوا أن محمداً كان يفكر بأن دينه عالمي)[2].

ولماذا الاحتمال، ولماذا يحتاج للتفكير بأن دينه عالمي، والقرآن يصرِّح بعالمية الإسلام، والمسلمون يتلون الآيات التي تنص على عالميته؟!.

* ثم يُناقض نفسه فيعترف بوجود هذه الرسائل، لكنه **يدعي أن النبي ﷺ لم يرسل رسله بها في وقت واحد!**. فيقول: (ولكن جوهر هذه الحادثة يبدو كامناً في إرسال محمد، في الواقع، رسلاً للملوك المعنيين، ولكن هؤلاء

(١) انظر: محمد في المدينة، مونتيغمري وات، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية – بيروت، د.ت، (ص/٦٢).

(٢) انظر: نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر،د.لخضر شايب، (ص/٥٢٠).

الرسل لم يتوجَّهوا في الوقت نفسه) [1].

ونحن نسأل:ما الدليل على ذلك؟!.

* ثم يدعي **تخميناً** أن هذه الرسائل لم تكن من أجل دعوة الملوك للرسالة العالمية، وإنما:

* من أجل طلب جواري مصر!.

* أو من أجل إقامة تحالفات!.

* أو من أجل غايات سياسية! [2].

هكذا أصبح البحث العلمي: تخمينات، تصورات، احتمالات.. أهكذا البحث الموضوعي الذي تدعون!.

* **تخمينات:** وكأنه رافق الرسل المبعوثين، واطَّلع على مضمون الرسائل فأخذ يصرح بها!.

* **تصورات:** ومن قبل التخمينات أنكر وجودها ألبتة ، لأنه لا يتصور قبول الملوك لها!.

* **احتمالات:** فمن المحتمل حسب حقده الذي أعماه ، أن المسلمين وضعوها!.

فما رأيكم بهذا البحث العلمي الموضوعي القائم على التحزيرات والتخمينات والتخيلات والاحتمالات، بل وبالعلم بالغيب وما تكنُّه النفوس

(١) المصدر السابق، (ص/٥٢٠).

(٢) انظر: محمد في المدينة، مونتيغمري وات، (ص/٦٢).

والصدور والعقول؟!.لقد أعمت بصيرتهم الأحقاد فهم كاذبون..

﴿ ...وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

- ويدعي "وليم موير" وكذلك "كيتاني" أن النبي ﷺ لم يكن في تفكيره عموم الرسالة ونشرها خارج جزيرة العرب!!

ومن السخف أن يتكلم هؤلاء عما يجري من أفكار في باطن النبي محمدﷺ، وكأنهم يعلمون ما يدور في أذهان الناس وصدورهم!.

ومن السخف أيضاً أن يكذبوا الوقائع التي جرت في حياة النبي ﷺ.

١- أليس هو الذي بلَّغ القرآن الكريم لأصحابه، والقرآن ينصُّ على عالمية الرسالة بوضوح كامل؟!. فكيف لم يحدث نفسه بتنفيذها؟!.

٢- ألم يرسل رسائله إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد امتلأت كتب السيرة الموثقة وكتب التاريخ بالحديث عن هذه الرسائل، وأسماء الرسل الذين حملوها؟!.

٣- ألم يبشر النبي ﷺ بفتح فارس والقسطنطينية ومصر وغيرها..

المطلب الثاني: نصوص القرآن تعلن بلا ريب أن الإسلام رسالة عالمية لجميع الناس:

إن هؤلاء المستشرقين يعلمون أن نصوص القرآن لا ينتابها لَبْس أو وهم أو شك، عندما تتحدث على نحو واضح جداً أن الإسلام رسالة عالمية لجميع الناس، وأنه ليس لقوم دون قوم، ولا للون دون لون، ولا لعرق دون عرق، ولا لجنس دون جنس، ولا لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة سبأ].

ويقول الله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف].

ويقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء].

المطلب الثالث: نصوص الحديث النبوي تعلن بلا ريب أن الإسلام رسالة عالمية لجميع الناس:

جاءت أحاديث النبي ﷺ لتعلن بوضوح عالمية الرسالة الإسلامية..

فقد جاء في صحيح البخاري، قول النبي ﷺ :

"...وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة..."

وفي رواية للحاكم:

" ...وأرسلت إلى الناس كافة وختم بي النبيون".

وفي رواية لأحمد:

" ...بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود..."

فهل بعد هذا شك؟!!..

المطلب الرابع: شهادات المنصفين من المستشرقين ترد على المشككين:

- **يقول الباحث والمؤرخ "توماس آرنولد"** تحت عنوان "الإسلام دين

عالمي" : (**ولم تكن رسالة الإسلام مقصورة على بلاد العرب، بل إن للعالم أجمع نصيباً فيها**. ولما لم يكن هناك غير إله واحد، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يُدعى إليه الناس كافة. ولكي تكون هذه الدعوة عامة، وتُحدِث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي قيل إن محمداً بعث بها في السنة السادسة من الهجرة /٦٨٨م/ إلى عظماء ملوك ذلك العصر، وفي هذه السنة أرسل الرسول كتباً إلى هرقل قيصر الروم، وإلى كسرى فارس، وإلى حاكم اليمن، وإلى حاكم مصر، وإلى النجاشي... **وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحاً وأشد صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعاً بقبول الإسلام**) [1] .

وينقل "آرنولد" عن "سخاو" قوله: (**ولكن الرسالة الإلهية ليست مقصورة على العرب**، بل إن إرادة الله تشمل جميع المخلوقات، ومعنى ذلك خضوع الإنسانية كلها خضوعاً مطلقاً)[2].

ويؤكد "آرنولد" أن "نودلكه" و "جولد تزيهر" لهما الرأي نفسه في حقيقة عالمية الرسالة الإسلامية منذ انطلاقتها.

ويستغرب "آرنولد" إنكار بعض المستشرقين أمثال "موير" و"كيتاني" عالمية الدعوة الإسلامية من بدايتها، فيقول: (ومن الغريب أن ينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قد قصد به مؤسسه في بادئ الأمر أن يكون ديناً عالمياً

(١) انظر:الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، (ص/٤٨ وما بعدها).
(٢) المصدر السابق، (ص/٤٨).

برغم هذه الآيات البيِّنات)[1].

ويذكر "آرنولد" الآيات البيِّنات في موضوع عالمية الرسالة الإسلامية التي ذكرناها سابقاً..

● وقد عبَّر الله تعالى عن حال هؤلاء المستشرقين الحاقدين المعاندين، الذين لا يخضعون للحقيقة، ويصرون على ضلالتهم، فيقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الجاثية].

ويقول تعالى:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القصص].[2]

* * *

(١) المصدر السابق، (ص/٤٩).

(٢) للتوسع انظر:

- الدعوة إلى الإسلام، توماس آرنولد.
- نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د. لخضر شايب.
- أشعة خاصة بنور الإسلام، ناصر الدين إيتين دينيه..

الباب الثاني

العدوان التبشيري على الأمة الإسلامية

الفصل الأول

منطلقات العمل التبشيري (التنصيري)

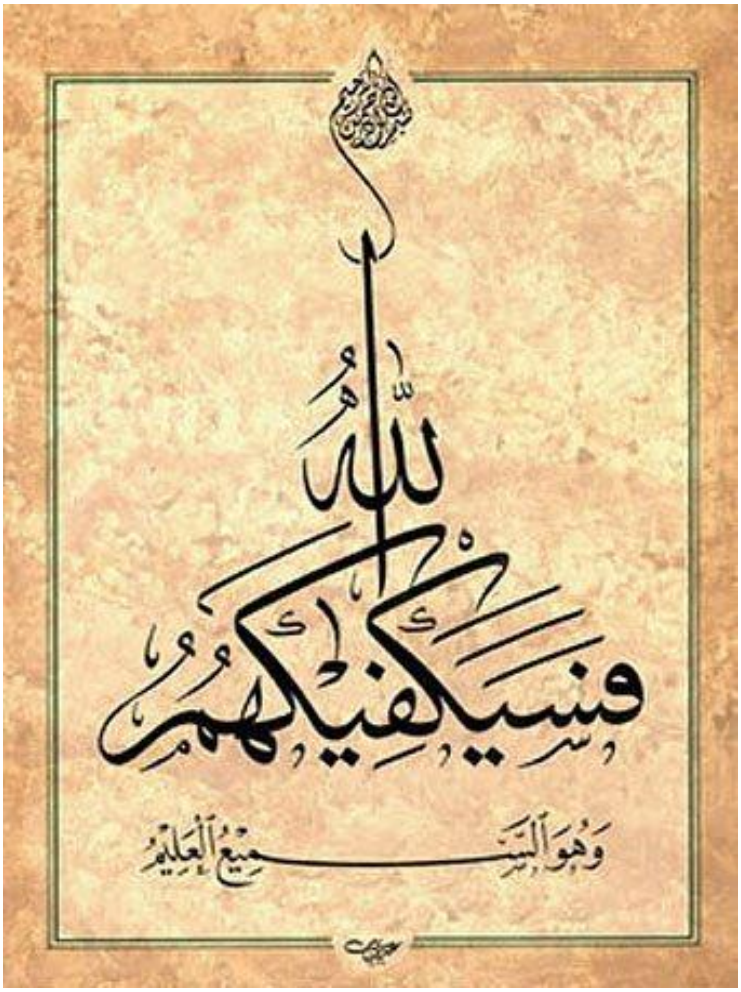
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

المبحث الأول : ماهو التبشير وماعلاقته بالاستشراق..

المطلب الأول: تعريف التبشير:

هو جميع الأعمال والأفكار والمخططات التي تهدف إلى إخراج من ليسوا بمسيحيين من دينهم، وتغيير عقيدتهم، وسيطرة الحكومات الاستعمارية على بلادهم، وجعل ولائهم وثقافتهم تابعة للغرب الصليبي..

وبالعموم "التبشير" يعني عملياً "التنصير" أي دعوة من ليسوا بمسيحيين إلى اعتناق الديانة النصرانية والتخلي عن أديانهم..

والحركة التبشيرية: هي حركة دينية سياسية استعمارية، ينتظم فيها المبشرون وأعمالهم ونشاطاتهم ومخططاتهم..

المطلب الثاني: للتبشير والاستشراق الحاقد هدف واحد..

- فإذا كان **الاستشراق** المعادي يمثل **الحرب الفكرية على الإسلام** ورسوله ﷺ، فإن **التبشير** (التنصير) يمثل **الحرب العملية الميدانية** على

الرسالة والرسول ﷺ ، ويمثل الاستشراق المنهج الفكري للمبشرين في حربهم الفكرية على الإسلام، لزعزعة عقيدة المسلمين بإسلامهم ونبيهم ﷺ.

- ويجب أن نعلم أن الحرب على الإسلام هي حرب على رسوله ﷺ والمسلمين، وأن الحرب على رسول الله ﷺ هي حرب على الإسلام والمسلمين، فهاتان الحربان متلازمتان لا تنفكان عن بعضهما أبداً. ولذلك فإن التبشير (التنصير) هو اعتداء مباشر على رسول الله ﷺ والإسلام؛ لأنه يهدف للقضاء على الإسلام بتنصير المسلمين.

المبحث الثاني: لمحة مختصرة عن تاريخ حركة التبشير.

المطلب الأول: بدايات حركة التبشير:

- ظهرت بواكير حركة التنصير على نطاق محدود مع بواكير ظهور حركة الاستشراق اللاهوتي في (**القرن الحادي عشر الميلادي**)، ثم بدأت تتوسع بالتدرج في (**القرن الثاني عشر**) بعد فشل الحروب الصليبية في المشرق وظهور دعوات للتركيز على "التنصير" بصفته حرباً ناعمة أكثر جدوى، ثم بدأت تأخذ أبعادها التنظيمية والمؤسساتية والميدانية الواسعة في (**القرن السابع عشر**)، وكان عصرها الذهبي في بلادنا العربية مترافقاً مع حقبة الاستعمار خلال (**القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين**) وما بعده.

نتيجة

إن عدوان حركة التنصير على الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين مضى عليه أكثر من ألف عام ميلادي!!..

* ففي عام /٣٨٩هـ-٩٩٩م/ أمر **البابا "سلفستر الثاني"** إنشاء مدرستين لتعليم اللغة العربية الأولى في روما والثانية "ريمس" في فرنسا، ثم أضاف لهما مدرسة ثالثة في "شارتر" وذلك لتعلم القساوسة والرهبان اللغة العربية والتعمق بالدراسات الإسلامية بغية معرفة أفضل الطرق للتعامل مع المسلمين ونقض دينهم ثم ردهم إلى المسيحية(١).

* وقام **البابا "جريجوري السابع"** عام /٤٦٥هـ-١٠٧٣م/ بدعوة نصارى "عنَّابة " في شمال أفريقيا إلى تنصير المسلمين حولهم، كما أرسل رسالة عام /١٠٧٦م/ إلى الأمير الحمادي ناصر بن علناس التي تتبع "عنَّابة" إمارته، دعاه فيها إلى التنصُّر وقدَّم له المغريات (٢).

بداية

بدأت حرب التنصير على نطاق أوسع عندما قرر أعداء الإسلام الانتقال من الحرب الخشنة على الإسلام -والتي تجلت في الحروب الصليبية التي فشلت في تحقيق أهدافها في هزيمة المسلمين - إلى الحرب الناعمة تحت شعار التبشير (التنصير) لأنهم اعتقدوا أن هذا سيحقق النجاح المطلوب الذي عجزت الحروب الصليبية عن تحقيقه..

* وهذا ما دعى إليه "**روجر بيكون**" حينما قال: ((إن الحروب الصليبية امتازت بالقسوة، وكانت عديمة الجدوى، وهي مضيعة للوقت. وإنه من

(١) انظر: نقد الخطاب الاستشراقي، د. ساسي سالم الحاج، (ص/٤٢ومابعدها).

(٢) للتوسع انظر: الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، (ص/٤٠٤ ومابعدها).

الواجب تبشير المسلمين ودعوتهم لاعتناق المسيحية بدلاً من التفكير في غزوهم) [١] .

* وهذا ما أكده المستشرق "**فيليب حتي**" [٢] في كتابه "لبنان في التاريخ" حيث قال: (كان من نتائج الحروب الصليبية فكرة اجتذاب المسلمين إلى اعتناق المسيحية عن طريق الإقناع بدلاً من طريق القوة والإكراه، وهي فكرة كان لها فيما بعد أبعد الأثر في الحياة الثقافية في الشرق الأدنى. **إن الخيبة التي منيت بها الحملات الصليبية في الوصول إلى غايتها، وموت الدوافع التي كانت تدفع بالناس للالتحاق بها، مهدت الطريق لفكرة جديدة، هي استمالة المسلمين واجتذابهم بطرق سلمية ودية، وهذه الفكرة هي أساس التبشير المسيحي)** [٣] .

* ويشير "**رشتر**" إلى أنه لما خابت دول أوروبا في الحروب الصليبية من طريق السيف **أرادت أن تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التبشير**..ويشير "**أديسون**" إلى أن هذه الدول **تبنت حركة التبشير لمآربها السياسية ومطامعها الاقتصادية**.. [٤] .

* وقد أعلن الرهبان اليسوعيون بكل وقاحة أن عملهم التبشيري هو

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، د.جمال الدين الشيال، (ص/٨١).
(٢) "فيليب حتي" إنكليزي من أصل لبناني.
(٣) انظر: لبنان في التاريخ، فيليب حتي، ترجمة أنيس فريحة، (ص/٣٩٤) .
(٤) انظر:التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١١٥)..

امتداد للحروب الصليبية تحت العلم الفرنسي، فقالوا: (ألم نكن نحن ورثة الصليبيين، أولم نرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التبشيري والتمدين المسيحي، ولنعيد في ظل العلم الفرنسي وباسم الكنيسة مملكة المسيح..) [1]

* وفي عام /٥٤٩هـ-١١٥٤م/ أسس راهب صليبي في **(فلسطين) الأرض المقدسة** رهبنة عرفت فيما بعد بالرهبنة الكرملية، نسبة إلى جبل الكرمل حيث كانت تقيم. **ثم انتشروا في سورية ولبنان**. وقد أسسوا لهم مراكز في **طرابلس**، وتلا ذلك تأسيس رهبنتين جديدتين عند مستهل **(القرن الثالث عشر الميلادي)**، وهما الفرنسيسكان /٥٦٩هـ-١٢٠٣م/، والدومينيكان /١٢٠٦م/. وبعد مدة قصيرة أسست إرسالية تبشيرية فرنسيسكانية في مدينة طرابلس، وأسس دير لهم في **بيروت** [2].

* وبذل **رهبان منظمتي الدومينيكان والفرنسيسكان** جهوداً جبارة لتنصير المسلمين في **شمال أفريقيا**، وقاموا في بداية **(القرن الثالث عشر الميلادي)** بتأسيس مشفى ومعها كنيسة في العاصمة **تونس**.

* وفي عام /٦١٦هـ-١٢١٩م/ قام **القديس فرانسيس الأسوزي** مؤسس منظمة الفرنسيسكان **بتقسيم العالم إلى سبعة أقسام** وزَّع رهبان منظمته عليها لنشر النصرانية. وفي عام /٦١٨هـ-١٢٢١م/ قام فرانسيس بالذهاب إلى الملك

(١) المصدر السابق، (ص/١١٥)..

(٢) انظر: لبنان في التاريخ، فيليب حتي، ترجمة أنيس فريحة، (ص/٣٩٤) .

الكامل في **مصر** مع الحملة الصليبية الخامسة، ليدعوه إلى الدخول في النصرانية[١].

* وفي عام /٦٢٧هـ-١٢٣٠م/ وصلت **دمشق** إرسالية دومينيكانية ومن ثم تقدمت إلى **طرابلس وعكا** وأماكن أخرى، حيث أسست لها أديرة[٢].

* وفي عام /٦٣٣هـ-١٢٣٦م/ بذل **البابا جريجوري التاسع** جهوداً كبيرة **لتنصير الأمير الحفصي التونسي** عبد العزيز ابن أخ السلطان الحفصي أبي زكريا، وقد أصدر البابا قرار حرمان ولعن عام /١٢٣٩م/ على الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني لعدم تعاونه في تنفيذ هذه المهمة[٣].

* وفي أواخر العقد الرابع من (**القرن الثالث عشر**)، بذل **البابا إسكندر الرابع** جهوداً حثيثة لدعم المنصِّرين الدومينيكان في **شمال أفريقيا**، وحثهم على إرسال المزيد من المنصِّرين[٤].

* وقام **ملك أرغونة** بالضغط على السلطان الحفصي المستنصر في **تونس** للسماح للمنصِّرين الدومينيكان بتأسيس مدرسة في مدينة تونس لتعليم الرهبان اللغة العربية والعلوم الإسلامية ليمكنهم من نشر النصرانية بين المسلمين، وقد أرسل عام /٦٤٧هـ-١٢٥٠م/ ثمانية رهبان منصِّرين فأقاموا المدرسة التي تخرِّج قيادات التنصير. وقد سبق أن فُتحت أربع مدارس مشابهة

(١) انظر: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، (ص/٤٠٥ وما بعدها) .
(٢) انظر: لبنان في التاريخ، فيليب حتي، ترجمة أنيس فريحة، (ص/٣٩٤) .
(٣) انظر: الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري، د.ممدوح حسين، (ص/٤٠٨ وما بعدها).
(٤) انظر: المصدر السابق، (ص/٤١٠) .

في **مرسية وشاطبة وبلنسية وبرشلونة في الأندلس** [1].

* وكان الملك الفرنسي "**لويس التاسع**" من الداعين إلى التبشير والتنصير في عام /٦٤٨هـ-١٢٥٠م / بعد فشله في الحملة الصليبية السابعة على دمياط. وفي عام /٦٦٩هـ-١٢٧٠م/ قاد بنفسه الحملة الصليبية الثامنة على **تونس** بهدف تنصير سلطانها المستنصر الحفصي والشعب التونسي. [2] وقد فتحت معاهدة الصلح بين المستنصر الحفصي والصليبيين في نهاية هذه الحملة المجال واسعاً أمام المنصِّرين[3] .

* **وظهر في هذه الحقبة نخبة من أهم المنصرِّين، ومنهم:**

- "**توما الأكويني**" الذي قدَّم دراسة مشهورة تحت عنوان "خلاصة ضد الأعاجم" بين عامي /١٢٦١-١٢٦٤م/ في خدمة حركة التنصير.

- "**روجر بيكون**" الذي قدَّم دراسة مشهورة أخرى عام /٦٧٠هـ-١٢٧١م/ وضع فيها خطة للتنصير، ودعا في كتابه أن تنفق الأموال التي تُصرف على الحروب الصليبية على دعم التنصير.

- وكان من أهم الناشطين في قيادة حركة التنصير "**رومان ريمون لول**" الأسباني، حيث أسس مدرسة في "ميورقة" (إحدى جزر البليار) لتعليم

(١) للتوسع انظر: المصدر السابق، (ص/٤١١ وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر: المصدر السابق، (ص/٢٧٠-٢٧٥)، والحروب الصليبية للدكتور سعيد عاشور، (١٢٣٨/٢).

(٣) انظر: فقرة امتدادات الحروب الصليبية في كتاب دراسات في العدوان الإفرنجي والمغولي على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة)، للمؤلف..

الرهبان اللغة العربية، وكوَّن هيئة لإعداد المنصرين.. وفي عام /٦٧٥هـ-١٢٧٦م/ **أصدر البابا يوحنا الحادي والعشرين** الموافقة على إنشاء كلية "ميرامار" في "ميورقة" لإعداد المنصِّرين.

يقول **"أدوين بلس"** صاحب كتاب "ملخص تاريخ التبشير": ((إن **"ريمون لول"** الأسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية في مهمتها)[١] .

* وفي عام /٦٤٨هـ-١٢٨٥م/ أنشأ **البابا "هونوريوس الرابع"** معهداً لتعليم اللغات الشرقية.

* وفي عام /٧١٢هـ-١٣١٢م/ أمر **البابا "كليمانس الخامس"** في مجمع فينا بإنشاء كراسي لدراسة اللغة العربية ولغات أخرى في باريس وروما وأكسفورد وبولونيا ثم أنشأ كرسياً للدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون في باريس... [٢].

* **ويقول "شاتليه"**: (دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقيا منذ **(القرن الخامس عشر)**، أي في أثناء الاكتشافات البرتقالية " أي البرتغالية")[٣].

(١) انظر: الغارة على العالم إسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٢٩ وما بعدها).

(٢) انظر: الاستشراق، أدوارد سعيد، (ص/٨٠)، ونقد الخطاب الاستشراقي،د.ساسي سالم الحاج، (ص/٤٥ ومابعدها).

(٣) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، "أ.ل.شاتليه"، (ص/٣٧).

المطلب الثاني: الانطلاقة الواسعة لحركة التبشير:

ولكن حركة التنصير لم تنطلق انطلاقتها الواسعة إلا في (**القرن السابع عشر الميلادي**)..

يقول الأب اليسوعي "ميز": (إن الحرب الصليبية الهادئة (التنصير والتبشير) التي بدأها مبشرونا في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا، إن الرهبان الافرنسيين والراهبات الفرنسيات لا يزالون كثيرين في الشرق) [1].

المطلب الثالث: العصر الذهبي لحركة التبشير:

إضاءة

إن العصر الذهبي لحركة التبشير في العالم العربي كان مترافقاً مع حقبة الاستعمار في المنطقة والذي تجلى بقوة في القرن التاسع عشر حتى نهاية النصف الأول من القرن العشرين تقريباً..

ثم مالبث أن تراجع التبشير في بعض الدول العربية التي تنبهت حكوماتها لخطر التبشير والإرساليات التبشيرية المدعومة من الحكومات الغربية الاستعمارية..

- هذه لمحة مختصرة عن تاريخ حركة التنصير التي عَدَّها المنصرون أشد أهمية من الحروب الصليبية ومن جميع مجهودات الحكومات الغربية في محاربة

(١) انظر: التبشير والاستعمار، د.عمر فروخ ود.مصطفى الخالدي، (ص/١٢٧).

الإسلام وتنميط المجتمعات الإسلامية على النمط والثقافة الغربية..

يقول المنصر القس "صموئيل زويمر" البريطاني في رسالة وجهها إلى المستشرق الفرنسي "شاتليه" عام /١٩١١م/: (إن لنتيجة إرساليات التبشير في البلاد الإسلامية **مزيتين: مزية تشييد ومزية هدم، أو بالأحرى مزيتي تحليل وتركيب**. والأمر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الإسلام ومبادئه الخُلقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وجهات أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه) [(١)].

أي أن حركة التبشير حسب رأيه استطاعت أن تغير في عقائد المسلمين ومبادئهم الأخلاقية وجعلت منهم يقلدون النمط الغربي في ثقافتهم وسلوكهم، أكثر بكثير من جهود الحكومات الغربية من خلال نشر ثقافة التغريب والعلمانية في العالم الإسلامي..

إذاً: للتبشير هدفان وميزتان: هدم وبناء، أو تحليل وتركيب..

أي هدم عقائد الإسلام ومبادئه في قلوب وعقول المسلمين، وتشييد وتركيب عقائد الغرب الصليبي ومبادئه مكانها..

(١) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، (ص/١٦) .

المبحث الثالث: أهم أهداف التبشير .

المطلب الأول: للتبشير أهداف كثيرة، أهمها:

١- مقاومة الإسلام والوقوف أمام تيار انتشاره في كل أنحاء العالم.

٢- تنصير المسلمين بعد إخراجهم من دينهم.

٣- التشكيك بشريعة المسلمين وقيمهم.

٤- تشويه سمعة النبي ﷺ في عقول المسلمين، وإضعاف الرابطة القلبية والروحية معه.

٥- إضعاف تمسك المسلمين بالإسلام.

٦- هدم عقائد الإسلام ومبادئه في قلوب وعقول المسلمين.

٧- تشييد وتركيب عقائد ومبادىء الغرب الصليبي مكانها.

٨- قطع الصلة بين المسلمين وقرآنهم من خلال العمل على إلغاء مادة القرآن من المناهج التدريسية.

٩- الدعوة لاعتماد اللغة العامية بدلاً عن الفصحى لقطع الصلة بين المسلمين وقرآنهم وتراثهم الشرعي والثقافي.

١٠- العمل على نشر الثقافة الغربية وسلوكياتها ومحاولة إخضاع وتنميط المجتمعات الإسلامية وفقاً لها.

١١- مساعدة الحكومات الاستعمارية الغربية على بسط سيطرتها على البلاد الإسلامية.

١٢- الدعوة لإحياء النعرات القومية والطائفية والإثنية والمناطقية..، والاهتمام بالخصوصية والانعزال عن قضايا الأمة وعدم الارتباط بها، لتسهيل السيطرة على المسلمين وبلادهم.

المطلب الثاني: عمل المبشرين في مجال هدم الإسلام وانتزاعه من قلوب المسلمين..

إضاءة

تحدث المبشرون باستمرار أن الإسلام هو العقبة الأعظم في طريق تقدم التبشير، وأنه المتحدي والمنافس الوحيد القادر على إحباط مخططاتهم وأهدافهم، ولذلك ركزوا جهودهم على محاربة الإسلام وانتزاعه من قلوب المسلمين..

يقول"أدوين بلس" (إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا... بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقيا) [(١)].

ويقول "صموئيل زويمر" [(٢)] في رسالة أرسلها إلى "**شاتليه**" في ١٩١١/٨/٢م: (ولا ينبغي أن نعتمد على إحصائيات التعميد في معرفة عدد الذين تنصروا رسمياً من المسلمين، لأننا هنا واقفون على مجرى الأمور ومتحققون من وجود مئات الناس ، انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم،

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٣٥ وما بعدها) .

(٢) صموئيل زويمر قسيس ومبشر بروتستانتي أمريكي الأصل، وهو زعيم التنصير في العالم الإسلامي.

واعتنقوا النصرانية في طرف خفي) [1].

ويقول "شاتليه" (ولا ينبغي أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامي أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية، **إذ الضعف التدريجي بالاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الضعف من الانتفاض والاضمحلال الملازم له سوف يفضي –بعد انتشاره في كل الجهات– إلى انحلال الدينية من أساسها** لا إلى نشأتها بشكل آخر) [2].

ويؤكد "شاتليه" أن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دوماً لمجهودات المبشرين، فيقول: (إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين، من حيث الشطر الثاني من خطتهم، وهو (الهدم) فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية. **والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية، وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدنية محاطة بالأسلاك الأوروبية)** [3].

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/١٧) .
(٢) المصدر السابق، (ص/١٩) .
(٣) المصدر السابق، (ص/٢٠) .

المطلب الثالث: عمل المبشرين في مجال تشويه الإسلام والطعن فيه..

تمارس الإرساليات التبشيرية عمليات تشويهية للإسلام، وتنسب إليه كذباً وافتراءً ما ليس فيه، وإليك أمثلة على ذلك:

١- تشويه العقيدة:

من المضحك أن تستمع منهم إلى مفهوم الوحدانية في الإسلام ما لم يسمع به أحد من المسلمين، فهذه جمعية التبشير الكنسية تتحدث عن مفهوم الوحدانية في الإسلام، فتقول: إن الاعتقاد بوحدانية الله تعالى في الإسلام له شبه من بعض الأوجه بمذهب اللاأدرية ومن وجه آخر بمذهب وحدة الوجود القائل أن الله والكون واحد، **وتقرب أيضاً من مذهب تعدد الآلهة والشرك**، حتى أن لهذه العقيدة صلة بالمذهب الحيوي القائل بوجود روح في نفس الحيوان ووجود عامل حي في النبات والجماد وأن هذا هو علة الأعمال الحيوية...، وتقول الجمعية التبشيرية أيضاً: إنه يجب أن ينكر على الإسلام سماحه لكل مسلم أن يعمل ما شاء لأنه سيكون في آخر الأمر مظهراً للرحمة الإلهية!!..

ولا أدري من أين اخترعوا هذه الأكاذيب، فهذه كتب العقيدة الإسلامية تملأ المكتبات وتدرس في المدارس والجامعات ومفهوم العقيدة فيها هو عكس هذه الافتراءات تماماً.. فتأمل!!.. [1]

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٢٢٤ وما بعدها) .

٢- تشويه القرآن الكريم.

يزعم المبشر "نلسن" أن أحسن ما في الإسلام مأخوذ من النصرانية ، وسائر ما فيه مأخوذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل..

يقول المبشر "جون تاكلي": (يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم) وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب أن نري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً) [(١)].

وألَّف المبشر المشهور "فندر" عام /١٨٢٩م/(كتابه "ميزان الحق" **فاتهم فيه القرآن الكريم بالتحريف** وعابه بأن فيه نسخاً كثيرة. **وأنكر نبوة محمد** ﷺ، وكان "فندر"حينئذٍ في الهند أيضاً، عضواً في إرسالية بازل التبشيرية في فارس وما يتصل بها من أقطار، وقد قامت حول هذا الكتاب ضجة **وكانت الحكومة الإنكليزية تساند مؤلفاته. وعارضه الشيخ رحمه الله الهندي (١٢٣٣هـ/١٨١٨م-١٣٠٨هـ-١٨٩١م) في كتابه "إظهار الحق" على إثر مناظرة بينهما لم تتم. وقد فرَّ "فندر" عقب المناظرة)** [(٢)].

٣- الافتراء على النبي ﷺ:

يقول المبشر "ف.ج.هاربر" : (إن **محمداً** كان في الحقيقة عابد

(١) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/٤٠) .

(٢) انظر: معركة التبشير والإسلام، د.عبد الجليل شلبي، (ص/٢٨٢) .

أصنام، ذلك لأن إدراكه لله في الواقع "كاريكاتور" وسماه بعضهم "كذاب مكة" ومنهم من زعم أن محمداً لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بنى عليها دينه الذي جاء به إلى العرب. أما **المسلمون** فيقول عنهم هؤلاء المبشرون أنهم لا يفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها. ثم ليس **الإسلام** فيما زعموا إلا مزيج مشوه من الآراء والمدركات الخاطئة. وكذلك قال آخرون عنهم **إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون وأن التبشير سيعمل على تمدينهم)** [1].

٤- فرية انتشار الإسلام بالسيف.

يقول "نلسون" : (وأخضع سيف الإسلام شعوب أفريقيا وآسيا شعباً بعد شعب).

ويزعم المبشر "ليغونيان" أن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح.. [2]

٥- تشويه صورة الإسلام لدى الرأي العام الغربي.

ارتكب المبشرون هذه الجريمة ، ليضمنوا دعم المجتمعات الغربية لهم مادياً ومعنوياً.. وهذا ما أشار إليه **"إدوارد ميد ايرل"** أستاذ التاريخ في جامعة "كولومبيا" في الولايات المتحدة الأمريكية، في مقال نشرته خلاصة مجلة

(١) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/٤٢) .
(٢) المصدر السابق، (ص/٤١) .

"العالم الإسلامي" التبشيرية.. يقول: (ماذا يمكن أن يقال الآن عن أعمال التبشير الأمريكي في الشرق الأدنى بعد قرن كامل من الدهر ؟ يمكننا أن نحشد إحصاءات هائلة تتعلق بملايين الدولارات وبألوف النفوس التي ضحت في هذا السبيل. ولكن هذه أيضاً ليست هبة كافية توازي النتائج التي حُققت على أيدي الإرساليات الأمريكية والمبشرين الأمريكيين في هذا المركز المهم من الشرق)...(كما أن الوقت لم يحن بعد للحكم على قيمة ما حققه المبشرون عموماً. هناك وجه واحد من هذا الموضوع يجب ألا يُهمل بحال من الأحوال هو أن الرأي العام الأمريكي قد طويت عنه بعض المعلومات أو غذي بمعلومات خاطئة أو دفع إلى موقف عدائي فإن المبشرين هم الملومون في أكثر ذلك **لأن النظر إلى التاريخ على أساس انتشار النصرانية قد حمل هؤلاء المبشرين على أن يقدموا لنا في الولايات المتحدة صورة ناقصة مشوهة أو ساخرة في بعض الأحيان للمسلمين والإسلام)**...(وقد لجأ المبشرون -كيما يستطيعون أن يجمعوا الأموال- إلى استغلال حقائق ناقصة، وكذلك أخذت تفعل بعض جمعيات الإغاثة منذ زمن قريب. **فنتج من ذلك أن العقل الأمريكي قد حيل بينه وبين الحقيقة الواضحة،** وهي أن سكان الشرق الأدنى قد كانوا ضحايا كوارث واحدة بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم)[1].

وقد قدمنا الردود المفحمة على هذه الشبه في الباب الأول من هذا الكتاب..

(١) المصدر السابق، (ص/٢٣ وما بعدها) .

المطلب الرابع: اغتنام حقبة الاستعمار.

حقيقة

اغتنم المبشرون حقبة الاستعمار في البلدان الإسلامية، فأسفروا عن وجههم القبيح معتمدين على حماية الحكومات الاستعمارية لهم..

وبدؤوا يشنون الهجوم على الإسلام ونبيه محمد ﷺ علناً، وكانوا يعملون على توهين العقيدة الإسلامية عند المسلمين وتشكيكهم بأحكام الإسلام وصلاحيتها لهذا العصر، والادعاء بهضم الإسلام لحقوق المرأة، وعملوا على ترويج الثقافة الأوروبية بصفتها ثقافة الحضارة المتفوقة، ودعوة المسلمين لهجر القيم الإسلامية وتقليد الغرب وقيمه ومبادئه وسلوكه إذا أرادوا الخروج من التخلف والالتحاق بركب الحضارة.

(**يقول المستشرق "هانوتو"** وهو مستشار سياسي لوزارة المستعمرات الفرنسية في أواخر (**القرن التاسع عشر**): " لقد تركزت أهداف الحروب الصليبية قديماً باسترداد بيت المقدس من المسلمين البرابرة، ولايزال بقاء لواء الإسلام منتشراً على مهد الإنسانية يزعج الغرب المسيحي، **ولذا يجب أن نعمل على نقل المسلمين إلى الحضارة الأوروبية بقصد رفع الخطر الكامن في الوحدة الإسلامية، وأفضل طريق لتثبيت ولاية المستعمر الأوروبي على البلاد الإسلامية هو تشويه الدين الإسلامي، وتصويره في نفوس معتقديه بإبراز الخلافات المذهبية والتناقضات الشعوبية والقومية والجغرافية، مع شرح مبادئ الإسلام شرحاً يشوهها وينحرف بها عن**

قيمتها الأصلية، وتمجيد القيم الغربية والنظام السياسي والسلوك الفردي للشعوب الأوروبية) [1].

المطلب الخامس: عمل المبشرين في مجال التغريب والغزو الثقافي وبث الثقافة الأوروبية وتربية الأجيال على النمط الغربي ومقاومة الدين الإسلامي..

يقول "شاتليه"[2]: (وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في تفاصيل أعمال هذه الإرساليات التي اشتهرت **بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الإسلام**. وحسبنا أن نستشهد بإرسالية التبشير الكاثوليكية في بيروت) [3] ، **التي تشرف على الجامعة الأمريكية في بيروت..**

ثم يقول: (ومن هنا يتبين أن إرساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة، وتدار بتدبير وحكمة تأتي بالنفع الكبير في البلاد الإسلامية من **حيث أنها تبث الأفكار الأوروبية)** [4] .

(١) احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام. د.سعد الدين السيد صالح، مكتبة التابعين- القاهرة، الطبعة السابعة [٢٠٠٠م]، (ص/٤٢) .

(٢) أ.ل.شاتليه، مستشرق فرنسي، كان يرأس تحرير مجلة العالم الإسلامي الفرنسية الاستشراقية ثم التبشيرية، التي تصدرها جمعية الإرسالية العلمية المغربية، المؤلفة من عدد من المستشرقين، منهم "لويس ماسينيون"..

(٣) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، الدار السعودية للنشر – جدة، الطبعة الثانية، [١٣٨٧هـ-١٩٦٧م]،(ص/١٥) .

(٤) المصدر السابق، (ص/١٦) .

ويدعو "شاتليه" إلى بث التعاليم الأوروبية الفرنسية في الدين الإسلامي، فيقول: (وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم –أي العلماني في الجامعات الفرنسية– إلى حيِّز الفعل –أي الهدم والبناء– ليبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية) [1].

ويدعو "شاتليه" إلى بث الأفكار الأوروبية عن طريق تعليم اللغات الإنكليزية والإفرنسية والألمانية وغيرها للمسلمين، **مما يؤدي إلى مساعدة إرساليات التبشير على هدم الفكرة الدينية الإسلامية.** [2].

حقيقة

يعمل المبشرون على جعل أبناء البلاد المستعمرة على نمط أبناء المستعمرين ثقافة وسلوكاً ومظهراً..

فهذه مدارس الإخوان النصارى (الفرير) وكذلك المدارس اليسوعية الفرنسية ومدارس الراهبات الفرنسية **تجتهد في أن تجعل من أبناء البلاد الذين تعلمهم، أشباهاً لأبناء فرنسا نفسها في المظهر واللغة وأسلوب التفكير والتعلق بفرنسا المستعمرة، ولا تسعى لإبراز الخصائص الوطنية لأبناء هذه البلاد..** [3].

(١) المصدر السابق، (ص/١٤) .

(٢) المصدر السابق، (ص/١٨) .

(٣) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١١٤) .

المبحث الرابع: تربية وتأهيل المبشرين.

إضاءة

تبذل مجهودات كبيرة ومركزة لإنتاج المبشرين والمبشرات المؤثرين والناجحين، ويجري إعدادهم وتربيتهم وتأهيلهم وتدريبهم في الأديرة والكنائس، والمدارس والكليات اللاهوتية المتخصصة بذلك..

وينتقى المبشرون باهتمام بالغ ممن تتوافر فيهم الصفات التالية:

١- امتلاك مستوى عالي من الذكاء.

٢- الشجاعة.

٣- القدرة على الصبر والتضحية وتحمل المشاق وخدمة الناس.

٤- القدرة على المثابرة.

٥- القدرة على الحوار الهادىء.

٦- قوة الإقناع والتاثير.

٧- امتلاك الشخصية اللطيفة الدبلوماسية المجاملة غير صدامية.

٨- امتلاك الشخصية المتواضعة الودودة المحببة للناس.

٩- أن يكون مقتنعاً بالعمل التبشيري ويهواه.

١٠- امتلاك علم لاهوتي مسيحي واسع وعميق.

١١- امتلاك مستوى عالي من علوم المنطق والفلسفة.

١٢- امتلاك علم واسع بعقائد وديانات ومذاهب وتاريخ الشعوب التي

يتخصص بتبشيرها.

١٣- امتلاك علم واسع بأوضاعهم الاجتماعية وعاداتهم وتقاليدهم.

١٤- امتلاك علم واسع بأوضاعهم السياسية والاقتصادية.

١٥- امتلاك معرفة واسعة بجغرافية البلاد ومناخها ومناطق القبائل والقوميات والإثنيات.

١٦- اتقان اللغة العربية الفصحى للتعمق بالدراسات الإسلامية، واللغة العامية لإتقان مخاطبة عموم الناس.

١٧- اتقان مهن طبية أوحرفية أو زراعية لجعلها مدخلاً للاحتكاك بالناس.

وغير ذلك من الصفات التي تزيد وتنقص حسب المهام الموكلة للمبشر..، ويفضل من له علاقات بالحكومات الاستعمارية الصليبية..،وعلى الأغلب يكون هؤلاء المبشرون من القساوسة والرهبان والراهبات الذين عاشوا وتربوا في الأديرة والرهبانيات من نعومة أظفارهم..

◆المبحث الخامس: خطة عمل التبشير(التنصير).

المطلب الأول: برامج عمل المبشرين:

- إذا كانت خطة عمل المستشرقين الحاقدين تقوم على برنامج فكري يهدف إلى هدم الإسلام ومحاربة رسوله ﷺ، فإن خطة عمل المبشرين تقوم على برنامجين اثنين:

الأول: برنامج عملي: يعتمد على تقديم الخدمات المتعددة للمسلمين لاختراع أسباب الاحتكاك بالمسلمين وإقامة علاقات معهم..

الثاني: برنامج فكري: يعتمد على إنتاج المستشرقين..

وكلا البرنامجين يهدفان كما أشار القس المبشر "زويمر" إلى عمليتي الهدم والبناء، أي هدم الإسلام وتنصير المسلمين.

المطلب الثاني: البرنامج العملي:

يتم استثمار عملية الاحتكاك بالمسلمين عن طريق تقديم الخدمات لهم، على مراحل عدة:

المرحلة الأولى: اكتساب ودِّ وثقة المسلمين من خلال التعامل معهم بالحسنى، وإنشاء قاعدة صداقات واسعة معهم، والاندماج في حياتهم الاجتماعية، من خلال تقديم أكبر خدمات ممكنة لهم –سنتحدث عنها بعد قليل– وكذلك إشعارهم بالتوافق معهم في أفكارهم وتطلعاتهم الثقافية والسياسية والاجتماعية، والإكثار من مجاملتهم..

المرحلة الثانية: وبعد تعميق الود، وتمتين الصداقة، وكسب الثقة، **تبدأ عملية الهدم والبناء الفكري،** وفق خطوات متدرجة:

١- يُقنع المنصِّرُ المسلمَ بأن المسيحيين الصليبيين ليسوا أعداء للمسلمين[١].

٢- يعمل المبشر على التقاط الأفكار السلبية عند ضعفاء الثقافة الإسلامية من المسلمين، مثل تحرر المرأة وتعدد الزوجات والمساواة بين الرجل والمرأة.. [٢]، ثم يضخمها ويدس فيها ويتكئ عليها..

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٧٩) .

(٢) انظر: المطاعن في هذه الموضوعات والرد عليها في الباب الأول من هذا الكتاب.

٣- يعمل المبشر على زرع أفكاره بطريقة هادئة غير صدامية، ويثير الشكوك في الإسلام والرسول ﷺ والقرآن والحديث والعقيدة والشريعة كلما أمكنه ذلك وحيثما أُتيحت له الفرصة والأجواء المناسبة، **ويستعين بالفكر الاستشراقي المترجم، حيث يُقدم له كتباً مملوءة بالدس والافتراء والتشويه والتشكيك، وبهذه الكتب يتلاقى التنصير مع الاستشراق ويتحدان.**

٤- يعمل المبشر على زرع القيم المسيحية المثالية التي لا تشكل صدمة سلبية عند المسلم، مثل:

- طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون [١] .
- المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة [٢] .
- جيد يا معلم. بالحق قلت. لأن الله واحد وليس آخر سواه. ومحبته من كل القلب، ومن كل الفهم، ومن كل النفس، ومن كل القدرة، ومحبة القريب كالنفس [٣].

وبالإضافة إلى ذلك فإنه يركز على أن المسيحية عقيدة روحية وديعة غير عنيفة، تدعو إلى السلام والعدل والطهر، وتحب الحياة المتحررة وتنفتح عليها، وإن الحضارة الغربية ما هي إلا حضارة مسيحية.

كما يعمل على تقديم نسخة من الإنجيل مطبوعة بلغة المسلم على سبيل

(١) إنجيل متى، الإصحاح الخامس، (٩) .
(٢) إنجيل لوقا، الإصحاح الثاني، (١٤) .
(٣) إنجيل مرقس، الإصحاح الثاني عشر، (٣٢-٣٣) .

الهدية[1]، كما يقدم له مطبوعات تخدم الخطة العامة للمنصر..

٥- يعمل المبشر على دمج المسلم في علاقات اجتماعية في الوسط المسيحي، مع التركيز على العلاقة مع العنصر النسائي، الذي يُسوَّق على أنه منفتح غير معقد من العلاقة مع الرجال، ويكون التركيز الأشد على المسلم إذا كان شاباً، بإفساح المجال له، مع تشويقه لإقامة صداقة مع فتاة مسيحية، والنظر إلى ذلك على أنه وجه ومن وجوه مفاهيم الحضارة والثقافة الغربية المتحررة والمنفتحة. وبالمقابل يزرع في عقله أن الحضارة والثقافة الإسلامية منغلقة وغير متحررة ومتخلفة عن العصر..

٦- يعمل المبشر على دعوة صديقه المسلم إلى الاحتفالات الدينية المسيحية في المنازل، ويلبي دعوة المسلم لحضور المناسبات والاحتفالات بالأعياد الإسلامية، ثم في خطوة أخرى يدعو المبشر المسلم لحضور المناسبات الدينية في الكنائس كأعياد الميلاد ورأس السنة.

٧- يرفع المبشر وتيرة التشكيك في الإسلام، وتمجيد الحضارة الغربية، وتقدمها على العالم الإسلامي المتخلف، والنظر إلى تاريخ المسلمين بالشك والريبة والاستخفاف، وإضعاف العقيدة في النفوس، وتقديم الإغراءات المتنوعة، وإضعاف الالتزام بالإسلام.

٨- وبعد دمج المبشر للمسلم على نحو عميق، يبدأ المنصر بمناقشته على مراحل متدرجة عن أحقية اعتناق الدين المسيحي من الإسلام، وأن المسيحية

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٧٩).

هي سبيل النجاة الوحيد يوم القيامة، ويقدم له الإغراءات من منح دراسية مجانية في أوروبا وأمريكا، أو تقديم مبالغ من المال لفتح ورشة أو احتراف مهنة، أو إغراءات بعلاقات نسائية..

٩- فإذا اعتنق المسلم المسيحية، تبدأ عملية تأهيله وتدريبه ليكون مبشراً مسيحياً، فهو أشد فاعلية في الوسط المسلم من غيره من الغرباء..(**فتبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها**)[١].

المطلب الثالث: الحقيقة والنتائج: لقد نجح المبشرون بإنتاج مبشرين متحمسين للتنصير في أحيان قليلة جداً، فعلى سبيل المثال: تنصر أمير زادة محمد شكري التركي وأصبح اسمه القس المبشر "أفتارنيان" الذي عمل في قسم تحرير مجلة "الشرق المسيحي" التي تنشرها جمعية التبشير الشرقية الألمانية. وقد نشرت المجلة مقالاً بعنوان "الشرق المسيحي وإرساليات التبشير"، يقول: ((إن أعمالنا ازدادت أهمية بين المسلمين البلغار...، وذلك بنشاط وإقدام القسيس (المتنصر) "أفتارنيان")[٢].

لكن الحقائق تشير إلى أن هذه الحالاتِ الشاذة قليلةٌ جداً مقارنةً مع دخول أعداد كبيرة جداً من الغربيين وغيرهم من كبار رجال الفكر والعلم في الإسلام، فضلاً عن عدد كبير من القساوسة الذين حَسُن إسلامهم، فانبروا يدافعون عن

(١) المصدر السابق، (ص/٨٠) .

(٢) المصدر السابق، (ص/١٠٧وما بعدها) .

الإسلامِ الدينِ الحقِّ، ويكشفون أسرار المستشرقين والمبشرين المخزية[1].

المبحث السادس: وسائل عمل التبشير(التنصير).

لقد اعتمد المبشرون وسائل متعددة في برامجهم التنصيرية العملية، وأهمها تقديم الخدمات المتعددة للمسلمين، لاختلاق أسباب الاحتكاك بهم، وإقامة علاقات معهم، واكتساب ثقتهم، ثم البدء بتسميم أفكارهم ، وانتزاعهم شيئاً فشيئاً من الإسلام وفك ارتباطهم معه، ثم إلقائهم في شِباك النصرانية.

(١) للتوسع انظر:

- كتاب "الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية"، القاهرة، [١٩٧٢م] للمفكر: إبراهيم خليل أحمد، الذي كان قسيساً ثم أسلم عام /١٩٥٩م/، وقد حصل على درجة الماجستير في اللاهوت والفلسفة، من جامعة برنستون، في الولايات المتحدة الأمريكية، عام /١٩٥٢م/ . وانظر قصة إسلامه المذكورة في كتابه أعلاه وكتبه الأخرى.
- كتاب "محمد في الكتاب المقدس" البروفسور: عبد الأحد داود، الذي كان قسيساً باسم "دافيد بنجامين كلداني"، ترجمة: فهمي شما.
- كتاب سر إسلامي- لماذا اخترت الإسلام ديناً،م محمد فؤاد الهاشمي، الذي درس علم اللاهوت ثلاث سنوات، دار الحرية- مصر، [١٩٨٠م].
- كتب الفيلسوف الفرنسي "روجيه غارودي"، وكتب المفكر الألماني "مراد هوفمان"، وكتب المفكر النمساوي محمد أسد "ليوبولد فايس"، وكتب المفكر النمساوي "روجيه باسكويه"، وكتب المفكر الفرنسي ناصر الدين "ألفونس إيتيان"دينيه، وكتب الفيلسوف الفرنسي عبد الواحد يحيى غينوف، وكتب المفكر الفرنسي "موريس بوكاي" ، وغيرهم مما يصعب إحصاؤه.=

=ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء المفكرين وأمثالهم لم يدخلوا الإسلام بجهود المبشرين المسلمين، ولم تبذل لأجلهم ميزانيات فلكية، بل اعتنقوا الإسلام عن طريق الدراسة والبحث العلمي بجهودهم الذاتية فاكتشفوا الحقيقة وآمنوا بها وبشروا بها..

الوسيلة الأولى: التعليم.

خطر

يُعد التعليم من أخطر الوسائل التي استخدمها التبشير، لأنها وسيلة تستهدف الشريحة الاجتماعية الأكثر قابلية ومرونة لتلقي الأفكار والمعلومات وتشربها ثم التعامل معها ألا وهي شريحة الأطفال والشباب..

يقول "بزوز" رئيس الكلية الإنجيلية في بيروت (الجامعة الأمريكية) في منتصف القرن العشرين: (**لقد برهن التعليم أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجؤوا إليها في سعيهم لتنصير سورية ولبنان**)[1].

ودعا المستشرق "أ.ل.شاتليه" رئيس تحرير مجلة "العالم الإسلامي" الفرنسية[2]، **إلى اعتماد التعليم العلماني في البلاد الإسلامية لهدم الثقافة الإسلامية وتقويضها**.. فيقول: (ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية، إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الضعف من الانتفاض والاضمحلال الملازم له سوف يفضي —بعد انتشاره في كل الجهات– إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر. على أن المناقشة في هذه المسألة لا طائل تحتها، لأن الآراء

(١) انظر: التبشير والاستعمار، د.عمر فروخ ود.مصطفى الخالدي، (ص/٤٦) .

(٢) وهي مجلة خادمة للرسالة الاستشراقية والتنصيرية والاستعمارية، تحت شعار البحث العلمي والاجتماعي والتاريخي.. .

تنبعث من وجهة التفكير، فلنقتصر إذن على أن القول في سير العالم الإسلامي (ب)تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها، ...أمر طبيعي ممكن التحقيق. أما فرض تدرج المسلمين إلى اعتناق المسيحية، فخارج عن حد الإمكان لأن المسلم كالمسيحي واليهودي لا تجذبه التعاليم العصرية إلى الاعتقادات الدينية. ولكننا نعود فنقول: إنه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين، من حيث الشطر الثاني من خطتهم وهو ا(لهدم)، فإن نزع الاعتقادات الإسلامية ملازم دائماً للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية. والتقسيم السياسي الذي طرأ على الإسلام سيمهد السبل لأعمال المدنية الأوروبية، إذ من المحقق أن الإسلام يضمحل من الوجهة السياسية، وسوف لا يمضي غير زمن قصير حتى يكون الإسلام في حكم مدينة محاطة بالأسلاك الأوروبية) [1] .

وقد كان للتعليم التبشيري في المستويات التعليمية كافة — رياض أطفال،ابتدائي، إعدادي، ثانوي، جامعي- **آثار سلبية عميقة على الالتزام الديني في المجتمعات الإسلامية.**

وقد أولى المبشرون التعليم أهمية كبيرة جداً في نشر التنصير..

يقول المبشر "هنري جسب": ((إن التعليم في (مدارس) الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط،هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً

(١) الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/١٩) .

مسيحية. ولكن حينما يخطو التعليم وراء الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي.. فإننا لا نتردد حينئذ أن نقول إن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى مدى علماني محض،إلى مدى علمي دنيوي. مثل هذا العمل يمكن أن تقوم به جامعات هايدلبرغ وكمبردج وهارفرد وشيفيلد، لا الجمعية التبشيرية التي تسعى إلى أهداف روحية فحسب)...(**ويرى بعضهم أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى. ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة لأوطانهم**)[1].

*** وقد أولى المبشرون اهتماماً خاصاً بتبشير الدارسين في أوروبا** [2].. وجعلوا من المنح الدراسية وسيلة فعالة لربط الدارس بهم وبمخططاتهم.. كما اهتموا اهتماماً كبيراً بالتعليم النسائي، وتعليم الأطفال حيث تم اختيار أهم الكفاءات والمواهب للتدريس التبشيري.

*** واستخدم المبشرون الكتب المدرسية لنشر الأفكار المسيحية والتشويه والتشكيك في الإسلام ورسوله ﷺ..**

وكمثال على ذلك: فقد ورد النص التالي في كتاب عنوانه "البحث عن

(١) انظر: التبشير والاستعمار، د.عمر فروخ ود.مصطفى الخالدي، (ص/٦٦ وما بعدها) .
(٢) انظر: أقوال "ماسينيون" بهذا الصدد، المصدر السابق، (ص/٨٩) .

الدين الحقيقي"[1] الذي يدرس في أكثر مدارس التبشير المسيحي، يقول: **(في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام**، الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يَهْلِكون في القتال بالاستمتاع الدائم في الملذات. وبعد قليل أصبحت آسيا الصغرى وإفريقيا وإسبانيا فريسة له، حتى إن إيطاليا هددها بالخطر، وتناول الاجتياح نصف فرنسا، لقد أصيبت المدنية. ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى... ولكن انظر: ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بواتيه /٧٥٢م/. ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً /١٠٩٩-١٢٥٤م/ في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية. وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب، وانتصر الإنجيل على القرآن، وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السهلة)[2].

*** وكان المبشرون يستغلون مادة اللغة الأجنبية لنقل نصوص الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، ثم ينزلقون إلى شرح هذه النصوص**

(١) تأليف: "المنسنيور كولي"، وقد صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم المسيحي في باريس عام [١٩٢٨م] .

(٢) التبشير والاستعمار، د.عمر فروخ ود.مصطفى خالدي، (ص/٧٢وما بعدها) .

وبث أفكارهم التبشيرية من خلالها. بل إنهم كانوا يستغلون جميع الدروس لتسريب تأويل مسيحي كلما أمكن ذلك.. **يقول "ستيفن بنروز"** عن الجامعة الأمريكية في بيروت: **(إنها كانت تستغل كل فرصة سانحة ليعرف أولئك الطلاب الحقيقة كما تريدها النصرانية البروتستانتية، وكان الدخول إلى الكنيسة فرضاً على كل تلميذ)** [1] .

مغفلين

ائتمن بعض الآباء المسلمين المغفلين المدارس التبشيرية على أبنائهم، رغبة في تعليمهم اللغة الأجنبية وتحصيل مستوى جيد من التعليم، ولكن هؤلاء الآباء لم يكن يشغل اهتمامهم موضوع الحفاظ على عقيدة أبنائهم، وغرتهم مجاملات القائمين على هذه المدارس وما يظهرونه نفاقاً من احترامٍ لثقافة المجتمعات الإسلامية..

* وكانت النتيجة أن خان المبشرون الأمانة وغدروا بالمسلمين ولوثوا وأمرضوا وأضعفوا ومزقوا عقائد الطلبة هذا إن لم يفلحوا في تغييرها. وقليل من الآباء الواعين الذين تنبهوا لأهداف المبشرين، فنظفوا وطهروا وصححوا وحموا وغذَّوا عقائد أبنائهم..

* **لقد كان المبشرون يضغطون على الطلاب، وأحياناً يجبرونهم على**

(١) المصدر السابق، (ص/١٠٥) .

الحضور في الكنيسة التابعة للإرسالية التبشيرية، حتى إن هذا الأمر كان يتم على المستوى الجامعي، وهذا ما كان يحصل مع الدكتور عمر فروخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، والتي أُنشئت عام /١٨٣٥م/ وكان اسمها حينئذٍ "الكلية السورية الإنجيلية". **بل كانت الجامعة الأمريكية الإنجيلية التبشيرية تُضيق في أمر تعيين مدرسين مسلمين، وإن امتلكوا الكفاءة والتميز، وكانت تمنع المعينين منهم من ممارسة أي نشاط يدعم القضية الفلسطينية، أو يدعم العناية بأي عمل إسلامي ولو كان خيرياً**..وهذا ما حصل مع الدكتور مصطفى الخالدي الذي منع من هذا النشاط فاختار ترك التدريس في الجامعة وحافظ على مبادئه[1].

الوسيلة الثانية: الرعاية الصحية.

هناك مبدأ عند المبشرين يقول: (**حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة للطبيب، وحيث تكون الحاجة للطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير**).

ويقول الطبيب "بول هاريسون" : (إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عُمان بأسرها) **لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى**. ولا ريب في أن الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس حتى أولئك الذين لا

(١) المصدر السابق، (ص/١٠٠) .

يخالطون غيرهم. ولذلك قال المبشرون: إن بإمكان الطبيب المبشر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم) [1].

الوسيلة الثالثة: العمل الاجتماعي.

حقيقة

إن العمل الاجتماعي من أوسع الأبواب التي دخل منها المبشرون، للاحتكاك بالمسلمين وإقامة علاقات عميقة معهم ثم اكتساب ثقتهم، وذلك لتسهيل عمل المبشرين وتنصير المسلمين..

(لقد جاء في كتاب اسمه "**مؤتمر العاملين المسيحيين بين المسلمين**": نحن نعني بالعمل الاجتماعي المسيحي تطبيق مبادئ يسوع المسيح في جميع الصلات الإنسانية. إن المسلمين يدعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر، **فعلينا أن نقاوم الإسلام ديناً بالأسلحة الروحية**. فالنشاط الاجتماعي يجب أن يرافق التعليم المباشِّر للإنجيل ويساعده ويتممه.. فلنبدأ بالصلات اليومية تلك التي تتصل بالطفل والمرأة ثم نتوسع في تلك الصلات حتى نبلغ إلى المبادئ الواسعة التي أقرتها عصبة الأمم .. **فأمام الكنيسة اليوم مناسبات ممتازة تتيح (للمبشر المسيحي) أن يتصل برجال ونساء في البيئة (الإسلامية) الراقية لم يكن بإمكانه من قبل أن يتصل بهم**. من أجل ذلك ننصح بالسير في الأعمال الاجتماعية على

(١) المصدر السابق، (ص/٥٩) .

الأسس التالية: **إيجاد بيوت للرجال والنساء وخصوصاً الطلبة منهم ومنهن، إيجاد الأندية، الاعتناء بالتعليم الرياضي وأعمال الترفيه، حشد المتطوعين لأمثال هذه الأعمال)** [1] .

الوسيلة الرابعة: العمل الخيري والإغاثي.

حقيقة

إن الكوارث والحروب التي تحيق بالشعوب الفقيرة، موسم عظيم للمبشرين..

لأنهم يستغلون هذه الأحداث لأخذ الأطفال المشردين إلى الملاجئ، وإخضاعهم للتنصير فيبرمجونهم ويعلمونهم ويخصصونهم بالاختصاصات الدراسية الإنسانية العالية ويربونهم على النصرانية، ثم يعيدونهم بعد أن يكبروا ليستلموا مناصب قيادية في بلادهم..

ويعمل المبشرون على بناء المياتم ودور الإيواء للمشردين لنفس الغاية، وهم يطمعون إن لم يستطيعوا تنصيرهم، فعلى الأقل لن يكونوا في المستقبل ملتزمين إسلامياً، وسيتعاطفون مع القيم المسيحية والثقافة الغربية..

كما يقوم المبشرون بإنشاء جمعيات تحت يافطة العمل الخيري، ليتغلغلوا في المجتمعات الإسلامية ويؤثروا على عقائد المسلمين.

(١) المصدر السابق، (ص/١٩١وما بعدها) .

الوسيلة الخامسة: الصحافة والإعلام والمطبوعات.

استخدم المبشرون الصحافة والإعلام على نطاق واسع، فلهم آلاف الصحف والمجلات التي يبلغ عددها حوالي (٢٤٩٠٠)، والإذاعات والمحطات التلفزيونية التي يبلغ عددها حوالي (٢٤٠٠) وهي تقوم بنشر أفكارهم المسمومة، من أجل تنصير المسلمين ودعم النصارى والمتنصرين[١].

وقد بدأت جهودهم في استغلال وسائل الإعلام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم بدأت تتوسع مع توسع تكنولوجيا الإعلام، وكان أهمُّ مركزين للإشعاع الإعلامي التبشيري ومطابعه ومنشوراته **مدينتي بيروت والقاهرة.**

الوسيلة السادسة: النوادي الصيفية والشتوية.

إضاءة

وهو عمل حركي مؤثر يُسهل العمل التنظيمي، ويهدف إلى جذب الشباب والشابات من المسلمين من خلال النشاطات الرياضية المختلفة..

لدمجهم مع الشباب والشابات المسحيين المدربين على المهام اللازمة لانتزاع المسلمين من التزاماتهم الإسلامية وجعلهم ينخرطون تدريجياً في برامج التنصير، ويركزون على رياضة السباحة المختلطة التي تشكل إغراءً قوياً للشباب، كما يحرصون كثيراً على دفع بنات المسلمين لهذه الرياضة لأنهم يعلمون أن الفتاة إذا خلعت ملابسها فستصبح بعيدة عن دينها.

(١) انظر: استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، د.محمد عمارة، (ص/٢٣٥وما بعدها).

الوسيلة السابعة: النوادي الفنية.

وتعمل من خلال الفنون المختلفة (رسم ، مسرح، موسيقا، رقص...) على تنفيذ المهام السابقة.

الوسيلة الثامنة: النوادي الثقافية والأدبية.

وتعمل من خلال المحاضرات الثقافية والفنون الأدبية (شعر، قصة، رواية..) على زرع الأفكار وزلزلة الاعتقاد ثم تغييره، وخاصة ما يدفع المرأة إلى الانفلات من القيم والمبادئ الإسلامية بدعوى التحرر والمساواة، ويُركز فيها على تشويه الثقافة الإسلامية.

الوسيلة التاسعة: بيوت الشباب.

وهي منتشرة في أنحاء العالم كله، تستقبل الشباب المسافرين، وتوفر لهم الإقامة المجانية المؤقتة، **وتقيم معهم علاقات متينة تستمر بعد خروجهم منها**، لدمجهم في برامج التبشير المختلفة.

الوسيلة العاشرة: بيوت الطلبة.

ويعمد المبشرون إقامتها بالقرب من الجامعات، **ويوفرون فيها للطلبة الإقامة المجانية، بشرط التزامهم بنشاطات البيوت** المبرمجة من قبل البعثات التبشيرية، لينخرطوا تدريجياً في برامج التنصير.

الوسيلة الحادية عشرة: المؤتمرات.

وهي متنوعة البرامج والمستويات، وأغلبها لا يعمل في الجانب الأكاديمي. وأخطرها ما يحمل عنوان: "المؤتمرات الشبابية العالمية" وهي في الحقيقة

ليست بمؤتمرات علمية تخصصية تلقى فيها البحوث من العلماء المتخصصين، بل هي مؤتمرات ليس لها من اسمها إلا الشكل، **وحقيقتها برامج تشمل على أنشطة مختلفة، أغلبها حركية وقليل منها فكرية، وجميعها تهدف لدمج المشاركين في البرامج التبشيرية التنصيرية.**

وتحمل هذه المؤتمرات صفة العالمية، ويشارك فيها الشباب والشابات من مختلف أنحاء العالم.

وهناك مؤتمرات تخصصية لصالح حركة التنصير والتبشير يشارك فيها المبشرون من مختلف دول العالم، يضعون فيها الخطط والبرامج لتطوير حركة التبشير، ومنها ما هو مخصص للمبشرين الكبار، ومنها ما هو مخصص للمبشرين الحركيين الشباب، كمؤتمرات جمعية الشباب المسيحيين، وجمعية الشابات المسيحيات[1] .

الوسيلة الثانية عشرة: المخيمات والكشفية.

(جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي: **نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار، قبل أن تتشكل عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً.** إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تُستخدم من جديد لتوقظ عقول الصغار وتجلو أخلاقهم، سواء في ذلك ما يتعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق

(١) تأسست جمعية الشبان المسيحيين عام /١٨٥٥م/ومهمتها إدخال الشباب في ملكوت المسيح، وقد لعبت الجمعية دوراً مهماً في تبشير المسلمين.
وللمزيد انظر: الغارة على العالم الإسلامي، أ.ل.شاتليه، (ص/٣٣وما بعدها).

المدرسة. فمن ذلك مثلاً:الكشفية للفتيان والفتيات، مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الآحاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب، المخيمات والمؤتمرات للطلاب والأندية والرياضة وما يتصل بذلك، بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (**إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن نجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح**) [1]

ويخرج الشباب منها ذكورهم وإناثهم وقد تأثروا في العمق بالأفكار المبرمجة التي ضخت في عقولهم، **بالإضافة إلى الدخول في علاقات وثيقة بهم تستمر على نحو عميق بعد انتهاء المخيمات، تساعد على تحويلهم عقائدياً وسلوكياً حسب رغبة المبشرين..**

تنبيه

إن نشاط المخيمات يعدُّ من أخطر أنواع النشاطات تأثيراً على الشباب، فهي تجتذب الشباب كونها مخيمات مختلطة.

إن قدرة هذه المخيمات على التغيير فائقة، ولا تنافسها أي وسيلة أخرى.

ووفق اطلاعي، فإن هذه المخيمات تعقد سنوياً على مستوى العالم، وتتنافس الجهات التبشيرية على إقامتها ورعايتها وفق برامجها التنظيمية

(١) التبشير والاستعمار، (ص/٢١٤) .

والتنصيرية الخاصة بها. وتستمر هذه المخيمات على الأغلب لمدة خمسة عشر يوماً..

خطر

والأمر الأخطر في هذه المخيمات أنها تعمل على تنظيم الشباب من كافة الأديان ومنهم المسلمون وفق مجموعات تبقى على صلة دائمة تُزود بالمعلومات والمطبوعات والنشاطات وأحياناً بالمهام، مثل دعوة شباب وشابات جدد للمشاركة في المخيمات القادمة..

* * *

الفصل الثاني

العدوان التبشيري التنصيري المتجدد

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر

المبحث الأول: مؤتمرات وخطط ودراسات وتنظيمات..

المطلب الأول: تخطيط جديد:

تحول

قرر المنصرون والمبشرون على مستوى العالم في مطلع (**القرن العشرين**)أن يتحولوا صوب العمل المنهجي المؤسسي القائم على الدراسات والخطط والتنظيم من جهة، وكذلك القائم على التعاون والتنسيق بين الجهات الكنسية على اختلاف مذاهبها ومشاربها والمهتمة بعمليات التبشير.

ولاشك أن هذا التحول بدأ يضفي على عمليات التبشير صفات **العالمية والشمولية والحركية**، وكل ذلك سيكون **مدعوماً من الحكومات الغربية الاستعمارية ومراكز القوة المالية والإعلامية والاستشراقية**.. ولتحقيق هذه الأغراض قرر المنصرون التوجه إلى **إقامة المؤتمرات المتخصصة**..

المطلب الثاني: أهم مؤتمرات التنصير والتبشير وموضوعاتها وقراراتها:

كان القس المنصر "صموئيل زويمر" رئيس الإرسالية التبشيرية في البحرين الأكثر اهتماماً في هذا التوجه، والتحوُّل الجديد، فكان أول من دعا إلى مؤتمرات رسمية للتبشير.

وقد تم عقد مؤتمرات تبشيرية متتابعة، وكان من أهمها: [1]

١- مؤتمر كلكتا – الهند، عام /١٨٥٥م/.
٢- مؤتمر المكسيك، عام /١٨٩٧م/.
٣- مؤتمر طوكيو – اليابان، عام /١٩٠٠م/.
٤- مؤتمر اتحاد جنوب أفريقيا، عام /١٩٠٠م/.
٥- مؤتمر القاهرة – مصر ، عام /١٩٠٦م/.
٦- مؤتمر الصين، عام /١٩٠٧م/.
٧- مؤتمر أدنبرج - أدنبره – إنكلترة، عام /١٩١٠م/ .
٨- مؤتمر بيروت – لبنان، عام /١٩١١م/.
٩- مؤتمر لكنو – الهند، عام /١٩١٣م/.
١٠- مؤتمر القدس – فلسطين، عام /١٩٢٤م/.
١١- مؤتمر لبنان، عام /١٩٢٤م/.
١٢- مؤتمر حلوان – مصر، عام /١٩٢٤م/.

(١) عقدت مؤتمرات أخرى كثيرة لم نتطرق إليها، واكتفينا بهذه الأمثلة .

١٣- مؤتمر قسطنطينة – الجزائر، عام /١٩٢٤م/.

١٤- مؤتمر القدس – فلسطين، عام /١٩٢٥م/.

١٥- مؤتمر القدس – فلسطين، عام /١٩٢٨م/.

١٦- مؤتمر لنزان، عام /١٩٢٩م/.

١٧- مؤتمر تونس، عام /١٩٣١م/.

١٨- مؤتمر القدس – فلسطين، عام /١٩٣٥م/.

١٩- مؤتمر بالتيمور - أمريكا، عام /١٩٤٢م/.

٢٠- مؤتمر مانيلا – الفيليبين، عام /١٩٤٨م/.

٢١- مؤتمر أمستردام – هولندا، عام /١٩٤٨م/.

٢٢- مؤتمر إيفانستون – أمريكا، عام /١٩٥٤م/.

٢٣- مؤتمر سومطرة – أندونيسيا، عام /١٩٥٧م/.

٢٤- مؤتمر نيجيريا، عام /١٩٥٨م/.

٢٥- مؤتمر كوالا لمبور – ماليزيا، عام /١٩٥٩م/.

٢٦- مؤتمر ليما – البيرو، عام /١٩٦١م/.

٢٧- مؤتمر نيودلهي – الهند، عام /١٩٦١م/.

٢٨- مؤتمر كينيا، عام /١٩٦٣م/.

٢٩- مؤتمر برلين – ألمانيا، عام /١٩٦٦م/.

٣٠- مؤتمر لوزان – سويسرا، عام /١٩٧٤م/.

٣١- مؤتمر جاكارتا – أندونيسيا، عام /١٩٧٥م/.

٣٢- مؤتمر كولورادو – أمريكا، عام /١٩٧٨م/[1].

- **ومن خلال نظرة سريعة على هذه المؤتمرات نلاحظ ما يلي:**

١- التركيز الشديد على إقامتها في القدس، فقد عقدوا فيها أربعة مؤتمرات خلال عشر سنوات تقريباً.

٢- تركيز الاهتمام على البلدان العربية.

٣- تركيز الاهتمام على شمالي أفريقيا.

٤- تركيز الاهتمام على جنوبي شرق آسيا.

انتقال

قرروا نقل مرجعية حركة التنصير من أوروبا إلى أمريكا، مع رجحان تحول كفة أمريكا إلى مركز القوة والقرار في العالم.

المطلب الثالث:خلاصة موضوعات وقرارات أهم مؤتمرات التنصير في العالم:

أولاً: مؤتمر القاهرة.

عقد بتاريخ ١٩٠٦/٥/٤م في القاهرة برئاسة القس "زويمر" صاحب فكرة

(١) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، (ص/٤٩ وما بعدها)، والتبشير وأثره على البلاد العربية والإسلامية، أحمد سعد الدين البساطي، (ص/٤٩ وما بعدها)، وحقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، (ص/٢٠٤ وما بعدها)، واستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، د.محمد عمارة، (ص/٩ وما بعدها) .

الدعوة إليه، وشارك فيه إرساليات تنصيرية من أوروبا وأمريكا وقد أصدر القسيس الأمريكي "فليمنغ" كتاباً تحت عنوان "وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية" ضمَّنه المباحث والآراء التي دارت في المؤتمر، ومنها:

١- الطريقة التي ينبغي انتهاجها في التبشير.

٢- الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام، ووسائل استجلابهم وتحبيب المبشرين إليهم، **وأهمها الموسيقى والسينما والإرساليات الطبية، وتعلم اللهجات العامية، ودراسة القرآن ليعلم المنصرون ما فيه، ودراسة النفسية الشرقية، والبعد عن المجادلة وعدم استعمال القواعد المنطقية، والتركيز على المجاملة.**

٣- الصعوبات التي تقف في وجه **تبشير المسلمين المتنورين.**

٤- وسائل وطرق التأثير على **الشباب المسلم**، ومنها التودد إليهم وإظهار التعاطف مع المسلمين في قضاياهم السياسية والاجتماعية.

٥- الجهود التي يبذلها المبشرون لتنصير الشبيبة الإسلامية **التي تعلمت على الطريقة الأوروبية.**

٦- إقامة جامعة نصرانية تزاحم الأزهر.

٧- النشرات التي ينبغي على المبشرين نشرها لتنصير المسلمين، ومنها ترجمة الكتاب المقدس.

٨- وجوب الإكثار من الإرساليات الطبية بسبب احتكاك الأطباء بالمسلمين والتأثير عليهم، وأن على طبيب الإرسالية ألا ينسى لحظة واحدة

أنه مبشر أولاً وقبل كل شيء **ثم هو طبيب ثانياً.**

٩- **الاهتمام الكبير بموضوع تنصير المرأة المسلمة،** والاستعانة بالنساء المبشرات لنشر النصرانية بين النساء، وكيفية إعدادهم وتربيتهم.

١٠- دراسة وسائل مساعدة المتنصرين المضطهدين.

١١- كيفية عرض العقيدة النصرانية.

١٢- الصفات التي ينبغي أن يتصف بها المبشر [١].

ثانياً: مؤتمر أدنبره.

عقد المؤتمر عام /١٩١٠م/ في إنكلترا، وقد حضره منصرون من أمريكا وإنكلترا وألمانيا، ونشرت أعمال هذا المؤتمر ونقاشاته في **تسعة مجلدات** ..

* ونشرت مجلة "الشرق المسيحي" التي تصدرها جمعية إرساليات التبشير الشرقية الألمانية مقالة بقلم **"فون لبسيوس"** الألماني عنوانها **"دخول التبشير العالم في طور جديد"** تحدث فيها عن أهمية مؤتمر "أدنبره" وأنه أبان عن ارتقاء في أعمال المبشرين وذكر أن من مندوبي التبشير الأمريكيين **المدعوين "روزفلت" رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق، وكذلك اللورد "بلفور" العضو في المجلس الأعلى، ورئيس شرف المؤتمر.**

واقتبس صاحب المقالة من مستندات مؤتمر "أدنبره" إحصائيات حول المبشرين وأعمالهم جرت عام /١٩٠٢م/، فذكر ما يلي:

(١) انظر: الغارة عل العالم الإسلامي، شاتليه، (ص/٤٩ وما بعدها) .

١- بلغ عدد المبشرين البروتستانت/٩٨٣٨٨/ مبشراً.

٢- بلغ عدد إرساليات التبشير العامة /٣٤٧٨/إرسالية.

٣- بلغ عدد إرساليات الدرجة الثانية /٣٢٠٠٩/ إرسالية.

٤- بلغ عدد المعاهد الكنسية العامة التابعة لها /١٦٦٧١/ معهداً.

٥- بلغ عدد الأساتذة والتلاميذ الذين هم تحت إشرف المبشرين /١١٩٠٦٠٢/.

٦- عدد المدارس الدينية لتعليم لاهوت النصرانية التابعة لها، والتي تخرج المعلمين والمبشرين /٨١/ مدرسة، وفيها /١٢٥٤٣/ طالباً.

٧- عدد مدارس المرحلة الثانوية التابعة لها /١٥٩٤/ مدرسة فيها /١٥٥٤٢٠/ طالباً، وللمرحلة الابتدائية /٢٨٩٠١/ مدرسة عدد طلابها /١١٦٥٢١٢/ طالباً، ولمرحلة الروضة/١١٣/مدرسة عدد طلابها /٤٧٠٣/ طالباً.

٨- عدد المستشفيات التابعة لها /٥٥٠/ مشفى، وعندها /١٠٢٤/ صيدلية، و /٩٢/ جمعية للممرضات، و/٢٦٥/ ملجأ للأيتام، و /١٥/ ملجأ للأرامل، و/٢١/ معهداً للإسعاف، وهناك عدد كبير من مراكز العناية بالعميان ومرضى البرص ومدمني المخدرات.

٩- وتتبرع جهات مختلفة من أنحاء العالم لهذه الإرساليات التبشيرية **بمبالغ ضخمة جداً**، لإنفاقها على نشاطاتها في تنصير المسلمين.

١٠- وهذه الإحصائيات خاصة بالإرساليات البروتستانتية، ولا تشمل الإرساليات الكاثوليكية وغيرها.

* وقد نشرت مجلة "العالم الإسلامي" الإنكليزية التي يرأسها القس "صموئيل زويمر" مقالة بقلم "تشارلس وطسون" تحت عنوان "العالم

الإسلامي" تحدث فيها عن مؤتمر "أدنبره" أشار فيها إلى أن مهمة اللجنة الأولى في المؤتمر كانت البحث في المسألة الإسلامية وإيجاد ميدان عام ومشترك لأعمال المبشرين، **واختيار خطة "الهجوم" و"الغارة" على العالم الإسلامي**، وإحصاء أعداد المسلمين، ودراسة أحوالهم.

* وجاء في تقرير اللجنة ما يشير إلى ازدياد عدد المسلمين على نحو مطرد في جنوبي شرق آسيا، **كما أشار إلى سرعة تقدم الإسلام في أفريقيا**. وحض تقرير اللجنة الأولى جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف عليه المبشرون.

وأشار تقرير اللجنة الرابعة إلى أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها المبشرون الأوروبيون في السلطنة العثمانية كان لها أثر في نشر الثقافة الأوروبية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها.

وبحثت باقي اللجان في الموضوعات التالية:

١- كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم والتركيز على دراستهم للإسلام ولغة البلاد.

٢- العلاقات مع حكومات الدول التي يبشرون فيها.

٣- كيفية توحيد أعمال التبشير.

وكان من نتائج مؤتمر "أدنبره" افتتاح مدارس تبشير مشتركة خاصة بتعليم المبشرين في الدول الإسلامية [1].

(١) انظر: الغارة عل العالم الإسلامي، شاتليه، (ص/١٠٩ وما بعدها) .

ثالثاً: مؤتمر" لكنو" في الهند.

عقد المؤتمر في مدينة لكنو في الهند عام /١٩١١م/ وحضره المبشرون البروتستانت في البلاد الإسلامية.

وقد نشرت مجلة "العالم الإسلامي" الإفرنسية" خلاصة عن المؤتمر بقلم "**صموئيل زويمر" الذي ترأس المؤتمر وكان مديره الروحي**.. حيث لخص موضوعات المؤتمر-نذكر بعضها- على النحو التالي:

١- درس الحالة الحاضرة.

٢- استنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والمبشرات.

٣- إعداد القوات اللازمة ورفع شأنها.

٤- دراسة موقف الحكومات إزاء إرساليات التبشير.

٥- **وسائل منع اتساع الإسلام بين الشعوب الوثنية.**

٦- تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين، والمزايا النفسية اللازمة لذلك، وتأليف الكتب للمبشرين وللقراء المسلمين.

٧- **دراسة حركات الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي عند المسلمين.**

٨- البرامج المتعلقة بالمرأة [١].

(١) المصدر السابق، (ص/١٤١ وما بعدها) .

رابعاً: مؤتمر "نيودلهي".

عقد في الهند عام /١٩٦١م/، **وكان من أهم مقرراته تشكيل مجلس الكنائس العالمي.**

فقد اتحد المجلسان:

١- مجلس الكنائس.

٢- المجلس التبشيري.

في جهاز ضخم هو "مجلس الكنائس العالمي" W.C.C ولأول مرة في تاريخ العالم المسيحي، تعلن الكنائس: الأرثوذوكسية، والرومانية، والكاثوليكية، والإنجيليكانية، والبروتستاتية، أنها كنائس مسؤولة عن تبشير العالم بالإنجيل. إن رجال التبشير يعتبرون ماحدث في نيودلهي عام /١٩٦١م/ بمثابة ثورة كبيرة في الروح الدينية للكنائس الكبرى وفي تنظيم قواها البشرية، وتوزيع مواردها المالية، وهو ما دفع **"ستيفن نيل"** لأن يقول: "إن أولئك الذين يعيشون ليروا مطلع القرن الحادي والعشرين قد ينظرون وراءهم ليسجلوا بكل شكر أن عام /١٩٦١م/ حدد البداية لقرن عظيم آخر في تاريخ الكنيسة)[1].

(١) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، (ص/٢٠٧).

المطلب الرابع: إعادة التقويم .

تقويم

بعد مرور عشرة قرون على بدايات حركة التنصير ، وأربعة قرون على انطلاقة العدوان التبشيري التنصيري الشامل في العالم الإسلامي، متزايداً مع الحروب الاستعمارية، قرر الصليبيون في العالم الغربي إعادة تقويم عملهم وخططهم ووسائلهم السابقة في تنصير المسلمين..

وقرروا وضع خطة استراتيجية جديدة تتوسع أهدافها لتشمل تنصير جميع المسلمين أينما كانوا، والبدء بتنفيذ هذه الاستراتيجية بأسرع وقت ممكن استجابة لنداء الرب بتنصير المسلمين وجعلهم يؤمنون أن المسيح هو رب الجميع(١).

يقول صنم المنصرين" **صموئيل زويمر** ": (إن تنصير العالم الإسلامي مهمة كبيرة وصعبة جداً ومثبطة للهمة في بعض الأحيان بحيث أن النظرة إلى أعلى حيث الهدف هي وحدها التي تعيد الطمأنينة إلى نفوس المتسلقين، إن تنصير العالم الإسلامي ليس مجرد عبارة نتبادلها بسهولة، بل هو هدف عميق نسخِّر له حياتنا، وعمل مشبع بالإيمان، وجهد محبة وصدق في انتظار أمل تأجل طويلاً ولكنه لن يموت)(٢).

(١) انظر:التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي،إصدار مركز دراسات العالم الإسلامي– مالطة (ص/٥)
(٢) انظر : المصدر السابق ، (ص/٦٢٤) .

المبحث الثاني: المؤتمر الأخطر في تاريخ حركة التنصير

وكانت الخطوة الأولى التي اتخذوها لوضع استراتيجية معاصرة لتنصير العالم الإسلامي، **تناديهم لعقد مؤتمر تنصيري شامل بتاريخ ١٥/٥/١٩٧٨ م في مدينة "جلين آيري" بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية** [١].

وقد حضر المؤتمر أهم /١٥٠/ شخصية تنصيرية على مستوى العالم، وهي المرة الأولى في التاريخ التي يجتمع فيها هذا العدد الكبير من الشخصيات المهمة والمميزة صاحبة الخبرات الواسعة، التي تمثل مختلف الدوائر والهيئات وأنواع رجال الدين **من الطوائف المسيحية كافة**، بينهم منصرين ومدراء إرساليات تنصيرية ومستشارين في شؤون العالم الثالث وخبراء إداريين، ومختصين في الشؤون الإسلامية، وعلماء أجناس بشرية، وخبراء إعلام، واستشاريين قوميين، وذلك من أجل توحيد جهودهم و إمكانياتهم، والاستفادة من خبرات بعضهم في عمليات تنصير المسلمين [٢].

يقول " **و. ستانلي فونيهام** " رئيس منظمة التصور العالمي الدولية التي رعت المؤتمر، ووفرت له كافة احتياجاته .

---

(١) انظر:الترجمة الكاملة لكتاب " The Gospel and Islam A 1978 Compendium"،حرره "دون ماكري"ونشرته بالإنجليزية دار"MARC"عام [١٩٧٩م] وقام المعهد العالي للفكر الإسلامي في واشنطن بترجمته ونشره، وطبع بعنوان " التنصير – خطة لغزو العالم الإسلامي"،ثم قام مركز دراسات العالم الإسلامي في مالطة بتصويره ونشره عام [١٩٩١م]،وقد ضم هذا الكتاب تقارير المؤتمر ومقرراته ،وبلغت عدد صفحات الكتاب /٨٧٧/ صفحة ".

(٢) انظر : المصدر السابق ، (ص/١٩) .

(يجتمع المؤتمرون في كثير من المؤتمرات فيتبادلون الرأي ويعلنون بعض القرارات ثم ينفضون فتصبح مجهوداتهم حبراً على ورق ومداولاتهم مجرد صدى، لكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ، **ولا ريب أن المؤتمر الذي انعقد في أمريكا الشمالية عام /١٩٧٨م/ قد أصبح واحداً من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ)** ...(انفض المؤتمرون وقد ملأتهم روح من التوبة والوحدة، حاملين نظرة ثاقبة جديدة، ومؤمنين بأن الرب يحرك عملاً جديداً في صفوف المسلمين وإن على الكنيسة أن تتحرك بسرعة إذا أرادت أن تكون أداة مخلصة في يديه) ...

(**فالعالم الإسلامي يمر اليوم بحالة من التمزق الاجتماعي والسياسي ولذلك يوجد لدى المسلمين اليوم استعداد قلبي وعقلي لتقبل رسالة المسيح** كما توجد هناك بعض الشعوب الإسلامية التي يصعب الوصول إليها، ولذلك يجب على الكنيسة أن تبتعد عن الأساليب غير المثمرة وتسلك طرقاً ثقافية ملائمة من أجل أن تقدم عيسى المسيح بكل إخلاص وقوة إلى المسلمين)... (لقد حان الوقت لتوقع حصاد وافر بين المسلمين، لقد حان الوقت للعمل الجاد والالتزام المالي، لقد حان الوقت للصلاة المؤمنة والتفاني المخلص والشجاعة والشهادة لرسالة المسيح، لقد حان الوقت لأن نؤمن أن الرب سوف يجلب مجده للعالم الإسلامي كله، لقد حان الوقت لخلاص العالم الإسلامي ونضج الحصاد، ورب الحصاد ينادينا، فأين هم الحاصدون؟ يجب على الكنيسة آلا تتأخر أكثر من ذلك)[1].

(١) انظر : المصدر السابق ، (ص/٦ وما بعدها) .

ومن الجدير ذكره أن كتاب "**خطة لتنصير العالم الإسلامي**" المتضمن أعمال المؤتمر لا يحتوي على جميع قراراته ، فهناك ، **قرارات سرية حُجبت لأنها حساسة للغاية كما ذكر**.

فقد ورد في الصفحة /٢٠/ من هذا الكتاب: (**ولكننا لن ننشر هذه التقارير كاملة، نظراً لاحتوائها على معلومات حساسة للغاية،** ولكن العديد من الأشخاص المسؤولين يقومون بتنفيذ ما طرحته هذه التقارير، وسوف يسهل المعهد المذكور أدناه والذي شكَّل حديثاً تنفيذ العديد من النشاطات في هذا المجال).

الأخطر

مؤتمر كولورادو يُعَدُّ أخطر مؤتمرات التنصير التي عقدت في العالم خلال القرن العشرين..

وقد تم التحضير لمؤتمر كولورادو بعناية فائقة وتخطيط دقيق وشارك العشرات من الباحثين بكتابة الأبحاث ، وشارك العشرات من المفكرين بمناقشتها ونقدها في المرحلة التحضيرية التي استغرقت أكثر من ستة أشهر، وتم تشكيل لجان نوعية ومتخصصة، لمناقشة موضوعات محاور المؤتمر ، وتحضير التوصيات اللازمة ، كما شارك خبراء إداريون مميزون بالتحضيرات اللازمة لانعقاده. وعندما عقد المؤتمر تم تشكيل خلايا لمناقشة موضوعات المؤتمر، وتحديد الغايات والوسائل، ومصادر الموارد، وآليات التنفيذ.

ويلاحظ أنه قد تم دعوة عدد كبير من الرجال والنساء من أعضاء الكنائس المختلفة في الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا من المهتمين بقضايا التنصير، وذلك لإشراكهم في تحقيق أهداف المؤتمر.

المبحث الثالث: خطط استراتيجية جديدة..

وقد اتفقوا على خطط استراتيجية لتحقيق أهدافهم بإضعاف الإسلام وتنصير العالم الإسلامي ، ومن ذلك :

المطلب الأول: إلغاء الأساليب القديمة للتنصير في مواجهة الإسلام.

التي أثبتت عدم جدواها، واعتماد استراتيجية جديدة تتضمن ما يلي :

١- يجب التركيز على الطبقات الدنيا المهمشة والجاهلة والبعيدة عن الالتزام الإسلامي وثقافته الحقيقية (الإسلام الشعبي).

فتنصير هؤلاء أسهل، ويشعرون بأنهم يحققون مكاسب مادية إذا تنصروا، ولا يوجد لديهم ما يخسرونه .

يقول **"دونالدر ريكار"** في تقريره بعنوان: "تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين": (إن معظم العمل التنصيري الدائر حالياً يجري في أوساط أعضاء الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة، هناك حقيقة مهملة وهي أن هذه الطبقة هي أكثر الطبقات تعرضاً للخسارة بانضمامها إلى النصرانية، ومعظم الدورات الدراسية بالمراسلة والتعليم اللاهوتي موجه إلى هذه الطبقات. إن السبب وراء تطوير هذه الوسيلة يكمن تقريباً في عقلية الطبقة المتوسطة وأنفع من العمل بين الطبقات الفقيرة، هناك حركات ضخمة للانضمام للنصرانية في قارات أخرى غالبيتها من أوساط الطبقات الدنيا، واكتسابها سهل، وأفرادها هم الأكثر، ربحاً في انضمامهم إلى النصرانية حيث لا يوجد لديهم ما يخسرونه)[1].

(١) انظر : المصدر السابق ، (ص/٦٠٥) .

٢- يجب اختراق الإسلام بنصرانية ذات أشكال ورموز وصبغة من الثقافات الإسلامية..

ويجب الابتعاد عن الصدامية ، واستفزاز مشاعر المسلمين ، **وتقديم المحتوى النصراني بصيغ وتقاليد إسلامية** بل في أوعية الثقافة الإسلامية والدين الإسلامي ، واستخدام المصطلحات القرآنية التي يمكن أن تمثل جسوراً للعبور بالمضمون النصراني إلى عقول المسلمين مثل " كلمة الله " و " روح الله " و" رفع عيسى " و" الرب محبة " ، وكذلك صب مضامين الشعائر النصرانية ، في قوالب الشعائر الإسلامية ، مثل جعل الصلاة النصرانية بركوع وسجود إلخ !! ، وتسمية كنيستهم " بالمسجد العيسوي " !!.. **وأكدوا أن هذا " تكتيكا مرحلياً " القصد منه خداع المسلمين ثم يتم تحويلهم تدريجياً إلى عمق المضمون النصراني.**

يقول **بشير عبد المسيح** في تقريره للمؤتمر: (فقد جسد الرسول بولس، المسيح في شكل يهودي كي يصل إلى اليهود. وجسده في شكل وثني كي يصل إلى الوثنيين، فهل لدينا الجرأة على سلوك مسلك يسوع والرسول بولس وأن **ندعو إلى مسيح متجسد بشكل إسلامي كي نصل إلى المسلمين؟**. هل نجد في قلوبنا مقاومة ورفضاً لهذه القضية؟. من المؤكد أن التعصب لا ينبع من محبة المسيح المتجسدة والذي هو "في صورة الرب تجرد من ذاته.، اتخذ صورة العبد، صار شبيهاً بالبشر، ظهر بمظهر الإنسان، تواضع، أطاع، حتى الموت" (فيلبي٢:٦,٨) إن الرسول بولس يدعونا لأن نفكر مثل هذا التفكير (فيلبي

١٥:٢) فما المدى الذي نحن على استعداد للذهاب إليه كي نجسد المسيح في بيئة إسلامية؟ هل يمكننا أن نكون قد اتبعنا النموذج الذي أعطانا إياه المسيح في التجسد إذا ما قمنا بلبس العمائم والجلابيب وذهبنا إلى أماكن حتى لو نظر إلينا الناس خطأً كمسلمين)[١].

(إن المتحولين عن الإسلام يقولون إن أعمق تجربة لعبادة يسوع هي في سجودهم ورؤوسهم على الأرض لهم مطلق الحرية أن يتعبدوا بمثل هذه الطريقة ويبنوا أماكن عبادتهم على هذا الأساس، ويسوع يحررهم من العبادة وفق الأنماط والأشكال الغربية، فهل سمحنا نحن لهم بذلك؟ تشير الأدلة التاريخية إلى أننا قد رفضنا أسلوبهم في العبادة وشيدنا لهم الأبنية على النمط الغربي، وأجبرناهم على أن يجلسوا على المقاعد وقد وضعوا رجلاً فوق أخرى تماماً كما يحدث في الكنائس البروتستانتية في الغرب، فما هو مدى استعدادنا من أجل يسوع المسيح أن نتجسد في أنماط دينية – ثقافية – إسلامية مقدسة)[٢] .

(يقول تراث كل من يسوع ، والرسول بولس أن يسوع كان يحب أن يتجسد في أي ثقافة من الثقافات حيث يقوم هو طبعاً بتطهير تلك العناصر التي فيها والتي تخدم هدفه، كما يحرم الممارسات الآثمة. ولهذا فإن رسول يسوع غير المتحيز إلى المسلمين سوف يجد في الثقافة الدينية الإسلامية

(١) المصدر السابق، (ص/١١٤) .
(٢) المصدر السابق ، (ص/١١٦) .

الشيء الكثير الذي سوف يكون بعد تطهيره من قبل المسيح أداة رائعة يمكن من خلالها أن يظهر المسيح نفسه لهؤلاء الناس)[1].

ويقول " **تشارلس كرافت** " في بحثه تحت عنوان " كنائس ملائمة للمتنصرين الجدد في المجتمع الإسلامي ":

(إن تحديد الأهداف هو الخطوة الأولى التي يجب اتخاذها لتطوير أسلوب جديد. وأنا أقترح أن يكون الهدف هو إيجاد مجموعات من أبناء الرب في أوساط ما يسمى "الثقافات الإسلامية" وتكون هذه المجموعات:

أ- ملتزمة بولاء الإيمان للرب وفقاً للوحي الإنجيلي.

ب-أن تؤدي وظيفتها ضمن القالب الاجتماعي- الثقافي وبطرق متكافئة في فعاليتها مع الأمثلة التي نصح بها الكتاب المقدس).

(نحن نحتاج مع ذلك أن ننظر واقعياً إلى بعض العقبات الرئيسية والتي يجب أن نتغلب عليها، وهناك الاحتمال الواضح بأننا كأمريكيين – أوروبيين لنا علاقات خارجية مؤسفة مع المسلمين قد تجعلنا غير مؤهلين للشهادة المباشرة في كثير من المناطق. ونحتاج إلى أن ننظر بحرية أكثر مما سبق نحو الأثر المضعف للشهادة النصرانية بسبب الكراهية النظرية التي تنتشر كثيراً بين المسلمين لأولئك الذين يمتون بصلة للحروب الصليبية إضافة إلى قيام إسرائيل وإلى ما يعتبره المسلمون ضلالاً لاهوتياً وعليه فقد نحتاج إلى أن نطرق

(١) المصدر السابق ، (ص/١١٧) .

أساليب غير مباشرة) ...(لقد قاوم المسلمون بصورة عامة بالطبع هذا الإكراه الثقافي وخاصة في المسائل اللاهوتية وبهذا تركونا بدون استراتيجية تنصيرية، علينا لذلك أن نتعلم كيف نكسب أو ننال حق الإصغاء إلينا استناداً إلى ما تلبيه الرسالة الإنجيلية من الاحتياجات التي يشعر بها المسلمون، وطلب الإصغاء إلينا على أساس منجزاتنا الثقافية)[1].

ويؤكد " **دونالدر ريكاردر** " في بحثه [2] على أن التدرج وترك هامش لثقافة المسلم أثناء وبعد تنصيره، لن يدوم ، فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم المتنصر، سوف يتم تغييره .. يقول: (إن كلمة مسجد: هي الأخرى تثير المشاعر ويجب أن يعالجها المنصرون، ألا نتجرأ على القيام بمبادرات جديدة واستخدام اللغة كوسيلة جديدة؟ لماذا لا نطلق على المكان الذي يلتقي فيه المسلمون العيسويون "مسجد عيسوي"؟ فربما قبل المسلمون في النهاية المسجد العيسوي كفرع طبيعي ضمن الثقافة الإسلامية؟!. يجب أن يفهم من ذلك أننا نقترح أو نعمل على التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة عندما نقترح استعمال هذا الاسم، وعلى كل فنحن لا نحط من قدر العقيدة النصرانية بأي حال ولا نساوم على أي مبدأ إنجيلي).

(ويمكن أن يمجد ربنا يسوع المسيح فوق المنبر في مسجد عيسوي كما يمجد داخل مبنى يطلق عليه الكنيسة المشيخية في إسلام فيل، فالإنجيل

(١) المصدر السابق ، (ص/١٦٥ وما بعدها) .

(٢) بعنوان : تطوير وسائل جديدة لتساعد في تنصير المسلمين .

سيقوم بالإقناع بغض النظر عن اللافتة الموجودة على الباب، ونحن لا نفكر أبداً في إيجاد مكان لمحمد بجانب المسيح، وما أريد أن أقوله هو أنه إذا لم تنتهك مبادئ الكتاب المقدس إذن فليس هناك ما نربحه من جراء طمس كل الاعتبارات الثقافية وإزالة البنية الاجتماعية للمسلمين العيسويين والذي يؤدي بالشعور بفراغ اجتماعي يؤدي إلى هروب عدد كبير من المنصرين. يجب المحافظة على أكبر قدر ممكن من الخلفية الثقافية كي نساعد المسلم العيسوي على أن يشعر بتنصره وبإيمانه بالمسيح فإنه لم يكن عليه أن ينتقل من ثقافته إلى ثقافة أجنبية غريبة عليه، وهذا العمل يتطلب منصِّراً من نوعية خاصة جداً للقيام به. يرجو أن نلاحظ أننا لا نلعب لعبة الحقائق النسبية الثقافية، فما يحتاج إلى تغيير في ثقافة المسلم سوف يتم تغييره آملين في أن يكون ذلك بواسطة الكنيسة التي ستنشأ ومن خلال زيادة الفهم والإدراك الروحي، والسؤال المطروح هو: هل يصح أن نستمر في خلق حواجز أكثر مما هو موجود عن طريق عزل المسلم عن ثقافته؟ والإجابة على ذلك هي نفي قاطع لا لبس فيه. إذن نقترح بأن تترك الأحذية عند باب المسجد العيسوي (وليس هناك خسارة في القيام بذلك) وأن تكون هناك أوضاع متعددة للصلاة العامة (والكتاب المقدس يسمح بالركوع ورفع الأيدي) وأن لا تكون هناك مقاعد وأن تستعمل حصائر للصلاة إذا رغب المصلون بذلك، ولكن المصلين لن يولوا وجوههم نحو الشرق ولن يكون هناك أي شعار أو دعوة للجهاد على حيطان المسجد العيسوي) ... (هل من الضروري أن يكون للمؤمنين يوماً مخصصاً لعبادتهم الجماعية كيوم الأحد مثلاً؟ لنفترض أن الدولة اختارت يوماً

آخر ليكون اليوم الروحي أو الديني بالنسبة للأسبوع؟ هل يمكن للمسلم العيسوي أن يحافظ على مبدأ بدء أسبوعه بالعبادة في هذا اليوم الذي تم اختياره وهل يعتبره قد حل محل اليوم الأول للأسبوع في ذهنه وقلبه؟. وهل يمكننا في ضوء ماحدث لتقويمنا على مر القرون بأن نؤكد بأن يوم الأحد عندنا كان دائماً هو اليوم الأول في الأسبوع فقط؟ بما أن كثيراً من الحكومات في البلدان الإسلامية قد اعتبرت يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعية فنحن نقترح على ضوء ما يقوله العهد الجديد بخصوص مراعاة الأيام أن يتم توزيع تقويم على المسلمين العيسويين يوضح لهم أن يوم الجمعة هو اليوم الأول في الأسبوع بالنسبة إليهم. وسيكون لهذا الإجراء أثره على الحفاظ على الموقف الروحي)[1].

٣- يجب اختراق الثقافة والعادات والتقاليد الإسلامية..

وجعل المضامين النصرانية تَنْسَلُ انسلالاً ناعماً إليها ، عبر :

أ – الوسائل الإعلامية المختلفة وبخاصة السينما والتلفزيون البرامج والدراما والمسابقات والفن والرياضة ...، والصحف والمجلات والأدب والمسرح.

ب – المناهج المدرسية والثقافية.

ج – الدعوة غير المباشرة لتقليد العادات الغربية ، في العلاقات الاجتماعية ، وعلاقات الرجل بالمرأة ، وتقليد الرجال والنساء والشباب

(١) المصدر السابق ، (ص/٦١٢ وما بعدها)

للنمط الثقافي والسلوكي الغربي النصراني بكل شيء .

إن طريقة الوصول إلى المسلمين وتنصيرهم ، قد أصبحت موضوع دراسات جادة ، وفيها اتجاهات **ثلاثة:**

الأسلوب المباشر : في البيوت وأماكن العمل.

الأسلوب الشامل : من خلال الجامعات .. مثل كلية روبرت في استانبول ، والجامعة الأمريكية في بيروت ، والجامعة الأمريكية في القاهرة وآلاف المدارس التبشيرية .

الأسلوب غير المباشر أو أسلوب التسلل : من خلال الإذاعة والتلفزيون والمراسلة والمطبوعات .

إن أسلوب التسلل ،(هو القوة الصامتة غير المرئية التي لا تدخل في أي جدال ولا تقبل أي اعتذار وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحدث معجزة التنصير) هذا ما قاله"**جورج بيتزر**" في تقريره إلى المؤتمر بعنوان:"نظرة شاملة عن إرساليات التنصير العاملة وسط المسلمين"[1]

٤- دعم التوجهات العلمانية المعادية للإسلام (انتبه وليس المعتدلة) سياسياً وثقافياً ومالياً ..، فهي تمثل حرباً بالنيابة عن المجتمع الغربي ..

يقول الدكتور محمد عماره في كتابه " استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي "[2] : (وكي ينجح مخططهم هذا، اعترفوا بأن الثغرات التي

(١) انظر : المصدر السابق ، (ص/٥٦٢) .

(٢) أجرى فيه دراسة شاملة على مؤتمر "كولورادو " الذي نتحدث عنه .

فتحتها الحضارة الغربية العلمانية اللادينية في جدار الثقافة الإسلامية هي سبل اختراقهم النصراني للإسلام. فكأنهم –وهم رجال الدين– إنما يستعينون في نشر الدين بالسبل والعوامل اللادينية؟!. وهذا هو مبلغ هؤلاء القساوسة من أخلاقيات الدين والتدين؟!.

لقد أعلنوا دون حياء أن الإرساليات التنصيرية تعتبر نمو المادية والعلمانية قد يؤدي إلى انفتاح أكبر في قطاع من المجتمع نحو التنصير كما يؤدي إلى تخفيف حدة العداء لتنصير المسلمين!!.. وأن القومية –بالمعنى الغربي الذي زرعوه– وإن كان لديها إمكانة لتقوية الإسلام سطحياً تنخر في مبادئه وقيمه الأساسية. **وأن الحكومات المسلمة "التي تمثل القوة الدافعة نحو التغريب والتحديث هي أسوأ عدو للإسلام"**[(١)]، "وأن العوامل التي تجعل الإنسان المسلم على استعداد لتقبل النصرانية هي على وجه التحديد التمدن والصناعة الجديدة، والتهجير، والاستعمار، واعتماد النمط الغربي في الحياة، والتغيرات السياسية، والثورات، والقمع." [(٢)] وأن "**أتاتورك** كان مفضلاً ومحبوباً جداً من قبل المنصرين، لأن تأثيرهم كان متفقاً مع خط التغريب التجديدي الذي انتهجه أتاتورك للإصلاح"[(٣)])[(٤)].

(١) نقلاً عن تقرير ديفيد كاش.

(٢) نقلاً عن تقرير دون م. ماكري.

(٣) نقلاً عن تقرير محمد اسكندر.

(٤) انظر : استراتيجية التنصير ، د. محمد عمارة ، (ص/ ١٣٥) .

٥- إبداء الشعور المتعاطف (نفاقاً) مع قضايا المسلمين..

وتجنب ظهور الاصطفاف إلى جانب السياسات الغربية وخاصة ما يتعلق بدعم إسرائيل .. يقول **"شارلي .ر. تنيبر "** في تقريره بعنوان : " الظرفية والتحول والتأصيل " : (**كيف يمكننا أن نفصل أنفسنا عن مواقف الحكومات الغربية من النزاع الإسرائيلي الفلسطيني؟ وأهم من ذلك كيف يمكننا أن نتفادى الاعتقاد السائد بين المحافظين من النصارى بأن قيام دولة إسرائيل إنما هو تحقيق وعد الرب لأبراهام ذلك الاعتقاد الذي يبرر جميع تجاوزات إسرائيل على أنها تحقيق لتلك النبوءة؟ ما الوسيلة التي نتجاوز فيها سيطرة الضمير الغربي السيء في التعامل مع اليهود على حساب الفلسطينيين**) ...

(انطلاقاً من الحقائق المذكورة أعلاه بالأمور الملحة التي تحتم اتباع منهج سليم للتنصير بين المسلمين؟ إن الشرط الأساسي في نظري هو أن نتوب من طبيعة علاقتنا الغربية النصرانية التاريخية والحالية مع العالم الإسلامي، وإذا لم نخطُ هذه الخطوة فإنني لا أرى أي جدوى من التقدم إلى الأمام. ولن يفيدنا هذا التنصل من مسؤولياتنا عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين ولا عن الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين. فالاعتقاد السائد بين المسلمين هو أننا نشترك في المسؤولية عما ارتكبه أسلافنا وحلفاؤنا وأبناء جلدتنا إذا لم نشجب تلك الأعمال ونتصرف بطريقة مختلفة عنها، إن الظرفية تلزمنا أن نبدأ العمل وفق شروطهم وليس وفق شروطنا، وبمعنى آخر

فإن الموقف يتطلب منا أن نرتكب عن عمد أنواعاً من أعمال " الخيانة "(ولو نفاقاً) لأممنا ومجتمعاتنا)[1].

٦- يجب على المنصر أن يدخل في علاقة عميقة مع المسلم ..

تؤدي إلى تنصيره **قبل فهمه لعقيدة التثليث** .. أي إيقاع الفريسة في إيمان " **غير عقلاني**" ، على أمل أن يتغلب غير المعقول والمفهوم على المعقول والمفهوم !!..

يقول " **بروس ج نيكولز** " في تقريره أمام المؤتمر : " إذا كان جوهر الإيمان في الإسلام هو التوحيد فإنه صحيح أيضاً أن مركز الإبداع في الإنجيل هو الثالوث الأقدس، إن مفهومي "الرب محبة" و" يسوع المسيح هو المحبة المجسدة" هما مفهومان للرب كشخص يتجاوز مفهوم الوحدانية الحسابية للرب، **وإذا كان الرب شخصاً في الأساس فهو كذلك سرمدي**، إن المسيح لم يصبح ابن الرب بمرور الزمن بل تلك حقيقة منذ الأزل، وفهم رجال الكنيسة الأوائل المعنى الإغريقي واللاتيني لمفهوم "شخص" أو "ذات" كعلاقة متناقضة مع مفهوم الإنسان الحديث الذي قلل مفهوم الشخص إلى إنسان مستقل وهذا ما يفهمه المسلمون بالتثليث هنا. وإذا كان الرب هو المحبة فهو إذاً محبة بشكل أزلي، وسر هذه العلاقة الداخلية قد تم إدراكه بالتجسيد إن كل مقاييس الطبيعة غير مناسبة كليةً لتعريف مفهوم المحبة

(١) انظر: التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، (ص/٢٠٤ وما بعدها) .

الإلهية على الطريقة **النصرانية التي تجعل من الإنسان إلهاً وابناً للإله في آن واحد،** إن جوهر هذا المفهوم لا يمكن إدراكه إلا من خلال دائرة الإيمان وعليه فإن المنصر يجب أن يدخل في علاقة عميقة مع المسلم تؤدي إلى الإيمان قبل أن يكون ممكناً إدراك هذا المبدأ، إن المنصرين قد قبلوا عامة بالمنهج الذي يقول به كل من أوكاستين" و"انسلم" إني أؤمن حتى أتمكن من أن أفهم " !!.."[1] (إن طرق التفكير الإسلامية والنصرانية التي تختلف بصورة جوهرية حول الخلاص والثقافة التي يمكن تخطيها عندما يتم الإقرار بألوهية يسوع المسيح)[2].

٧- تم التأكيد على ضرورة تأجيل عرض العقائد النصرانية التي لا يمكن الاقتناع بها إلى مراحل متقدمة، ومن ذلك :

أ- عقيدة " الخطيئة الأولى " التي أخطأتها المرأة "حواء" :

والتي يلد جميع أطفال العالم وهم يحملون وزرها ، ولذلك يحتاج الناس إلى المخلص يسوع ، ليفديهم بصلبه ..

يقول "**كينيث أ. كراج** " في تقريره للمؤتمر :

" وهنا فإن الكتاب المقدس الذي يدعو إلى أن عيسى هو المخلص ، يلزمه أن يواجه الحيرة والكراهية الراسخة في الإسلام لهذا المفهوم " [3].

(١) المصدر السابق ، (ص/٢١٧ وما بعدها) .
(٢) المصدر السابق ، (ص/٢٢٢) .
(٣) المصدر السابق ، (ص/٢٧٩) .

ب- عقيدة الصلب :

يقول "كينيث أ. كراج" : (" فإن الإسلام يرى : أن المسيح لم يصلب. وأن الصلب ما كان من الواجب أن يحدث. وأن الصلب لا حاجة له أن يحدث. فالإسلام ينكر حدوث الواقعة تاريخياً، ويرفض احتمال حدوثها على أساس أخلاقي، كما يرفض الضرورة لها على أساس عقائدي). (فالمسلمون يعتقدون أن يسوع ما كان ينبغي أن يتعذب بهذا المعنى الذي يتضمن عجز الرب أو إهماله في الدفاع عن خادمه (بل وأكثر من هذا إن قلنا ابنه) ومن هذا المنطلق فإن الرب يودع قدرته في حقيقة أن المسيح لم يمت علاوة على ذلك فإن تحمل عقاب الإثم نيابة عن الآخرين ليس من الأخلاق في شيء. فالقرآن يقول: ﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [سورة الأنعام:١٦٤] إذ ليس من العدل معاقبة (أ) لذنب ارتكبه (ب) ولهذا فإن المسلمين يشعرون بأن فكر البديل النصرانية هي فكرة غير أخلاقية إلى حد بعيد)[1].

المطلب الثاني: يجب استغلال الثغرات الداخلية والخارجية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية.

ومن ذلك :

١-**التشرذم الطائفي والعرقي والقومي والطبقي** .. واختيار الأسلوب الأنسب لترسيخ هذا التشرذم ، ثم الأسلوب الأنسب لتنصير كل فئة من هذه الفئات على حدة.

(١) المصدر السابق ، (ص/٢٧٩ وما بعدها) .

٢-استغلال ثغرات النزعة العصرية لتقليد الغرب .. " التوجهات والأفكار الناقضة لأسس الإسلام باسم التجديد والحداثة والتنوير والقراءات المعاصرة " ... والغاية من ذلك إضعاف تأثير الإسلام على المجتمعات الإسلامية وتفكيك قدرته وقوته في قلوب وعقول المسلمين ، وتوهين الارتباط بين مجتمعاته ودوله ..

المطلب الثالث: أمريكا هي التي ستقود الحرب التنصيرية في المرحلة القادمة.

لذا يجب العمل على تأسيس مراكز أبحاث لتنصير المسلمين في كل جهات العالم، وأهمها " **معهد زويمر** " في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يُعدُّ بمثابة العقل المدبر والمركز العصبي للقيادة الموحدة لكل أعمال الحرب التنصيرية التي أعلنوها عدواناً على الرسالة والرسول ﷺ .

يقول " **رالف دي ونتر** " في تقريره بعنوان : " الحاجة إلى مراكز للقيادة في أمريكا الشمالية ": (إن ظاهرة الإسلام واسعة بالدرجة التي يستطيع فيها المرء أن يتصور الحاجة لاثني عشر وربما مئات المراكز لتؤسس حول العالم بواسطة النصارى **ولتكون مخصصة للتركيز على الاسلام**. كل واحد منها يمثل مبادرة لمجموعة معينة من النصارى يمكن أن تحدد جغرافياً أو على أي أساس آخر. وبالتالي فإني أعتقد أنه يجب أن يكون هناك مركز واحد أو أكثر من مثل هذه المراكز مبادرة من النصارى في أمريكا الشمالية، ولتعمل ليس فقط على خلق فهم أفضل للإسلام والتعامل النصراني مع الإسلام وإنما أيضاً لتوصيل ذلك الفهم إلى واحد أو أكثر من مجموعات

المنصرين في أمريكا الشمالية) .

(إن رؤية أشمل للموضوع (للإسلام) هي مهمة جداً من أجل اختراق الإسلام)[1].

وجاء في مقدمة الكتاب الجامع لتقارير مؤتمر "كولورادو " : (في أعقاب المؤتمر وبناء على التوصيات التي قدمتها قوى العمل تم تشكيل لجنة توجيهية في جنوب كاليفورنيا أوكل إليها مهمة إنشاء مركز للأبحاث يكون بمثابة **"مركز الأعصاب"** وتكون مهمته إعداد الأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين، **وبصورة عامة تعزيز قضية تنصير المسلمين)**[2].

المطلب الرابع: استخدام العمالة الغربية وكذلك الطلبة الغربيين الذين يدرسون في البلدان الإسلامية، للمساعدة على تنصير المسلمين.

يقول " **ج. كريستي ويلسون** " في تقريره بعنوان : " مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلى جانب عملهم في دولة إسلامية ": (**إن إحدى هذه الفرص التي أتاحها الرب في الدول الإسلامية هي وجود النصارى العاملين والمغتربين** وهي فرصة لم يتم استغلالها في عملية التنصير) ... وينقل عن **"ويلدرون أسكوت"** قوله: **(إننا نتحدث عن مشروع هو على الأقل في حجم مجمل الحركة التنصيرية اليوم وربما يكون أكبر بكثير)** ... ثم يقول: (إن العمل النصراني

(١) المصدر السابق ، (ص/ ٧٠٨ وما بعدها) .

(٢) المصدر السابق ، (ص/٢٠) .

لأصحاب الخيام في الخارج يمكن أن يكون مثالاً حياً للطريقة التي يمكن وينبغي أن يمول بها المؤمنون المحليون في الأقطار الإسلامية والكنائس الأهلية أنفسهم ويقودون خطواتهم ويتكاثرون)... (جميع النصارى عليهم أن يعملوا للمسيح حيثما كانوا سواء أكانوا مدعومين تماماً بواسطة الكنائس أم لا) ... ثم يقول: (**فرصة عجيبة أخرى وفرها الرب وهي الطلاب النصارى الإنجيليين الذين يدرسون في الجامعات الإسلامية حول العالم) ... (وبجانب عملهم الأكاديمي يمكن أن يقوموا بالشهادة للمسيح في المعاهد التي يدرسون فيها)**[1].

ويقول " **فيفيان سيسي** " في تقريره إلى المؤتمر : (لا توجد أرض مغلقة أمام الكتاب المقدس، فأينما وجد أتباع المسيح وجد الكتاب المقدس معهم، **وعلينا تدريب الأتباع سواء أكانوا منصرين أم موظفين تنفيذيين في حقول البترول أو في المشاريع الإنشائية.** وإذا فكرنا فقط في إرساليات التنصير فإننا سنكون قد دربنا أقلية فقط من الأتباع، **يجب أن نهيئ في مناطق الأزمات مدنيين يواصلون عملنا قبل أن نُطرد منها كمنصرين**)[2].

وحتى تدرك خطر هذا المخطط ، فيكفي أن تعلم أن نسبة العمالة الأجنبية في منطقة الخليج العربي تزيد على ثلثي عدد سكانها الأصليين..

(١) المصدر السابق، (ص/٦٩١ وما بعدها) .

(٢) المصدر السابق، (ص/٦٢٦) .

إن هذا الواقع بالإضافة إلى التعاقدات العسكرية والاقتصادية والثقافية تفرض تبعية عميقة في مجال تلك التعاقدات وحتى ميادين الترف واللهو والاستهلاك..

المطلب الخامس: استغلال الكوارث والحاجات الإنسانية.

يقول " **ديفيد .أ.فريزر** " في تقريره لمؤتمر كولورادو : (ولكي يكون هناك تحولاً فلابد من وجود أزمات معينة ومشاكل وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها. وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية مثل التفرقة العنصرية أو الحساسية بسبب تسامح المجتمع تجاه النفاق، أو الوضع الاجتماعي المتدني. **وفي غياب هذه الأوضاع المهيئة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية**)[1].

وقد قدم كل من " **روبرت سي بتكبت، ورفينول ل.ماكاكيا** " تقريراً كاملاً لمؤتمر كولورادو تحت عنوان: "**الغذاء والصحة وسائل لتنصير المسلمين**" [2] **ويقصد هذا المخطط التسلل إلى المجتمعات الإسلامية تحت ذريعة تقديم خبرات فنية في التنمية الزراعية والأمن الغذائي، وخبرات في إنشاء المؤسسات الصحية (مستشفيات ومستوصفات) وتوفير الأمن الصحي، وتقديم المساعدات التعليمية والطبية والغذائية..**

(١) المصدر السابق، (ص/٢٣٠) .

(٢) المصدر السابق، (ص/٧٧٥) .

واستخدام كل ذلك في التوغل في المجتمعات الريفية والفقيرة واستعمالها كأهم الوسائل الناجحة في استغلال حاجات المرضى والفقراء من المسلمين من أجل تنصيرهم !!..

المطلب السادس: الترويج لنموذج المرأة الغربية ، مظهراً وثقافة وسلوكاً.

تقول " فاليري هوفمان " في تقريرها للمؤتمر بعنوان : " المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها " (وفيما لا يزال معظم الناس في جميع أنحاء العالم يقرون التفوق التقني للحضارة الغربية، فإن هذا التفوق على المستوى الأخلاقي مشكوك فيه ومحل تساؤل، واليوم وعلى ضوء الواقع الحالي في تفكك الأسرة في مجتمعنا الغربي وارتفاع معدلات الجرائم وحالات الطلاق والزيادة المستمرة في الانحرافات الجنسية لم يتبق لنا إلا القليل الذي نفخر به، وعلينا أن نعيد تقييم موقعنا من المجتمع المسلم)[1].

وبالرغم من اعترافهم بسقوط نموذج المرأة الغربي ، فإنهم يريدون جعل هذا النموذج قدوة للنساء المسلمات بصفته يمثل خطوة أولى باتجاه إخراجهم من الإسلام إلى النصرانية !!..

كما يريدون تشويه مكانة المرأة في الإسلام، وأنها بلا كرامة، ولا حرية، وهي مقهورة، ومحرومة من التعليم والعمل !!..

واسمع إلى هذه الافتراءات:

(فإن خطيئة المرأة في حق الرجل، تماثل خطيئة الرجل في حق الله !!.)

(١) المصدر السابق ، (ص/٨١٢) .

... و(**تعاني النساء في الإسلام** من شبهة عميقة الجذور على أنهن غير جديرات بالثقة على المستوى الأخلاقي، وأن ثمة شيء شيطاني أو حتى غير طاهر فيهن)!!.. (وبسبب طبيعتها الحيوانية وقدراتها المحدودة على الحذر والإخلاص والتعقل **يفرض عليها الحجاب**)!!..

(**مع ذلك فإن يسوع المسيح يمنح المرأة المسلمة الكرامة والكمال والتطهير** الكامل بدمائه ، ويمنحها العضوية الكاملة في الكنيسة)[1].

هكذا يشوهون مكانة المرأة في الإسلام، ويكذبون بدناءة لا توصف ويدعون أن خلاصها بالتحول إلى النصرانية !!.. وأن عليها النضال من أجل تحررها على النمط النصراني .

المطلب السابع: العمل على التأثير في المسلمين المهاجرين للعالم الغربي.

أولئك الذين هاجروا بقصد الدراسة أو العمل، يجب تنصيرهم أو تغريبهم، ثم إعادة زرعهم في أوطانهم لخدمة المخططات الغربية !!..

يقول الدكتور " **ماكس كيرشو** " في تقريره للمؤتمر: (وفي الواقع يبدو أن أغلبية المسلمين في الغرب مهاجرين كانوا أم طلاباً أم زائرين، قد ابتعدوا عن عقيدتهم. أن نمط الحياة هنا لا يساعد على الالتزام بالصوم والمحافظة على الصلوات اليومية وصلاة الجمعة إلخ... فلا توجد ميزة لأن تكون مسلماً في الغرب. **إن الثقافة العلمانية المادية المحيطة والتي يهتم بتأثيرها بعض النصارى قادرة على أن تبهر سائر المسلمين فيما**

(١) انظر : المصدر السابق ، (ص/٨١٥) .

عدا الملتزمين منهم، وفي هذا الصدد يلاحظ دائماً أن القول الشائع لدى المسلمين العرب هو: "عندما تكون في روما افعل كما يفعل أهل روما" **وبوجه عام فإن الذين يتعاملون مع الطلاب الأجانب يتفقون على أن طلاب الشرق الأوسط أكثر الطلاب استعداداً للتكيف)** [1].

ويقول: (إن العمل النصراني في وسط المسلمين تقوم به الكنيسة الرسمية والمحلية ومجموعات الكنائس الحرة والإرساليات المستقلة، مثل إرسالية عملية التعبئة حيث تحقق بعض النجاح، **ولكن الكنيسة في إنجلترة تشق طريقها بصعوبة وجهد حيث يبدو أنها تفقد المواقع وغير قادرة على التغلب على مصاعب التحدي الناتج من التدفق الإسلامي وقد بيعت بعض الكنائس وتم تحويلها إلى مساجد)**[2].

ويؤكد **"ماكس كيرشو"** على أن أعداد الطلبة المسلمين يزداد في الغرب بصورة مثيرة .ويقول " س جورج فراي " في تقريره للمؤتمر (**وفي الحرم الجامعي يجب أن تبدأ ثورة الإرساليات التنصيرية الخاصة بالمسلمين)**[3].

ويتحدث الدكتور محمد عمارة في كتابه استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، عن استغلال المنصرين لوجود الطلبة المسلمين في الغرب، فيقول: **(في هذا الجو اللاديني، رأوا البيئة المناسبة لزرع واستنبات النصرانية**

(١) المصدر السابق ، (ص/٣٢٠ وما بعدها) .
(٢) المصدر السابق ، (ص/٣١٣) .
(٣) المصدر السابق ، (ص/٧٦٥) .

في صفوف المسلمين المغتربين، الذين يفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية لمواطنيها في بلادها!.. وذلك تمهيداً لإعادة زرع هؤلاء المتنصرين بعد السقي والتهيئة في تربة أوطانهم الإسلامية. وانطلاقاً من هذا المخطط الذي أجمع عليه قساوسة التنصير، ناشدوا كل هيئات التنصير في جميع أنحاء العالم للاتحاد في جهودها لاصطياد" الضحايا "من المسلمين المغتربين)[1].

◆ المبحث الرابع: الصحوة الإسلامية تقلق المنصرين..

ويلاحظ من تقارير المؤتمر أن الصحوة الإسلامية على امتداد العالم الإسلامي، تقلق بشدة أعداء الإسلام الصليبيين. **فالغرب السياسي الصليبي، وحركات التنصير المرتبطة بسياساته، يعملون جاهدين بكل ما يملكون من طاقة لمنع الصحوة الإسلامية من ممارسة أي دورٍ سياسي في قيادة العالم الإسلامي.**

يقول **"و.ستانلي مونيهام"** في خطابه الرئيس في مؤتمر "كولورادو" التنصيري: (أولاً: إنني أشعر بدقة التوقيت الصحيح لهذا المؤتمر، وأشعر بأنه عقد في الوقت المناسب الذي اختاره الرب. إن العالم الإسلامي يشغل اليوم حيزاً مهماً في الأخبار أكثر من أي وقت مضى، فالمواجهة في الشرق الأوسط لاتزال بعد عقدين من الزمن تقلق العالم كل لحظة، وكل إنسان في العالم يتأثر في الواقع تأثراً مباشراً متى اجتمعت الأمة الإسلامية المنتجة للنفط

(١) استراتيجية التنصير، (ص/٢٠٨) .

لتقرر كم ستتقاضى على برميل النفط الخام، ويحبس العالم كله أنفاسه قلقاً كلما اجتمعت منظمة الأوبك ، والمظاهرات وأعمال الشغب التي يقوم بها المسلمون المحافظون في مصر وإيران والباكستان مطالبين بالرجوع إلى الطرق التقليدية توضح لعالم القرن العشرين الجانب الثوري للإسلام والذي نسينا وجوده. وإليكم ما استنتجته إحدى المجلات الأمريكية في أحد أعدادها الأخيرة "تصارع الثروة النفطية وحركة العلمنة في الشرق الأوسط طرق الحياة القديمة **مما أوجد اندفاعاً إسلاميا للعودة إلى الجذور**". وتسترسل المجلة قائلة: "إن التعصب الديني يتحرك باتجاه المواقع السياسية الأمامية في أرجاء العالم الإسلامي من كازابلانكا وحتى مضيق خيبر." إن مؤشرات هذا الوضع بالنسبة لحركات التنصير ملحة وتشكل تحدياً خطيراً لا يمكن تجاهله، وإذا لم يكن هناك ما هو أقوى من الفكرة الناضجة فإني أؤمن أيضاً بأنه لا يوجد ما هو أكثر مدعاة للأمل في الحدث الذي تختار العناية الربانية توقيته، وأؤمن أيضاً أن هذا المؤتمر يحمل هذه الخاصة)[1].

ويقول "**دون ماكري**" صاحب فكرة المؤتمر والداعي إليه: (**بلغت الصحوة الإسلامية التي تجيش في أعماق ٧٢٠ مليون مسلم**[2] **شأواً لم تبلغه لعدة قرون مضت. فقد ظل النزاع العربي الإسرائيلي محط الأنظار السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، والبترول الذي يشكل شريان الحياة الصناعية في الغرب اليوم هو أساس الاقتصاد**

(١) التنصير. خطة لغزو العالم الإسلامي، (ص/٢٥ وما بعدها) .

(٢) كان عدد المسلمين في العالم حين انعقاد المؤتمر عام ١٩٧٨ م /٧٢٠/ مليون مسلم تقريباً، وأما اليوم فأصبح عددهم /١.٦/ مليار مسلم ..

العالمي ولا يلعب المسلمون دوراً أساسياً في هذه المشاكل فقط، ولكن اهتماماتهم تشكل القضايا الرئيسية في العالم كله) ... (إضافة إلى كل هذا يأتي الصراع الذي استرعى اهتمام وسائل الإعلام العالمية بين المسلمين التقليديين والاتجاهات العلمانية والذي كاد أن يفرض تطبيق الشريعة في مصر ... كما ستقوم باكستان بتطبيق الدستور الإسلامي لأول مرة في تاريخها ابتداء من آذار عام ١٩٧٨ م)[١].

إذن جعلوا تدمير الإسلام رسالة حياتهم، وعدوا نجاحهم بذلك "تغييراً لمجرى التاريخ".

المبحث الخامس: صراع تاريخي..

ويعتقد قساوسة التنصير في مؤتمر "كولورادو " أن صراعهم ضد الإسلام ونبيه محمد ﷺ ، صراع تاريخي ..

يقول الدكتور **"ماكس كيرشو"** في تقريره للمؤتمر : (منذ ظهور الإسلام في القرن السابع والإسلام يمثل تحدياً لكنيسة يسوع المسيح، ولست بحاجة لسرد التقدم الذي أحرزه الإسلام في قرونه الأولى أو تعداد المحاولات التي تمت لوقف المد الإسلامي بالقوة العسكرية، وبصورة عامة كانت الحملات التنصيرية غير فعالة نسبياً في استعادة مناطق إسلامية إلى المسيح بينما استمر الإسلام في الانتشار على طول آسيا وأفريقيا، وينتشر اليوم في العالم الغربي) [٢]..

(١) المصدر السابق، (ص/١١) .

(٢) المصدر السابق، (ص/٣١٠) .

ويقول " **جورج بيتزر** " في تقريره للمؤتمر : (إنني أميل إلى الاتفاق مع "فاندر" و "زويمر" و"فريتاك" وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن **الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطاً يفوق قدرة البشر**، لمقاومة إنجيل ربنا يسوع المسيح، إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل، وأبوة الرب، وأن المسيح ابنه، وضرورة موته وكفايته لمفهوم الخلاص، وتبرير بعثه. إنه الخلاف الأكبر في النصرانية وفي الكتاب المقدس، أملنا في الخلاص، ولكن محرك هذا الخلاف هو الإسلام وليس النصرانية، **وفي ذات الوقت فالنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً**، ويفوق في ذلك النظام الشيوعي، ولكن هذه الحقيقة يجب ألا تثبط عزم المنصرين أو تُعميهم عن رؤية العديد من نقاط الاتصال أو الجسور، فهذه الحقيقة تضع الإسلام في وجهته التاريخية والدعائية الفريدة فقط، وعلى كل حال يجب أن لا تخيفنا هذه الحقائق)[1].

◆ المبحث السادس: إمكانات هائلة تحت تصرف المنصرين..

إن انتشار الإسلام في العالم الغربي على نطاق واسع يقض مضاجعهم ومضاجع السياسيين الغربيين .. وحتى تستوعب عظم الحرب العالمية التنصيرية المعلنة على الرسالة والرسول ﷺ ، إليك هذا الإحصاء : (إن

(١) المصدر السابق ، (ص/٥٦٦) .

عـدد مؤسسـات التنصـير وإرسـالياته ووكـالات الخـدمات النصـرانية يبلـغ /١٢٠٨٨٠/ مؤسسة. والمعاهـد الـتي تؤهـل المنصـرين وتـدربهم يبلـغ عـددها /٩٩٢٠٠/ معهـد. والمنصـرون المحترفـون العـاملون على رأس العمـل التنصـيري يبلـغ تعـدادهم /٤٢٠٨٢٥٠/ منصـراً. وفي مؤسسـات التنصـير هـذه /٨٢٠٠٠٠٠٠/ مـن أجهـزة الكمبيـوتر. وعـدد المجـلات الـتي تصـدرها المؤسسات التنصيرية يبلغ /٢٤٩٠٠/ مجلة. وعدد الكتب التي أصدرتها هذه المؤسسات في عام واحد /٨٨٦١٠/ كتاب. ومحطات الإذاعة والتلفاز التي تبث التنصير يبلغ عددها /٢٣٤٠/ محطة.

ونسـخ الأناجيـل الـتي وزعتهـا مجانـاً في عـام واحـد هـي /٥٣٠٠٠٠٠٠/ نسخة. والمدارس ورياض الأطفال التي تشرف عليها كنائس التنصير تبلغ في العدد /١٠٦٧٧/مدرسة. والطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس الكنسية يبلـغ عـددهم /٩٠٠٠٠٠٠٠٠/ طالـب. والمستشـفيات الـتي تملكهـا هـذه الكنـائس يبلـغ عـددها /١٠٦٠٠/ مستشـفى. ودور إيـواء العجـزة والأرامـل والأيتـام التابعـة لهـا هـي /٦٨٠/ داراً. وعـدد الصـيدليات المملوكـة لهـا هـي /١٠٠٥٠/ صيدلية. وميزانيـة خدمـة المشـاريع النصـرانية تبلـغ /١٦٣/ مليـاراً من الـدولارات. ودخـل الكنـائس العامـة في التنصـير هـي /٩٣٢٠/ مليـاراً مـن الدولارات. ودخل الإرساليات الأجنبية هو /٨٩٠٠٠٠٠/ مليار وتسع مئة ألف مليون دولار)[1].

(١) استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، د. محمد عمارة ، (ص/٢٣٥ وما بعدها) .

المبحث السابع: فشل مخططاتهم الاستراتيجية..

ومع كل هذه الطاقات الجبارة لجيوش التنصير لم ينجحوا في تحقيق أهدافهم..

تفوق

إن العمل الدعوي الإسلامي الذي لا يملك هذه الطاقات، تفوق على آلة الشر هذه، وهو يكتسح مواقعهم ضمن حصونهم، وقد تم شراء مئات الكنائس التي أصابها الموت وحولت إلى مساجد تعج بالإسلام المفعم بالحياة..

ولم يستطع قساوسة التنصير تحقيق الأهداف التي رسموها في مؤتمر كولورادو عام ١٩٧٨ م ..بل واكتسحهم الطوفان الإسلامي ، واعترفوا أن سرعة انتشار الإسلام في أمريكا تزداد بنسبة ٤٠٠% سنوياً .. وبعد مرور /٣٦/ عاماً على مؤتمرهم ، الذي خرجوا منه بقرار حماسي متفائل بتنصير /٧٢٠/ مليون مسلم ، وهو عدد المسلمين في العالم آنذاك ..

كانت النتيجة في عام ٢٠١٤م، أنه أصبح عدد المسلمين في العالم /١.٦٠٠,٠٠٠/ مليار وست مئة ألف مليون مسلم تقريباً !!..

إن إرادة الله تعالى لا تهزم ..

يقول الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢].

المبحث الثامن : الخلاصة

إن **التبشير** (التنصير) هو الحرب الميدانية على الإسلام ورسول الإسلام محمد ﷺ والمسلمين، **وهو أشد خطراً من الاستشراق الذي يختص في الجانب الفكري، وهو محدود على أهل الثقافة والفكر.**

أما التنصير فإنه يصل إلى الجماهير بشرائحهم كافة، الأطفال والشباب والكبار والرجال والنساء، الفقراء والأغنياء، المثقفين والأميين والسياسيين و..و...

ويستخدم التبشير الجانب الفكري والاستشراقي الحاقد على الإسلام كما يستخدم الجانب العملي في التوغل في حياة الناس وإقامة العلاقات الوثيقة معهم.

وقد سُخر للتبشير (التنصير) ميزانيات فلكية، وإمكانات عظيمة، ووسائل مادية متقدمة، وطاقات بشرية كبيرة... حيث يعمل في خدمة أهدافه عشرات الألوف من المبشرين في أنحاء العالم كما مر معنا.

ولكن خططهم فشلت في تحقيق أهدافها..

﴿... وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة يوسف]

* * *

وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر

الفصل الثالث

المدافعون والمتخاذلون في مواجهة المنصرين

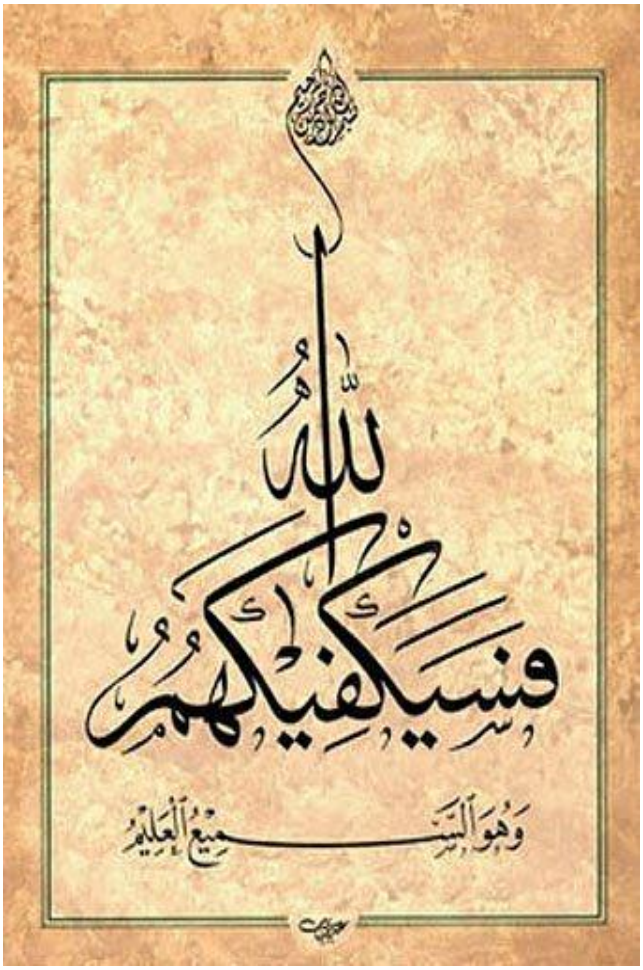
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

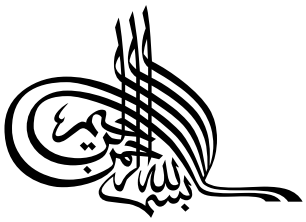

المبحث الأول: موقف العلماء.

● هبَّ العلماء أصحاب النظر والفكر والوعي للدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة المنصرين وداعميهم، ونبهوا أصحاب القرار في الحكومات إلى خطورة أعمال المنصرين ومايخفون وراءها من مخططات لتنصير المسلمين ومحاربة الإسلام والتمهيد لحكوماتهم الاستعمارية لاحتلال البلاد الإسلامية، وظهرت مؤلفات عديدة تحذر من المنصرين وأعمالهم الخبيثة، وترد على افتراءاتهم على الإسلام والنبي ﷺ، ومثال ذلك الكتاب المشهور "إظهار الحق" **للشيخ رحمة الله الهندي** (١٢٣٣هـ/١٨١٨م-١٣٠٨هـ/١٨٩١م) الذي رد فيه على المبشر "فندر" عضو إرسالية بازل التبشيرية في الهند، وما ورد في كتابه الذي نشره تحت عنوان "ميزان الحق" من افتراءات على النبي ﷺ وعلى القرآن الكريم وعلى الإسلام، وقد دون الشيخ رحمة الله في كتابه مادار في المناظرة التي دارت بينهما، وقد فرَّ "فندر" عقب المناظرة، ثم ظهر في الآستانة على عهد السلطان العثماني عبد العزيز خان، وأشاع أنه هزم علماء

الهند في مناظرة علنية، فأرسل الشيخ رحمة الله ليناظره هناك، فلما علم "فندر" بوصوله هرب واختفى[1].

● وقد ألف علماء الإسلام ومفكروه مئات الكتب التي تبين تاريخ التنصير، وبواعثه، وأهدافه الخبيثة، وخططه الماكرة، وصلته الوثيقة بالاستعمار والصهيونية، ووسائله التي يستعملها في التنصير، والعلاقة الفكرية بينه وبين الاستشراق، وعمله على إحياء النعرات الطائفية والقومية والمذهبية، وبث الفتن والصراعات بين المسلمين، والعمل على نشر الثقافة الغربية وسلوكياتها والترويج لها، ومحاولة إخضاع وتنميط المجتمعات الإسلامية وفقاً لها، والعمل على تشويه الإسلام وسمعة النبي ﷺ وإضعاف رابطة المسلمين الفكرية والروحية بالإسلام والنبي ﷺ.

وقد ظهر أكثر هذه الكتب في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي، وكان من أهمها كتاب "التبشير والاستعمار" للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ الذين كانا من أوائل من كتب في هذا الموضوع، وقد صدر الكتاب عام /١٩٥٣م/، ومن مميزاته أن أغلب شواهده منقولة عن مؤلفات كبار المبشرين والمستشرقين والسياسيين الاستعماريين، إضافة لخبراتهم وخاصة في نشاطات الجامعة الأمريكية في بيروت.

(١) انظر: معركة التبشير والإسلام، د. عبد الجليل شلبي، (ص/٢٨٢).

● ولا يخلو الأمر من مواقف متخاذلة ومخزية لفريق من أبناء بلادنا الذين تعاونوا عملياً وفكرياً مع الحركة الصليبية التنصيرية التغريبية.

* يقول **السيد فؤاد أفرام البستاني** في النشرة المزدوجة لمحاضرات دار الندوة عام [١٩٤٨م] (حتى إذا أطلت طلائع الصليبيين (على لبنان) أمكن الموارنة أن يمدوهم بثلاثين ألف نبَّال، أجمع الفرنجة على الإعجاب بشجاعتهم ومهارتهم. . فالمارونية بنت لبنان.. ولبنان في الكثير من مزاياه وخصائصه صنع المارونية)[١].

* وصرح **المطران مبارك** للصحافة في باريس بما يلي: (إن لبنان بلد كاثوليكي، ويحاول المسلمون أن يستعبدوه كما يحاولون استعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد كاليهود في فلسطين. يجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهادئ ، وإلا فإن أي ولاية غير إسلامية لا تستطيع أن تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة إسلامية بحتة)[٢][٣].

* ونحن نعلم أن فريقاً من إخواننا في الوطن من الموارنة يحاربون هذه المواقف والاتجاهات ويتبنون مواقف وطنية مشرِّفة.

(١) السنة الثانية النشرتان (٥-٦) بيروت، ٢١/حزيران/١٩٤٨م. (ص/١٦٧ وما بعدها).
(٢) مجلة بيروت المساء، ٢١/حزيران/١٩٤٨م، (ص/٥)، نقلاً عن مجلة paris-soir الباريسية.
(٣) انظر تفاصيل التصريحين السابقين في كتاب التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ،(ص/٢٧ وما بعدها).

* لقد بذل المبشرون والمستعمرون جهوداً كبيرة لمحاربة اللغة العربية الفصحى والعمل على استعمال اللغة العامية مكتوبة بالحرف اللاتيني بدلاً عنها، وقد تزعم هذا التيار "لويس ماسينيون" وعمل على بث دعوته هذه في المغرب ومصر وسورية ولبنان خاصة. وللأسف فقد ظهرت فئة من أبناء بلادنا ناصرت المبشرين والمستعمرين في هذا الاتجاه، وألَّفوا كتباً عديدة تدعم هذا التوجه، ومنها:

- **"التحفة العامية في قصة فنيانوس"**، تأليف شكري الخوري نشرها الأب لاي اليسوعي، مؤلفة بلغة لبنان العامية، طبع المطبعة اليسوعية [١٩٥٠م].

- "في ملتو هـ لكتاب"، تأليف الخوري **مارون غصن**، المدرس في مدرسة عنطورا - لبنان.

- **"تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد"**، تأليف الدكتور **أنيس فريحة**، أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية - بيروت. والدكتور فريحة من أكثر الناشطين في هذه الدعوة الخطيرة على مستقبل اللغة العربية والإسلام عموماً[١].

* وهناك من أبناء بلادنا من تبنى الفكر التغريبي الذي نشره المبشرون والمستشرقون، ولهم المواقف نفسها في تشويه الإسلام، والعمل على عزله عن حياة المسلمين، والدعوة إلى تبني النمط الغربي في مجتمعاتنا الإسلامية[٢].

(١) انظر المصدر السابق، (ص/٢٢٤ وما بعدها).

(٢) للتوسع انظر: المبحث الثامن في كتاب مراجعات في الفكر والعمل الدعوي، وكتاب دراسات في العدوان المعاصر على الأمة الإسلامية، للمؤلف.

* وهناك من أبناء بلادنا من ساعد الإرساليات التبشيرية على تنفيذ مخططاتها من خلال التعليم وفتح المدارس.. فقد استطاع رئيس البعثة التبشيرية الأمريكية "فانديك" أن يقيم مدرسة "عبية" (بمساعدة أحد اللبنانيين **"بطرس البستاني"** وقد كانت هذه المدرسة النواة الأولى لمدارس التبشير المسيحي في لبنان، ثم أخذ هؤلاء المبشرون يقيمون المدارس العديدة فيما بعد. ولم يقتصر عملهم على إنشاء المدارس فقط، بل أخذوا يقيمون الجامعات فأقاموا جامعة أمريكية في بيروت عام /١٨٦٦م/ وأطلقوا عليها في أول الأمر "المدرسة السورية الإنجيلية" وجعلوا التدريس فيها باللغة العربية، وذلك للتودد إلى العرب والتقرب إليهم، وللبعد عن الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على البلاد العربية وقتئذ. لكن بعد سقوط الدولة العثمانية وسيطرة إنكلترة وفرنسا على العالم العربي، تحولت هذه المدرسة علانية وأصبحت تسمى باسم "الجامعة الأمريكية" كذلك تحولت اللغة العربية التي كانوا يدرسون بها إلى اللغة الإنكليزية، وكان القصد من ذلك القضاء على اللغة العربية من جهة، وانتشار اللغة الإنكليزية من جهة أخرى. وأيضاً كان المبشرون يقولون إن اللغة العربية قاصرة عن استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، وقد ظهر ذلك علانية في كتاباتهم)[1].

(١) انظر: مخططات التبشير والاستشراق، أنور الجندي، دار الاعتصام – القاهرة (ب-ت)، (ص/٢٢وما بعدها) .

المبحث الثاني: موقف الحكومات .

يسجل التاريخ موقفين مشرفين للدولة العثمانية في عصر قوتها..

الأول: منع تحقيق المشروع الصهيوني في إقامة دولة يهودية في فلسطين.

والثاني: منع إرساليات التبشير من تنفيذ مشاريعها في تركيا والبلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني، وملاحقة هذه الإرساليات أينما ظهرت في الدولة العثمانية.

حقيقة

تآمرت الحركة الصهيونية وحركة التبشير والدول الاستعمارية الراعية لها على إضعاف الخلافة العثمانية ثم إسقاطها.. فلم تستطع الحركة الصهيونية إقامة دولة يهودية في فلسطين، كما لم تستطع حركة التبشير أن تنتشر في تركيا والبلاد العربية إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية.

وينقل مؤلفا كتاب التبشير والاستعمار عن عدد من المبشرين أمثال "جسب" و "أديسون" و "ريشتر" وغيرهم حقائق مهمة عن أوضاع التبشير أثناء قوة أو ضعف الدولة العثمانية، هذه خلاصتها: ((أخذت تركيا تراقب المبشرين مراقبة دقيقة حتى تضيق عليهم، وكان الأتراك يرتابون خاصة بالمبشرين **البروتستانت**، لأن هؤلاء كانوا يتوارون وراء **العلم البريطاني** في الأكثر، وبالمبشرين **اليسوعيين** لأنهم يعملون **للسياسة الفرنسية** أيضاً. وكذلك لما تشعبت مطامع الدول في شبه جزيرة العرب جعلت تركيا تحول بين

المبشرين وبين بلاد العرب، كما أنها كانت تقاوم المبشرين في البلاد التركية نفسها. ثم وقفت من المبشرين كلهم **موقفاً حازماً** فألقت في سبيلهم العراقيل وعزمت ألا يصيبوا نجاحاً. وهكذا أصبح التبشير بين المسلمين في الإمبراطورية العثمانية كلها **مستحيلاً، للرقابة الشديدة التي فرضتها الحكومة على المبشرين.** وبعد أن فتحت الجمعية التبشيرية بضع مدارس في (لبنان) لأطفال الدروز نحو عام /١٨٧٥م/ اضطرت إلى التخلي عنها أمام حزْم الحكومة العثمانية وسهرها. على أن الحكومة العثمانية لم تستطع أن تتخذ سياسة علنية تجاه المبشرين، ذلك لأن هؤلاء كانوا يأتون في الظاهر كرعايا إنكليز أو أمريكيين أو دنماركيين أو إفرنسيين. فإذا استقروا في البلاد أخذوا **يقومون بالتبشير سراً** ما أمكنهم. ولذلك كان هؤلاء كلما وجدوا مراقبة وسهراً من الدولة العثمانية لجؤوا إلى قناصلهم، وكان القناصل يدافعون عنهم كرعايا أجانب في الظاهر أيضاً... **ولما أدركت الدول الأوروبية أن المبشرين آلة فعالة لتأييد النفوذ الأجنبي في الإمبراطورية العثمانية أخذت تلك الدول تتبارى في استخدام المبشرين وكان الدور الأول في ذلك للسياسة الإنكليزية**... ولما فقدت تركيا إمبراطوريتها لم تفقد سياستها الحكيمة تجاه المبشرين، فقد ظلت تمنع دخول الأطفال من دخول مدارس المبشرين قبل أن ينهوا التعليم الابتدائي في المدارس الرسمية. ثم هي كانت توجب أن يكون التعليم الديني في تلك المدارس قاصراً على المسيحيين وحدهم. **أما الآن فمدارس التبشير قد زالت من تركيا ومن سورية أيضاً ومن مصر والسودان.** ولما بدأت الإمبراطورية العثمانية تضعف مع الأيام أخذت الدول الأجنبية تزيد في تظاهرها بدعم المبشرين ولقد كان المبشرون

يطلبون من دولهم أن تؤيدهم، ولو كان هذا التأييد مخالفاً للعرف الدولي... من أجل ذلك كانت الدول تضغط على الدولة العثمانية بين الحين والحين من أجل مبشريها. فتلين الدولة العثمانية أمام المبشرين. أراد الأتراك مرة إغلاق بعض مدارس المبشرين ولكنهم تراجعوا أمام ضغط سياسي لا علاقة له بالتبشير، **ولا حاجة إلى القول بأن وجود حاكم قوي أو ضعيف يؤثر كثيراً في موقف حكومته من التبشير والمبشرين**... لما تولى **الخديوي سعيد باشا أريكة مصر، وكان حاكماً مستضعفاً، أحبه المبشرون** لأنه لم يسمح لأحد أن يمسهم بسوء. ثم إنه وهب المبشرين البروتستانت عام /١٨٦٢م/ قطعة أرض ثمينة في القاهرة أسوةً بالإرسالية الكاثوليكية التي كان قد وهبها مثل هذه الأرض من قبل. **ولقد تقدمت أعمال التبشير في أثناء حكم سعيد باشا**، ولكن لما جاء إسماعيل باشا عام /١٨٦٣م/ تبدلت الحال لأن إسماعيل باشا كان قوياً فضيَّق على المبشرين كثيراً، **من أجل ذلك وصف المبشرون إسماعيل باشا بأنه متكبر مستبد كل ذلك لأنه أراد أن يضع حداً للنفوذ الأوروبي في مصر**. لما اهتدى إلى الأصابع الحقيقية التي كانت تهرب ذلك النفوذ إلى مصر فقطعها. وحرصت بريطانيا على أن تحمي الإرساليات البروتستانتية خاصة، سواء أكانت هذه الإرساليات إنكليزية، أم أمريكية، أم ألمانية، وكان نفوذ إنكلترة في ذلك الحين قد أصبح فعالاً في الإمبراطورية العثمانية، **فمن ذلك أن الحكومة العثمانية أرادت أن تمنع باعة الأناجيل الدوارين من التجول في المدن والقرى، فمازال القناصل يتدخلون حتى حملوا الحكومة العثمانية على العودة إلى السماح لهم بذلك**... على أن المبشرين كانوا أحياناً ينجحون في مسعاهم، فإن الخديوي

إسماعيل باشا أراد أن يغلق مدارس المبشرين البروتستانت لأن هؤلاء كانوا يتدخلون في السياسة، ويثيرون الاضطراب في البلاد، ويزيدون مشاكل الحكومة. ولكن القنصليتين الأمريكية والإنكليزية أيدتا المبشرين وحملتا الحكومة المصرية على أن تتقيد بالخط الهمايوني (بالدستور العثماني) الذي ينص على احترام الحرية الدينية. هذا صحيح ولكن الدستور ينص على أن كل صاحب دين أو مذهب حر في أن يتمشى على قواعد دينه أو مذهبه كما يشاء **ولا ينص على أن لبعض الناس أن يحملوا الآخرين على تغيير دينهم بالقوة**... وفي عام /١٨٨٨م/ أغلقت الدولة العثمانية مدارس المبشرين الأمريكيين لأن هذه المدارس فتحت أبوابها بلا رخصة من الحكومة. ولكن المستر بسنغر قنصل أمريكا في بيروت والمستر اسكار ستراوس تدخلا في الأمر حتى سمح الوالي علي رضا باشا بأن تعود تلك المدارس إلى فتح أبوابها على ألا تقبل إلا التلاميذ المسيحيين. ولكن الوزير والقنصل مازالا يسعيان حتى حملا الوالي على إلغاء هذا الشرط. **وهكذا كانت الدول الأجنبية تستغل ضعف تركيا السياسي لتحمي المبشرين في أعمال التنصير**)[1].

واستطاعت بعض الحكومات العربية بعد استقلالها، وضعَ يدها على التعليم الخاص، ومنه النشاطات التبشيرية في مدارسها، وأخضعت مدارس التبشير لمناهج الدولة.

(١) انظر: التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١١٦ وما بعدها) .

تخاذل

فرّطت بعض الحكومات العربية، وتركت الحركات التبشيرية تسرح وتمرح في أراضيها وتنفذ مخططاتها الخبيثة كيفما شاءت، كل ذلك ليضمن هؤلاء الحكام المتخاذلين دعم الحكومات الغربية ونيل رضاها!!..

المبحث الثالث: موقف الكثير من الأغنياء وأصحاب الجاه .

إنني شاهد على تصرفات هؤلاء في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد كانوا لا يهتمون بالتزامهم الديني، ولا يعيرون اهتماماً بالتزام أولادهم، وكانوا بعيدين عن العلماء ومدارس التربية والتزكية ومجالس التقرب إلى الله تعالى، وبعيدين عن تحصيل الحد الأدنى من العلوم والمعارف الإسلامية، ولا يهتمون بمخططات الإرساليات التبشيرية، بل لا يعرفونها، ولا يهتمون بمعرفتها!!..

بل إن كثيرين منهم ينخدعون بالمظاهر البراقة التعليمية والإغاثية والطبية التي تظهر بها هذه الإرساليات التبشيرية، بل ويثنون عليها ويمدحونها..

تعامي

بل كانت تعمى أبصارهم وبصائرهم عن جهود تعليمية أعظم منها يقدمها الناشطون الإسلاميون والمحسنون من أبناء بلدهم.

إن هذه الفئة المخدوعة كانت تتنافس غروراً ومفاخرة بتسليم أولادهم لهذه الإرساليات التبشيرية لينشئوهم في مدارسهم تنشئة بعيدة كل البعد عن

الإسلام، ومطبوعة بالنمط الثقافي والسلوكي الغربي، فيتخرج الطالب لا دينياً، وذا فكر تغريبي!!.

كان هؤلاء يتفاخرون بين أقرانهم، فيقول أحدهم: سجلت أولادي بمدرسة "الفرير" وهي إرسالية تبشيرية يسوعية، فيرد الآخر متفاخراً بأنه سجل أولاده بمدرسة "الفرنسيسكان" أو اللاييك" بل إنهم كانوا يرسلون أولادهم للمشاركة بالنشاطات التبشيرية خارج المدارس ولا يرون بأساً في ذلك، بل يتفاخرون بالمشاركة في هذه النشاطات بصفتها تمثل وجهاً من وجوه الحضارة الغربية وثقافتها!!..

نتيجة

فإذا تخرج الأولاد من هذه المدارس أرسلوهم ليكملوا دراستهم الجامعية والعليا في الدول الراعية لهذه الإرساليات التبشيرية، فإذا رجعوا إلى البلاد تبوّؤوا المناصب وهم بعيدون كل البعد عن هموم شعوبهم وقضاياها وأصبحت ثقافاتهم غربية بحتة، ولا صلة لهم بالثقافة الإسلامية والالتزام بالإسلام!!.. بل إن بعضهم يرجع وقد حمل فكراً معادياً للإسلام وثقافته وقيمه!!..إلا مارحم ربي...

وكان المبشرون القساوسة والرهبان والراهبات في هذه المدارس، لا يجدون صعوبة في تلقين أفكارهم لأبناء هؤلاء الجاهلين أو المتجاهلين، **والسبب أن هؤلاء قد نشؤوا في بيوت لم يروا أباً وأما سجدا مرة واحدة لله تعالى..**، لقد أعمتهم الدنيا وبهارجها وزينتها وأموالها، فهم بعيدون عن الإسلام، بعيدون عن الله تعالى.

وجاءت حقبة الخمسينيات وما بعدها، وانتشرت مدارس خاصة ذات توجه إسلامي تتفوق في مناهجها الدراسية على مدارس الإرساليات التبشيرية، ولكن الذين في قلوبهم مرض، آثروا المدارس الخاصة غير الملتزمة إسلامياً وتربوياً على تلك الملتزمة.

* * *

الفصل الرابع

العلاقة بين التنصير والاستعمار

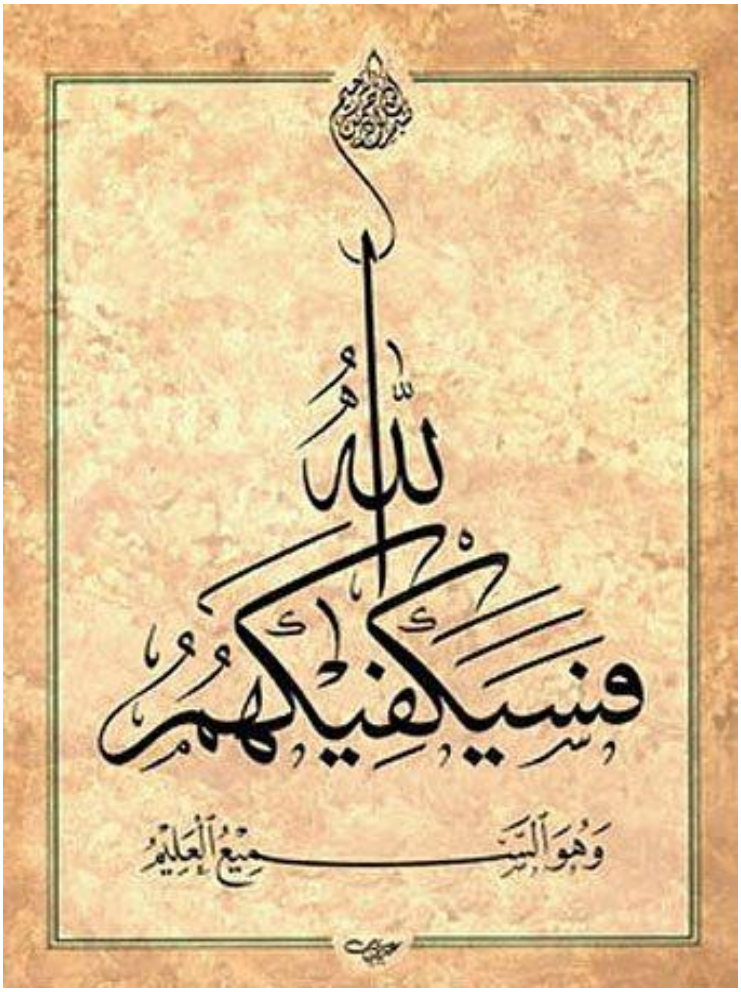
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

المبحث الأول: حركة التبشير خادم فعال للاستعمار، والاستعمار خادم لها.

لاشك بأن **الهدف الأول "للتبشير"** هو تنصير المسلمين خاصة، وغيرهم ممن ليسوا بمسيحيين عامة..

ومما لاشك فيه أن **الهدف الأول "للاستعمار"** هو السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية على الشعوب المستعمرة..

حقيقة

تثبت الوقائع والحقائق المتواترة أن التبشير كان ومازال خادماً مطواعاً للاستعمار ولأهدافه، وأن الاستعمار خادم فعال للتبشير ولأهدافه..

والسبب ببساطة أن التبشير والاستعمار وجد كل منهما في الآخر قوة فعالة جداً تساعد في تحقيق أهدافه، ناهيك عن وجود توجهات تبشيرية عند

بعض قادة الحركة الاستعمارية، ووجود توجهات استعمارية عند كثير من قادة الحركة التبشيرية.

ومن المعروف تاريخياً أن الإرساليات التبشيرية كانت تدخل البلاد أولاً فتتوغل وتنتشر وتتجسس وترسل التقارير عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية للبلاد وتمهد الأجواء، ثم تدخل الجيوش الاستعمارية على إثرها.

ولذلك كان الحكام الوطنيون "يعتقدون أن مجيء المبشرين ينتهي دائماً بتدخل الدول النصرانية في بلادهم، وبخسارتهم جزءاً من استقلالهم" [1]

- وبعد استتباب الأمر وبسط المستعمر سيطرته على البلاد المستعمرة، ينشط المبشرون في اتجاهين.

الأول: المساعدة بتثبيت أقدام المستعمر.

والثاني: توسيع نطاق العمل التبشيري بأكبر قدر ممكن، والاستفادة من الغطاء الأمني والسياسي الذي يقدمه المستعمر، والدعم المادي والمعنوي الذي ينهال على المبشرين.

حقيقة

إن المبشرين كانوا يطالبون الدول الاستعمارية بواجب تمهيد السبيل لتنصير المسلمين في البلاد التي استعمروها، وبواجب مساعدتهم في مهامهم التبشيرية..

(١) انظر: التبشير والاستعمار ، خالدي وفروخ، (ص/١٤٥).

يقول "**رشتر**": "إن مائة وستين مليوناً من مجموع مائتين وخمسين مليوناً من المسلمين-عدد المسلمين في زمانه- في حكم الدول النصرانية، فواجب هذه الدول إذن أن تمهد السبيل لتبديل دين هؤلاء الرعايا.." [1]

وطالب اللورد "**بلفور**" السياسي البريطاني المشهور في كلمته في مؤتمر "أدنبره" التبشيري المنعقد عام /١٩١٠م/ في إنكلترة-بصفته رئيس الشرف لهذا المؤتمر-، الحكومات الاستعمارية بالعمل لما فيه مصلحة المبشرين..، فقال:" إن المبشرين هم ساعد لكل الحكومات-الاستعمارية- في أمور هامة، ولولاها لتعذر عليها أن تقاوم كثيراً من العقبات.." واقترح إنشاء لجنة للتوسط لدى الحكومات والعمل لما فيه مصلحة المبشرين[2] .

- ومما يؤكد الروابط العميقة والمصالح المشتركة بين الاستعمار والتبشير، الاهتمام البالغ بالعمل التبشيري الذي ركز عليه "المؤتمر الاستعماري" الذي عقد في برلين عقب مؤتمر "ادنبرج-أدنبره- التبشيري"، كون التبشير من العوامل المساعدة والممهدة والمكملة للعمل الاستعماري..

فقد نشرت مجلة "**إرساليات التبشير البروتستانتية** التي تصدر في مدينة "بال" في سويسرا مقالة بقلم "م.ك.اكسنفلد" الذي قدم في المؤتمر الاستعماري تقريراً عن الفرع المختص بالإسلام ، وهو سكرتير جمعية التبشير في برلين.

(١) المصدر السابق، (ص/١٤٥).

(٢) انظر: الغارة على العالم الإسلامي، "شاتليه"، (ص/١٢٦ ومابعدها).

يقول "**اكسنفلد**" في مقالته" (إن المؤتمر الاستعماري امتاز بميزتين: الأولى أنه بحث في الشؤون الصناعية والاقتصادية، والثانية: إجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية إلى الأعمال الأخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الألماني. واستشهد بقول "**شنكال**" رئيس غرفة التجارة في "همبرغ"" إن نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية رجال الدين الذين يذهبون على المستعمرات، وأهم وسيلة للحصول على هذه الأمنية إدخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة، لأن هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الأمنية المنشودة حتى من الوجهة الاقتصادية. وحث السامعين على تقدير عمل المبشرين وإحلاله في محله اللائق به. وبحث أعضاء المؤتمر الاستعماري في شؤون تتعلق في التبشير فكفوا المبشرين مؤنة الكلام عن أعمالهم ولم يشترك هؤلاء المبشرون في المداولات إلا عندما أخذ المؤتمر يبحث في أعمال فرعه الرابع –الخاص بالمسألة الإسلامية– فأفاض المبشرون وتوسعوا في القول حتى خُيِّل للجميع أن المؤتمر الاستعماري تحول إلى مؤتمر تبشير)[1].

وأشار "**اكسنفلد**" إلى قرار المؤتمر الاستعماري عقب خطاب "الاستصراخ لشن الغارة على العالم الإسلامي" والذي جاء فيه: (إن ارتقاء الإسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم. ولذلك فإن المؤتمر الاستعماري ينصح الحكومة زيادة الإشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة. والمؤتمر

(١) المصدر السابق، (ص/١٣٣ وما بعدها).

الاستعماري – مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماماً في الشؤون الدينة- يشير على الذين في أيديهم زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الإسلام وأن يزيلوا العراقيل من طريق انتشار النصرانية وأن ينتفعوا من أعمال إرساليات التبشير التي تبث مبادئ المدنية خصوصاً بخدماتهم التهذيبية والطبية. ومن رأي المؤتمر أن الخطر الإسلامي يدعو إلى ضرورة انتباه المسيحية الألمانية لاتخاذ التدابير – من غير تسويف – في كل الأرجاء التي لم يصل إليها الإسلام بعد)[1].

حقيقة

كانت الإرساليات التبشيرية ستاراً لتغلغل دولهم الاستعمارية في الشرق، وكان الاستعمار يستفيد من كل هذا ، ويرتكب من المظالم ما لا يمكن إحصاؤه.

يقول "هنري جسب": (إن المبشرين استغلوا جهودهم لخدمة دولهم وأذكوا نار العداوة في الذين كانوا يبشرون بينهم)[2] .

ويقول القس "صموئيل زويمر" في خطابه الافتتاحي في المؤتمر التبشيري في "لكنو" – الهند عام [١٩١١م] : (إن احتلال الجيش الفرنساوي لمقاطعة "واداي" في أفريقيا في العام الماضي أهم حادث سياسي في هذا العصر لأن "واداي" كانت أهم مركز في أفريقيا للاتجار بالرقيق وانتشار الإسلام، وعلى

(١) المصدر السابق، (ص /١٣٦ وما بعدها).

(٢) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١٥٨).

ذلك فإن هذا المركز أصبح تحت سلطة أوروبية تحتفظ به مهما كلفها ذلك وهذه الحادثة جعلتها في مأمن من أن تكون "واداي" بعد الآن مركزاً للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية وهي أيضاً **ستقلل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري**... والآن لم يبق غير /٣٧١٢٨٨٠٠/ مسلم تحت سلطة حكومات إسلامية وانتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الإسلامية إلى يد إنكلترا وفرنسا وروسيا وهولاندا. وعدد المسلمين الذين تحت سلطة كل واحدة من هذه الدول يفوق عدد المسلمين الموجودين في كل أرجاء السلطنة العثمانية. **وإن عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيراً عقب انقلابات قريبة الحصول، وبذلك تزداد مسؤولية الملوك النصارى في مهمة تنصير العالم الإسلامي)**[1].

يقول المبشر الأمريكي "جاك مندلسون" : (لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية)[2].

ويقول "نابليون الأول" في جلسة مجلس الدولة في ٢٢/مايو/١٨٠٤م : (إن في نيتي إنشاء مؤسسة الإرساليات الأجنبية، فهؤلاء الرجال المتدينون سيكونون عوناً كبيراً لي في آسيا، وأفريقيا، وأمريكا، سأرسلهم لجمع المعلومات

(١) الغارة على العالم الإسلامي، شاتليه، (ص/١٥٣ وما بعدها).
(٢) حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٢٨).

عن الأقطار، إن ملابسهم تحميهم وتخفي أي نوايا اقتصادية أو سياسية)[1]

(**كذلك استخدم التبشير قسوة الاستعمار في تنصير غير المسيحيين، وبارك استعمار بلادهم**، واعتبره منحة من السماء للمستعمرين. وفي هذا يقول المبشر "**ستيفن نيل**" : "**لقد أكد مرسوم البابا نيقولا الخامس الذي صدر عام /١٤٥٤م/ حق البرتغاليين في الاحتلال السلمي لكل أراضي الكفرة (غير المسيحيين)** التي قد تُكتشف على طول الساحل الغربي لأفريقيا"، وفي عام /١٤٥٦م/ أعطى البابا كالكستس الثالث إلى كبير رهبان جماعة المسيح في البرتغال – والتي كان هنري الملاح نفسه منتدباً لإدارتها– حق الإشراف الروحي على جميع الأراضي التي تخضع للتاج البرتغالي وكذلك أي أراضي تضاف إليها مستقبلاً. لقد كانت تلك الامتيازات زائدة عن الحد، وفي مايو /١٤٩٣م/ أصدر البابا إسكندر السادس ثلاثة مراسيم، لقد اعترف بالحق المطلق للتاج الأسباني في المتاجرة مع البلاد التي اكتشفت، أو التي قد تكتشف، **وفي نفس الوقت وضع على الملك قيداً هو أن يجلب إلى العقيدة المسيحية الشعوب التي تسكن تلك الجزر والأراضي**، وأن يرسل إليه رجال عقلاء حسب العقيدة الكاثوليكية. لقد أكد البابا العنصر المسيحي في هذه الاكتشافات والفتوحات، ووضع على القوى المسيحية مسؤولية دعم بعثات التبشير، وعليهم أن يؤسسوا في زمن لاحق أسقفيات ويوقفوا عليها أموالاً. لقد أكد

(١) انظر: الرب والله وجوجو،جاك مندلسون،ترجمة: إبراهيم أسعد، دار المعارف–القاهرة، (ص/٢٠٩).

الملوك اعترافهم بسيادة الكنيسة تماماً كسيادتهم السياسية المطلقة على الأراضي التي خضعت لهم، واستطاعوا الانطلاق بضمير طيب ليجعلوا الغزو حقيقة واقعة. **ولتجنب المنافسة بين القوى المسيحية البحرية فإن البابا رسم خطاً على الخريطة من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي غرب الأزور، ليكون ما يقع غرب هذا الخط تابعاً لأسبانيا، وما يقع شرقيه تابعاً للبرتغال.** لقد كان وصول هاتين القوتين إلى الدنيا الجديدة في الغرب متميزاً لثلاثة اعتبارات هي: **الغزو–الاستيطان–التبشير**. وكان على شعوب تلك البلاد المجهولة أن تدخل باستمرار تحت سيطرة الملوك المسيحيين الذين منحهم الله عن طريق البابا السيادة المطلقة)[1].

- وفي الهند دفعت الكنيسة البريطانية بقوة من أجل تنصير الهنود مما يمهد لجعلهم يعيشون ويفكرون كمستعمريهم على الطريقة الإنكليزية. "فشارل غرانت" رئيس شركة الهند الشرقية كان من صقور الإنجيليين وكان **يرى أن دخول الهنود في دين الإنكليز سينهض بشعبها المنحط أخلاقياً، وحض البرلمان الإنكليزي على فتح أبواب الهند للحملات التبشيرية ورسم سياسة تعليمية تؤنكلز المجتمع الهندي وتعيد صياغته.** يقول: (إن الهنود يرتكبون الخطايا ولا خلاص لهم إلا بنورنا (ديننا) ومعرفتنا، إن الظلام الذي يطبق على الهند لن يزول إلا بنورنا).

- وقد منحت الحكومات الأوروبية الاستعمارية ((تلك الإرساليات

(١) انظر: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب، (ص/١٢٨ وما بعدها).

أشياء كثيرة، منها:

١- السماح للمبشرين بإقامة بعض المؤسسات على قطعة أرض تعطى لهم دون مقابل.

٢- صرف عدة إعانات مالية لينفقوها على تلك المؤسسات.

٣- الإعفاءات الجمركية لكل شيء يحملونه من بلادهم.

٤- منحهم سلطة الامتيازات الأجنبية بحيث يكون لهم الحق في العمل دون قيد أو شرط ودون أدنى مسؤولية أو الإشراف عليهم أو محاكمتهم) [١]

حقيقة

كانت الدول الاستعمارية كثيراً ماتختار قناصلها وسفراءها من رجال الدين المبشرين، لتسهيل الأعمال والمصالح المشتركة فيما بينهما في البلدان المستعمرة.

يقول الأب اليسوعي "ميينز": (لقد احتفظت فرنسا طويلاً بروح الحروب الصليبية، وبالحنين إلى تلك الحروب حية في نفسها... وكانت من غايات الامتيازات الأجنبية دائماً أن تحتفظ فرنسا بالدور الذي يلعبه رهبانها، وأن توسع ذلك الدور. وقد اعترف لقناصلنا وسفرائنا بالحماية للنصارى ... وكان ممثلو فرنسا يساندون أعمال مبشرينا وكان لفرنسا في أكثر الأحيان قصاد رسوليين في أشخاص قناصلها، وخصوصاً في القرن السابع عشر وكثيراً ما

(١) انظر: التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، د.أحمد سعد الدين البساطي، (ص/٤٢).

اختارت فرنسا قناصلها وسفراءها من رجال الدين)[1].

حقيقة

كانت الدول الاستعمارية تتعاون فيما بينهما، وتفرض على الدول المستعمرَة معاهدات تضمن فيها حرية عمل الإرساليات التبشيرية وحمايتها..

(ففي الرابع من نيسان عام ١٩٢٤م وقعت الولايات المتحدة وفرنسا اتفاقاً تأخر إعلانه إلى ١٣ آب من العام نفسه. وقد جاء في هذا الاتفاق ما يلي: "المادة العاشرة: إن إشراف الدولة المنتدبة فرنسا على الإرساليات الدينية في سورية ولبنان يجب أن يقتصر على حفظ الأمن والإدارة الحسنة. إن أوجه نشاط هذه اللإرساليات الدينية يجب ألا تخضع لتدبير يضيق مجال عملها، ولا أن يخضع أعضاء هذه الإرساليات لتدبير يضيق مجال عملهم بسبب اختلاف جنسيتهم، على شرط أن تنحصر أوجه هذا النشاط في حقل الدين." هذه المادة تنص بوضوح على تعاون فرنسا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأوروبية على التبشير في سورية ولبنان. فالدول الغربية كلها، إذن، ترى أن التبشير ذو فائدة لها حتى تعقد في سبيله المعاهدات)[2].

- **وتولى المبشرون تنمية الروح الطائفية والتفرقة العنصرية وسياسة "فرِّق تسُد"** ومثال ذلك فتنة عام [١٨٦٠م] بين الموارنة والدروز في لبنان،

(١) انظر: التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١٢٧).
(٢) التبشير والاستعمار، (ص/١٦٢).

فقد دعمت الإرساليات التبشيرية اليسوعية التابعة لفرنسا الموارنة، بينما دعمت الإرساليات التبشيرية البروتستانتية التابعة لإنكلترا الدروز، فانفجر الصراع وسالت الدماء.. يتحدث **أنيس صايغ** في كتابه "لبنان الطائفي" عن الفتن التي يستغلها المستعمرون لمصالحهم، فيقول: (وجد هؤلاء الاستعماريون أن الخطوة الأولى في سبيل السيطرة على لبنان تستوجب استثمار الطائفية فيه في إثارة طائفة على أخرى وفي رعاية طائفة ضد أخرى. لذلك غذى هؤلاء الطائفية ونموها وتعهدوها بأموالهم ودهائهم، بحيث أخذت الطائفية مفهوماً جديداً، وأصبحت لدى الكثيرين مجرد وليدة لهذه التغذية الاستعمارية الآثمة، وأخذ رجال الحكومات الأجنبية من وزراء وقناصل وعمال مأجورين الدور الذي كان لرجال الإقطاع في العصور الوسطى، دور التستر وراء قناع الطائفية لتحقيق الأطماع الجزئية)...(**أما التبشير فكان الميدان الأوسع لإنماء العلاقات الطائفية**، وبدأت الإرساليات تفد إلى لبنان منذ القرن الثالث عشر. ورعى ملك فرنسا بنفسه شؤون التبشير في ذلك القرن واهتم ببناء الكنائس. وبدأت فرنسا تستقبل رجال الدين اللبنانيين وتعلمهم في مدارسها الدينية على حسابها. **وواصلت فرنسا رعايتها للإرساليات في الشرق بالرغم من اضطهادها لها في فرنسا نفسها**)[1].

- **لقد كانت إثارة الاضطرابات وإذكاء العداوة بين أبناء البلد**

(١) لبنان الطائفي، أنيس صايغ، (ص/١٠٦).

الواحد، وسيلتهم القذرة لتمكين سيطرتهم على البلاد، فكانوا يستغلون الصراعات والحروب للتوسع في أعمال التبشير، بل غدا التبشير أحد أهداف حروب الدول الاستعمارية. (ففي عام /١٩٢٠م/ أصدرت لجنة التبشير الأمريكي التي تهتم بالاستفادة من مناسبات الحروب للتبشير كتاباً ذكرت في مطلع مقدمته ما يلي: "من أبرز الأمور المتعلقة بدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى أن الآراء والمبادئ التي كانت تهدف إليها الإرساليات التبشيرية قد تبنتها الآن الأمة الأمريكية ثم أعلنت أنها هي أهدافها الأخلاقية وغايتها من خوض تلك الحرب.. إن هذه المبادئ التبشيرية قد سميت الآن أسماء سياسية فقط")[1].

- ولم يكتف المستعمرون باحتلال الدول العربية والإسلامية ونهب خيراتها والسيطرة على مقدراتها والتحكم في شؤونها الداخلية، بل أرادوا استغلال هذه البلدان إلى الأبد إن استطاعوا، ولذلك عملوا على إخماد كل حركات المقاومة، وتحكموا بالجوانب الاقتصادية السياسية، وتدخلوا في الجوانب الاجتماعية والدينية وقاموا بتنمية الروح الطائفية وأحيوا الحركات الشعوبية كالبربرية والفرعونية والفينيقية والآشورية، **وكانت وسيلتهم لتحقيق ذلك استخدام الإرساليات التبشيرية وخاصة الرهبان اليسوعيين**.. فعمد المبشرون (في كل بلد إلى أقلية غير مسلمة في الأكثر وحاولوا أن يضموا إليها

(١) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١٢٩).

أحياناً نفراً بارزاً من المسلمين، كما اتفق لهم في مصر فقط، ليلفِّقوا لأهل كل قطر مسلم قومية وهمية جديدة، لقد أرادوا أن يبعثوا "الفرعونية" من خلال حجارة الأهرام في مصر، و"الفينيقية" من خرائب الساحل الممتد من يافا إلى اللاذقية على الشاطىء الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، ثم إنهم لفَّقوا في العراق دعوة آشورية لم يولد لها أن تكتب حية)[1].

حقيقة

اتخذ المبشرون منهجاً ثابتاً في محاربة الثقافة الإسلامية، ونشر اللغة العامية، بهدف قطع صلة المسلمين بتراثهم وقرآنهم مصدر قوتهم.

لقد قام المبشرون بدراسة (العالم الإسلامي من جميع نواحيه ثم وضعوا الخطط للقضاء على كل مقاومة أو مناعة فيه، في كل ناحية من تلك النواحي. لقد استغلوا في سبيل مآربهم كل وسيلة من العلم والطب والسياسة والحياة الاجتماعية ومن الثقافة والأدب واللغة. لقد حرصوا أن يسلبوا الإسلام كل مناحي الشخصية وكل أسباب الحياة. ولكن العالم الإسلامي لم يمت. لقد ظل العالم الإسلامي يستمد الحياة من ثقافته التي مازالت حية تنير العالم منذ ألف وأربعمائة سنة) [2]...(**ويرى أكثر الهاجمين على استعمار الشرق أن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لا يمكن أن يتم مادام هناك "لغة واحدة" يتكلمها العرب ويعبرون بها عن آرائهم، ومادام هناك "حرف**

(١) المصدر السابق، (ص/١٧٤).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢١٧).

عربي" يربط حاضر المسلمين إلى تراثهم الماضي. فإذا حمل المبشرون والمستعمرون العربَ على الكتابة باللغة العامية أصبح لكل قطر عربي لغة خاصة به أو لغات متعددة. ثم إذا هم استطاعوا أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني مكانه انقطعت صلة العرب تماماً بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية والفكرية. حينئذٍ يصبح العرب وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل إخضاعها بجهد أيسر من الجهد تحتاج إليه هذه الغاية. وكان زعيم الحركة الرامية إلى الكتابة في العامية وبالحرف اللاتيني الاستعماريون الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية في وزارة الخارجية الفرنسية "لويس ماسينيون". ولقد حاول "ماسينيون" أن يبث دعوته في المغرب وفي مصر وفي سورية ولبنان خاصة. وكذلك سعى لهذه الغاية مبشرون واستعماريون من أمم أخرى) [1] و(رأى المبشرون والمستعمرون عظمة الثقافة العربية الإسلامية وأنها مصدر عزة للشرق والعرب والمسلمين. ثم إنهم أيقنوا أن أمة لها هذه الثقافة لا يمكن أن تخنع أو تذلَّ أو تبيد. **وهكذا انصرفت أذهان هؤلاء المبشرين والمستعمرين إلى تشويه وجه هذه الثقافة وإلى الحط من شأنها في نفوس أصحابها)** [2].

- ولم يكتف المبشرون بالتدخل في ثقافة المسلمين ولغتهم بل عمدوا إلى

(١) المصدر السابق، (ص/٢٢٤).

(٢) المصدر السابق، (ص/٢١٧).

التدخل حتى في الشؤون الداخلية ، ومن ذلك التعيينات الوظيفية وخاصة في سلك الثقافة والتعليم، وكانوا يتعاونون مع المستعمرين على تحقيق ذلك.. لقد فعلوا هذا مع الإنكليز في مصر والسودان، وفعلوا هذا مع الفرنسيين في سوريا ولبنان والجزائر ... وكانوا يركزون على منع المسلمين من شَغْل الوظائف الهامة منها، ويقدمون غير المسلمين على المسلمين.. (قد لا يصدق أحد إذا قلنا له إن في الدوائر العقارية في حكومة الجزائر ألفين من الموظفين منهم ثمانية فقط من المسلمين)[1].

حقيقة

كان المبشرون والمستعمرون يعملون من خلال تخطيط مشترك وتعاون وثيق، فالمستعمرون يقدمون الحماية والدعم للمبشرين، والمبشرون يمهدون السبيل للمستعمرين متخفين وراء الأعمال الإنسانية..

- وهكذا كان رجال الدين الأجانب العاملين في حقل التبشير والمستعمرين المتحالفين معهم، وراء الفتن والنكبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية التي حلت بالأمة الإسلامية، وكان أبناء الوطن الواحد الأبرياء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ضحاياهم[2].

المبحث الثاني: الكنيسة الإفرنجية الغربية أيدت الاسترقاق في عصر الاستعمار.

ففي عام /١٤٥٥م/ أصدر البابا مرسوماً بابوياً يقرر سيادة النصارى على غيرهم.

(١) المصدر السابق، (ص/١٦١).

(٢) التبشير والاستعمار، خالدي وفروخ، (ص/١١٣).

(وهذا المرسوم أقر استرقاق الزنوج والهنود الحمر وصاحبتْه لعدة قرون دعاية واسعة أشرفت عليها الكنيسة والأوساط المسيحية مفادها أن الاسترقاق هو سبيل خلاص الرقيق الذين غضب الله عليهم، فالرق كما تتصور المسيحية لعنة من الله على أولئك الذين أصبحوا رقيقاً بفعل ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وتستطرد الدعاية المسيحية في أدلجة الرق فتدعو الرقيق إلى دخول المسيحية زاعمة أنهم بدخولهم إليها إنما يدخلون مملكة الله، **وبينما فهم الزنوج هذه الدعوة على أساس أنها خلاص لهم من الرق، أكد الرجل الأبيض على أنها خلاص لأرواحهم فقط أما أجسادهم فتبقى في الرق، وهكذا فإن المسيحية تُطوَّع وفق ما يشتهي الرجل الأبيض لا وفق ما يتمنى الرجل الأسود، وللأسف الشديد فإن في المسيحية نصوصاً تبيح الاسترقاق وتزينه، بل إن بها من النصوص ما يسمح بالاستغلال أكثر مما يخطر على البال** ففي رسالته إلى أهل أفسس أقر **بولس** الرق وأمر العبيد بإطاعة أسيادهم واعتبرها من طاعة المسيح ذاته، "أيها العبيد أطيعوا سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما للمسيح لا بخدمة العين كمن يرضي الناس، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب خادمين بنية صالحة كما للرب ليس للناس عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً " (من رسالة **بولس** إلى أهل أفسس – الإصحاح السادس ٥-٨). وفي موضع آخر من **إنجيل متى** نقرأ هذا النص الذي يبيح الاستغلال إلى أبعد حد ممكن، "لأن كل من له يعطي فيزداد ومن ليس له فالذي عنده يؤخذ منه، والعبد البطال اطرحوه

إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (**إنجيل متى** الإصحاح الخامس والعشرون – ٢٩). فهذا النص ليس إلا تكريساً وتأكيداً لغنى الأغنياء وفقر الفقراء وبالإضافة إلى هذه النصوص فقد أوصى بطرس بمثل وصية بولس إلى أهل أفسس وأوجبها آباء الكنيسة لأن الرق كفارة عن ذنوب البشر يؤديها العبيد لما استحقوه من غضب السيد الأعظم)[1].

- والتنصير وسيلة من وسائل الاستعمار لإخضاع الشعوب وتضليلها...

فأي تبشير هذا الذي فعله الأوروبيون في أمريكا حينما قتلوا /٤٤/ مليوناً من الهنود الحمر، واسترقوا وباعوا /٢٥/ مليوناً من الأفارقة السود في أمريكا وحدها، وقام الإنكليز بحرب الأفيون لنشره على نطاق واسع في الصين.. فأين هي قيم المسيحية السمحة؟!!..

إضاءة

إن منهج الغرب المسيحي قائم على القتل والتدمير ونشر الرذيلة ، ثم جعل كل هذه الخطايا في عنق المسيح الذي صلب فداءً للخطايا؟!![2] والمسيح والمسيحية من أفعالهم وادعاءاتهم براء...

(١) انظر: التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء، عبد العزيز الكحلوت، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الليبية، الطبعة الثانية، [١٩٩٢م](ص/١٨ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٠).

المبحث الثالث: التبشير والإبادة الثقافية والجسدية.

المطلب الأول: التبشير والتعذيب والاغتصاب (نماذج).

حقيقة

كان أطفال الهنود الحمر في أمريكا يُنزعون من أحضان أمهاتهم ثم يرسلون إلى مدارس الإرساليات التبشيرية لإبادة ثقافتهم وتنصيرهم وتمدينهم. ولم تخل مدرسة واحدة من الاغتصاب الجنسي للأطفال ذكوراً أو إناثاً..

(يروي "تينكر" بكثير من الحزن قصة أخ له بالتبني (واسمه دوني Donnie) انتحر وهو في الثانية والخمسين. لقد اختطفته زبانية "مكتب الشؤون الهندية" من ذراعي أمي في مَعزل pnie Ridge عندما كان في الخامسة. لم ينفع بكاء الأم ولا ضراعة الأب، فقد وضعوا في يديه القيد أمام أعينهما، وساقوه إلى سيارة تغص بالأطفال. **وهناك ربطوه بالسلسلة المعدنية الطويلة التي تصفد الأطفال جميعاً، ثم شحنوهم إلى مدرسة القديس فرانسيس St.Francis التي أولى "المكتب" إدارتها إلى إرسالية تبشيرية.** منذ تلك اللحظة كُتبت قصة انتحار "دوني". فقد بدأ منهاج تمدينه في الأيام الأولى لدخوله المدرسة **بافتراسه جنسياً** من ناظر يصفه بأنه أبيض عملاق، كان ينسلُّ ليلاً إلى مهجعه المزين بصورة الرب الأبيض، **ويغتصبه هو ورفيق غرفته "كونراد** Conrad" الذي كان بعمره، كان **الناظر يعريهما معاً ويتناوب عليهما حتى تبلغ حضارة شعب الله ذروتها.** وكانت هناك **غزوات افتراس مفاجئة** يشنها عليهما بعض العاملين،

أو وجوه لم يرياها من قبل. أما كونراد فكان أسعد حظاً، لقد انتحر قبل أن يبلغ الخامسة عشرة. قصة الاغتصاب الجنسي في هذه المدارس تكاد تكون بعمر فكرة تمدين أطفال الهنود. فهذه المدارس كما وصفها "دوغلاس هوغارث" Douglas Hogarth أحد قضاة المحكمة العليا في كندا **"ليست أكثر من مؤسسات للإرهاب الجنسي وأوكار لاغتصاب الغلمان"**))...((أمام هذا الإرهاب الجنسي الذي اعتمدته سلطات المدارس كلها بدون استثناء لم تقتصر معاناة الطفل على صدمة عاطفية أو أمراض نفسية وجنسية، بل كان عليه حتماً أن يفقد الأمل في المقاومة وأن ينهار كلياً وتنهار معه كل هنديته فلا يبقى أمامه إلا أن ينتحر أو أن يستسلم لشهوات رسل الحضارة. **إنها في النهاية إحدى حتميات "فكرة أمريكا" المستعارة من فكرة إسرائيل التاريخية**. فالاستعمار الجنسي للشعوب الأمريكية الأصلية وجرائم الاغتصاب والعنف الجسدي التي مدَّن بها شعب الله الإنكليزي ضحاياه من السكان الأصليين ظواهر طبيعية، ذلك لأن بنية الاستعمار الإنكليزي لشمال أمريكا، **أي فكرة أمريكا نفسها، فكرة احتلال أرض الغير واستبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة، صيغت من مادة وأخلاق الاغتصاب والعنف الجنسي**. وهي لا تزال إلى الآن ترسم سياسة الزنابير وأخلاقهم تجاه سكان مستعمراتهم من سيدني إلى واشنطن ومن نيوزيلاندا إلى بغداد)) ((**التقرير الذي أعدته وزارة الصحة عام /١٩٩٣م/ يقول إن نسبة اغتصاب الأطفال في بعض هذه المدارس ما**

بين أعوام /١٩٥٠م/ و /١٩٨٠م/ كانت عامَّة طامَّة (١٠٠٪) لم تستثنِ أحداً منهم أو منهن)[١].

ولجأ المستعمرون الأنكلوسكسون في استعمارهم لأمريكا (**إلى تبرير هذا الاغتصاب أخلاقياً وذلك بالعودة إلى نبعها الأول ومثالها الأعلى "فكرة إسرائيل التاريخية"** لم تكتف مخيلة الزنابير بمسخ أجساد الهنود إلى حثالات دميمة تدب مع الهوام والحشرات، أو بالتوحيد بينها وبين القذر، بل استمدت صور كل هذا المسخ والتشنيع والاستباحة من صورة الكنعاني (الفلسطيني) كما رسمها العبرانيون في أساطيرهم. لقد ظلت على مدى أربعة قرون "**تشبَّه أجساد الهنود بأجساد الكنعانيين الدنسة التي أحلَّ الله لشعبه أن يفعل بها ما يشاء" وتنسج من هذا الإسقاط كل الأخلاق اللازمة لأن تسلبهم أوطانهم وتفتك بثقافاتهم وأرواحهم وأعراضهم وهي مرتاحة الضمير مطمئنة إلى أنها تطيع أوامر ربها وتطمع في ثوابه) ...(ولا تزال أسطورة لعنة كنعان (الفلسطيني) ونسله إلى اليوم تسكن نخاع الزنابير وترى أن الهنود الحمر والكنعانيين تجسيد حي للفاحشة الجنسية، وأن أجسادهم وأرواحهم نجس، لا حرمة لها، وأنهم يستحقون التدمير الجماعي**. وهي أسطورة أسقطوها على كل فريسة من فرائسهم،

(١) انظر: أمريكا والإبادات الثقافية، منير العكش، رياض الريس للكتب والنشر- بيروت،الطبعة الأولى [٢٠٠٩م]، (ص/٢٦ وما بعدها).

وجعلوها رمزاً لكل قربان يمجدون به الرب الأبيض، لهذا قرنوها بالعنف المقدس الذي **أفرغوا به قارتين كاملتين ومئات الجزائر من سكانها** دون أن يرف لهم جفن. فما دام هذا الآخر الكنعاني لا يتنازل عن أرضه وثقافته طوعاً فلا بد إذن من العنف المقدس ولا بد من التسامي بهذا العنف لجعله فضيلة أخلاقية)[1] .

كما أحل المستعمرون لأنفسهم (اغتصاب نساء العبيد السود وأطفالهم ثم إنهم وجدوا في ذلك استثماراً رابحاً للأطفال الذين ستضعهن أمهاتهن عبيداً. **فالاغتصاب الجنسي للجسد الملون أفريقياً كان أم هندياً، أقصر الطرق لزيادة قطيع العبيد لدى السيد الأبيض**،بل وأرخصها أيضاً، ولطالما رددوا أنه لا يوجد شيء اسمه فتاة عفيفة ملونة إذا ما بلغت الرابعة عشرة من عمرها)[2].

(**كان هذا ديدن شعب الله الإنكليزي** (**المستعمر**) حيثما أراد تمدين الوحوش والملونين الكنعانيين على اختلاف ألوانهم وأصقاعهم، من أستراليا ونيوزيلاندا إلى ألاسكا ومن جنوب أفريقيا إلى العراق، **ففي أستراليا مثلاً حكم القاضي الأبيض بأن اغتصاب رجل في الخمسين لفتاة من السكان الأصليين في الخامسة عشرة ليس جريمة ولا يتعارض مع**

(١) المصدر السابق، (ص/٢٩ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٣١).

الأخلاق. كما تصف كاثرين بيبر Katherine Biber أستاذة القانون في جامعة مكوايري Macquarie بسدني كيف أن كنعانيي أستراليا أُنذروا المرة بعد المرة بأن سرقة أطفالهم وسرقة أراضيهم وسرقة أجورهم لا يعاقب عليها القانون. إن وصف "الآخر" بالكنعاني سواء في الأساطير العبرية المقدسة أو في تطبيقاتها التاريخية في العالم الجديد أو أستراليا أو جنوب أفريقيا أو أي مكان آخر زحف إليه الشعب الإنكليزي المختار يعني الاستباحة المطلقة لحرية هذا "الآخر" وأرضه ورزقه وجسده وحياته، وتحويله إلى فريسة، إن كل لغات الأرض لم تعرف ما يضاهي هذا المفهوم القرباني الذي استعاره شعب الله الإنكليزي من الأساطير العبرانية ليجعل من نفسه جلاداً مقدساً في كل كنعان جديدة رست سفنه على شواطئها)[1].

كانت مدارس الإرساليات التبشيرية المتخصصة بإبادة ثقافة الهنود الحمر تحرق ثياب الطفل الهندي المخطوف من أهله، وتحرق جميع خصوصياته الهندية أمام عينيه، مع إهانته والسخرية من ثقافته الهندية، ثم يحلقون شعره الطويل الذي يعتز به الهنود ويعدُّ جزءاً من كرامتهم، **ثم يعطونه اسماً إنكليزياً مسيحياً ويعلمونه احتقار اسمه الهندي**.

وبعد فترة قصيرة يساق الأطفال الذكور لعمل السخرة في المزرعة الملحقة بالمدرسة أو المصانع التجارية أو ورشات البناء... وأما الإناث فيسقن إلى

(١) المصدر السابق، (ص/٣٢ وما بعدها).

الخدمة والغسيل والتنظيف ومشاغل الخياطة.

(لقد كان على هؤلاء الأطفال ذكوراً وإناثاً كما صرح وزير الداخلية كارل شورتز Carl Schurz أن يؤهلوا لفهم تصورنا للعمل والاستيعاب فيه، وذلك من أجل فطم طبيعتهم واقتلاعهم من تقاليد حياتهم **وسَوقهم إلى حومة النظام الرأسمالي وحاجته إلى يد عاملة رخيصة**)[1].

وقد أصر الكونغرس الأمريكي منذ البداية على أن تكفي هذه المدارس نفسها بنفسها وأن تكون شكلاً من أشكال معسكرات العمل، بل أعلن بعض المسؤولين أن من أهدافها الربح أيضاً.

وعلى الرغم من أن بعض المدارس كان يدر على إداراتها أربعة أضعاف نفقاتها السنوية، **فقد ظل الأطفال يعانون من قلة الطعام والجوع وكان إنتاجهم من المزارع حراماً عليهم**.

كانوا ينتجون البيض للسيد الأبيض، وللبيع بقصد الربح، وأما الأطفال فلا يأكلون إلا بيضة واحدة كل أسبوعين، **كان الأطفال يسرقون علف الخنازير ليأكلوه من الجوع، وكانوا لا يتوقفون عن البكاء من شدة الجوع!!..**

وأثبتت الدراسات التي أجريت لاحقاً أن ميزانية طعام هؤلاء الأطفال

(١) المصدر السابق، (ص/١١٥).

تعادل ٢١٪ من ميزانية مدارس أطفال أسيادهم البيض التي تمول جزئياً من إنتاج مدارس الهنود.

ولا تسأل عن عدم توفر الاحتياطات الصحية في طعام الأطفال الهنود في المدارس التبشيرية.. فقد كانوا يتناولون خبزاً من طحين تتغلل فيه الجرذان والفئران، **وكثيراً ما وجدوا بقايا لحوم الفئران الميتة داخل الخبز**، ناهيك عن الرائحة الكريهة جداً!!.. **وإذا ما تقيأ الطفل الطعام الكريه كانت الراهبات تجبره على أكل ما تقيأه!!..**

كانت هذه المدارس التبشيرية (التي يساق إليها الطفل الهندي وهو في الرابعة من عمره معسكراً "تربوياً" يتعرض فيه للجوع، وأعمال السخرة، والإهمال الصحي، والإهانات العنصرية، والتعذيب بكل فنونه. وكان التعذيب النفسي والجسدي ، **كما يصفه تقرير رسمي صادر عن الكونغرس** "مستفحلاً" في هذه المدارس يشمل التعرية، وتقنيع الرأس، والحبس الانفرادي، والتحرش الجنسي، واستخدام الكلاب)[1]

وكان التعذيب يصب صباً على الأطفال الذين يضبطون وهم يتحدثون بلغتهم الأم، ففي مدرسة Alberni Indian School

(ضُبطت مجموعة من التلاميذ وهم يتحدثون بلغتهم الأم فعوقبوا بغرس إبر خياطة طويلة في ألسنتهم لمدة نهار كامل، وعوقب

(١) المصدر السابق، (ص/١٢١).

آخرون في مدارس أخرى بتسميط اللسان بنار الولاعات، أو بإطفاء السجائر فيه)[1].

كان المستعمرون الأنكلو ساكسون يعدُّون كل هذا عملاً نبيلاً في سبيل إبادة ثقافة الهنود وتمدينهم وجعل ولائهم للدولة الأمريكية..

حقيقة

بعد هذا ليس غريباً أن يموت ٥٠٪ من هؤلاء الأطفال قبل أن يتخرجوا من المدارس بسبب التعذيب أو المرض أو الانتحار...

يقول "جيمس بروك" في النيويورك تايمز: (إن عدداً من سجلات هذه المدارس لا توثِّق الجرائم الفظيعة التي حدثني عنها بعض الناجين. ومن تلك الفظائع: سوء الرعاية الصحية، والاعتداءات الجنسية، والتعذيب، ودفن الصغار وراء جدران المدرسة)[2].

المطلب الثاني: التبشير والإبادة... توثيقات شاهد عيان [3].

- هل سمعتم بالمطران **"برتولومي دي لاس كازاس"** إنه أهم شخصية

(١) المصدر السابق، (ص/١٢١).

(٢) المصدر السابق، (ص/١١١ وما بعدها).

(٣) للتوسع: انظر كتاب المسيحية والسيف، وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية، تأليف المطران " برتولومي دي لاس كازاس" ترجمة سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

في تاريخ القارة الأمريكية بعد مكتشفها "كريستوفر كولومبوس" كما قال المؤرخ الفرنسي "مارسيل باتييون" لولا هذا المطران الثائر على المستعمرين الأسبان والفاضح لما ارتكبونه من فظائع ومذابح في القارة الأمريكية وإبادتهم للملايين من سكان القارة الأصليين لضاع جزء كبير من تاريخ هذه الإبادة الثقافية والجسدية... **إنه شاهد العيان الأهم الذي وثق هذه الإبادة الوحشية.**

ولد هذا المطران في قشتالة الإسبانية عام /١٤٧٤م/ ووالده رافق كولومبوس في رحلته إلى العالم الجديد عام /١٤٩٣م/ أي بعد عام من سقوط الأندلس نهائياً.

في شبابه شاهد ما يرتكبه الصليبيون الأسبان من فظائع ومذابح ضد المسلمين في الأندلس.

وفي أوائل رجولته شاهد بعينه المذابح والفظائع التي ترتكب بحق السكان الأصليين في القارة الأمريكية.

- ألف هذا المطران الثائر كتابين: الأول "تاريخ الهنود" والثاني "المسيحية والسيف" **وثَّق فيهما مذكراته عام /١٥٤٢م/ وما شاهده بعينه من المذابح الدموية وعمليات الإبادة التي ارتكبها قومه المسيحيون تحت راية الصليب وبمباركة من بابا روما الذي دعا المستعمرين الإسبان والبرتغاليين لنشر المسيحية في العالم الجديد طوعاً أو بالسيف. فقد كانت القرارات البابوية تقضي بأن يكون التبشير أولاً، والاستعمار ثانياً،**

وأن تكون الغنائم وخاصة الذهب للكنيسة ثم للدولة.

- **وحاربه قومه ولعنوه وأصبح مكروهاً من كنيسته** بسبب مواقفه الثائرة على ظلمهم ووحشيتهم .. وأما إخوانه الرهبان الذين جاؤوا إلى العالم الجديد تحت ذريعة نشر المسيحية في سكانها الهمج المتخلفين وتمدينهم، فقد وصفهم أحد الزعماء الهنود بأنهم لا يعبدون إلا الذهب.

وقال عنهم المطران "لاس كازاس" (كانوا يسمون المجازر عقاباً وتأديباً لبسط الهيبة وترويع الناس. كانت هذه سياسة الاجتياح المسيحي.. أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة فيها.. مجزرة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة) [1].

و(يصف لنا "لاس كازاس" بعض الرهبان يلهثون وراء الذهب، ويحدثنا عن رئيس المطارنة الذي كان يرسل خدمه ليأتوه بحصته منه. لقد كانوا جميعاً متفقين على سرقة البلاد عسكراً ورهباناً. هؤلاء يريدون الذهب بتعذيب الأجساد وقتلها وأولئك يريدونه بتعذيب الأرواح وقتلها. **وكانوا جميعاً يشهرون سيف المسيح والمسيح عليه السلام براء منهم ومن أعمالهم وأخلاقهم)** [2].

لقد عاش "لاس كازاس" خمسين سنة في العالم الجديد "أمريكا الجنوبية"

(١) المسيحية والسيف، تأليف المطران دي لاس كازاس، (ص/٩).
(٢) المصدر السابق، (ص/١٢)

وشاهد بأم عينيه ما ارتكبه المستعمرون من فظاعات وإبادة، ونهب الكنوز التي لا تقدر بثمن، والاستيلاء على الأراضي وقتل أصحابها الذين وصفهم بالأبرياء المسالمين الطيبين المتواضعين، الذين لا يعرفون الحقد ولا الضغينة ولا العنف.

في أول جزيرة دخلها الأسبان كان عدد سكانها ثلاثة ملايين فأبادوهم حتى لم يبق منهم سوى مئتين فقط [1].

ويذكر "لاس كازاس" أن هذا حصل في كل مكان وطئته أقدام المستعمرين مثل جزر "كوبا" و "سان خوان" و "جامايكا"، وستون جزيرة مثلها، و"البيرو" و"نيكاراغوا" وجميع بلدان القارة الأمريكية الجنوبية.

ويتحدث كيف أن المستعمرين اجتاحوا ونهبوا أراضٍ كانت عامرة بسكانها الآمنين فأبادوهم، ونهبوا عشرات الممالك مساحتها أكبر من مساحة أسبانيا بعشرات المرات.

ثم يقول: (**وطوال هذه السنوات الأربعين أبيد أكثر من اثني عشر مليوناً من الرجال والنساء والأطفال ظلماً وعدواناً جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الهمجية. هذا رقم مؤكد على الرغم من أنني أعتقد أن عدد الضحايا يتجاوز خمسة عشر مليوناً.** إن الذين ذهبوا إلى هناك من أدعياء المسيحية أبادوا الشعوب الهندية الوادعة ومحوا ذكرها من وجه الأرض إما بالاجتياحات الدموية المتوحشة، وإما باستعباد من تبقَّى استعباداً

(١) المصدر السابق، (ص/٢٤).

فظاً غليظاً لم يشهد مثله البشر ولم تعرفه الدواب)...(قتل المسيحيون (المستعمرون) كل هذه الأنفس البهية وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين ليحصلوا على الذهب ويكتنزوا الثروات ويصلوا إلى مراكز أكبر من أشخاصهم. إن شجعهم وتطاول شهواتهم الجامحة أودى بهم إلى احتقار هذه الشعوب المتواضعة الحالمة الودودة ونهب ثروات هذه الأرض الخصبة البهيجة. **إنني أقول الحقيقة لأنني شاهدتها بأم عيني**، كان المسيحيون ينظرون إلى الهنود الحمر لا كما ينظرون إلى الحيوانات ويباليتهم اعتبروهم حيوانات، بل أقل قدراً من الدواب وأحط شأناً من الزبل) كان المستعمرون المسيحيون (**يدخلون على القرى فلا يتركون طفلاً أو حاملاً أو امرأة تلد إلا ويبقرون بطونهم ويقطعون أوصالهم كما يقطعون الخراف في الحظيرة**. وكانوا يراهنون على من يشق رجلاً بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف. **كانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور**، أو يلقون بهم في الأنهار ضاحكين ساخرين. وحين يسقط في الماء يقولون: "عجباً إنه يختلج" كانوا يسفدون الطفل وأمه بالسيف كما تسفد قطع اللحم بالسفود ، وينصبون مشانق طويلة، ينظمونها مجموعة مجموعة، كل مجموعة ثلاثة عشر مشنوقاً ثم يشعلون النار **ويحرقونهم أحياء**. كانت فنون التعذيب لديهم أنواعاً منوعة. بعضهم كان يلتقط الأحياء فيقطع أيديهم قطعاً ناقصاً فتبدو كأنها معلقة بأجسادهم. ثم يقول لهم: "هيا احملوا الرسائل" أي هيا أذيعوا الخبر بين أولئك الذين هربوا إلى الغابات. أما أسياد الهنود ونبلاؤهم فكانوا يقتلون بأن تصنع لهم مشواة من القضبان

يضعون فوقها المذراة ثم يربط هؤلاء المساكين بها وتوقد تحتهم نار هادئة من أجل أن يحتضروا ببطء وسط العذاب والألم والأنين. **ولقد شاهدت مرة أربعة من هؤلاء الأسياد فوق المشواة.** وبما أنهم يصرخون صراخاً شديداً أزعج مفوض الشرطة الإسبانية الذي كان نائماً (أعرف اسمه، بل أعرف أسرته في قشتالة) فقد وضعوا في حلوقهم قطعاً من الخشب أخرستهم ثم أضرموا النار الهادئة تحتهم. رأيت ذلك بنفسي، ورأيت فظائع ارتكبها المسيحيون أبشع منها. أما الذين هربوا إلى الغابات وذرا الجبال بعيداً عن هذه الوحوش البشرية الضارية فقد روض لهم المسيحيون كلاباً سلوقية شرسة لحقت بهم، وكانت كلما رأت واحداً منهم انقضت عليه ومزقته وافترسته كما تفترس الخنازير) [1]

ويتحدث عن مذبحة في كوبا حصلت أمام عينيه، فقال: (مرة جاءنا الهنود لاستقبالنا محملين بالهدايا والخيرات، وقد أعطونا كثيراً من الخبز والسمك والطعام، وكل ما يستطيعون تقديمه. وماذا فعل المسيحيون لشكرهم؟ استولى الشيطان على قلوبهم فجأة فراحوا يقتلونهم بالسكاكين بلا سبب ولا مبرر. **ولقد قتلوا أمام عيني أكثر من ثلاثة آلاف إنسان رجالاً وأطفالاً ونساءً،** لقد شاهدت وحشية لم يرها قبلي بشر، ولا خطرت على بال إنسان)[2].

(١) المصدر السابق، (ص/٢٥ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٣٦ وما بعدها).

ويتحدث "لاس كازاس" عما شاهده بعينه في "نيكاراغوا" فقال: (كان الحاكم (الطاغية) يرسل جنوده في حملات لنهب القرى الهندية، ويسمح لهم باسترقاق ما استطاعوا منهم. وكان هؤلاء يربطون الهنود لكيلا يرموا بما أثقلت به ظهورهم. ولقد شاهدت حملة استرقوا فيها ستة آلاف هندي من قرية واحدة فلم يصل منهم إلا ستة أحياء. أما الباقون فقد تساقطوا على الطرق بسبب الجوع أو المرض أو الجراح التي أصابتهم والحمولة التي آذتهم. **وكان الإسباني حين يرى بعضهم يسقط أرضاً يقطع رأسه بالسيف لكي لا يزعج نفسه بفك الحمولة عن ظهره.** وذات مرة لم يستطع الهنود بذر القمح الكافي فشحَّ الموسم ولم يتوفر الخبز الكافي للمسيحيين فنهبوا كل مؤونة الهنود **ومات أكثر من ثلاثين ألفاً من الأطفال والنساء والشيوخ جوعاً.** كان المسيحي يستولي على أرض الهندي ويأكل ثمارها ويستخدم أصحابها ويسترقهم. أما الطفل الهندي فيصبح عبداً بمجرد أن يقف على قدميه. **هكذا أبادوا هذه الشعوب، وما زالوا يبيدون.** لقد حمَّلوا على ظهورهم الخشب مسافات طويلة بل حتى المرافئ ليشيدوا مراكبهم. وقد مات كثير منهم على الطريق، لم يوفروا امرأة حبلى أو طفلاً. كانت الحبلى تسقط من الإعياء وتموت وكان المراهقون يؤمرون بالانطلاق إلى الغابات لجمع العسل والشمع، وكانت الحيوانات الضارية تفني معظمهم)[1]

(١) المصدر السابق، (ص/٤٣).

وانتشرت تجارة الرق، وكان الحاكم يفرض على كل زعيم قبيلة تقديم خمسين هندياً كل شهر لاسترقاقهم، فكانت كل أسرة تضحي بعدد من أبنائها خوفاً من ذبح الجميع، وكان الرقيق ينقل بالمراكب إلى "بنما" أو "البيرو" ليباعوا هناك. لقد استرقوا أكثر من خمسمئة ألف هندي وقتلوا أكثر من ستمئة ألف[1].

وقد جرى في باقي بلدان القارة الأمريكية الجنوبية مثلما ذكرناه من المذابح والإبادة الثقافية والجسدية.. وهو قليل من الكثير الذي جرى..

يقول "لاس كازاس": (وإنني أسكت عن الكثير، ولا أذكر إلا اليسير مما جرى بين /**١٥١٨و١٥٤٢م**/ أي الوقت الذي أكتب فيها مذكراتي هذه. حتى هذا اليوم من شهر أيلول ما أزال أرى بعيني أفظع أعمال العنف. وهذا ما يؤكد ما ذهبت إليه حين قلت إن العسف والجور والطغيان .. كل ذلك يتزايد مع الزمن)[2].

كان الهنود الحمر الوادعين يخرجون بالهدايا الثمينة لاستقبال المستعمرين المسيحيين الأسبان، وكان المستعمرون يكافئونهم بارتكاب المجازر الجماعية المخيفة التي ترتجف منها الأوصال.

لقد قتل المستعمرون خلال /١٢/ سنة وأبادوا حول مكسيكو فقط

(١) المصدر السابق، (ص/٤٣ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٧ وما بعدها).

أربعة ملايين من الأهالي نساء وأطفالاً وشباباً وشيوخاً أو أحرقوهم أحياء[1].

عندما استعمر الأنكلوساكسون[2] أمريكا الشمالية نفذوا أكبر إبادة بشرية للشعوب الهندية في القارة، قتلاً وحرقاً وتهجيراً، وأبادوا ثقافتهم وأديانهم.. **في منتصف القرن العشرين أجرت جامعة كاليفورنيا دراسات وأبحاث عن عدد الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا الشمالية،** خلصت منها إلى أن عدد سكان أمريكا الشمالية في زمن كولومبوس ((كان يزيد على مئة مليون وبتطبيق هذه التقنية على الشمال الأمريكي توصل هنري دوبينز Henry Dobyns في كتابه "أرقامهم التي هزلت"

• Their Numbers Became Thinned:Native American Population Dynamics In Eastren North America,(University Of Temmessee Pres,١٩٨٣) ,P٠٤٥

... إلى أن العدد في حدود /١١٢/ مليوناً بينهم /١٨/ مليون ونصف المليون في أراضي ما يسمى اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية (لم يبق منهم في بداية القرن الماضي سوى ربع مليون). وبمقارنة سريعة مع نسبة الزيادة السكانية التي طرأت على الجزيرة البريطانية بين أيام كولومبوس (٤ ملايين) واليوم (٥٨)

(١) المصدر السابق، (ص/٤٨ وما بعدها).

(٢) الأنجلوساكسون: هم الإنكليز وقبائل جرمانية ساكسونية استوطنت إنكلترا، ويطلق هذا المصطلح اليوم على سكان بريطانيا.

مليون فإن عدد السكان الأصليين في حدود ما يُعرف اليوم بالولايات المتحدة كان يجب أن لا يقل اليوم عن /٢٧٠/ مليون إنسان لو لم يتعرضوا للإبادة. وتعترف مصادر التاريخ المتنصر بأن عدد الأمم والشعوب التي كانت تعيش في الشمال الأمريكي كان أكثر من /٤٠٠/ شعب وأمة وإن كانت تقلل من عدد أفرادها. غير أن الأبحاث التاريخية تقول إن هذا الرقم شديد التواضع وأن أمما "هندية" كثيرة غير هذه الأربعمائة المعترف بها قد محيت من تاريخ البشر.انظر كتاب آلفين جوزفي "٥٠٠ أمة":

- Alvin M·jr josephy , ٥٠٠ Natiuons : An Illustrated History OfNorth American Indians,(Gramercy,٢٠٠٢)

إن إصرار التاريخ المتنصر على وصفهم بالقبائل وليس بالأمم والشعوب هو حديث نسبيٌ فمعظم المصادر الأولى تتحدث عن أمم وشعوب هندية وليس عن قبائل)...(ففي عام /١٨٢٨م/ سافر عالم الأحياء الفرنسي "جان لوي برلانديه" Jean Louis Berlandier عبر تكساس ولاحظ أن الـ٥٢ أمة هندية التي تعرفت عليها بعثة "لاسال" La Salle. قبل حوالي ١٥٠ سنة قد أُبيدت نهائياً، ومُحي ذكرها باستثناء أربع أمم فقط. طبعاً، لا نعرف كم أمة أُبيدت قبل مدونات "لاسال"، فحين كان "لاسال" في لويزيانا عام /١٦٨٢م/ مثلاً وضع أكثر من علامة استفهام حول الخرائط والحوليات التي تركتها قبله بعثة De Soto ذلك لأنها تشير إلى وجود عدد كبير من الشعوب الهندية . **التي لم يجدها** "لاسال" نفسه بعد أن تم **تدميرها** منذ زمن طويل. انظر:

- Jean Louis Berlandier, The Indians Of Texas In ١٨٣٠,(Smithsonian,١٩٦٩) ,p٠٢
- Carl Schurz,Present Aspects Of The Indian Problems,North American Review,١٣٣(July ١٨٨١)
- Adams, Education For Extinction, P٠٢
- Annual Report Of The Commissionar Of Indian Affairs (Washington Dc,٤٣ Congress, First Session,١٨٥٦) ,P٠٥٥٩
- Merill Edward Gates, Land And Law As Agents In Educating Indians, Annual Report Of The Secretary Of The Interio,١٨٨٥,P٠٧٧٧[(١)].

(١) أمريكا والإبادات الثقافية، (ص/٩٩ وما بعدها).

الخاتمة

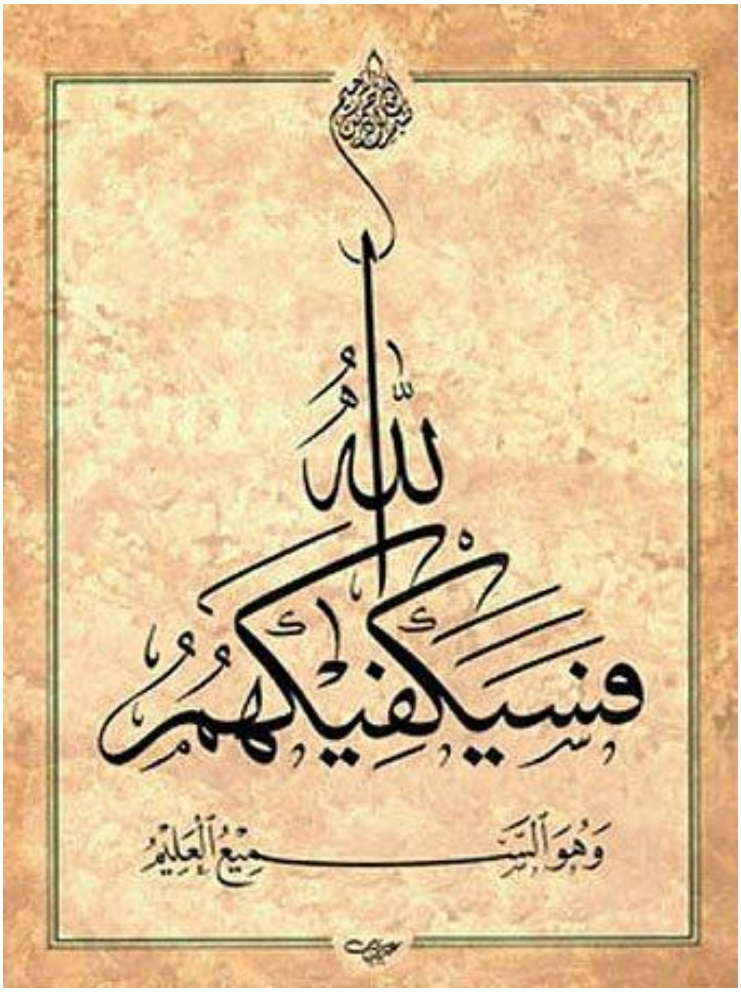
فسيكفيكهم الله
وهو السميع العليم

الخاتمة

حقيقة

الغرب الذي حارب القيم الإسلامية وخاصة في موضوع العلاقات الأسرية والعلاقة بين المرأة والرجل، بدأ يموت الآن بسبب عدم أخذه بها!!!

* شنت حركتا الاستشراق الحاقد والتبشير حرباً شعواء على القيم الإسلامية أكثر من عشرة قرون، بقصد صد الناس عن الدخول في الإسلام، وبقصد توهين علاقة المسلمين بإسلامهم ثم جعلهم لقمة سائغة للتيارات الفكرية والعقائدية المعادية للإسلام، بدءاً من حركة التنصير وانتهاءً باللادينية والإلحاد.

لقد كان الغرب ينتظر ما يرجوه ويتمناه، بأن ينحسر الإسلام في العالم.

مفاجأة

ولكن المفاجأة التي أذهلت الغرب، أن المسيحية بدأت تنحسر في المجتمعات الغربية، وبدأت هذه المجتمعات تتحول إلى اللادينية، وأن الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في الغرب وجميع أنحاء العالم.

إنها إرادة الله تعالى التي غفلوا عنها، وهو الذي قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الفتح].

* **يقول "باتريك. ج. بوكانن[1]" المفكر والسياسي الأمريكي في كتابه المهم والخطير "موت الغرب"[2]** : (في العام **١٩٩٩م عقد البابا جون بول الثاني** اجتماعاً أسقفياً للمجمع الكنسي لاستشعار نبض الإيمان في القارة القديمة، ولم تكن الأخبار طيبة، **وروى الأساقفة أن العلمانية تسمم قسماً كبيراً من المسيحيين في أوروبا، وهناك خطر عظيم من اجتثاث المسيحية ...في القارة...**

* **أقل من ١٠ ٪ من الشباب** في بلجيكا وألمانيا وفرنسا يحضرون إلى الكنيسة بانتظام. وليس هناك مدينة كبيرة في شمالي غرب أوروبا يتم فيها تعميد نصف المواليد الجدد. وفي العام /**١٩٩٩م**/ وجد استطلاع قامت به "نيوز ويك" أن **٢٩٪** من الفرنسيين لا يدينون بدين. وأن **٥٦٪** من الإنكليز يعتقدون بإله شخصي، وفي إيطاليا يحضر **١٥٪** قداس الأحد، بينما في جمهورية التشيك يكاد الحضور إلى الكنيسة في يوم الأحد لا يصل إلى **٣٪** !!!...

وقد قال الرئيس التشيكي "فاكلاف هافل" إن ما نخلقه هو أول حضارة ملحدة في تاريخ البشرية." !!!...

(١) مفكر وسياسي ترشح للرئاسة الأمريكية في عامي ١٩٩٢م و ١٩٩٦م.

(٢) انظر: موت الغرب، باتريك. ج. بوكانن، ترجمة محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م]صدر بالإنكليزية عام [٢٠٠٢م]..

واستمر **هافل** في التساؤل: "ألا تكون طبيعة حضارتنا الحالية كلها مع قصر نظرها ومع توكيدها المتكبر على الفرد الإنساني.. ومع ثقتها اللامحدودة في قدرة الإنسانية على احتضان العالم الكلي بالمعرفة العقلية ألا تكون كلها التجلي الطبيعي لظاهرة بسيطة **وهي بتعابير بسيطة تصل إلى فقدان الإله؟!!**" ولكن في الوقت الذي تنشأ فيه هذه **الحضارة الملحدة** الجديدة في أوروبا **فإن الشعوب اللازمة لإدامتها قد تبدأ تموت**. ويبدو أنه القانون الحديدي: **اقتل إيمان الأمة فيتوقف شعبها عن التوالد)** [1].

*** وما يذهل أكثر من هذا أن "بوكانن" يتنبأ بانهيار الحضارة الغربية وموتها، لظهور مؤشرات واضحة ستؤدي إلى موت الغرب، ومنها:**

١- انخفاض معدلات المواليد.

٢- انهيار الأسرة.

٣- عزوف الرجال والنساء عن الزواج وإنجاب الأطفال.

٤- طغيان الشيوع الجنسي بلا حدود.

٥- انتشار الزواج المثلي "الشذوذ الجنسي".

٦- انتشار المخدرات.

*** ويشير "بوكانن"** إلى أن انخفاض معدلات الولادات في الغرب أتى

(١) انظر: موت الغرب، باتريك.ج.بوكانن، (ص/٣٤١ وما بعدها).

نتيجة **لشيوع رؤية اجتماعية تقرر أن هدف الحياة هو اللذة** (pleasure) بكل أشكالها، **وأن مؤسسة الزواج والأسرة باتت عبئاً لا داعي له** طالما أن الشيوعية الجنسية تلبي حاجة اللذة.

* **ويتحدث عن ثقافة اللذة التي سادت في المجتمعات الغربية، فيقول:** (لقد بدأ الملايين يشعرون بأنهم غرباء في أرضهم. إنهم يصدرون عن ثقافة مشبعة بالجنس الفج وتنفخ في البوق لقيم اللذات) [1].

* ويتحدث عن **ثورة الجنس** وسقوط القيم الأخلاقية والأسرية، فيقول: (**في كتاب موت الغرب آمل أن أصف هذه الثورة؛ ماذا تعنيه، ومن أين جاءت، وكيف مضت تزيح إلهنا عن عرشه، وتدمر معابدنا، وتغير معتقداتنا، وتأسر النشء من الشباب، وبما ينذر انتصارها**. وذلك لأن هذه الثورة ليست فريدة بالنسبة لنا. لقد أمسكت بكل أمم الغرب. **إن حضارة وثقافة وإيماناً ونظاماً أخلاقياً متجذراً في ذلك الإيمان كلها تزول وتموت ويستبدل بها حضارة جديدة**، وثقافة جديدة، وإيمان جديد، ونظام أخلاقي جديد) [2].

* **ويقول:** (إذا كانت النساء قادرات على أن يكسبن أكثر كفايتهن ليكن مستقلات مالياً **فإن الزوج لا يبقى بعد ذلك أساسياً. وإذا كانت تستطيع أن**

(١) المصدر السابق، (ص/ ٢٠).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢٦ وما بعدها)

تمارس الجنس أيضاً وبدون أطفال ويصدق هذا الآن على ما يبدو على إيطاليا الكاثوليكية مثلما يصدق على بريطانيا العلمانية. فلماذا إذن تتزوج!. وإذا استطاع الاشتراكيون الأوروبيون تحرير الأزواج والزوجات والأطفال من مسؤوليات الأسرة فإنهم بذلك قد اجتنبوا الحاجة إلى الأُسَر. **وبناءً على ذلك بدأت الأسر تختفي وعندما تذهب الأُسَر تذهب أوروبا معها.** ولكن في الوقت الذي تموت فيه أوروبا فإن العالم الثالث يضيف مائة مليون نسمة) [1].

*** وقد أصبحت اللذة الحرام متاحة وسهلة، كما يوجد تسهيلات كثيرة تساعد على الاستغراق فيها حتى الثمالة والمرض.**

ويتحدث "**بوكانن**" عن هذه التسهيلات ومنها شيوع استعمال حبوب منع الحمل، وكذلك سهولة الإجهاض لمن لم يستعمل هذه الحبوب في المجتمع الأمريكي فيقول: (وبحلول عام ١٩٦٦م كانت (٦٠٠٠) عملية إجهاض تجري سنوياً.. وبحلول عام ١٩٧٠م قفز الرقم إلى مائتي ألف /٢٠٠٠٠٠/ إجهاض... وبحلول ١٩٧٣م. كانت تتم ستمائة ألف /٦٠٠٠٠٠/ عملية إجهاض...وفي غضون عقد من الزمان حلَّق عدد الإجهاضات إلى **مليون ونصف إجهاض في السنة.** وحلت الإجهاضات محل عمليات استئصال اللوزتين بوصفها أشيع عملية جراحية في أمريكا، ومنذ قرار القاضي بلاكمون **أجريت أربعون مليون عملية إجهاض في الولايات المتحدة.** إن **ثلاثين بالمائة** من مجموع حالات الحمل تنتهي على طاولة في مستوصف

(١) المصدر السابق، (ص/ ٣٥ وما بعدها)

إجهاض) [1].

*** وأمام انهيار الأسرة والزواج برزت نماذج شاذة جديدة في المجتمعات الغربية، ومنها:**

١- شيوعية الجنس وثقافة اللذة.

٢- الانتقال من الزواج إلى التساكن.

٣- ظهور العائلات المنقسمة..

أب مع أطفال بدون أم أو العكس،أو رجل وحيد أو أم وحيدة!!..

*** ويؤكد "بوكانن" أن الإعلام هو المسؤول عن هذا التردي الأخلاقي والقيمي وانتشار ثقافة اللذة وعدم الرغبة في تحمل مسؤوليات الأسرة..**

لقد تفلَّت الشباب ، وكانت شعاراتهم في أوروبا وأمريكا عام ١٩٦٨م ..

-مارس الحب، وليس الحرب.

- خذ المخدر، وانسجم، وانسحب.

*** ثم جاءت حركة النساء التي طالبت بحقوق المساواة مع الرجال** (ولا شيء أقل من المساواة التامة، وتساءلن: إذا كان الشباب يستطيعون ممارسة الاستمتاع وسوء السلوك في الجمعيات الأخوية في الكلية وفي بارات العزاب مع علاقة جنسية... **فلماذا لا نستطيع نحن؟!**. ولكن بما أن

(١) المصدر السابق، (ص/ ٦٢).

الطبيعة لم تصمم الجنسين على تلك الطريقة، وكانت نتيجة الغواية والعهر تحملها النساء على نحو غير متساو في شكل أطفال. لم يكن بد إذن من إيجاد الحلول، وقام سحر السوق بعمل الباقي. فإذا نسيت أن تأخذي الحبة أو أن مانع الحمل لم يعمل، **فإن الاختصاصي المحلي للإجهاض لن يفشل . وانهارت أحكام العقوبات القديمة ضد الزنا وتعديده)..(والخوف من وصمة العار الاجتماعية قد تم محوها بثقافة شعبية احتفت بالثورة الجنسية وصفقت للفتيات باسم متخذات الأخدان رغم الزواج)** [1].

* (ومع أواخر عام **١٩٧٣م** وزعت **"نانسي ليهمان" و"هيلين سولنجر"** بياناً جديداً للحركة بعنوان الحركة النسوية وقد أُعيد نشر ذلك البيان على نطاق واسع ونال تقريظاً واسعاً وجاء فيه: **لقد وُجد الزواج لمنفعة الرجال.** وكان طريقة أُقرت قانونياً للسيطرة على النساء.. يجب علينا أن نعمل على تدميره.. **إن نهاية مؤسسة الزواج شرط ضروري لتحرير النساء..** ولذلك فإن من المهم لنا أن نشجع النساء على ترك أزواجهن وأن لا يعشن منفردات مع رجال .. ويجب أن تعاد كتابة التاريخ كله من ناحية ظلم النساء . **يجب أن نعود إلى أديان الأنثى القديمة)** [2]. (بالنسبة إلى الحركة النسوية **فإن الزواج هو البغاء، والأسرة في أحسن أحوالها مؤسسة**

(١) المصدر السابق، (ص/ ٦٩ ومابعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٨٩).

فاشلة، وفي أسوأ أحوالها هي سجن أو مقر عبودية) [١] (ولقد كان لنجاح أفكار الحركة النسوية عواقب على بلدنا ويمكن رؤية هذه العواقب في الزيادة التي بلغت **١٠٠٠٪ في أعداد الأخدان غير المتزوجين الذين يعيشون معاً في الولايات المتحدة** . وقد قفز عددهم من /٥٢٣٠٠٠/ في العام ١٩٧٠م إلى **٥,٥ مليون اليوم**. وتفيد أيضاً تقارير إحصاءات السكان في العام **٢٠٠٠م** ولأول مرة في تاريخنا أن الأسر النووية تمثل أقل من بيت واحد ١ من كل ٤ بيوت بينما يشكل العزاب الأمريكيون الذين يعيشون منفردين الآن نسبة ٢٦ % من كل البيوت) [٢].

* **ويتحدث "بوكانن"** عن سقوط النظام الأخلاقي ويبين كيف كان الشواذ جنسياً ممقوتين في المجتمع، وكيف كان هؤلاء يشجعون تشريعياً وسياسياً وإعلامياً على نطاق واسع. ففي عهد **الرئيس كلينتون** بدأ يحضر صديقه الغلام معه إلى المناسبات الاجتماعية في البيت الأبيض، وفازت اثنتان من السحاقيات بزيارة الرئيس الأمريكي "**بل كلينتون**" ليقدم تعاطفه معهما!. (**وصارت هيلاري كلينتون أول سيدة في البيت الأبيض تمشي في نيويورك في استعراض افتخار اللوطيين**[٣]) [٤].

(١) المصدر السابق، (ص/ ٩٠).

(٢) المصدر السابق، (ص/ ٩١).

(٣) هذا الوصف لا يليق، فلا يصح أن نجعل اسم نبي من الأنبياء صفة للشاذين جنسياً، والوصف الصحيح هو أن نقول: الشاذين جنسياً.

(٤) المصدر السابق، (ص/ ٩٨).

* **ويقدم "بوكانن"** إحصائية مذهلة تعبر عن السقوط الأخلاقي، وشيوعية الجنس، وثقافة اللذة، وانهيار الأسرة، **والنتيجة حضارة تموت**، فيقول: (**ثلاث من كل أربع نساء من البيض المتزوجات كان لهن علاقة غرامية مع بلوغهن سن التاسعة عشرة**. في العام **١٩٠٠م** كان الرقم ٦٪. حالات **انتحار المراهقين** دون العشرين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في مطالع الستينيات من **١٩٦٠م، وعلامات الامتحان لطلاب الثانوية العامة هي الآن من بين أخفض العلامات في البلاد الصناعية. عدد حالات الإجهاض** في الولايات المتحدة الآن تصل إلى ١,٢-١,٤ مليون إجهاض في كل عام وهذا أعلى معدل في الغرب، منها ٤٠ أربعون مليون حالة إجهاض تمت منذ قضية "رو ضد ويد". عدد الولادات للنساء المتزوجات في الولايات المتحدة بلغ ٤ أربعة ملايين ولادة في العام **١٩٦٠م**. وهبط إلى ٢,٧ مليون ولادة في **١٩٩٦م.. معدل الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية ارتفع ٣٥٠٪ منذ العام ١٩٦٢م،** وثلث جميع الأطفال الأمريكيين يعيشون الآن في بيوت فيها أحد الوالدين فقط. مليونان من الأمريكيين تقريباً موجودون في الحجز أو السجن، و ٤,٥ مليون في فترة تجريبية أو مطلق السراح بشرط حُسن السلوك. في العام **١٩٨٠م** كان مجموع من هم في السجن والحجز خمسمائة ألف /٥٠٠٠٠٠/ نزيل. **هناك ستة ملايين مدمن مخدرات في الولايات المتحدة. في مجتمع الأمريكيين الأفارقة. ٦٩٪ من كل الولادات تتم خارج الزواج**، وثلثا الأطفال يعيشون في بيوت فيها أحد الوالدين فقط. و ٢٨,٥٪ من الأولاد يستطيعون توقع قضاء حكم في الحجز أو السجن. في المدن الكبرى أربعة من كل عشرة من الذكور السود من ذوي الأعمار بين السادسة عشرة والخامسة والثلاثين هم في الحجز أو

السجن أو هم في مدة تجريبية أو هم مطلقو السراح بشرط حسن السلوك. المخدرات مستوطنة، والأطفال لا يدرسون في مدارس الأطفال الأمناء وبضمير، يخوَّفون ويضربون والفتيات يجري التحرش بهن من أعضاء في عصابات بتكرار عال باستخدام المخدر والضرب. **هذه إحصاءات مجتمع منحط وحضارة تموت)..(لقد بدأت أوروبا تشبه الولايات المتحدة.** بين العام ١٩٦٠ والعام ٢٠٠٠م حلقت عالياً نسبة الولادات خارج الزواج في كندا من ٤٪ إلى ٣١ %، وفي المملكة المتحدة من ٥٪ إلى ٣٨٪ وفي فرنسا من ٦ % إلى ٣٦ %)[1].

* **ويتحدث "بوكانن" عن الخطر الأعظم الناتج عن سقوط القيم الأخلاقية ودمار الأسرة وانتشار ثقافة شيوعية الجنس والبحث عن اللذة، ذلك الخطر المتمثل بنقص الولادات وتراجع عدد سكان المجتمعات الغربية،** فيقول: (**الغرب يموت،** لقد توقفت أمه عن التكاثر وتوقف سكانه عن النمو وبدؤوا بالانكماش، ولم يقم منذ الموت الأسود الذي حصد أرواح ثلث سكان أوروبا في القرن الرابع عشر تهديد أخطر لبقاء الحضارة الأوروبية من هذا الخطر الماثل. **اليوم هناك سبعة عشر بلداً أوروبياً فيها جنازات دفن أكثر من احتفالات الولادة.** وهناك أكفان أكثر من المهود. والبلدان هي بلجيكا وبلغاريا وكرواتيا وجمهورية التشيك والدنمارك وإستونيا وألمانيا وهنغاريا وإيطاليا ولاتافيا وليتوانيا والبرتغال

(١) المصدر السابق، (ص/ ٣٧٢ ومابعدها).

ورومانيا وسلوفاكيا وسلوفانيا وأسبانيا وروسيا والكاثوليك والبروتستانت والأرثوذوكس.، أي **جميع ملل الإيمان المسيحي ممثلون في المسيرة العظيمة لموت الغرب)** [1].

ويقول: (في الوقت الذي تضاعف فيه عدد سكان العالم إلى ستة بلايين نسمة في غضون أربعين عاماً فقد توقفت الشعوب الأوروبية عن التكاثر. وبدأ عدد السكان بالتوقف، بل وفي العديد من البلدان بدأ عدد السكان بالهبوط. **ومن بين الأمم الأوروبية السبع والأربعين. هناك أمة واحدة فقط وهي ألبانيا المسلمة ماتزال تحتفظ في العام ٢٠٠٠م بمعدل مواليد كاف ليبقيها حية إلى أجل غير محدد. أما بقية أوروبا فقد بدأت تموت.)** [2]

ويقول: (في العام **١٩٦٠م** كان السكان المنحدرون من أصول أوروبية يشكلون ربع سكان العالم. وفي العام **٢٠٠٠** كانوا يشكلون السدس . وأما في العام **٢٠٥٠** فسوف يشكلون عشر سكان العالم. **هذه هي الإحصاءات عن جنس يتلاشى)** [3].

ويقول: (وإذا بقيت معدلات الخصوبة الحالية سارية فإن سكان أوروبا

(١) المصدر السابق، (ص/ ٢٧).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٣٢).
(٣) المصدر السابق، (ص/ ٣٣).

سوف يتناقصون إلى ٣٠٧ مليون نسمة مع نهاية القرن الحادي والعشرين وهم بذلك أقل بنسبة ٣٠٪ مما هم عليه الآن. **وسيكون مهد الحضارة الغربية قد صار قبراً لها)** [١].

* **ويتحدث عن تراجع الزواج في أمريكا،** فيقول: (في عام **١٩٧٠م** كانت نسبة ٣٦٪ فقط من النساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والرابعة والعشرين غير متزوجات. **وبحلول العام ١٩٩٥ كانت نسبة ٦٨٪ ضمن صنف لم يتزوجن مطلقاً)** [٢].

* **ويعتقد "بوكانن" أن القرن (الثاني والعشرين) هو موعد نهاية الحضارة الأوروبية** بسبب العزوف عن الزواج وشيوعية الجنس، المؤدي إلى نقص الولادات وعدد السكان، يقول: (ولكنَّ الأوروبيين بقراراتهم ألا يكون لديهم أطفال، قد قبلوا من قبل أن يكون القرن الثاني والعشرون قرناً لنهاية حضارتهم) [٣].

* **ويتحدث "بوكانن" أن الحضارات تندثر عندما تتخلى الأمم عن رسالتها وإيمانها،** فيقول: (عندما تفقد الأمم إحساسها بالمهمة الرسالة وبتكليفها من السماء وبإيمانها الذي جاء بها إلى هذا العالم بوصفها بلاداً فريدة وثقافات فريدة، فهل يكون ذلك **هو الوقت الذي تموت فيه؟** هل

(١) المصدر السابق، (ص/ ٣٥).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٨٢).
(٣) المصدر السابق، (ص/ ٢١٣).

هذا هو الوقت الذي تندثر فيه الحضارات؟... هكذا يبدو الأمر) [1].

* **ويؤكد "بوكانن" على أن الإسلام ينهض من جديد، وأن الغرب يموت**، وأن عدد المسلمين في أوروبا عام ٢٠٥٠م سيفوق عدد الأوروبيين..، يقول: (**يوم أوروبا قد انتهى والهجرات الضخمة القادمة من العالم الإسلامي سوف تغير التركيب العرقي للقارة القديمة بحيث سيكون الأوروبيين أكثر شللاً**) [2] وفي عام ٢٠٥٠م سيصبح عدد الفلسطينيين /٢٥/ مليوناً، مقابل /٧/ملايين إسرائيلي[3]. (**والآن الإشارات موجودة في كل مكان تشير إلى أن الإسلام ينهض مرة ثانية**) [4] (**وفي أوروبا تموت الصلوات الجماعية المسيحية، والكنائس تفرغ، والمساجد تمتلىء**... قد يكون الغرب تعلم مالا يعرفه الإسلام، **ولكن الإسلام يتذكر مانسيه الغرب: ليس هناك رؤية إلا بالإيمان**) [5].

رؤية

لا حلّ للمشكلات الاجتماعية الخطيرة في الغرب والعالم التي تهدد المجتمعات البشرية بالانهيار إلا بالإيمان العقلاني الذي يقدمه الإسلام، والذي ينسجم مع فطرة الإنسان وتطلعاته نحو عالم يسوده السلام والاستقرار والرقي..

(١) المصدر السابق، (ص/ ٥٢).
(٢) المصدر السابق، (ص/ ٢١٢).
(٣) المصدر السابق، (ص/ ٢٢٤ وما بعدها).
(٤) المصدر السابق، (ص/ ٢٢٧ ومابعدها).
(٥) المصدر السابق، (ص/ ٢٢٨ وما بعدها).

إن العدوان الاستشراقي الغربي سيخسر المعركة وسينتصر الإسلام..

هذا ماتشير إليه الدراسات والأبحاث المعاصرة التي أشرنا إلى بعضها، وهذا مابشرنا به الله تعالى في القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربع مئة عام، فقال: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[سورة التوبة].

وإذا بقيت بعض الشظايا من الفكر الاستشراقي تنشر شيئاً من الفكر المنحرف والمشوه في مجتمعاتنا الإسلامية، على يد فئة قليلة جداً من أبناء الأمة الذين لايقرؤون الإسلام من مصادره النقية، ولا يبذلون الجهد لمعرفة حقائق الإسلام، ويصرون على معرفة الإسلام من المصادر الاستشراقية المعادية، فإن أفكارهم المهزومة لن تغني عن الحق شيئاً...

إضاءة

إن حركة التبشير أعلنت إفلاسها..، وإذا كنت حركة التبشير حققت نتائج هزيلة جداً في بعض البيئات الإسلامية المتخلفة تعليمياً وثقافياً واجتماعياً، فإن الإسلام يحقق انتشاراً واسعاً في البيئات المتعلمة والمثقفة في العالم الغربي خاصة، وفي بيئات مختلفة على مستوى العالم...

* * *

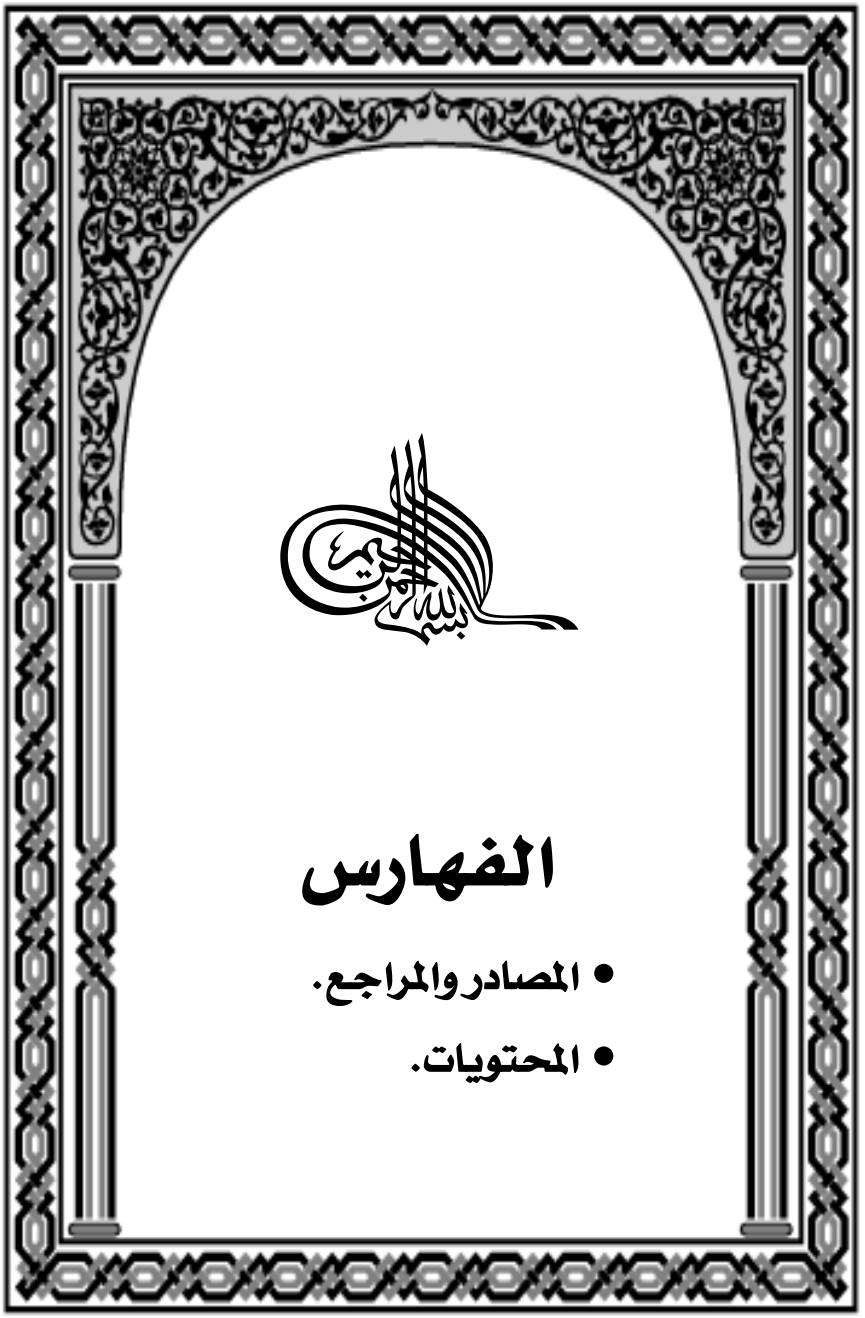

الفهارس

- المصادر والمراجع.
- المحتويات.

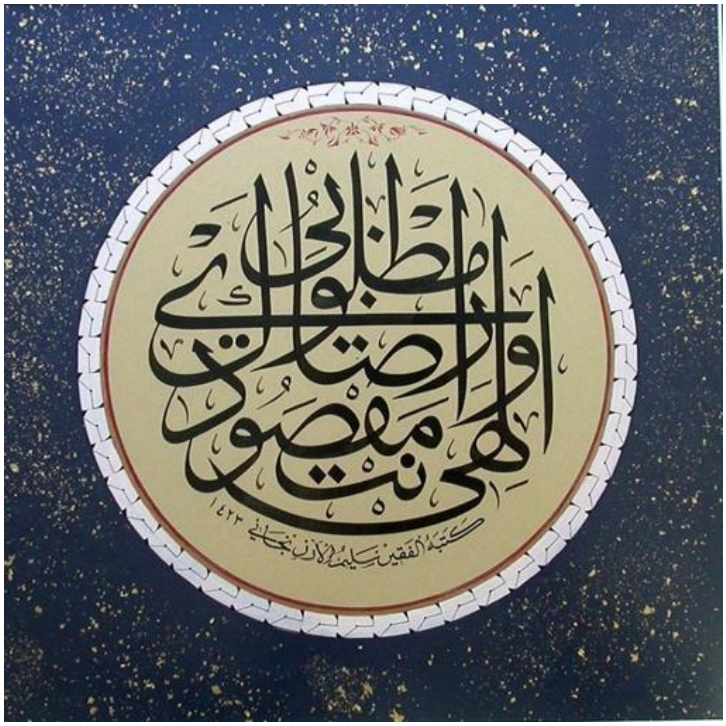
كتبه الفقير سليم الأزن بحماه ١٤٢٣

فهرس المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم.**

(٢) **الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي المعاصر**، د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، (ب-ت).

(٣) **آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية** ، د.محمد خليفة حسن أحمد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية- القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٧م].

(٤) **احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام**، د.سعد الدين سيد صالح، مكتبة التابعين- القاهرة، الطبعة السابعة [٢٠٠٠م].

(٥) **الإذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب**، د.أكرم شلبي، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٩١م].

(٦) **الإرساليات التبشيرية**، د.عبد الجليل شلبي، منشأة المعارف – القاهرة.

(٧) **أسباب النزول**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الإيمان–القاهرة، الطبعة الأولى[١٤١٧هـ-١٩٩٦م].

(٨) **استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي**، د.محمد عمارة، مركز دراسات العالم الإسلامي-مالطة، [١٩٩٢م].

(٩) **الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين**، مصطفى المسلاتي، دار اقرأ، الطبعة الأولى [١٩٨٦م].

(١٠) **الاستشراق بين الحقيقة والتضليل**، د.إسماعيل علي محمد، الطبعة الثالثة [١٤٢١هـ-٢٠٠٠م]، ب.د.

(١١) **الاستشراق رسالة الاستعمار**، محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي – القاهرة، [١٩٩٣م].

(١٢) **الاستشراق في السيرة النبوية**، دراسة تاريخية لآراء (وات- بروكلمان- فلهاوزن) مقارنة بالرؤية الإسلامية، تأليف: عبد الله محمد الأمين النعيم،

الطبعة الأولى، المعهد العالي للفكر الإسلامي-فيرجينيا-الولايات المتحدة الأمريكية،[١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(١٣) **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي**، مازن مطبقاني، الرياض، [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

(١٤) **الاستشراق والتبشير وأثرهما على دعاة التنوير في الشرق الإسلامي**، د.صلاح أحمد السيد أبو زيد، الطبعة الأولى [٢٠٠١م].

(١٥) **الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية**، د.إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي – القاهرة، (ب.ت).

(١٦) **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**،**د.** محمود حمدي زقزوق، سلسلة كتاب الأمة، الطبعة الثانية قطر- [١٤٠٤هـ].

(١٧) **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، أ.د.عبد القهار العاني، دار الفرقان – عمان، الطبعة الأولى [١٤٢١هـ-٢٠٠١م].

(١٨) **الاستشراق والدراسات الإسلامية**، أ.د.علي الحمد النملة، مكتبة التوبة – الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٨هـ-١٩٩٨م].

(١٩) **الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي**، د.محمد ياسين عربي، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط – المغرب، الطبعة الأولى [١٩٩١م].

(٢٠) **الاستشراق وجه للاستعمار الفكري**، د.عبد المتعال محمد جبري، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

(٢١) **الاستشراق**، إدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية- بيروت، [١٩٨١م].

(٢٢) **الإسلام اليوم**، مارسيل بوازار، المؤسسة العربية للدراسات – بيروت، [١٩٨٦م].

(٢٣) **الإسلام دعوة تحرير**، المجلس الأوروبي، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٨٧م].

(٢٤) **الإسلام دين المستقبل**، رجاء غارودي، ترجمة: نزيه الحكيم، دار الوثبة- دمشق، د.ت.

(٢٥) **الإسلام عام ٢٠٠٠**، مراد ويلفريد هوفمان، تعريب: عادل المعلم، مكتبة العبيكان-الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م].

(٢٦) **الإسلام على مفترق الطرق**، محمد أسد، ترجمة: د.عمر فروخ، مكتبة المنار – الكويت، الطبعة السابعة [١٩٧٤م].

(٢٧) **الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود**، د. مراد هوفمان، دار الشروق – القاهرة ، الطبعة الأولى [٢٠٠١م].

(٢٨) **الإسلام في تصورات الغرب**، محمود حمدي زقزوق، مكتبة وهبه – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٠٧هـ-١٩٨٧م].

(٢٩) **الإسلام في عيون غربية منصفة**، الحسين معدي، دار الكتاب العربي – دمشق، الطبعة الأولى [٢٠٠٦م].

(٣٠) **الإسلام في قفص الاتهام**، د. شوقي أبو خليل، دار الفكر – دمشق، الطبعة الخامسة، [١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.]

(٣١) **الإسلام في مواجهة أخطار التبشير**، د.عبد الفتاح محمد سيد أحمد، دار طيبة – القاهرة، الطبعة الأولى [٢٠٠١م].

(٣٢) **الإسلام في مواجهة التحديات**، د.محمد رأفت سعيد، دار الوفاء-المنصورة، الطبعة الأولى [١٩٨٧م].

(٣٣) **الإسلام في وجه التغريب**، أنور الجندي، القاهرة، (ب-ت).

(٣٤) **الإسلام والآخر. من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟**، د.محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، (ب،ت)،(ب،ط).

(٣٥) **الإسلام والحضارة الغربية**، محمد محمد حسين، الطبعة الخامسة – بيروت، [١٤٠٢هـ-١٩٨٢م].

(٣٦) **الإسلام والرأسمالية**، مكسيم رودنسون، ترجمة: نزيه الحكيم- بيروت [١٩٦٨م].

(٣٧) **الإسلام والغرب – صراع في زمن العولمة**، مجموعة من كتاب العربي، منشورات مجلة العربي – الكويت، الطبعة الأولى [٢٠٠٢م].

(٣٨) **الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم،** أليكس جوارفسكي، ترجمة: د.خلف محمد الجراد، دار الفكر – دمشق، الطبعة الثانية [٢٠٠٠م].

(٣٩) **الإسلام والوجه الآخر للفكر الغربي،** د.عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الآولى [١٩٩٧م].

(٤٠) **الإسلام يتحدى،** وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الله خان، المختار الإسلامي-القاهرة، الطبعة السادسة، [١٩٧٦م].

(٤١) **الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين،** أبو الحسن الندوي، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٨٦م].

(٤٢) **الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ ،** محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان، الطبعة الأولى [٢٠١٧م].

(٤٣) **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها،** إدوارد جيبون، ترجمة: محمد سليم سالم، الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة، الطبعة الثانية، [١٩٩٧م].

(٤٤) **أضواء على مواقف المستشرقين والمبشرين،** د.شوقي أبو خليل، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية-ليبيا، [١٩٩١م].

(٤٥) **أطفال الشوارع،** محمد سيد فهمي، المكتب الجامعي الحديث – مصر، الطبعة الأولى [٢٠٠٠م].

(٤٦) **أطفال بلا أُسر،** أنسي محمد أحمد قاسم، مركز الإسكندرية للكتاب – مصر، [١٩٩٨م].

(٤٧) **أطفال بلا أُسر،** عبد الله بن ناصر، دار الفكر العربي – بيروت [١٩٩٩م].

(٤٨) **الإمام الزهري وأثره في السنة،** د.حارث سليمان الضاري، مطابع جامعة الموصل، [١٩٨٥م]

(٤٩) **أمريكا والإبادات الثقافية،** منير العكش، دار الريس للكتب والنشر-بيروت، الطبعة الأولى.

(٥٠) **أمريكا والإبادات الجنسية**، منير العكش، رياض الريس للكتب والنشر- لندن، الطبعة الأولى، [٢٠١٢م].

(٥١) **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث**، مالك بن نبي، دار الإرشاد بيروت، الطبعة الأولى [١٣٨٨هـ-١٩٦٩م].

(٥٢) **الانحراف العقدي في آداب الحداثة وفكرها**، سعيد بن ناصر الغامدي، دار الأندلس الخضراء – جدة، الطبعة الثانية [١٤٢٥هـ].

(٥٣) **إنسانية الإسلام**، مارسيل بوازار، ترجمة: د.عفيف دمشقية، دار الآداب- بيروت، الطبعة الثانية [١٩٨٥م].

(٥٤) **أهداف التغريب في العالم الإسلامي**، أنور الجندي، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر- القاهرة، (ب-ت).

(٥٥) **أوروبا والإسلام**، د.عبد الحليم محمود، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الرابعة.

(٥٦) **أوروبا والتخلف في أفريقية**، والتر رودني، ترجمة: د.أحمد القصير، سلسلة عالم المعرفة – الكويت، [١٩٩٨م].

(٥٧) **بحث جديد عن القرآن**، محمد صبيح، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثامنة، [١٩٨٣م].

(٥٨) **بحوث في الاستشراق واللغة**، أ.د.إسماعيل أحمد عمايرة، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٦م].

(٥٩) **التاريخ الإسلامي**، جمال الدين الشيال، دار الثقافة-بيروت-د.ت.

(٦٠) **تاريخ الدولة العربية من منظور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، يوليوس فلهاوزن، ترجمة:د.محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التأليف والنشر-القاهرة، الطبعة الثانية، [١٩٦٨م].

(٦١) **تاريخ الشعوب الإسلامية**، كارل بروكلمان، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الرابعة، [١٩٦٥م].

(٦٢) **تاريخ العلم والإنسية الجديدة**، جورج سارتون، ترجمة: إسماعيل مظهر، دار النهضة المصرية-القاهرة، د.ت.

(٦٣) **تاريخ حركة الاستشراق**، يوهان فوك، ترجمة: عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي – ليبيا، الطبعة الثانية [٢٠٠١م].

(٦٤) **التبشير جهوده وآثاره في العالم الإسلامي**، د.سعيد محمد إسماعيل الصاوي، مكتبة الأزهر الحديثة- طنطا، (ب-ت).

(٦٥) **التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية**، د. أحمد سعد الدين البساطي، دار أبو المجد – القاهرة، [١٤٠٩هـ-١٩٨٩م].

(٦٦) **التبشير والاستشراق خططاً ومنهجاً وتطبيقاً**، د.عبد الله عبد الحي محمد، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٨٥م].

(٦٧) **التبشير والاستشراق**، محمد عزت الطهطاوي، مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة [١٣٩٧هـ-١٩٧٧م].

(٦٨) **التبشير والاستعمار أحقاد وحملات على النبي محمد ﷺ وبلاد الإسلام**، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، الزهراء للإعلام العربي – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٩١م].

(٦٩) **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، د.مصطفى خالدي، ود.عمر فرّوخ، منشورات المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة الخامسة [١٩٧٥م].

(٧٠) **التبشير وقوى الاستنارة في مصر**، د.عبد الرحمن جيرة، مطبعة رشوان - القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٩م].

(٧١) **التبصير بمكائد الاستشراق والتبشير**، د.رشدي أبو شبانة علي الرشيدي، [١٩٩٧م].

(٧٢) **تحليل نقدي للدراسات الإسلامية في جامعات أمريكا الشمالية**، إعداد لجنة الدراسات الشرقية المنبثقة عن ندوة الشباب الإسلامي، طرابلس – ليبيا، تموز-١٩٧٣م، ترجمة: مازن مطبقاني.

(٧٣) **تراث الإسلام**، مجموعة من المستشرقين بمشاركة وإشراف توماس آرنولد، ترجمة: جرجيس فتح الله، دار الطليعة – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٧٨م].

(٧٤) **تعدد نساء الأنبياء**، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة- القاهرة،الطبعة الأولى [١٤٠٩هـ-٢٠٠٢م].

(٧٥) **تعقيبات على الاستشراق**، إدوارد سعيد، ترجمة: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٦م].

(٧٦) **تفسير الطبري**. جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والتوزيع والنشر والإعلان–القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢٢هـ–٢٠٠١م].

(٧٧) **تفسير الفخر الرازي**. المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي فخر الدين، المتوفى سنة:٦٠٤هـ، دار الفكر–بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠١هـ–١٩٨١م].

(٧٨) **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى سنة: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية، [١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م].

(٧٩) **تفسير القرطبي**. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المتوفى سنة: ٦٧١هـ، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة –لبنان، الطبعة الأولى١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

(٨٠) **التنصير حقيقته وطرق مواجهته**، د.حسين محمد عبد المطلب، مطبعة دار الهلال – أسيوط، القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٩٩م].

(٨١) **التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي**، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة "جلين آيري" بولاية "كولورادو" في الولايات المتحدة الأمريكية سنة [١٩٧٨م] تحرير "دون ماكري" والذي نشرته بالإنكليزية دار "marc" عام [١٩٧٩م]، الطبعة العربية الأولى ترجمها وطبعها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن.

(٨٢) **التنصير مفهومة وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته**، د.علي إبرهيم النملة، دار الصحوة–القاهرة، [١٩٩٣].

(٨٣) **التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء**،د.عبد العزيز الكحلوت، منشورات كلية الدعوة الإسلامية – طرابلس – ليبيا، الطبعة الثانية، [١٩٩٢م].

(٨٤) **التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي**، د.عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى [١٩٩٣م].

(٨٥) **التوجه الأوروبي إلى العرب والإسلام حقيقة قادمة وخطر محتوم**، زيغريد هونكه، ترجمة:د.هاني صالح، مؤسسة الإيمان –بيروت، دار الرشيد – بيروت،الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(٨٦) **التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها**، محمود محمد مزروعة، دار الرضا – مصر، الطبعة الأولى [١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م].

(٨٧) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى [١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م]

(٨٨) **ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات**، موسى الإبراهيم، دار عمار – عمان-الأردن، الطبعة الأولى [٢٠٠١م].

(٨٩) **ثورة الفكر**، د.لويس عوض، مركز الأهرام للترجمة والنشر.

(٩٠) **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى [١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م]

(٩١) **جامع الترمذي**، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض.

(٩٢) **جامع بيان العلم وفضله**، يوسف بن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت، [١٩٧٨م]

(٩٣) **حاضر العالم الإسلامي**، لوثروب ستودارد، دار الفكر، الطبعة الرابعة [١٩٧٣م].

(٩٤) **الحركة الصليبية**، د.سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو مصرية- القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٦٣م].

(٩٥) **حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام**، أنور الجندي، دار الأنصار – القاهرة.

(٩٦) **الحروب الصليبية في شمال أفريقية وأثرها الحضاري**، د. ممدوح حسين، دار عمار للنشر- الأردن، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(٩٧) **حصوننا مهددة من داخلها**، د.محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة السادسة [١٤٠١هـ-١٩٨١م].

(٩٨) **حضارة العرب**، غوستاف لوبون، ترجمةعادل زعيتر،دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الثالثة [١٩٩٧م].

(٩٩) **الحضارة العربية**، جاك ريسلر، ترجمة: غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

(١٠٠) **حفريات الاستشراق في نقد العقل الاستشراقي**، سالم يفوث، المركز الثقافي العربي – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٨٩م].

(١٠١) **حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين**، مجموعة من المؤلفين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة، [١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م].

(١٠٢) **حقائق عن التبشير**، عماد شرف، المختار الإسلامي – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٧٥م].

(١٠٣) **حقيقة الاستشراق وخطورة التبشير**، د.محمد عبد العال الحناوي، الطبعة الأولى، [١٩٩٨م].

(١٠٤) **حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر**، أحمد عبد الوهاب- مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٨١م].

(١٠٥) **حكمة الأديان**، جوزيف كاير، ترجمة: حسين كيلاني، دار الحياة - بيروت- د.ت.

(١٠٦) **حياة محمد**، إميل درمنغم، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب، الطبعة الثانية [١٩٤٩م].

(١٠٧) **حياة محمد**، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة، الطبعة الخامسة عشرة [١٩٦٨م].

(١٠٨) **خصائص الرسالة الإسلامية**، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان – دمشق، الطبعة الأولى، [٢٠١٥م].

(١٠٩) **دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية –أضاليل وأباطيل**، د.إبراهيم عوض مكتبة البلد الأمين– القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٩هـ–١٩٩٨م].

(١١٠) **دائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة: محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، دار المعرفة – بيروت، د.ت.

(١١١) **دراسات في الحديث النبوي**، د.مصطفى الأعظمي، طبعة جامعة الرياض.

(١١٢) **دراسات في السيرة النبوية**، محمد سرور زين العابدين، دار الأرقم – برمنغهام – بريطانية، الطبعة الثانية، [١٩٨٨م].

(١١٣) **دراسات في حضارة الإسلام**، هاملتون جب، ترجمة:د.إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين–بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٧٩م].

(١١٤) **دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، د.موريس بوكاي، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الرابعة [١٩٧٧م].

(١١٥) **الدعوة إلى الإسلام**، سير توماس.و. آرنولد، ترجمة:حسن إبراهيم حسن، وإسماعيل النحلاوي، ود.عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية–القاهرة، الطبعة الثالثة[١٩٧٠م].

(١١٦) **دعوة تجديد الإسلام**، هاملتون جب، دار الوثبة – دمشق، د.ت.

(١١٧) **دفاع عن الإسلام**، الدكتورة لورا فيشيا فاغليري، ترجمة: منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٦٠م].

(١١٨) **دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين والكتاب المعاصرين**، د.محمد أبو شهبة، مكتبة السنة–القاهرة، [١٩٨٩م].

(١١٩) **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين**، الشيخ محمد الغزالي، نهضة مصر–القاهرة، الطبعة السابعة [٢٠٠٥م].

(١٢٠) **دمعة على حب النبي**، عبد الله بن صالح الخضيري، سلسلة كتاب البيان، الطبعة الأولى [٢٠٠٦م].

(١٢١) **دواعي الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين**، د.جميل المصري، دار القلم – دمشق، ب.ت.

(١٢٢) **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج** للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ) تحقيق: أبو إسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان- السعودية، الطبعة الأولى [١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م]

(١٢٣) **الرب والله وجوجو(الأديان في أفريقيا المعاصرة)**، جاك مندلسون، ترجمة: إبراهيم أسعد، دار المعارف – القاهرة.

(١٢٤) **رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله**، موسى البسيط، وزارة الشؤون الإسلامية – السعودية.

(١٢٥) **الرد على المستشرق اليهودي إينياس جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية**، د.محمد حسن جبل، الطبعة الثانية [١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م].

(١٢٦) **الرد على كتاب جورج بوش (حياة محمد)**،السيد حامد السيد علي، ب.د، ب.ت.

(١٢٧) **رد مفتريات على الإسلام**، د.عبد الجليل شلبي، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى [١٩٨٢م].

(١٢٨) **رسالة في اللاهوت والسياسية**، باروخ إسبينوزا، ترجمة:د.حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة، [١٩٧١م].

(١٢٩) **رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم**، د.عبد الفتاح شبلي، دار المنارة – جدة، ب.ت.

(١٣٠) **الرسول – حياة محمد**، تأليف:ر.ف.بودلي، ترجمة: محمد محمد فرج و عبد الحميد جودة السحار،مكتبة مصر،د.ت.

(١٣١) **الرسول في كتابات المستشرقين**، نذير حمدان، دار المنارة الطبعة الثانية، [١٤٠٦هـ-١٩٨٦م].

(١٣٢) **رؤية إسلامية للاستشراق**، د.أحمد عبد الحميد غراب، دار الأصالة – الرياض، الطبعة الأولى [١٩٨٨م].

(١٣٣) **رياح السموم التي هبت على الفكر الإسلامي**، أنور الجندي، دار الاعتصام – القاهرة، (ب– ت).

(١٣٤) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة الثالثة، [١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م]

(١٣٥) **سبع معارك فاصلة في التاريخ**، جوزيف داهموس، ترجمة: محمد فهمي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة [١٩٨٩م].

(١٣٦) **سر إسلام رواد الفكر الحر في أوروبا وعلماء الدين المسيحي الأجلاء**، محمد عبد العظيم علي، دار المنارة – المنصورة– القاهرة، الطبعة الأولى [٢٠٠٢م].

(١٣٧) **سر إسلامي، لماذا اخترت الإسلام ديناً**، محمد فؤاد الهاشمي، دار الحرية (ب–ت، ب–د).

(١٣٨) **السلوك الانحرافي في إطار التقدم والتخلف**، جميل خليل، المكتب الجامعي الحديث–الإسكندرية، [١٩٩٨م].

(١٣٩) **سموم الاستشراق في العلوم الإسلامية**.، أنور الجندي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية [١٤٠٥هـ–١٩٨٥م].

(١٤٠) **سنة ٥٠١ الغزو مستمر**، نعوم تشومسكي، ترجمة: مي النبهان، دار المدى–دمشق، الطبعة الأولى [١٩٩٦م].

(١٤١) **السنة قبل التدوين**، د.محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، الطبعة الثالثة، [١٩٨٠م]

(١٤٢) **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، د.مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، [١٩٧٨م]

(١٤٣) **سنن ابن ماجه**، تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، المتوفى سنة:٢٧٣هـ، بيت الأفكار الدولية – الرياض .

(١٤٤) **سيرة ابن هشام** ،عبد الملك بن هشام ، تحقيق :مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، دار المعرفة –بيروت ،د.ط/د.ت..

(١٤٥) **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**، لعلي بن برهان الدين الحلبي، المتوفى سنة: ١٠٤٤هـ ، دار المعرفة–بيروت، [١٤٠٠هـ].

(١٤٦) **السيرة النبوية دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن**، تأليف د.أحمد أبو زيد، إصدار المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع دار التقريب في بيروت، الطبعة الأولى، [٢٠٠٤م].

(١٤٧) **السيرة النبوية وأوهام المستشرقين**، د.عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة–القاهرة.

(١٤٨) **السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون**، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، تحقيق: عبد المتعال محمد الجبري، دار الدعوة–الإسكندرية ، الطبعة الأولى، [١٤١٤هـ–١٩٩٤م].

(١٤٩) **شبهات حول الإسلام**، محمد قطب، دار الشروق–القاهرة، الطبعة الرابعة عشرة.

(١٥٠) **شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول**، محمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي – دمشق [١٤٠٠هـ–١٩٨٠م].

(١٥١) **شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها**، محمد متولي شعراوي، إعداد عبد القادر العطا، مكتبة التراث الإسلامي–القاهرة،ب.ت.

(١٥٢) **شمس العرب تسطع على الغرب**، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون وكمال الدسوقي، دار الآفاق الجديدة – المغرب، الطبعة التاسعة [١٩٩١م].

(١٥٣) **الشيوعية والإنسانية**، عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية–بيروت،د.ت.

(١٥٤) **صحيح البخاري**، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض[١٤١٩هـ–١٩٩٨م] .

(١٥٥) **صحيح مسلم**، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر – الرياض [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].

(١٥٦) **صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية)**، ترجمة: ثابت عيد، نهضة مصر [١٩٩٩م].

(١٥٧) **صيحة تحذير من دعاة التنصير**، محمد الغزالي، نهضة مصر – القاهرة، الطبعة الثانية [٢٠٠٢م].

(١٥٨) **الطبقات الكبير**، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، (ت:٢٣٠هـ)، تحقيق: د.علي محمد عمر، مكتبة الخانجي-القاهرة.

(١٥٩) **الطريق إلى الإسلام**، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة الخامسة [١٩٧٧م].

(١٦٠) **الطلاق في الإسلام**، مولانا محمد علي، ترجمة: حبيبة يكن، منشورات المكتبة العصرية – بيروت

(١٦١) **ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها**، د.محمد فتح الله الزيادي، المنشأة العامة للنشر –طرابلس ليبيا، الطبعة الأولى [١٣٩٢هـ-١٩٨٣م].

(١٦٢) **العقيدة والشريعة في الإسلام**، إينياس جولد تزيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى ورفاقه، دار الرائد العربي – بيروت، [١٩٤٦م].

(١٦٣) **علماء الغرب يدخلون الإسلام**، محمد حلمي، النهضة العربية للصحافة – القاهرة، الطبعة الأولى، [١٩٩٤م].

(١٦٤) **علوم الحديث ومصطلحه**، د.صبحي الصالح، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، [١٩٦٦م].

(١٦٥) **العمل التنصيري في العالم العربي**، عبد الفتاح إسماعيل غراب، مكتبة البدر، [٢٠٠٧م]،(ب-د).

(١٦٦) **الغارة على العالم الإسلامي**، تأليف: أ.ل.شاتليه، لخصها ونقلها إلى العربية: مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث-جدة، الطبعة الثانية [١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م].

(١٦٧) **الفتوحات الإسلامية**، جوزيف رينو، ترجمة: د.إسماعيل العربي، دار الحداثة – الجزائر، الطبعة الأولى [١٩٨٤م].

(١٦٨) **الفرق والمذاهب المسيحية – دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية**، سعد رستم، الأوائل – دمشق، الطبعة الثانية [٢٠٠٥م].

(١٦٩) **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، د.محمد البهي، الطبعة السادسة، دار الفكر-بيروت، [١٩٧٣م].

(١٧٠) **قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، جلال العالم، الطبعة الثانية، [١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م].

(١٧١) **قالوا عن الإسلام**، د.عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض، الطبعة الأولى [١٤١٢هـ-١٩٩٢م].

(١٧٢) **قراءة نقدية في السيرة النبوية** ، أصلان عبد السلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، [١٩٨٩م].

(١٧٣) **القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي**، د.محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م].

(١٧٤) **قصة الحضارة**، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل – بيروت، د.ت.

(١٧٥) **القضايا الكبرى**، مالك بن نبي، دار الفكر-دمشق، الطبعة الأولى، [١٩٩١م].

(١٧٦) **قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة**، الشيخ محمد الغزالي، دار الشروق القاهرة.د.ت

(١٧٧) **قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية**، د.فضل حسن عباس، دار البشير – عمان، الطبعة الثانية [١٤١٠هـ].

(١٧٨) **قوى الشر المتحالفة (الاستشراق- التبشير- الاستعمار)**، محمد محمد الدهان، دار الوفاء، المنصورة-القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٨٦م].

(١٧٩) **كتاب القرآن الكريم (دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريلفي مدينة لايدن بهولندا)**، إصدار المنظمة

الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع دار التقريب–بيروت، الطبعة الأولى [٢٠٠٣م] .

(١٨٠) **الكتاب المقدس**، إصدار دار المشرق، الطبعة الرابعة، [١٩٩٧م].

(١٨١) **الكتاب المقدس**، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، (ب– ت)، (ب– د).

(١٨٢) **كنيسة بلا أسوار**، القس عزت شاكر، الكنيسة الإنجيلية بمصر الجديدة – القاهرة، طبعة [٢٠٠٠م].

(١٨٣) **كيف نفهم الإسلام**، فريتجوف شيون، ترجمة د.عفيف دمشقية، دار الآداب – بيروت، الطبعة الثانية [١٩٨٢م].

(١٨٤) **لباب النقول في أسباب النزول**، الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٨٤٩–٩١١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، [١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م].

(١٨٥) **لبنان في التاريخ**، فيليب حتي، ترجمة أنيس فريحة، لاتفاصيل.

(١٨٦) **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.

(١٨٧) **لماذا أسلمت**، روجيه غارودي، إعداد محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن – القاهرة ب.ت.

(١٨٨) **لماذا يخافون الإسلام**، د. عبد الودود شلبي، دار الاعتصام– القاهرة،ب.ت..

(١٨٩) **لماذا يكرهونه–الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام ﷺ**، د.باسم الخفاجي، سلسلة كتاب البيان – الرياض، الطبعة الأولى [٢٠٠٦م].

(١٩٠) **الله ليس كذلك، ريغريد هونكه**، ترجمة:د.غريب محمد غريب، دار الشروق – القاهرة، الطبعة الثانية [١٩٩٦م].

(١٩١) **لويس ماسينيون**، جان موريون، ترجمة: منى النجار، المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت، الطبعة الأولى [١٩٨١م].

(١٩٢) **مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي**، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان- دمشق، الطبعة الأولى، [١٤٣٣هـ-٢٠١٢م].

(١٩٣) **مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية**، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني دار أفنان- دمشق، الطبعة الأولى، [١٤٣٤هـ-٢٠١٤م].،

(١٩٤) **المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام**، د.محمد البهي، القاهرة. (ب-ت)، (ب،د).

(١٩٥) **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، يوسف بن حسن بن عبد الهادي المبرد (المتوفى : ٩٠٩هـ)، تحقيق : عبد العزيز بن محمد ابن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، [١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م].

(١٩٦) **المحكم والمحيط الأعظم**، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المتوفى سنة: ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، [٢٠٠٠م]

(١٩٧) **محمد ﷺ بين الحقيقة والافتراء**، د.محمد أبو ليلة، دار النشر للجامعات – القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٩٩م].

(١٩٨) **محمد رسول الله**، ناصر الدين دينيه وسليمان بن إبراهيم، ترجمة:د.عبد الحليم محمود، ود. محمد عبد الحليم محمود، دار المعارف – مصر [١٩٦٦م].

(١٩٩) **محمد في الكتاب المقدس**، البروفسور عبد الأحد داود، ترجمة: فهمي شما، دار الضياء-قطر [١٩٨٥م].

(٢٠٠) **محمد في المدينة**، مونتغمري وات، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية- بيروت، د.ت.

(٢٠١) **محمد في مكة**، مونتغمري وات، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية- بيروت، د.ت.

(٢٠٢) **مخططات التبشير والاستشراق**، أنور الجندي، دار الاعتصام – القاهرة، (ب-ت).

(٢٠٣) **مدخل إلى القرآن الكريم**، د.محمد عبد الله الدراز، دار القلم-بيروت، الطبعة الثانية[١٩٧٢م].

(٢٠٤) **مذاهب التفسير الإسلامي**، إينياس جولد تزيهر، ترجمة: عبد الحليم النجار، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة [١٣٧٤هـ].

(٢٠٥) **المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم**، د.عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الثانية، [١٤٠٤هـ-١٩٨٣م].

(٢٠٦) **المرأة في التصور الإسلامي**، عبد المتعال محمد الجبري، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة السادسة، [١٤٠٣هـ-١٩٨٣م].

(٢٠٧) **المرأة في القرآن والسنة**، محمد عزة دروزة، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الثانية، [١٤٠٠هـ-١٩٨٠م].

(٢٠٨) **مراجعات في الفكر والعمل الدعوي**، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني،دار العصماء - دمشق، الطبعة الأولى، [١٤٣٤هـ-٢٠١٤م].

(٢٠٩) **المستدرك على الصحيحين** ،للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].

(٢١٠) **مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجمعيون)**، نذير حمدان، مكتبة الصديق – الطائف، الطبعة الأولى [١٩٨٨م].

(٢١١) **المستشرقون والإسلام**، زكريا هاشم زكريا، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة [١٣٨٥هـ-١٩٦٥م].

(٢١٢) **المستشرقون والتراث**، د.عبد العظيم الديب، دار الوفاء-المنصورة – مصر، الطبعة الثالثة [١٩٩٢م].

(٢١٣) **المستشرقون والحديث النبوي** ،د.محمد بهاء الدين، دار الفجر، دار النفائس-القاهرة، الطبعة الأولى [١٤٢٠هـ-١٩٩٩م].

(٢١٤) **المستشرقون والسيرة النبوية**، د.عماد الدين خليل، دار الثقافة الدوحة [١٩٨٩م].

(٢١٥) **المستشرقون والقرآن الكريم**، د.محمد أمين حسن محمد بني عامر، دار الأمل للنشر، الأردن – إربد، الطبعة الأولى [٢٠٠٤م].

(٢١٦) **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، محمد صالح البنداق، دار الآفاق الجديدة – بيروت، [١٩٨٠م].

(٢١٧) **المستشرقون ومشكلات الحضارة**، د.عفاف صبرة، دار النهضة العربية – القاهرة [١٩٨٥م].

(٢١٨) **المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي**، طارق سرى، مكتبة النافذة- مصر، الطبعة الأولى [٢٠٠٦م].

(٢١٩) **المستشرقون**، د.نجيب العقيقي، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الرابعة، د.ت.

(٢٢٠) **مسند أبي يعلى**، لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى.[١٤٠٤ هـ– ١٩٨٤م].

(٢٢١) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق : الشيخ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].

(٢٢٢) **المسيحية والسيف**. وثائق إبادة هنود القارة الأمريكية، تأليف المطران: برتولومي دي لاس كازاس، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.

(٢٢٣) **معركة التبشير والإسلام**، د.عبد الجليل شلبي، مؤسسة الخليج، الطبعة الأولى [١٩٨٩م].

(٢٢٤) **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، تأليف: أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى [١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م] .

(٢٢٥) **مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية**، سالم البهنساوي، دار القلم.

(٢٢٦) **مكانة المرأة بين المسيحية والإسلام**، سعدية أبو رزيزة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى – مكة المكرمة، العام الدراسي[١٤٠٧هـ-١٤٠٨هـ].

(٢٢٧) **من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان**، أسماء الجهيني، دار الهدى- الجزائر، د.ت.

(٢٢٨) **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار بن خلدون الإسكندرية

(٢٢٩) **مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية**، مجموعة من المؤلفين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم-تونس، ب.ت.

(٢٣٠) **المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي**، د.عبد العظيم الديب، سلسلة كتاب الأمة-قطر، الطبعة الأولى [١٤١١هـ].

(٢٣١) **المؤامرة على التعليم والتعلم**، نقابة المعلمين، دار الوفاء – المنصورة-القاهرة، (ب-ت).

(٢٣٢) **المؤامرة على المرأة المسلمة**، السيد أحمد فرج، دار الوفاء، المنصورة – القاهرة، [١٩٨٦م].

(٢٣٣) **موت الغرب**، باتريك.ج.بوكانن، ترجمة: محمد محمود التوبة، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى [١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م]، صدر بالإنكليزية عام [٢٠٠٣م].

(٢٣٤) **مؤسسات الاستشراق والسياسات الغربية تجاه العرب والمسلمين**، عبد الله سهر محمد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد [٥٧]، الطبعة الأولى [٢٠٠١م].

(٢٣٥) **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت

(٢٣٦) **موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام**، د.عدنان بن محمد بن عبد العزيز الوزان، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الأولى، [١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م].

(٢٣٧) **موسوعة فقه الدعوة والحياة**، الجزء الثاني، كمال رحمته ﷺ، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني،دار العصماء، الطبعة الثانية، [١٤٣٣هـ-٢٠١١م].

(٢٣٨) **موقف الغرب من الإسلام محاصرة وإبادة**، زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي – دمشق، الطبعة الأولى [٢٠٠٤م].

(٢٣٩) **ميراث المرأة وقضية المساواة**، د.صلاح سلطان، دار النهضة، مصر – القاهرة، [١٩٩٩م].

(٢٤٠) **نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر**، د.لخضر شايب، مكتبة العبيكان – الرياض، [١٤٢٢هـ-٢٠٠١م].

(٢٤١) **نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين فقهاً وقضاءً**،د.مصطفى الرافعي، الشركة العالمية للكتاب – بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٠م].

(٢٤٢) **نظرات استشراقية في الإسلام**، محمد غلاي، دار الكتاب العربي – القاهرة، ب.ت.

(٢٤٣) **نظرات حديثة في الكتاب المقدس**، القس الواعظ هري أمرسن فوزدك، ترجمة: شاكر خليل نصار، مكتب الكنيسة الإنجيلية الوطنية-بيروت، الطبعة [١٩٨٠م].

(٢٤٤) **نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان**، محمَّد غسَّان الجبَّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان، الطبعة الأولى، [١٤٣٥هـ-٢٠١٤م].

(٢٤٥) **نقد الخطاب الاستشراقي**، د.ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى [٢٠٠٢م].

(٢٤٦) **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين** لمحمد بن عفيفي الخضري تحقيق: هيثم هلال دار المعرفة بيروت- لبنان الطبعة : الطبعة الأولى، [١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م].

(٢٤٧) **الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده**، د.محمود ماضي، دار الدعوة – الإسكندرية، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٦م].

(٢٤٨) **الوضع في الحديث**، د.عمر فلاته، مكتبة الغزالي – دمشق، [١٩٨١م].

(٢٤٩) **وعود الإسلام**، روجيه غارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار الرقي-بيروت، ومكتبة مدبولي-القاهرة، الطبعة الثانية [١٩٨٥م].

(٢٥٠) **يهود اليوم ليسوا يهودا**، بنيامين فريدمان، ترجمة زهدي الفاتح، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثالثة [١٩٨٨م].

(٢٥١) **يوميات مسلم ألماني، مراد ويلفرد هوفمان**، ترجمة:د.عباس رشدي العماري، مركز الأهرام للنشر – القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٤هـ – ١٩٩٣م].

بسم الله الرحمن الرحيم
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا
صدق الله العظيم

فهرس المحتويات

المقدمة.	٥
الباب الأول: العدوان الاستشراقي على الأمة الإسلامية.	١٩
تمهيد: العدوان متواصل لاينقطع.	٢١
الفصل الأول: دور الاستشراق الحاقد في العدوان.	٢٥
المبحث الأول: الدور الأهم.	٢٧
المبحث الثاني: الدور الخطير.	٣٠
المبحث الثالث: تفاوت درجات الحقد والأساليب.	٣١
المبحث الرابع: اتجاهات الاستشراق وأهدافه.	٣٣
المطلب الأول: أهداف التوجه المعادي.	٣٣
المطلب الثاني: أهداف التوجه المحايد.	٣٧
المطلب الثالث: أهداف التوجه المدافع والمتعاطف.	٣٧
المبحث الخامس: نماذج من العدوان الفكري على الرسالة والرسول ﷺ بعد وفاته من قبل المستشرقين الحاقدين.	٣٩
المبحث السادس: أهل النصرة في مواجهة المستشرقين الحاقدين.	٥٨
المطلب الأول: أهل النصرة المدافعون.	٥٨
المطلب الثاني: المقصرون.	٦٠
الفصل الثاني: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين المعادين.	٦٣
المبحث الأول: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصرين في مصدر القرآن الكريم.	٦٦
المطلب الأول: المطاعن التي وردت حول القرآن الكريم.	٦٧
المطلب الثاني: خطتهم.	٦٩
المطلب الثالث: أهدافهم.	٧٠
المطلب الرابع: الدليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى.	٧١
المطلب الخامس: كيف يستطيع إنسان يحترم عقله أن يصدق بأن القرآن الكريم من مصادر يهودية ومسيحية.	٨٢

المطلب السادس: المطاعن السخيفة.	٨٦
المطلب السابع: رد المنصفين على المفترين.	٨٧
المبحث الثاني: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصرين في العقيدة الإسلامية.	٨٨
المطلب الأول: في التوراة المزعومة الرب متناقض في صفاته وأفعاله.	٨٨
المطلب الثاني: العقيدة الإسلامية قائمة على التوحيد وعدم الإشراك بالله تعالى ولا تناقض في ذلك.	٩٠
المطلب الثالث: رد المنصفين على المفترين.	٩١
المطلب الرابع: ارتباك وقلق وحيرة عندهم.	٩٤
المطلب الخامس: مراجعة وإعادة نظر في عقيدتهم.	٩٧
المطلب السادس: رد المنصفين على المفترين.	٩٩
المبحث الثالث: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصرين في السيرة النبوية.	١٠٣
المطلب الأول: أهدافهم وأساليبهم في كتابة السيرة النبوية.	١٠٣
المطلب الثاني: نماذج من افتراءاتهم وأضاليلهم.	١٠٦
المبحث الرابع: الرد على شبهات ومطاعن المستشرقين والمنصرين في الحديث النبوي.	١١٦
المطلب الأول: أهم الأعمال في الهجوم على الحديث النبوي.	١١٦
المطلب الثاني: رد مختصر على الافتراءات.	١١٧
المطلب الثالث: افتراءات وردود.	١٢٤
المبحث الخامس: الرد على التشكيك في إعجاز القرآن الكريم	١٢٧
المطلب الأول: من إعجاز القرآن الكريم.	١٢٧
المطلب الثاني: التشكيك في الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.	١٢٩
المطلب الثالث: الرد على الافتراءات والتشكيك.	١٣٠
المطلب الرابع: انهزام المستشرقين أمام الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.	١٣٢
المبحث السادس: الرد على شبهة أن تعدد القراءات في القرآن، دليل على أنه ليس وحياً من عند الله.	١٣٦
المطلب الأول: ادعاء المستشرقين الحاقدين.	١٣٦
المطلب الثاني: الرد على فريتهم.	١٣٧
المطلب الثالث: افتراءات وردود.	١٣٩

المبحث السابع: الرد على شبهة وجود تناقض في القرآن الكريم.	١٤١
المطلب الأول: شبهات وردود.	١٤١
المطلب الثاني: ادعاء تناقضات أخرى، والرد عليها.	١٤٥
المطلب الثالث: التناقض في ثقافاتهم وكتبهم وليس في القرآن الكريم.	١٤٧
المطلب الرابع: إنهم يشعرون بالحرج والحيرة أمام التناقض في كتبهم.	١٥١
المطلب الخامس: القرآن صحيح ولاتناقض فيه ولايتناقض مع العلوم الحديثة.	١٥٢
المبحث الثامن: الرد على شبهة أن القرآن الكريم قد تم تحريفه.	١٥٣
المطلب الأول: إقرار الكثير من المستشرقين بأن القرآن لم يحرف.	١٥٣
المطلب الثاني: ادعاء بتحريف القرآن من بعض المستشرقين.	١٥٥
المطلب الثالث: الرد على هذه الفرية.	١٥٦
المطلب الرابع: شبهات أخرى وردود.	١٥٧
المبحث التاسع: الرد على شبهة أن النبي ﷺ لم يكن يوحى إليه، وإنما كان يُصرع.	١٥٩
المطلب الأول: ردود على شبهة الصرع.	١٥٩
المطلب الثاني: شبهة إنكار الوحي وردود عليها.	١٦٠
المبحث العاشر: الرد على شبهة تعدد زوجات النبي ﷺ.	١٦٣
المطلب الأول: ادعاءات وأكاذيب.	١٦٣
المطلب الثاني: الرد على فرية أن النبي ﷺ كان شهوانياً.	١٦٤
المطلب الثالث: مناقشة أسباب التعدد.	١٦٨
المطلب الرابع: أهداف زواج النبي صلى الله عليه وسلم.	١٨٢
المطلب الخامس: خلاصة إجمالية.	١٨٤
المطلب السادس: حال النبي ﷺ مع ربه جل وعز.	١٨٦
المطلب السابع: حال النبي ﷺ في حياته ومعاشه.	١٨٧
المطلب الثامن: شهادات المنصفين ترد على المفترين.	١٩٢
المطلب التاسع: زوجات الأنبياء حسب زعمهم.	١٩٤
المطلب العاشر: افتراءاتهم على الأنبياء.	١٩٦
المبحث الحادي عشر: الرد على شبهة أن الإسلام انتشر بالسيف.	١٩٨
المطلب الأول: نقض هذه الشبهة والفرية.	١٩٨

المطلب الثاني: شهادات منصفة تدحض الافتراءات الكاذبة.	٢٠٠
المطلب الثالث: واقع انتشار الإسلام في العالم يكذب دعاوى وافتراءات المستشرقين.	٢٠٨
المطلب الرابع: تسامح المسلمين يقابله التاريخ الإفرنجي الصليبي الحافل بالإكراه.	٢٠٩
المطلب الخامس: أهداف الجهاد الإسلامي.	٢٢٠
المبحث الثاني عشر: الرد على شبهة أن الإسلام عامل أهل الكتاب المعاهدين بقسوة.	٢٢٦
المبحث الثالث عشر: الرد على الشبهات المتعلقة بتشريع إقامة الحدود في الإسلام.	٢٢٧
المطلب الأول: جرائم الغرب الإفرنجي الصليبي الفظيعة.	٢٢٧
المطلب الثاني: الرد على الشبهات المتعلقة بتشريع إقامة الحدود في الإسلام.	٢٢٨
المبحث الرابع عشر: الرد على شبهة أن الإسلام لم يحرر المرأة.	٢٣٦
المطلب الأول: هدفهم هدم الإسلام من الداخل بيد أبنائه.	٢٣٦
المطلب الثاني: قضية تحرير المرأة.	٢٣٧
المبحث الخامس عشر: الرد على شبهة عدم مساواة المرأة بالرجل.	٢٤٠
المطلب الأول: مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة على نحو عام.	٢٤٠
المطلب الثاني: المرأة في تراثهم وكتبهم، مقارنات.	٢٤٥
المطلب الثالث: شهادات منصفة ترد على المستشرقين المشككين.	٢٦٢
المبحث السادس عشر: الرد على الشبهات المتعلقة بتشريع تعدد الزوجات.	٢٦٥
المطلب الأول: تعدد الزوجات في الإسلام يساعد على حل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن خلل يؤدي إلى وجود زيادة كبيرة في عدد النساء على عدد الرجال.	٢٦٥
المطلب الثاني: تعدد الزوجات في الإسلام يساعد على حل المشكلات الاجتماعية الناتجة عن حالات طارئة خاصة.	٢٧٣
المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للتعدد.	٢٧٤
المطلب الرابع: شهادات المنصفين ترد على أكاذيب المستشرقين المعادين.	٢٧٨
المطلب الخامس: النتيجة.	٢٨٤
المبحث السابع عشر: الرد على الشبهات المتعلقة بتشريع الطلاق.	٢٨٦
المطلب الأول: لماذا شرع الإسلام الطلاق.	٢٨٦
المطلب الثاني: مبادىء تشريع الطلاق.	٢٨٨
المطلب الثالث: تشريع الطلاق في الشرائع الأخرى.	٢٩٢

المطلب الرابع: التشريعات المدنية وحدها لاتمتلك الحل الأمثل.	٢٩٨
المبحث الثامن عشر: الرد على الشبهات المتعلقة بعمل المرأة.	٣٠٧
المطلب الأول: أهدافهم من هذه الشبهة.	٣٠٧
المطلب الثاني: الإسلام مكن المرأة من ممارسة حقها في العمل.	٣٠٨
المطلب الثالث: العمل حق مشروع للرجل والمرأة بشروطه ومنها التلاؤم مع طبيعتهما.	٣١٤
المطلب الرابع: لابد من التشاور ولاسلطة للرجل على مال المرأة.	٣١٦
المطلب الخامس: تشريعات الإسلام ضمنت حق المرأة بالعمل قبل التشريعات الغربية.	٣١٧
المبحث التاسع عشر: الرد على شبهة أن الإسلام ليس ديناً عالمياً بل هو خاص بالعرب.	٣١٨
المطلب الأول: ادعاء المستشرقين المعادين.	٣١٨
المطلب الثاني: نصوص القرآن تعلن بلا ريب أن الإسلام رسالة عالمية لجميع الناس.	٣٢١
المطلب الثالث: نصوص الحديث النبوي تعلن بلا ريب أن الإسلام رسالة عالمية لجميع الناس.	٣٢٢
المطلب الرابع: شهادات المنصفين من المستشرقين ترد على المشككين.	٣٢٢
الباب الثاني: العدوان التبشيري على الأمة الإسلامية.	٣٢٥
الفصل الأول: منطلقات العمل التبشيري (التنصيري).	٣٢٥
المبحث الأول: ماهو التبشير وماعلاقته بالاستشراق.	٣٢٧
المطلب الأول: تعريف التبشير.	٣٢٧
المطلب الثاني: للتبشير والاستشراق الحاقد هدف واحد.	٣٢٧
المبحث الثاني: لمحة مختصرة عن تاريخ حركة التبشير.	٣٢٨
المطلب الأول: بدايات حركة التبشير.	٣٢٨
المطلب الثاني: الانطلاقة الواسعة لحركة التبشير.	٣٣٥
المطلب الثالث: العصر الذهبي لحركة التبشير.	٣٣٥
المبحث الثالث: أهم أهداف التبشير.	٣٣٧
المطلب الأول: للتبشير أهداف كثيرة.	٣٣٧
المطلب الثاني: عمل المبشرين في مجال هدم الإسلام وانتزاعه من قلوب المسلمين.	٣٣٨
المطلب الثالث: عمل المبشرين في مجال تشويه الإسلام والطعن فيه.	٣٤٠

المطلب الرابع: اغتنام حقبة الاستعمار.	٣٤٤
المطلب الخامس: عمل المبشرين في مجال التغريب والغزو الثقافي وبث الثقافة الأوروبية وتربية الأجيال على النمط الغربي ومقاومة الدين الإسلامي.	٣٤٥
المبحث الرابع: تربية وتأهيل المبشرين.	٣٤٧
المبحث الخامس: خطة عمل التبشير(التنصير).	٣٤٨
المبحث السادس : وسائل عمل التبشير	٣٥٣
المطلب الأول: برامج عمل المبشرين	٣٤٨
المطلب الثاني: البرنامج العملي.	٣٤٩
الفصل الثاني: العدوان التبشيري التنصيري المتجدد.	٣٦٧
المبحث الأول: مؤتمرات وخطط ودراسات وتنظيمات.	٣٦٩
المطلب الأول: تخطيط جديد.	٣٦٩
المطلب الثاني: أهم مؤتمرات التنصير والتبشير وموضوعاتها وقراراتها.	٣٧٠
المطلب الثالث: خلاصة موضوعات وقرارات أهم مؤتمرات التنصير في العالم.	٣٧٢
المطلب الرابع: إعادة التقويم.	٣٧٩
المبحث الثاني: المؤتمر الأخطر في تاريخ حركة التنصير.	٣٨٠
المبحث الثالث: خطط استراتيجية جديدة.	٣٨٣
المطلب الأول: إلغاء الأساليب القديمة للتنصير في مواجهة الإسلام.	٣٨٣
المطلب الثاني: استغلال الثغرات الداخلية والخارجية التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية.	٣٩٥
المطلب الثالث: أمريكا هي التي ستقود الحرب التنصيرية في المرحلة القادمة.	٣٩٦
المطلب الرابع: استخدام العمالة الغربية وكذلك الطلبة الغربيين الذين يدرسون في البلدان الإسلامية، للمساعدة على تنصير المسلمين.	٣٩٧
المطلب الخامس: استغلال الكوارث والحاجات الإنسانية.	٣٩٩
المطلب السادس: الترويج لنموذج المرأة الغربية ، مظهراً وثقافة وسلوكاً.	٤٠٠
المطلب السابع: العمل على التأثير في المسلمين المهاجرين للعالم الغربي.	٤٠١
المبحث الرابع: الصحوة الإسلامية تقلق المنصرين.	٤٠٣
المبحث الخامس: صراع تاريخي.	٤٠٥
المبحث السادس: إمكانات هائلة تحت تصرف المنصرين.	٤٠٦

المبحث السابع: فشل مخططاتهم الاستراتيجية.	٤٠٨
المبحث الثامن: الخلاصة.	٤٠٩
الفصل الثالث: المدافعون والمتخاذلون في مواجهة المنصرين.	٤١١
المبحث الأول: موقف العلماء.	٤١٣
المبحث الثاني: موقف الحكومات.	٤١٨
المبحث الثالث: موقف الكثير من الأغنياء وأصحاب الجاه.	٤٢٢
الفصل الرابع: العلاقة بين الاستشراق والتنصير والاستعمار.	٤٢٥
المبحث الأول: حركة التبشير خادم فعال للاستعمار، والاستعمار خادم لها.	٤٢٧
المبحث الثاني: االكنيسة الإفرنجية الغربية أيدت الاسترقاق في عصر الاستعمار.	٤٤١
المبحث الثالث: التبشير والإبادة الثقافية والجسدية:	٤٤٤
المطلب الأول: التبشير والتعذيب والاغتصاب (نماذج).	٤٤٤
المطلب الثاني: التبشير والإبادة، توثيقات شاهد عيان.	٤٥١
الخاتمة: موت الغرب.	٤٦٣
الفهارس:	٤٧٩
فهرس المصادر والمراجع.	٤٨١
فهرس المحتويات.	٥٠٣

تعريف مختصر بالمؤلف*

محمد غسّان بن خليل الجبّان الجنيدي الحسيني

-الجبّان شهرةً، الجنيدي لقباً، الحسيني نسباً

-ولد بدمشق في جوار جامع بني أمية الكبير عام ١٩٤٧م، وهو من ذرية الشيخ سليمان الجنيدي، ومن أسرة يتصل نسبها إلى الإمام الحسين ﷺ.

-التحق بمدرسة علم الدعوة والتزكية والحكمة عام ١٩٦١م، التي أسّسها الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ... ودَرَس هذه العلوم على يديه.. كما دَرَس العلوم الشرعية على يد عدد من علماء دمشق...

-تحصّل على إجازة في التدريس الديني والوعظ والإرشاد من سماحة الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٧٦م..

-عمل في حقل الدعوة الإسلامية والتدريس الديني، أكثر من خمسةٍ وأربعين عاماً، وتربّى على يديه مئاتٌ من الدعاة، وأعدادٌ كبيرة من شباب الدعوة الإسلامية ...

- حائز على درجة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والكيميائية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م..

-عمل في التعليم الرسمي.

-أسس وأدار عدداً من مشاريع العمل الخيري.

- أسس وأدار عدداً من مؤسسات التعليم الشرعي للمرحلتين: الجامعية والدراسات العليا ..

-عضو مجلس أمناء جامعة بلاد الشام للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية، ومدرس فيها.

-باحث ومؤلف.

انظر: موسوعة الأسر الدمشقية للدكتور محمد شريف الصواف ١/٣٤٥ وما بعد.

كتب للمؤلف

- **سلسة السِير والتراجم:**

١- العلامة الشيخ أحمد كفتارو –أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية– [الطبعة الأولى].
٢- العالِم الرباني الشيخ محمد بشير الباني– قبسٌ من حياته وأفكاره– (بالاشتراك) [الطبعة الأولى] .

- **سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى:**

١- ذكر الله تعالى – طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق– [الطبعة الثامنة].
٢- أيها المسوفون الوقت ضيق. [الطبعة التاسعة].

- **موسوعة فقه الدعوة والحياة « في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ »**

١- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ ، جزءان، [الطبعة الأولى].
٢- كمال رحمته ﷺ .[الطبعة الثانية].
٣- كمال حكمته ﷺ .[مرحلة الإعداد].
٤- كمال صفاته ﷺ .[مرحلة الإعداد].
٥- أجزاء أخرى. [مرحلة الإعداد].

- **سلسلة دراسات وأبحاث:**

١- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، [الطبعةالأولى].
٢- مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي، [الطبعة الأولى].
٣- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، [الطبعة الثانية].
٤- مراجعات في الفكر والعمل الإسلامي الدعوي، [الطبعة الأولى].
٥- الوصايا (للدعاة)، [الطبعة الأولى].
٦- خصائص الرسالة الإسلامية، [الطبعة الأولى].
٧- نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان، [الطبعة الأولى].
٨- دراسات في العدوان الإفرنجي والمغولي على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة)، [الطبعة الأولى].
٩- دراسات في العدوان الاستشراقي والتبشيري على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة)، [الطبعة الأولى].
١٠- اغتصاب فلسطين– الأحداث الظاهرة والخفية وقضية حقوق الإنسان، [مرحلة الإعداد].
١١- دراسات في العدوان الاستعماري على الأمة الإسلامية (رؤية معاصرة)، [مرحلة الإعداد].
١٢- العدوان المعاصر على الأمة الإسلامية، [مرحلة الإعداد].

هذا الكتاب

عمل المستشرقون المعادون والمبشرون على تغريب المجتمعات الإسلامية، لتتقبل فكرة التفوق الغربي ووجوب الاقتداء به والترحيب بكل ما هو غربي والأخذ بنمطه وثقافته وتصوراته والخضوع لها.. وشنت حركتي الاستشراق الحاقد والتبشير حرباً شعواء على القيم الإسلامية أكثر من عشرة قرون، بقصد صد الناس عن الدخول في الإسلام، وبقصد توهين علاقة المسلمين بإسلامهم ثم جعلهم لقمة سائغة للتيارات الفكرية والعقائدية المعادية للإسلام.

ولكن الغرب الذي حارب القيم الإسلامية بدأ يموت الآن بسبب عدم أخذه بها!!..ولقد كان الغرب ينتظر ما يرجوه ويتمناه، بأن ينحسر الإسلام في العالم،ولكن المفاجأة التي أذهلت الغرب، أن اللادينية بدأت تنتشر في المجتمعات الغربية، وأن الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً في الغرب وجميع أنحاء العالم.

وهذا الكتاب جهد متواضع للدفاع عن الرسالة والرسول ﷺ والمسلمين، في وجه الأضاليل والتشويهات التي روّج لها المستشرقون المعادون والمبشرون وتلامذتهم في عالمنا العربي والإسلامي..

الناشر